بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

مقدّمة النّاشر

هذا الكتاب موسوعة ضخمة، تضمّ أربعة عشر جزءاً، قام بتأليفها المحقّق والمفسِّر الكبير، الأستاذ العلّامة حسن المصطفوي.

هو إنسان كامل وعالم نورانيٌّ، عملَ على سبر غور مفردات القرآن الكريم ومفاهيمه، والوقوف على المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفهوم ولفظ والكشف عنه وتوضيحه.

ربّما هناك عدد قليل من المفسِّرين الكبار ممّن اتّبعوا هذا النّهج في تفسير بعض مفردات القرآن على نطاق محدود وفي مواضع متفرِّقة، غير أنّ العلّامة المصطفوي استطاع في هذا الكتاب الّذي ليس له نظيرٌ في تاريخ الإسلام ـ وحسبما أفاد باحثون كبار ممّن يتردّدون على هذا المركز ـ الوقوف على المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفردة من مفردات القرآن المجيد، وتناول قواعد الكتاب بأسلوب فريد محكم ومستدلّ من النّاحية العلميّة والتاريخيّة.

تتلخّص المبادئ الأساسية والمهمّة الّتي اعتمدها العلّامة في نهجه هذا في أنّه من غير الممكن تفسير الآيات ما لم يتحدّد المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفردة من مفردات القرآن الكريم.

إنّه محقِّق فريد ومفسِّر كبير على ارتباط بعالم الغيب والشّهود دون شك.

وحسبما نُقِل عن أفراد أسرته إنّ معاني بعض مفردات القرآن ومفاهيمه كانت تتجلّى له من عالم الغيب إلى الشّهود، فيقوم فضيلته بتدوينها.

ومن كراماته الأخرى أنّ تدوين هذا الكتاب النّفيس جاء في نسخته الأُولى دون الحاجة إلى شطب أو تعديل.

هذا ويسرُّ مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي أن يُقدِّم هذه الموسوعة القيِّمة إلى كافّة العلماء ومفسِّري القرآن الكريم وعشّاق الثّقافة القرآنيّة.

مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

الحمد للهِ على هدايته وتوفيقه لما دعا إليه مِن سبيله، وأُصلّي وأُسلّم على سيِّد أنبيائه ورُسُله، خير خلقه وأشرف بريّته، وآله المعصومين الطاهرين من عترته.

وبعدُ: فنبدأ بحول الله تعالى وقوّته، وتأييده ولطفه ورحمته، في الجزء السادس من كتاب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم)، وأوّله حرف الشين، ومنه أستمدّ وأستعين، إنّه خير معين.

وأرجو من السادة العظام أن يراجعوا المقدّمة من الجزء الأوّل، قبل مطالعة مباحث الكتاب، ليكونوا على بصيرة من المباني المنظورة.

ربّ يسِّر ولا تُعسِّر، سهِّل علينا يا ربّ العالمين.

اللّهمّ أنت الموفِّق والهادي، وما النصر إلّا من عندك.

حسن المصطفوي

هو

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

باب حرف الشّين

شأم :

مقا ـ شأم: أصل واحد يدلّ على الجـانب اليسـار، من ذلك المَشْـأمة وهي خلاف المَيْمَنة، والشَّأم: أرض عن مَشأمة القبلة، يقال الشَّأم والشَّآم، ويقال رجلٌ شَآمٍ وامرأة شَآميّة.

أسا ـ شأم: هو من أهل الشَّأم، ورجلٌ شَآم، وقد أشأمَ، وقعد شَأمةً: يُسرة. والشأم عن مَشأمة القبلة. وشائِمْ بأصحابك: ياسِرْ. واعتمدَ على رِجله الشُّـؤمَى: اليُسرى. وشُئِم فلان وهو مَشؤوم. وأصابَهم بالشُّؤم والمَشأمة. وجَرى لهم الطائر الأشأم، والطير الأشائم. فإذاً الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم.

الجمهرة ٣ / ٧٢ ـ الشُّؤم: مهموز وربّما خُفّف الهمز فقيل شُـوم. وأخذ على شُومَى يديه: إذا أخذ على يَساره. وشُوم الإبل: سودها.

كتاب الأفعال ٢ / ١١١ ـ شـأمتُ القومَ والمكانَ شَأماً: أخذت في شـماله، والرجلُ قومَه: أنزلَ بهم الشُّؤمَ، وشُئِم: صار مَشؤوماً. وأشأمَ: أتى الشامَ.

مصبا ـ الشُّؤم: الشرّ، ورجل مَشؤوم: غير مبارك. وتَشاءَم القومُ به: مثل تطيّروا به. والشّام بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها، والنسبة شاميّ على الأصل، ويجوز شأم بالمد من غير ياء، مثل يَمَنيّ ويَمانٍ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل اليُمن والميمنة، واليُمن هو البركة والقوّة مادّية ومعنويّة في كمّ أو كيف، فيكون الشُّؤم عبارة عمّا يرادف الضِّعة مع الضعف.

ومصاديق الأصل: اليد اليسرى، وجهة المشأمة، في قبال الميمنة واليد اليمنى. واللون الأسود في قبال البياض. والمشؤوم في مقابل ما كان مباركاً ميموناً:

فإنّ اليد اليمنى لها قوّة وزيادة قدرة وتحرّك وبركة، وهذا بخلاف اليد اليسرى ففيها الضعف والضعة والمحدوديّة، ولا يجري منها الخير والبركة كما في اليد اليمنى. وبهذا الاعتبار يطلق عنوان الميمنة والميسرة على الجهتين في الجيش. وهكذا لون البياض والسواد من جهة القوّة.

فظهر أنّ إطلاق مادّة الشّأم على اليد بلحاظ الضّعف والضِّعة فيها ولا خصوصيّة لموضوع اليد، كما أنّ الميمنة والمشأمة: يلاحظ فيهما جهتا القوّة والبركة وضعفهما، لا جهتا جانبي اليمين والشمال ـ راجع الشمل.

وكُنتُم أزواجاً ثَلاثة فأصحابُ المَيْمَنة ما أصحابُ المَيْمنة وأصحابُ المَشأمَة ما أصحاب المَشأمَة والسّابقون السّابقون ـ ٥٦ / ١٠.

والَّذينَ كَفَروا بآياتنا أُولئِكَ أصحابُ المشأمة ـ ٩٠ / ١٩.

فتدلّ الآيات الكريمة على أنّ المراد اختلاف المقامات من جهة القوّة والضعف في الإيمان والروحانيّة ونورانيّة القلب والقرب من الله. ولا توجّه فيها إلى جانبي اليمين واليسار وكونهم في مكان عن يمين أو شمال.

فأصحاب المشأمة: هم الّذين وقعوا في محدودة الأنانيّة وفي دائرة الحياة المادّية الظلمانيّة وفي سجون التمايلات النفسانيّة، وانقطعوا عن رَوح ورَيحان وجنّة نعيم، في سَموم وحَميم وظلّ من يَحموم.

والمَشأمة كالميمنة: مصدر كالشَّأم. والشُّؤم: إسم مصدر.

والتعبير بالمَشأمة دون الشَّأم أو موادّ أُخر: فإنّ المصدر الميميّ يدلّ على زيادة واستمرار بواسطة زيادة في المبنى واللفظ. والشأم هو ضعف مع ضعة في ذات الشيء وفي نفسه، وهذا دون موادّ المضيقة والنار والجحيم وأمثالها.

فمرجع المشأمة إلى ضعف في قوّة النفس الإنسانيّة في نفسها.

* * *

شأن:

مقا ـ شأن: أصل واحد يدلّ على ابتغاء وطلب. من ذلك قول العرب ـ شأنتُ شأنَه أي قصدت قصدَه. ومن ذلك قولهم ـ ما هذا من شأني أي ما هذا من مَطلبي والّذي أبتغيه. وأمّا الشُّؤون: فما بين قبائل الرأس، الواحد شأن. وإنّما سمّيت بذلك لأنّها مجاري الدمع، كأنّ الدمع يطلبها ويجعلها لنفسه مَسيلاً.

صحا ـ الشأن: الأمر والحال، يقال لأشأَنَّ شأنَهم أي لأُفسِدنّ أمرهم. والشأن واحد الشُّؤون وهي مَواصل قبائل الرأس ومُلتقاها ومنها تجيء الدموع. قال ابن السكّيت: الشأنان عِرقانِ ينحدران من الرأس إلى الحاجبين ثمّ إلى العينين. ويقال

إشأن شأنَك، أي إعمل ما تُحسِنه. وشَأَنتُ شأنه أي قصدت قصدَه. وما شأَنتُ شأنَه أي لم أكترِث له.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ظهور أمر وتجلّي عمل عن حالة باطنيّة. وتوضيح ذلك: أنّ للإنسان من جهة الحضور والواقعيّة الحقّة مقامات:

الأوّل ـ مقام رسوخ الصفات في القلب.

الثاني ـ حضور المعارف الحقّة في أثر تلك الصفات وجلاء النفس.

الثالث ـ ظهور الحالات على اقتضاء تلك المعارف والمشاهدات.

الرابع ـ الإفاضات والإظهارات الخارجيّة على اقتضاء تلك الحالات.

وهذه الإظهارات من جهة أنّها منتسبة إلى الفاعل وبلحاظ جهة الصدور: يطلق عليها الشأن. وإذا يلاحظ فيها جهة الانتساب إلى وقوعها في الخارج وتحقّقها في عالم الطبيعة والمادّة: يطلق عليها العمل.

وبهذا الاعتبار يفترق عالم الأمر وعالم الخلق في التكوين: فإنّ عالم الأمر هو الإفاضات والنفخ من دون توجّه وحاجة إلى المادّة.

يَسألُه مَن في السَّماواتِ والأَرضِ كُلّ يَومٍ هُوَ في شَأنٍ ـ ٥٥ / ٢٩.

يراد ظهور الإفاضات الرحمانيّة والألطاف الجارية على مقتضى السؤالات والدعوات بألسنة حاليّة أو مقاليّة.

وتنكير الشأن: يدلّ على التنوّع والتبدّل والتغيّر، وعلى هذا لا يمكن أن يراد منه مقام الصفات ولا مقام العلم والإدراك ولا مقام الحال، فإنّ هذه المقامات لا تقبل التحوّل والتنوّع في مقام الألوهيّة، وإن كانت اعتباريّة صرفة في تلك المقام ـ وكمالُ

الإخلاص لَهُ نفيُ الصّفات عَنه.

ولمّا كانت من الصفات الراسخة صفة القدرة، والقدرة تلازم الاختيار وتنفي الاضطرار والجبر: فيكون الشأن من الله العزيز بالاختيار والإرادة، وهذا معنى قوله تعالى: وقالَت اليهودُ يد الله مَغلولَة غُلَّت أيديهم ولُعِنوا بِما قالوا بَل يَداه مَبسوطَتانِ يُنفق كَيفَ يَشاء ـ ٥ / ٦٤.

فإنّ اليد تستعمل بمعنى القدرة. والمغلول هو المحدود في مقابل المبسوط.

قُل مَن بيدِهِ مَلَكوتُ كُلِّ شَيء.

يَومَ يَفرُّ المرءُ مِن أخيه ... لكلّ امرئٍ مِنهُم يَومئذٍ شَأنٌ يُغنيه ـ ٨٠ / ٣٧.

أي ما يتظاهر منهم وما يتراءى في أثر شدائد حالاتهم: يغنيهم عن التوجّه إلى ما سوى أنفسهم.

وقلنا إنّ الشأن هو ما يتظاهر بمقتضى الحال، وما يناسبه قهراً أو بالاختيار، وهذا حقيقة معنى الآية الكريمة ـ يَومَ تُبلَى السَّرائِر.

وَما تَكونُ في شَأن وَما تَتلو مِنهُ من قُرآن وَلا تَعملون من عَمل إلّا كُنّا عَلَيكُم شُهوداً ـ ١٠ / ٦١.

ذكرُ الشأن في مقابل العمل: يدلّ على أنّه غيره، وقلنا إنّ الشأن هو ما يتظاهر بمقتضى الحال ويلاحظ فيه جهة الصدور بالقهر أو بالاختيار. وأمّا الفعل فهو عمل يصدر باختيار ويلاحظ فيه العمل من حيث هو أو من جهة الوقوع والتحقّق.

فإذا استأذَنوكَ لِبَعضِ شَأنِهم فأذَنْ لِمَنْ شِئتَ مِنهُم ـ ٢٤ / ٦٢.

أي لبعض من أعمال لهم تقتضيها حالاتهم وطبائعهم وتشتهيها سرائرهم.

* * *

شبه :

مصبا ـ الشَّبَه: من المعادن ما يُشبه الذهب. والشبيه والشِّبه: المشابه. وشبّهتُ الشيء بالشيء: أقمته مقامه بصفة جامعة بينهما، وتكون الصفة ذاتيّة ومعنويّة. وقد يكون مجازاً ـ الثوب كالدرهم، أي في قيمته. واشتبهت الأُمورُ وتشابهت: التبست فلم تتميّز ولم تظهر. وشبّهته عليه تشبيهاً مثل لبّسته عليه.

مقا ـ شبه: أصل واحد يدلّ على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال شِبه وشَبَه وشَبيه. والشَّبَه من الجواهر: الّذي يُشبه الذهب. والمُشبَّهات من الأُمور: المشكلات. واشتَبه الأمرانِ: إذا أشكَلا. وممّا شذّ عن الباب: الشَّبَهانُ.

التهذيب ٦ / ٩٠ ـ قال الليث: الشَّبَه ضرب من النحاس يُلقَى عليه دواء فيصفرّ، وسمّي بالشَّبَه: لأنّه شُبّه بالذهب. وتقول: في فلان شَبَه من فلان. وشبّهت هذا بهذا، وأشبَه فلان فلاناً. وقال الليث: المُشبِهات من الأُمور: المُشكلات، وتقول شَبّهتَ عليَّ يا فلان إذا خلط علَيك، واشتبه الأمر إذا اختلط.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تنزيل شيء مقام شيء آخر بمناسبة ومشاكلة بينهما في الصورة، وهذا بخلاف المماثلة فهي التجانس والتناسب في مادّة وذات.

والمجرّد منها لازم، وباب الإفعال والمفاعلة متعدّ إلى واحد، والتفعيل متعدّ إلى مفعولين، وقد يستعمل بالحرف، فيقال: هو شَبَه وشَبيه، وأشبَهه وشابَهه، وشبّهه أسداً وبالأسد.

والتشابه لمطاوعة المفاعلة، كما أنّ التشبّه لمطاوعة التفعيل، والافتعال كالمجرّد ويدلّ على الاختيار والانتخاب.

فالمشابَهة: هو الإشباه مع الاستمرار، والتشابه: هو مطاوعة المشابهة مستمراً، فيدلّ على تحقّق الشبه من حيث هو من دون نظر إلى متعلّق كما في المشابهة.

إنَّ البَقَرَ تَشابَه عَلَينا ـ ٢ / ٧٠.

أم جَعلوا لِلّهِ شُرَكاءَ خَلقوا كَخلقه فتَشابَه الخلقُ عَلَيهم ـ ١٣ / ١٦.

والزّيتونَ والرّمّانَ مُتشابهاً وغيرَ مُتشابه ـ ٦ / ١٤١.

تَشابَهَت قُلوبهم قَد بَيَّنّا الآياتِ لقَوم يَعقلون ـ ٢ / ١١٨.

أي إنّ البقر الّذي قد أُمرنا بذبحه قد وقع في مورد شبهة علينا ويشكل علينا تعيين مصداقه.

وأجعَلوا لله شركاء خالقين ولهم خلق في قبال خلق الله حتّى يتشابه الخلقان عليهم.

والزيتونَ والرمّان كلّ من أفرادهما متشابه أو غير متشابه فإنّ لكلّ منهما أصنافاً مختلفة وأفراد كلّ صنف متشابهة وبالنسبة إلى صنف آخر غير متشابهة.

وقال الّذين لا يعلمون لولا يكلّمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الّذين من قبلهم مثل قولهم، فقلوب الفريقين متشابهة.

هُوَ الَّذي أنزَلَ عَلَيكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هنّ أُمُّ الكِتاب وأُخَرُ مُتشابِهاتٌ فأمَّا الَّذينَ في قلوبهم زَيغ فيتَّبِعون ما تَشابه مِنه ـ ٣ / ٧.

ينبغي الإشارة إلى أُمور:

١ ـ الإنزال ـ هو التنزيل من مقام عال إلى رتبة سافلة، فإنّ المعارف الإلهيّة

والحقائق النورانيّة الّتي تلائم عوالم اللّاهوت والجبروت والملكوت، إذا أُريد تفهيمها وبيانها في عالم الناسوت: لابدّ من تنزيلها إلى هذا العالم من جهة الألفاظ والبيان والموضوعات والأحكام، فيعبّر عن تلك الحقائق بعبارات مخصوصة بهذا العالم، فإنّ الكلمات إنّما وضعت في قبال المعاني المادّيّة المحسوسة ولو تصوّراً بإدراكاتنا المحدودة، ولا توجد لنا ألفاظ وضعت للمعاني والمفاهيم الّتي هي من سنخ عوالم من ما وراء المادّة من حيث هي.

٢ ـ قلنا في كلمة الآية: إنّها ما تكون مورداً للتوجّه والقصد في السير إلى المقصود ووسيلة للوصول بها إليه. وهذا المعنى يناسب التنزيل.

٣ ـ قلنا في الحكم: إنّ المحكم هو الّذي جعل ذا حكم ورأي قطعيّ لا ترديد فيه ولا تشابه، ويقابله المتشابه الّذي ليس فيه بتّ ولا صراحة.

والمحكمات الصريحة القطعيّة هنّ أمّ الكتاب وأساسه، فإنّها موارد للاستفادة والاستفاضة لعموم الناس، وفيها تبيين الحلال والحرام وما يحتاج إليه في الحياة البشريّة.

٤ ـ وأمّا الآيات المتشابهة: فهي آيات توصل السالك إلى عالم اللّاهوت وحقائقها ومعارفها، ويستفيد منها بعد تحقّق النورانيّة والروحانيّة على اختلاف السلوك ومراتبها. فالآية المتشابهة يختلف تشابهها باختلاف مراتب المعرفة والنورانيّة، فكلّما زيدت المعرفة والارتباط الروحانيّ: قلّ التشابه والترديد.

وهذه الآيات لابدّ من وجودها في الكتاب، فإنّها للخواصّ وأهل المعرفة.

٥ ـ والّذين في قلوبهم زيغ: فيتّبعون ما تشابه، فإنّ من لم يتنوّر قلبه لا يمكن له الاستفادة من حقائق تلك الآيات والتوجّه إلى معارفها، ولا سيّما إذا كان منحرفاً عن الحقّ ومتّبعاً عن الضلال، فيستفيد منها على مقتضى رأيه ويفسّرها على ما يطابق

هواه ونظره.

ابتغاءَ الفِتْنــةِ وابتغاءَ تأويلَه وَما يَعلَم تأويلَه إلّا اللهُ والرّاسـخونَ في العِـلم يَقولون آمَنّا به كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا ـ ٣ / ٧.

أي لا يعلم محمله ومرجعه الحقيقيّ إلّا الله والّذين وصـلوا إلى حـقيقة العـلم ورسخت المعرفة في قلوبهم.

والتعبير بالتأويل: إشارة إلى أنّ المتشابه لا يفسّر بالظاهر وبالمفاهيم المـادّية الظاهريّة، بل يؤوّل إلى معنى باطنيّ، طـبق الدلالة العـامّة والاشـتراك المـعنويّ في الألفاظ، وعلى مقتضى نورانيّة الباطن.

اللهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَديث كِتاباً مُتشابهاً مَثانيَ تَقشَعِرّ مِنه ـ ٣٩ / ٢٣.

والقرآن أحسن حديث يذكر فيه أحسن ما يذكر في العلوم المتنوّعة والمعارف الحقّة من الأخلاقيّات وتهذيب النفس والسلوك إلى الله تعالى والحقائق الإلهيّة وما يرتبط بما وراء عالم المادّة والعلوم الاجتماعيّة وآداب المعاشرة وقصص من الأنـبياء الماضين.

وهذا الكتاب بظاهره ومن جهة الكلمات والتعبيرات وظاهر المطالب وكلّيات المعاني: لا امتياز له، وهو كسائر الكتب المؤلّفة، إلّا أنّ الدقّة والتحقيق والتـدبّر في جزئيّات ألفاظه ومعانيه وتعبيراته: تعطي امتيازاً له في حدّ الإعجاز للبشر ـ راجع موارد مربوطة كالقرء وغيره.

فهو ظاهراً متشابه، كما في المتشابهات من الآيات، إلّا أنّ القـلوب والجـلود تقشعرّ من عظمته، وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم.

وهو مع هذا مَثاني، أي انعطافات من العلائق المادّية، راجع ثنى.

وقولهم إنّا قتَلنا المسيحَ عيسَى بنَ مَريمَ رَسولَ الله وَما قَتَلوه وَما صَلَبوه ولكن شُبِّهَ لَهُم ... وما قَتلوه يَقيناً بَل رَفَعَه اللهُ إلَيه ـ ٤ / ١٥٧.

هذه الآية الكريمة تدلّ على أنّ اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه بل إنّ هذا الأمر قد شُبِّه لهم من الخارج بأيّ طريق قد وقع.

وأمّا جزئيّات هذا الأمر: فخارج عن مرحلة التحقيق والبحث.

وأمّا رفعُه إليه: يراد الرفع الروحاني، فإنّ الرفع الجسدانيّ إلى جانب الله تعالى غير مناسب. نعم لمّا كان بدن عيسى (ع) وتكوينه على نحو مخصوص ممتاز [بكَلمةٍ منهُ اسمُه المسيحُ] فلا يبعد كون بدنه قريباً من البدن البرزخيّ أو قابلاً بذلك.

والتعبير بالتشبيه متعدّياً: إشارة إلى تحقّق المعنى بالإرادة الغيبيّة ومن جانب الله المتعال.

كُلَّما رُزِقُوا مِنها مِن ثَمَرَةٍ رِزقاً قالُوا هٰذا الَّذي رُزِقنا مِن قَبلُ وأُتوا بِه مُتشابِهاً ـ ٢ / ٢٥.

الموضوعات في عالم المادّة والبرزخ متقاربة شكلاً، كما أنّ البدن الدنيويّ والبرزخيّ أيضاً متشابهان في الصورة.

وإذا أُريدت ثمرات روحانيّة: فإنّ المؤمنين الكاملين يستلذّون في حياتهم الدنيا بأنواع الثمرات الروحانيّة وهم كانوا يأنسون بها.

وأمّا وجود السابقة والتشابه: فإنّ السابقة توجب زيادة أُنس وتكشف عن وجود علاقة من قبل، وكذلك وجود التشابه في الصورة.

وتدلّ الآية الكريمة على أنّ كلّ رزق يُرزقون به في الآخرة: إنّما هو متشابه بالرزق الدنيويّ وبما استفاض منه في أيّام حياته، فمن حُرِم عن الأرزاق الروحانيّة في

الدنيا فهو محروم عنها في الآخرة أيضاً.

وجَنّاتٍ مِن أعناب والزّيتونَ والرُّمّانَ مشتبهاً وغيرَ مُتشابه ـ ٦ / ٩٩.

الافتعال يدلّ على إفادة النسبة على الوفاق والمطاوعة من دون إباء قهراً أو اختياراً، كما أنّ المفاعلة تدلّ على الاستمرار.

وعبّر في هذه الآية بصيغة الافتعال (مشتبهاً) وفي آية: والنَّخلَ والزَّرعَ مُختلفاً أُكُله والزَّيتونَ والرُّمّانَ مُتشابهاً وغيرَ مُتشابِه ـ ٦ / ١٤١.

بصيغة التشابه: فإنّ الطَّوع والاختيار يلازم التنوّع وحصول الاختلاف، فإذا ذكر الاختلاف (مختلفاً) في هذه الآية: اقتضى ذكر التشابه، وهذا بخلاف الآية السابقة الّتي لم يذكر فيها الاختلاف.

* * *

شتّ:

مصبا ـ شتّ شَتّاً من باب ضرب: إذا تفرّق، والإسم الشَّتات، وشيء شَتيت متفرّق، وقوم شَتّى على فَعلى متفرّقون، وجاءوا أشتاتاً كذلك، وشتّان ما بينهما: بعُدَ.

مقا ـ شتّت: أصل يدلّ على تفرّق وتزيّل، من ذلك تشتيت الشيء المتفرّق، تقول شتّ شَعبُهم شَتاتاً وشَتّاً، تفرّق جمعُهم. وقال جاء القوم أشتاتاً. وثَغر شَتيت: مُفَلّج حسن، وهو من هذا كأنّه يقال إنّ الأسنان ليست بمتراكِبة. وشتّان ما هما، يقولون إنّه الأفصح. وربّما قالوا ـ شَتّان ما بينهما.

التهذيب ١١ / ٢٦٩ ـ قال الأصمعيّ: شتّ بقلبي كذا وكذا، أي فرّقه. ويقال شتّ بي قومي: أي فرّقوا أمري، وشتّوا أمرهم: فرّقوه. وقد استشتَّ الأمر وتشتّتَ إذا انتشر. ويقال جاء القوم أشتاتاً، وشَتاتَ شَتاتَ. ووقعوا في أمر شَتٍّ وشَتّى. وإنّي

أخاف عليكم الشَّتات أي الفُرقة. وشَتّانَ مصروفة عن شَتُت، فالفتحة الّتي في النون هي الفتحــة الّتي كانت في التاء، وتدلّ تلك الفتحــة على أنّه مصروف عن الماضي. وكذلك وَشْكانَ وسَرْعانَ، والأصل: وَشُك وسَرُع. وشتّانَ ما هما، ولا يقال شَتّان ما بينهما.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تفرّق مخصوص وهو تـفرّق الأعـضاء والأجزاء كلّ من الآخر، في مادّي أو معنويّ.

والتفرّق أعمّ من أن يكون بين أجزاء أو جزءين أو غيرها، فيقال تفرّق زيد وعمرو. فالتفرّق في قبال مطلق التجمّع. والانفصال في قبال مطلق الاتّصال، ويلاحظ فيه حصول مطلق فصل بعد وصل، والأغلب كونه في شيء واحد.

لَيْسَ عَلَيكُم جُناحٌ أن تأكلوا جَميعاً أو أشتاتاً ـ ٢٤ / ٦١.

يَومئذٍ يَصدرُ النّاسُ أشتاتاً ليُرَوْا أعمالَهُم ـ ٩٩ / ٦.

فأخرَجنا بهِ أزواجاً مِن نَباتٍ شَتّى ـ ٢٠ / ٥٣.

أي أن تأكلوا في حال كونكم مجتمعين أو مـتفرّقين. يـومئذ يخـرج النـاس متفرّقين لمشاهدة الأعمال. وأخرجنا به أزواجاً من نباتات مختلفة متفرّقة.

تحسَبُهم جَميعاً وقلوبُهم شَتّىٰ ـ ٥٩ / ١٤.

أي إنّهم في الظاهر مجتمعون على برنامج واحد ولكنّ بواطنهم متشتّتة، لا يجمعها رأي واحد.

وهذا الشتّ في أمر معنويّ، واستعمال المادّة في هذه الآية وفي الآية السابقة في مقابل مادّة الجمع: يدلّ على الأصل المذكور.

وشَتّى: جمع شتيت، كَمرضَى في المريض.

إنَّ سَعيَكُم لَشَتّى فأمّا مَن أعطَى ـ ٩٢ / ٥.

أي إنّ مجاهداتكم متشتّتة وليست في صراط واحد وعلى مقصد فارد.

وينبغي للعاقل المتدبّر أن تكون مساعيه في حياته على برنامج صحيح منظّم، تُقرّبه من مطلوبه ومقصوده، وتسلكه إلى سعادته، وتُرشده إلى صلاحه وكماله ـ لَيسَ للإنسانِ إلّا ما سَعَى.

* * *

شتو:

مقا ـ شتو: أصل واحد لزمان من الأزمنة، وهو الشتاء، خلاف الصَّيفِ، وهي الشَّتوة، والموضع المَشتاة والمَشتىٰ. وقال الخليل: الشِّتاء معروف، والواحد الشَّتْوة، وهذا قياس جيّد، وهو مثل شَكوة وشِكاء. ويقال أشتَى القومُ إذا دخلوا في الشتاء، وشتَوْا إذا أصابهم الشِّتاء.

مصبا ـ الشِّتاء: قيل جمع شَتْوة، نقله بعضهم عن الفرّاء وغيره، ويقال إنّه مفرد علمٌ على الفصل، ولهذا جمع على الأشتية، وجمع فِعال على أفعِلة مختصّ بالمذكّر، واختلف في النسبة فمن جعله جمعاً قال في النسبة شَتْويّ ردّاً إلى الواحد، وربّما فتحت التاء فقيل شَتَويّ على غير قياس، ومن جعله مفرداً نسب إليه على لفظه فقال شتائيّ وشتاويّ.

التهذيب ١١ / ٣٩٦ ـ قال الليث: الشتاء معروف، والواحدة: شَتْوة، والموضع المَشتى والمَشتاة، والفعل شَتا يَشتو، ويوم شاتٍ ويوم صائف. والعرب تسمِّي القحطة شتاء، لأنّ المجاعات أكثر ما تصيبهم في الشّتاء إذا قلّ مطره واشتدّ برده.

وهذه مشاتينا ومصايفنا ومرابعنا، أي منازلنا في الشتاء والصيف والربيع، وعن ابن الأعرابي: الشتا: الموضع الخشن، والشتا: صدر الوادي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الصيف وهو زمان برودة الهواء، والاشتقاق فيها انتزاعيّ.

لِإِيلافِ قُرَيشٍ ... رِحلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْف ـ ١٠٦ / ٢.

فإنّ أفراد قريش كانوا يرتحلون إلى بلادٍ خارجة عن الحجاز ومكّة، للتجارة ولتأمين معاشهم، ففي الصيف إلى أراضي الشامات الواقعة في جهة الشمال من الحجاز، وهي فعلاً أراضي أُردن وفلسطين وإسرائيل ولبنان وسوريا، وهي من الأراضي المعتدلة. وفي الشتاء إلى أراضي اليمن الواقعة في جهة الجنوب من الحجاز، وهي من المناطق الحارّة القريبة من خطّ الاستواء، بين ١٠ درجة إلى ١٨ وفي قريب من ٦٥ درجة طولاً.

* * *

شجر:

مقا ـ شجر: أصلان متداخلان، يقرب بعضهما من بعض، ولا يخلو معناهما من تداخل الشيء بعضِه في بعض ومن علوّ في شيء وارتفاع، وقد جمعنا بين فروع هذين البابين لما ذكرناه من تداخلها. فالشجر معروف، الواحدة شجرة، وهي لا تخلو من ارتفاع وتداخل أغصان. ووادٍ شجِر: كثير الشجر، ويقال هذه الأرض أشجَرُ من غيرها، أي أكثر شجراً. والشجر كلّ نبت له ساق. وشَجر بين القوم الأمرُ: إذا اختلف أو اختلفوا وتشاجروا فيه، وسمِّيت مشاجرة لتداخل كلامهم بعضه في بعض.

واشتجروا: تنازعوا. وأمّا شَجْر الإنسان: فقال قوم هو مَفرج الفم، وكان الأصمعي يقول: الشَّجْر الذقن بعينه، والقولان عندنا متقاربان لأنّ اللَّحْيين إذا اجتمعا فقد اشتجرا، كما ذكرناه من قياس الكلمة. ويقال اشتجر الرجل إذا وضع يده على شَجْرة. ويقال شجرت الشيء: إذا تَدلّى فرفعته.

مصبا ـ الشجَر: ما له ساق صلب يقوم به، كالنخل وغيره. الواحدة شَجرة، ويجمع أيضاً على شجَرات وأشجار. وشجَر الأمر بينهم شَجْراً من باب قتل: اضطرب. وتشاجروا بالرماح: تطاعنوا. وأرض شَجْراء: كثيرة الشجر. والمَشْجرة: موضع الشجر.

التهذيب ١٠ / ٥٢٨ ـ الشجرة: الواحدة، تجمع على الشجر والشجرات والأشجار. والمجتمِع الكثير منه في منبته: شَجْراء، وأمّا المَشْجرة: فهي أرض تُنبت الشجر الكثير. وأرض شجيرة، ووادٍ شجير: ذو شجر كثير. فيما شجرَ بينهُم، أي فيما وقع من الاختلاف من الخصومات حتّى اشتجروا وتشاجَروا، أي تَشابكوا مختلفين. ويقال التقَى فئتانِ فتشاجروا برماحهم. وكلّ شيء خالف بعضه بعضاً فقد اشتبك واشتجر، وسمِّي الشجر شجراً لدخول بعض أغصانه في بعض، ومن هذا قيل لمَراكب النساء مَشاجِر، لتشابك عِيدان الهَوْدج بعضها في بعض.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما نما وعلا وظهرت منه غصون وأوراق، سواء كان مادّياً أو معنويّاً.

فالمادّي كما في: والشَّمسُ والقَمَرُ والنّجومُ والجبالُ والشَّجَر والدّوابُّ ـ ٢٢ / ١٨.

الَّذي جَعَلَ لَكُم مِن الشَّجر الأخضر ناراً ـ ٣٦ / ٨٠ .

إذ يُبايعونَكَ تَحتَ الشَّجَرة ـ ٤٨ / ١٨.

يراد الشجر المادّيّ الخارجيّ.

والمعنويّ كما في: لآكِلونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقّوم ـ ٥٦ / ٥٢.

وَلا تقرَبا هذهِ الشَّجَرَةَ فَتَكونا مِنَ الظّالمين ـ ٢ / ٣٥.

والشَّجَرَةَ الملعونَةَ في القُرآن ـ ١٧ / ٦٠.

فإنّ الشجر في ماوراء عالم المادّة لابدّ أن يكون من سنخه، ولا أقلّ من كونه خارجاً عن المادّة والكثافة، ولا يُخرجه عن كونه مصداقاً لمفهوم الشجر حقّاً، فـإنّه مفهوم عامّ.

والمناسب بمفهوم الشجرة في عالم البرزخ: هو ما ينمو ويعلو ويتظهّر في النفس ويعبّر عنه بالأنانيّة، وهذا هو الحجاب الأكبر، والصنم الأعظم ـ تِلكَ الدّارُ الآخِرَة نَجعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدن عُلوّاً في الأرض، وهذا هو الشرك في قبال الله العزيز والظلمُ الشديد ـ فَتَكونا مِنَ الظّالمين، إنَّ الشّرك لَظلم عَظيم.

فَلَمّا ذاقا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْءاتُهما ـ ٧ / ٢٢.

ما نَهاكُما ربّكُما عَن هذه الشَّجَرَة إلّا أن تكونا مَلَكين ـ ٧ / ٢٠.

قالَ يا آدَمُ هَل أدلّك عَلى شَجَرَةِ الخُلد ومُلكٍ لا يَبلى ـ ٢٠ / ١٢٠.

فوسوس له الشيطان بأنّ النهي عن الشجرة لِأن يكونا مَلكين وأن يخرجا عن حدود الإنسانيّة. والإنسان لازم أن يقوّي نفسه ويتوجّه إليه ويأتي بما يزيده قدرة وسلطة وحكومة وتشخّصات حتّى يتمكّن من إدامة الحياة ويـتحصّل له البـقاء في العيش.

غفلة عن أنّ قدرة النفس وقوّته وسلطته إنّما تتحصّل بالعبوديّة والإطاعة وكسر الأنانيّة، وبهذا يتحقّق البقاء والدوام له، ويرتفع الضعف، وتمحو آثار السوآت عن وجوده.

وهذه الوسوسة الشيطانيّة جارية في أكثر أهل الدنيا المغرورين بها.

وقد تطلق الشجرة في ظهور حقّ وتجلّيه وارتفاع نوره واعتلائه.

فِي البُقعَةِ المُبارَكَةِ مِن الشَّجَرَة ـ ٢٨ / ٣٠.

يوقَد مِن شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زيتونَةٍ لا شَرقيّة ـ ٢٤ / ٣٥.

يراد مقام التجلّي والظهور الأعظم لنوره.

فظهر أنّ الأصل الواحد في الشجرة: هو المتجلّي المتظاهر المتعالي، أعمّ من أن يكون في مقام مادّيّ أو روحاني.

وَما جَعَلنا الرُّؤيا الَّتي أريناك إلّا فِتنَة للنّاس والشَّجَرَةَ الملعونَةَ في القُرآن ونُخَوّفهم فَما يَزيدُهُم إلّا طُغياناً كَبيراً ـ ١٧ / ٦٠.

المراد من هذه الشجرة الملعونة: الّذين يتظاهرون من المسلمين ويترفّعون ويدعون الناس إلى أنفسهم خلاف الرّسول والكتاب، وهؤلاء قد لعنوا في القرآن الكريم بعناوين مختلفة، بالظلم، والفساد، والكفر، وإيذاء الله ورسوله، ونقض الميثاق.

إنَّ الَّذينَ يؤذون اللهَ ورَسولَه لَعَنَهُم اللهُ في الدُّنيا والآخرَة ـ ٣٣ / ٥٧.

فَبِما نقضِهِم ميثاقَهم لَعَنّاهُم ـ ٥ / ١٣.

ألا لَعنَةُ الله عَلى الظّالمين ـ ١١ / ١٨.

فالمصداق الأتمّ من هذا العنوان: الطوائف اللّاتي يخالفن المسلمين، ويَظلمن

الناس، ويؤذين أئمة الإسلام، وينقضن عهودهم.

وفي رأس هذه الجماعات: بنو أُميّة، ووردت روايات فيها.

فَلا وَرَبّك لا يؤمنونَ حَتّى يُحكّموكَ فيما شجَر بَينَهُم ـ ٤ / ٦٥.

في موضوعات قد ارتفعت وتظاهرت وأوجبت اختلافات فيما بينهم.

فالشَّجْر والتشاجر إذا وقع في مقام الروحانيّة والألوهيّة: فهو شجرة مباركة وتجلّي نور. وإذا وقع في قبال الحقّ: فهو ظهور باطل وخلاف وأنانيّة، سواء كان في موضوع خارجيّ أو في عمل.

* * *

شحّ:

مصبا ـ الشُّحّ: البخـل، وشحّ يشُحّ من باب قتل، وفي لغـة من بابي ضرب وتعب، فهو شحيح، وقوم أشِحّاء وأشحّة، وتشاحَّ القوم: إذا شحّ بعضهم على بعض.

مقا ـ شحّ: الأصل فيه المنع، ثمّ يكون منعاً مع حرص. من ذلك الشُّحّ وهو البخل مع حِرص. ويقال تشاحّ الرجلانِ على الأمر، إذا أراد كلّ واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه. والزَّند الشَّحاح: الّذي لا يُوري. ويقولون للمواظِب على الشيء شَحْشَح، ولا يكون مواظبته عليه إلّا شُحّاً به. ويقولون للغَيور شَحْشح، وهو ذاك القياس، لأنّه إذا غار منع.

الفروق ـ ١٤٤ ـ الفرق بين الشُّحّ والبخل: أنّ الشُّحّ الحرص على منع الخير، ويقال زَنْدٌ شَحاح إذا لم يورِ ناراً وإن أشحّ عليه بالقَدح، كأنّه حريص على منع ذلك. والبخل منع الحقّ، فلا يقال لمن يؤدّي حقوق الله تعالى بخيل.

لسا ـ الشُّحّ والشَّحّ: البخل، والضمّ أعلى. وقيل هو البخل مع الحرص وهو

أبلغ في المنع من البخل. وقيل البخل في أفراد الأُمور وآحادها، والشُّحّ عامّ. وقيل البخل بالمال والشُّحّ بالمال والمعروف. وشَحّ بالشيء وعليه يَشِحُّ. والشَّحْشاح: المسِك البخيل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو البخل الشديد الراسخ في القلب، ومن لوازم هذا المعنى كونه أبلغ، وأن يكون مع الحرص.

ومَن يوقَ شُحَّ نَفسِه فأُولئِكَ هُم المُفلِحون - ٥٩ / ٩.

أي الّذي يُصان عن الشُّحّ المكنون في نفسه: هو المُفلح.

وهذه الصفة إذا رسخت وثبتت في القلب وغلبت على القوى: تمنع النفس عن مطلق عمل الخير قولاً وفعلاً، بل تمنع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وتربية الناس وهدايتهم وإرشادهم، والإنفاق والإحسان والإعانة بأيّ صورة يمكنه والخدمة لهم.

وإن آمرأةٌ خافَت مِن بَعلِها نُشوزاً أو إعراضاً فَلا جُناح عَلَيهما أن يُصلِحا بَينَهُما صُلحاً والصُّلح خَيرٌ واُحضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ وإن تُحسِنوا - ٤ / ١٢٨.

أي وقوربت الأنفس بالشحّ وموزجت به، فيُشكل لها الإحسان والعمل بالمعروف والصلاح والخير أزيد ممّا عليه.

فدفع الشحّ والعمل بالخير والصلاح: هو طريق الفلاح.

فإذا ذَهَبَ الخَوف سَلقوكُم بألسِنَة حِداد أشحَّةً عَلى الخَير - ٣٣ / ١٩.

أشِحَّةً عَلَيكُم فإذا جاءَ الخوف رأيتَهم يَنظرون - ٣٣ / ١٩.

فالشُّحّ: حالة طبيعيّة وصفة باطنيّة لهم يظهر منهم قبل مجيء الخوف وبعد زواله، وهو نتيجة حبّ النفس وحبّ الحياة الدنيا، فيجمع المال للحياة الدنيا، ولا يطلب في أعماله إلّا تعظيم نفسه، فيمنع الخير وإجراءه للنفس.

واختلاف التعبير في ـ علَيكم ـ على الخير: إشارة إلى أنّ شُحّهم في المرتبة الأُولى على جماعة المسلمين وفي خصوص قدرتهم وقوّتهم ونفوذهم ووسعهم، وإنّهم يمنعون عن هذه البسطة لهم وحريصون لها، ثمّ إذا جاءهم الخوف يتوجّهون إليهم ويتوسّلون بهم ليدفعوا عنهم الشرّ، ثمّ إذا ارتفع الخوف سلقوهم ويُظهرون شُحَّهم عليهم ويمنعون عن كلّ خير لهم.

فالمرتبة الأُولى أشدّ وأقوى، وهي مبدأ الثانية، كما أنّ مبدأ الأُولى أيضاً هو حبّ النفس من حيث هو، وهذا هو الشرك.

* * *

شحم:

مقا ـ شحم: أصل يدلّ على جنس من اللحم، من ذلك الشَّحم، وهو معروف، وشحمة الأُذن معلَّق القُرط. ورجل مُشحم كثير الشحم، وإن كان يحبّه قيل شَحِم، وإن كان يُطعمه أصحابَه قيل شاحِم، وإن كان يبيعه قيل شَحّام.

مصبا ـ الشحم من الحيوان معروف، والشَّحمة أخصّ منه، والجمع شحوم. وشَحُم شحامة: كثر شحم جسده، فهو شحيم. وشَحْمة الأُذن: ما لانَ في أسفلها، وهو معلَّق القُرط.

الجمهرة ٢ / ١٦٠ ـ والشَّحم معروف، يقال شَحِم الرجل يَشحَم شَحْماً، إذا سمِن، وهو شحِم وشحيم. وأشحَم الرجل إذا شحِمت إبله، وهو شاحِم لاحم، إذا

كان عنده الشحم واللحم، كما قالوا ـ تامِرٌ لابن، ورجل شَحِم لَحِم إذا قرِم (اشتدّت شهوته) إليهما. وأشحَم الرجل أصحابه إذا أطعمهم الشحم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل اللحم من الحيوان، أي ما كان أبيض وفيه دسومة.

وعلَى الَّذينَ هادُوا حَرَّمنا عَلَيهم كُلَّ ذي ظُفُر ومِن البَقَر والغَنَم حَرَّمنا عَلَيهم شُحومَهما إلّا ما حمَلَتْ ظهورُهُما أو الحَوايا أو ما اختلَط بعَظم ـ ٦ / ١٤٦.

الظاهر من الظفر: هو المِخلب في الطير والحافر في الدوابّ، ولا يبعد كونه أعمّ منهما. والشحوم: من البقر والغنم ما يكون قابلاً للتفصيل والتفكيك إلّا ما في ظهورهما. وما في محتويات داخلها والمختلط بالعظم: فغير محرّم.

وهذا التضييق في الحكم كان مخصوصاً باليهود ـ ذلِكَ جَزَيناهم ببغيهم.

* * *

شحن:

مقا ـ شحن: أصلان متبائنان، أحدهما يدلّ على المَلء، والآخر على البُعد. فالأوّل ـ قولهم ـ شحنتُ السفينة: إذا ملأتَها. ومن الباب أشحنَ فلان للبكاء: إذا تهيّأ له كأنّه اجتمع له. وأمّا الآخر: فالشحن الطّرد، يقال شحنهم إذا طردهم. ويقال للشيء الشديد الحموضة إنّه ليشحن الزَّبّان أي يطردها. ومن الباب الشَّحْناء وهي العداوة، وعدوّ مُشاحِن أي مُباعِد.

الجمهرة ٢ / ١٦٠ ـ وشحنتُ البيتَ وغيرَه أشحنه شَحْناً إذا ملأته، وشحنت

الثغر بالجُند إذا سددته بهم، وشحنت السفينة إذا ملأتها، وشحِنت على فلان أشحن شَحْناً من الشَّحْناء.

أسا ـ شحَن السفينة: ملأها وأتمّ جَهازها كلّه، وبينهما شَحْناء: عداوة، وهو مُشاحِن لأخيه. ويقال للشيء الشديد الحموضة: إنّه ليشحن الذُّبابَ أي يطرده.

التهذيب ٤ / ١٨٤ ـ قال الليث: الشَّحْن: مَلؤك السفينةَ وإتمامك جهازها كلّه، فهي مشحونة. قلت: والشِّحنة: ما يقام للدوابّ من العلف الّذي يكفيها يومها وليلتها، هو شِحنتها. وشِحنة الكورة: من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان. وقال الليث: الشَّحْناء: العداوة، وهو مشاحِن لك.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التماميّة من جهة الجهاز والوسائل اللّازمة، وهذا المعنى في كلّ شيء بحسبه.

فيقال شحنت البيتَ: إذا أتممت تجهيزاتها اللّازمة على ما تقتضيها، وشحنت السفينة: في إتمام ما يلزم في كونها مجهّزة، وشحنت الثغر: إذا أكملت ما يلزم لها من القوى الدفاعيّة وحفظ الثغور، وإنّه ليشحن: إذا كان مجهّزاً ومهيّأً للعمل المعيّن، وهو مُشاحِن: إذا قام مجهّزاً في مقابل فرد آخر ويلازمه العداوة والخلاف، والفعل منه الشَّحْناء، وهكذا الشِّحنة: لما يستعدّ ويجهّز لتأمين طعام الدوابّ، أو لتأمين محلّ.

وأمّا مفهوم الدفع والردّ: فهو من لوازم الأصل، فإنّ التجهيز يلازم التكميل ورفع النواقص والحاجات، وهذا المعنى يلازم الاستقلال والتنحّي والتباعد.

فأنجَيناه ومَن مَعَه في الفُلك المَشْحون ـ ٢٦ / ١١٩.

وآيَةٌ لَهُم أنّا حملنا ذُرّيّتَهم في الفُلك المَشحون ـ ٣٦ / ٤١.

وإنَّ يونسَ لَمِنَ المرسلين إذ أبقَ إلى الفُلك المَشحون ـ ٣٦ / ١٤٠.

يراد المجهّز التمام الجامع للشرائط اللّازمة والجهات المقتضية، حتّى يصحّ فيه السكنى على الماء وحركته وجريانه والاطمينان عليه من الغرق.

ولا يخفى أنّ خلق الماء على كيفيّة مخصوصة ومقدار معيّن من اللطافة، وخلق موادّ الفُلك بحيث يتمكّن من الاستقرار في الماء والجريان فيه، وهكذا تكوين الهواء على شرائط مقتضية، وهكذا سائر الشّرائط واللّوازم كلّها راجعة إلى الله المتعال ـ راجِع الفلك.

وظهر أنّ الشحن ليس بمعنى الملء، ولا يناسب في الآيات الكريمة أن يحمل عليه، فإنّ اقتضاء التعبير فيها أن يكون الشحن قبل حمل الذريّة وقبل ركوبهم، وهذا غير صحيح. مضافاً إلى أنّ ملء الفُلك مطلقاً ليس من الجهات المرجّحة المحسّنة في الموارد، بل بالعكس.

* * *

شخص:

مقا ـ شخص: أصل واحد يدلّ على ارتفاع في شيء. من ذلك الشخص، وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بُعد. ثمّ يُحمل على ذلك فيقال شخص من بلد إلى بلد، وذلك قياسه. ومنه أيضاً شخوص البصر، ويقال رجل شخيص وامرأة شخيصة، أي جسيمة. ومن الباب أشخص الرامي، إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه، وهو سهم شاخص، ويقال إذا ورد عليه أمر أقلقه: شُخص به، ذلك أنّه إذا قَلِق نَبا به مكانه فارتفع.

مصبا ـ شخص يشخص شخوصاً: خرج من موضعٍ إلى غيره، ويتعدّى

بالهمزة فيقال أشخصته. وشخص شخوصاً أيضاً: ارتفع، وشخص البصر إذا ارتفع. ويتعدّى بنفسه فيقال شخص الرجل بصره إذا فتح بعينيه لا يطرف، وربّما يعدّى بالياء فقيل شخص الرجل ببصره، فهو شاخص، وأبصار شاخصة وشواخص، وشخص السهم شخوصاً: جاوز الهدف من أعلاه. والشخص: سواد الإنسان تراه من بُعد ثمّ استعمل في ذاته.

أسا ـ رأيت أشخاصاً وشُخوصاً، وامرأة شخيصة كقولك جسيمة، وشخص من مكانه وأشخصته. ومن المجاز: شخص الشيءَ إذا عيّنه، وشيء مشخَّص، وشخص بصر الميّت، وشخص إليك بصري، والأبصار نحوكَ شاخصة، وأشخصَ فلان بفلان إذا اغتابه، وأشخصت له في المنطق إذا اغتبته.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ترفّع في مورد خاصّ أو لفرد، في خارج أو في منطق أو في عضو.

فيقال رجل شخيص أي مترفّع في حالاته، وشخَص من مكانه إذا ترفّع منه وانتقل إلى مكان آخر، وشخص بصره إذا ترفّع وفتح عينيه ونظر إلى علوّ كأنّه ينظر إلى ما فوق محيطه الظاهريّ.

إنَّما يؤخِّرُهُم ليَوم تَشخصُ فيه الأَبصار ـ ١٤ / ٤٢.

شخوص البصر إنّما يتحقّق إذا صرف نظره عن كلّ محسوس وتحيّر في توجّهه وشخص بصره كأنّه لا يُبصر شيئاً ولا يهتدي إلى سبيل، وذلك من شدّة الحادثة وحدّتها وإحاطة الابتلاء والدهشة والحيرة ـ مُهطِعينَ مُقنِعي رُءوسِهم لا يرتدُّ إلَيهم

طَرفُهم وأفئدتُهم هواء.

واقترب الوَعدُ الحقُّ فإذا هيَ شاخِصةٌ أبصارُ الَّذينَ كَفَروا يا وَيْلنا قَد كُنّا في غَفلَة ـ ٢١ / ٩٧.

من شدّة ابتلاء ذلك اليوم.

وتدلّ الآية الكريمة على أنّ الشخوص نتيجة الغفلة، فإنّ من غفل عن درك المطلوب وسلوك الطريق الحقّ ولم يتوجّه إلى ما هو المقصود: فيصبح في غده حيرانَ ومن شدّة اضطرابه سكران ـ وأفئِدتُهم هَواء.

❊ ❊ ❊

شدّ:

مقا ـ شدّ: أصل واحد يدلّ على قوّة في الشيء، وفروعه ترجع إليه، من ذلك شددت العقد شدّاً أشدُّه. والشَّدّة: المرّة الواحدة، وهذا القياس في الحرب أيضاً. ومن الباب الشديد والمتشدّد: البخيل. وعن أبي زيد: أصابتني شُدَّى أي شدّة. ويقال أشدَّ القومُ إذا كانت دوابّهم شِداداً. وشَدُّ النهار: ارتفاعه. والأشُدّ: العشرون، ويقال أربعون سنة. وبعضهم يقولون لا واحد لها.

مصبا ـ شدَّ الشيء يشِدّ من باب ضرب شِدّة: قوي، فهو شديد، وشددته شَدّاً من باب قتل: أوثقته. والشَّدّة: المرّة منه. وشددت العقدة فاشتدّت، ومنه شدّ الرحال، وهو كناية عن السفر. ورجل شديد: بخيل. وشدّد عليه: ضدّ خفّف.

التهذيب ١١ / ٢٦٥ ـ الشَّدّ: الحَمْل، تقول شدّ عليه في القتال. والشَّدّ: الحُضر، والفعل اشتدّ. والشِّدّة: الصَّلابة. والشِّدّة: النجدة وثبات القلب. والشِّدّة: المجاعة. ورجل شديد: شجاع. وإنّه لحُبِّ الخيرِ لَشَديد، أي لبخيل. قال الفرّاء: الأشُدّ:

واحدها شَدٌّ في القياس، ولم أسمع لها بواحد. وعن أبي الهيثم: واحدة الأنعُم نِـعمة، وواحدة الأشُدّ شِدّة، والشِّدّة: القوّة والجلادة. والشديد: الرجل القويّ، وكأنّ الهاء في النِّعمة والشِّدّة كانت زائدة، وكأنّ الأصل نِعمٌ وشِدّ، فجمعا على أنعُم وأشُدّ، كما قالوا رِجل وأرجُل.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الرخاوة، كما أنّ القوّة ما يقابل الضعف، والخشونة ما يقابل اللين.

وليست المادّة بمعنى القوّة ولا الثقل ولا الصلب ولا الحدّة، فإنّ كلّاً منها يوصف بها، كما في: علَّمَه شَديدُ القُوى.

وكأيِّن مِن قَريَة هيَ أشَدّ قوَّةً، وكانوا أشدَّ مِنهُم قوَّةً.

فالشدّة ليست بمفهوم مستقلّ، بل تدلّ على درجة قويّة عالية من كلّ مرتبة، وهي تختلف باختلاف الموضوعات، ففي كلّ موضوع بحسبه.

ففي الموضوعات الخارجيّة: أو آوِي إلى رُكن شَديد ـ ١١ / ٨٠ .

والَّذينَ مَعَه أشِدّاءُ عَلى الكُفّار ـ ٤٨ / ٢٩.

ثُمَّ يأتي مِن بَعد ذلِك سَبْع شِداد ـ ١٢ / ٤٨.

وفي الموضوعات الروحانيّة: عَليها مَلائكة غِلاظٌ شِداد ـ ٦٦ / ٦.

وفي الأعمال الخارجيّة: والفِتنةُ أشدُّ مِنَ القَتل ـ ٢ / ١٩١.

وفي الأعمال الروحانيّة: واشدُدْ عَلى قلوبهم ـ ١٠ / ٨٨ .

وفيما يرتبط بالأُمور الأُخرويّة: إنَّ الله شَديدُ العِقاب، إنَّ الله شَديدُ العَذاب، ولَعذابِ الآخرَةِ أشدُّ.

وَلَمّا بلَغَ أشُدَّه آتَيناه حُكماً وعِلماً ـ ١٢ / ٢٢.

وَلَمّا بلَغَ أشُدَّه وآستوى آتَيناه حُكماً وعِلماً ـ ٢٨ / ١٤.

فأرادَ رَبّك أن يبلُغا أشُدَّهُما ويَستَخْرِجا كنزَهُما ـ ١٨ / ٨٢.

الأُولى راجعة إلى النبيّ يوسف (ع)، والثانية إلى الكليم موسى (ع)، والثالثة إلى الغلامين اليتيمين.

وأمّا التعبير بصيغة الجمع: إشارةً إلى أنّ بلوغ الشدّة لازم أن يتحقّق في جميع القوى الظاهريّة والباطنيّة ومن جميع الجهات.

وبلوغ الأشُدّ يختلف بالاستعدادات الذاتيّة ثمّ بالاختلاف في الأُمور الّتي يتوقّع حصولها موضوعاً وحكماً.

وتحديده بزمان معيّن غير صحيح، ويمكن انطباقه على بلوغ عشرين إلى الأربعين، باختلاف الأشخاص والموضوعات. حَتّى إذا بَلغ أشدّه وبلَغ أربعينَ سَنةً قالَ رَبِّ أوزعني أن أشكُر.

ولمّا كان مفهوم الشدّة من مراتب الموضوعات: فلا حاجة لنا إلى البحث في موارده، فليراجَع إلى متعلّقاته.

* * *

شرب:

مقا ـ شرب: أصل واحد منقاس مطّرِد، وهو الشرب المعروف، ثمّ يُحمَل عليه ما يقاربه مجازاً وتشبيهاً. تقول: شرِبت الماء أشرَبه شَرْباً، وهو المصدر، والشُّرب

الإسم. والشَّرْب القوم الّذين يشربون. والشِّرب: الحظّ من الماء. والشَّرَبة: ماء يجمع حول النخلة يكون منها شُربها، والجمع شَرَب. والمَشرَبة: الموضع الّذي يشرب منه الناس. وماء شَروب وشَريب: إذا صلح أن يُشرب وفيه بعض الكراهة. والإشراب: لون قد أُشرِب من لون، يقال فيه شُربة حمرة. ويقال أُشرِب فلان حبَّ فلان: إذا خالط قلبه. وشاربُ الإنسان معروف، ويجمع على شوارب. والشوارب أيضاً عروق محدِقة بالحلقوم. وحمار صَخِب الشوارب من هذا، إذا كان شديد النهيق.

مصبا ـ الشراب: ما يُشرب من المايعات، وشربته شَرْباً، والإسم الشُّرب، وقيل هما لغتان، والفاعل شارب، والجمع شاربون وشَرْب ويجوز شَرَبة. قال السرقسطي: ولا يقال في الطائر شرِبَ الماء ولكن يقال حَسا. وقيل العَبّ شرب الماء من غير مَصّ. وقال الأصمعيّ: يقال في الحافر كلّه وفي الظلف (أي ذي الظِّلف) جرع الماء يجرعه، وهذا كلّه يدلّ على أنّ الشرب مخصوص بالمصّ حقيقة ولكنّه يطلق على غيره مجازاً. والشِّرب: النصيب من الماء.

التهذيب ١١ / ٣٥٢ ـ وقال الليث: يقال شَرِب شَرْباً وشُرباً، والشِّرب: وقت الشرب. والمَشْرَب: الوجه الّذي يُشرب منه ويكون موضعاً ومَصدراً. والشَّراب: إسم لما يُشرب، وكلّ شيء لا يُمضغ فإنّه يقال فيه يُشرب. ورجل شَروب: شديد الشَّرْب، وقوم شُرُب. وقال الفرّاء: العرب تقول ـ أكّل فلان مالي وشرّبه، أي أطعمه الناس وسقاهم به. والشوارب: مجاري الماء في الحلق.

أسا ـ شَرِب الماءَ والعسلَ والدواء. ورجل شَروب وشِرّيبٌ، وسقاني بالمِشربة وهي الإناء. ومن المجاز: أشربتَني ما لم أشرب، إذا ادّعى عليه ما لم يفعل. وأُشرب الثوب حمرةً. وفيه شُربة من الحُمرة. وأُشرِب حبّ كذا. وشَرِب ماأُلقي عليه إذا فهمه.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تناول شيء مايع أو كالمايع مادّياً أو معنويّاً، ويقابله الأكل.

فالمايع المادّيّ كما في: كُلوا واشرَبوا مِن رِزق الله، كُلوا واشرَبوا حتّى يَتبيَّنَ لَكُم، فكُلي واشرَبي وقَرِّي عَيناً، ماءٌ لَكُم منهُ شَراب، فانظر إلى طعامك وشرابك لَم يَتَسَنَّهْ.

وما هو كالمايع كما في: وأوحَى رَبّكَ إلى النَّحل... يَخرج مِن بُطونِها شَرابٌ مُختلف ألوانه.

يراد العسل، فإنّ المايع ما لا يحتاج إلى المضغ.

والمعنويّ كما في: وأُشرِبوا في قلوبهم العِجلَ بكفرهم ـ ٢ / ٩٣.

فالإشراب يطلق في مورد لايكون الشرب بنحو طبيعيّ فيه كما في غير الحيوان أو فيه بالجبر. والعجل ليس من المايعات، ولكنّ المراد نفوذ شأنه وجريان حبّه، وهذا النحو من جريان الأمر ونفوذ المقام والتمكين في القلوب: شرب معنويّ وتناول باطنيّ.

والتعبير بالعجل دون نفوذه وجريان أمره: للمبالغة، فكأنّ العجل من جميع جهاته وخصوصيّاته قد أُشرب وأُجري في القلوب.

والشرب في الآخرة كما في: عَيناً يَشرَبُ بِها المقرَّبون، فشارِبون شُربَ الهِيم، وأنهارٌ مِن خَمر لذَّةٍ للشّاربين، لهُم شَرابٌ مِن حَميم.

فمن المسلّم أنّ الموضوعات والمحمولات في عوالم الآخرة مغايرة لما في الحياة

الدنيا المادّية، وأمّا خصوصيّاتها وكيفيّة حدود الجسمانيّة والروحانيّة فيها: فغير قابلة للبحث والتحقيق بهذه القوى والإدراكات المحدودة الضعيفة.

والمفهوم الكلّيّ: هو تناول ما كان لطيفاً وله جريان في الذائقة، أعمّ من أن تكون الذائقة من أيّ سنخ ومن أيّ عالم.

والشرب الروحانيّ كما في: إنَّ الأبرار يَشربون مِن كأسٍ كانَ مِزاجُها كافوراً عَيناً يشرَبُ بِها عِباد الله يُفجّرونَها تَفجيراً يوفونَ بالنَّذر ويَخافون يَوماً ـ ٧٦ / ٦، فظاهر الآية الكريمة تعلّقها إلى عالم الدنيا، فإنّ الأبرار في حياتهم الدنيا لهم حياة بدنيّة جسمانيّة، وحياة معنويّة روحانيّة، وبمقتضى كلّ من الحياتين ما يلائمه من الطعام والشراب.

وعطف ـ يوفون بالنّذر: يدلّ على أنّ الآية الكريمة ناظرة إلى الحياة الدنيا وإلى جهة الروحانيّة الباطنيّة منها.

* * *

شرح:

مصبا ـ شرح الله صدرَه للإسلام شَرحاً: وسّعه لقبول الحقّ، وتصغير المصدر شُريح وبه سمّي. وشرحت الحديث شرحاً: بمعنى فسّرته وبيّنته وأوضحت معناه. وشرحت اللّحم: قطعته طولاً، والتثقيل مبالغة وتكثير.

مقا ـ شرح: أصيل يدلّ على الفتح والبيان. من ذلك شرحت الكلام وغيره شَرحاً: إذا بيّنته. واشتقاقه من تشريح اللحم.

مفر ـ شرح: أصل الشرح: بسط اللّحم ونحوه، يقال شرحت اللّحم وشرّحته، ومنه شرح الصّدر أي بسطه بنور إلهيّ وسكينة من جهة الله ورَوح منه. وشرح

المشكل من الكلام: بسطه وإظهار ما تخفى من معانيه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو بسط مخصوص في موضوع، ويقابله القبض. وأمّا مفاهيم التبيين والفتح والتفسير والتوضيح والتوسيع وغيرها: فإنّما هي باعتبار البسط في موضوع.

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك ـ ٩٤ / ١.

أفَمَن شرحَ اللهُ صدرَه للإسلام فهوَ عَلَى نور مِن رَبّه ـ ٣٩ / ٢٢.

قالَ رَبّ اَشْرَحْ لي صَدْري ـ ٢٠ / ٢٥.

شرح الصّدر انبساط فيه ورفع الانقباض ليستعدّ لقبول النور والإيمان، فالانشراح: تحقّق اقتضاء واستعداد فقط، ويدلّ عليه ما في بقيّة الآيات:

وَوَضَعنا عَنكَ وِزرَكَ الَّذي أنقَضَ ظَهرَك، فَوَيلٌ للقاسِية قلوبُهم مِن ذِكر الله، ويسِّرْ لي أمري واحلُل عُقدَةً مِنْ لِساني يَفقهوا قَولي.

فإنّ هذه الجملات في مقام تحقّق الاقتضاء ورفع الموانع.

ويدلّ على ما ذكرنا: صريح الآية الكريمة:

فَمَن يُرِد اللهُ أن يَهدِيَه يَشرَح صَدرَه للإسلام ـ ٦ / ١٢٥.

فيصرّح بأنّ انشراح الصّدر وسيلة الهداية.

والتعبير بعدها بحرف اللّام ـ لك، للإسلام، لي: إشارة إلى أنّ الشرح إنّما يتحقّق لنفعهم ولينتفعوا به وليتحصّل الإسلام والإيمان.

وأمّا التعبير بالباء في الآية ـ ولكن مَن شرَح بالكفر صدراً فَعَلَيْهم غَضبٌ مِنَ الله ـ ١٦ / ١٠٦: إشارة إلى أنّ هذا النحو من الانشراح ليس بشرح طبيعيّ، بل انشراح بوسيلة الكفر، فإنّ الصدر مرتبة ظاهريّة أوليّة من القلب، وهو محلّ نزول الإسلام أو الكفر، وفي هذا المورد قد نسب الشرح إلى العبد، بخلاف الآيات السابقة، فإنّ الله تعالى لا يمكن له أن يشرح قلب عبده بالكفر.

ويدلّ على أنّ الشرح يقابل القبض والضيق: قوله تعالى في الآية ٦ / ١٢٥ ـ ومَن يُرِدْ أن يُضلَّه يجعَل صَدرَه ضَيِّقاً حَرَجاً كأَنَّما يَصَّعَّد في السَّماء، فكما أنّ الانشراح يكون وسيلة للهداية: فالتضيّق أيضاً وسيلة الضلالة.

فظهر أنّ انشراح الصدر أوّل شرط في السير إلى الله تعالى، وهو باب الورود إلى طريق الهداية، وتحقّق استعداد لطلب الكمال.

* * *

شرد:

مقا ـ شرد: أصل واحد وهو يدلّ على تنفير وإبعاد، وعلى نَفار وبُعد، في انتشار. من ذلك شرَد البعيرُ شروداً، وشرّدت الإبلَ تشريداً أُشرِّدُها، ومنه ـ فشرِّد بهم مَن خلفَهم ـ يريد نَكِّل بهم وسَمِّع، وهو ذلك المعنى، إنّ المذنب إذا أذنب وعوقب عليه: فقد شُرِّد بتلك العقوبة غيرُه، لأنّه يحذر مثلَ ما وقع بالمذنب، فيشرُد عن الذنب وينكُل.

مصبا ـ شردَ البعيرُ شُروداً من باب قعد: ندَّ ونفر. والإسم: الشِّراد، وشرَّدته تشريداً.

التهذيب ١١ / ٣٢٠ ـ شرَد البعيرُ يشرُد شِراداً، وكذلك الدوابّ، وفرس

شَرود وهو المستعصي على صاحبه. وقافية شَرود: عائرة سائرة في البلاد. وشَرَد الجمل شُروداً، فهو شارد، فإذا كان مُشرَّداً: فهو شَريد طريد. وتقول أشردته أطردته: إذا جعلتَه شَريداً طريداً لا يُؤوى. وقال الفرّاء: فشرِّد بهم ـ يقول إنّ أسرتهم يا محمّد فنكِّل بهم مَن خلفهم ممّن تخاف نقضه للعهد، لعلّهم يذّكّرون فلا يَنقضون العهد. وأصل التشريد التطريد.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو نَفار مع وحشة، كما أنّ النفار فيه مفهوم الكراهة، أي طرد مع كراهة، والنَّدّ يؤخذ فيه معنى التفرّق، أي نفار مع تفرّق.

فإمّا تَثقفنَّهم في الحَرب فشرِّد بِهم مَن خلفَهم لَعلَّهم يذَّكَّرون ـ ٨ / ٥٧.

قلنا في الثقف: إنّه الدرك الدقيق المحيط، أي إذا أدركت الناقضين الكافرين في صفوف الأعداء المقاتلين: فخذهم أخذة شديدة ونكِّلهم بنكال وبأشدّ عذاب، حتّى يكون عبرة للّذين من ورائهم من المخالفين، فينفروا عن المخالفة والمقاتلة ونقض المعاهدة، متوحّشين خائفين.

وأيضاً إنّ الناقضين هم أيادي الكفّار، وبوسيلتهم يَصنع الكفّار ما يصنعون، فإذا أُخذوا وقتلوا: يُشرَّد الكفّار من خلفهم.

* * *

شرذمة :

التهذيب ١١ / ٤٥٠ ـ والشِّرذمة: الجماعة القليلة. وقال الليث: الشِّرذمة: القِطعة من السَّفرجلة ونحوها.

مقا ـ ومن ذلك الشِّرذمة: وهي القليل من الناس، فالذال زائدة، وإنّما هي من شرمتُ الشيءَ إذا مزّقتَه، فكأنّها طائفة انمزقت وإنمارت عن الجماعة الكثيرة، ويقال ثوب شَراذِم أي قِطَع.

لسا ـ الشِّرذمة: القليل من الناس. وعن أبي عمر: شردمة وشرذمة بالذال والدال.

والشِّرذم، الشِّرذمة: القِطعة من الشيء، والجمع شَراذِم. والشِّرذمة في كلام العرب: القليل. وثياب شَراذم: أخلاق منقطعة.

صحا ـ الشِّرذمة: الطائفة من الناس والقِطعة من الشيء. وثوب شَراذم: أي قِطَع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه الكلمة: هو القِطعة المنقطعة، وبينها وبين موادّ الشَّرم (بمعنى الخرق والمزق والقطع) والشَّذر (يدلّ على تفرّق وتميّز) والشذّ (ويدلّ على الانفراد والمفارقة): اشتقاق أكبر.

فيلاحظ في هذا المفهوم قيدان: قِطعة محدودة، ومنقطعة من شيء آخر. وأمّا قيد القلّة: فليس من مدلول اللفظ.

فأرسَلَ فرعَون في المَدائن حاشِرين إنَّ هؤلاء لَشِرذمةٌ قَليلون ـ ٢٦ / ٥٤.

التعبير بهذه الكلمة: إشارة إلى أنّ هذه الجمعيّة من أصحاب موسى (ع) طائفة قد تفرّقت وانقطعت عن بني إسرائيل، وأوجدت اختلافاً بينهم. ثمّ وصفها بعده بكونهم قليلين: فيدلّ على عدم دلالة الكلمة على قيد القلّة.

فظهر لطف التعبير بها دون كلمات ـ القوم، الطائفة، الجماعة، وغيرها.

* * *

شرّ:

مقا ـ شرّ: أصل واحد يدلّ على الانتشار والتطاير. من ذلك الشرّ خلاف الخير. ورجل شِرّير، وهو الأصل، لانتشاره وكثرته. والشرّ: بسطك الشيء في الشمس. والشَّرارة، والجمع الشَّرار، والشَّرَر: ما تطايَر من النار، الواحدة شَرَرة. ويقال شَرْشَر الشيءَ إذا قطّعه. والإشرارة: ما يُبسط عليه الشيء.

مصبا ـ الشرّ: الفساد والظلم، والجمع شُرور، من باب تعب، وفي لغة من باب قرب. والشرّ: السوء. ورجل شُرّ: أي ذو شرّ. وقوم أشرار، وهذا شرّ من ذاك، والأصل أشرّ، واستعمال الأصل لغة لبني عامر، والشَّرَر: مقصور من الشَّرار.

الجمهرة ١ / ٨٢ ـ الشَّرّ وهو ضدّ الخير، رجل شِرّير: كثير الشرّ. وزعم بعض أهل اللغة أنّ الشرّ يجمع شُروراً. فأمّا شَرار النار: فيقال: شَرَرة وشَرارَة: فمن قال شَرَرة قال في الجمع شَرَر، ومَن قال شَرارَة: قال شَرار في الجمع. ويقال شررت اللحمَ والثوب وأشررته: إذا بسطتَه ليجفّ، فهو مُشَرّ ومَشرور.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الخير، وقلنا في الخير: إنّه عبارة عمّا يختار وينتخب ويكون له رجحان وفضل.

فالشرّ ما يكون مرجوحاً ولا يتمايل إلى اختياره وانتخابه.

فالخير في الحقيقة: ما فيه نفع وحسن أثر وصلاح. والشرّ ما فيه ضرر وسوء أثر وفساد. وقد يكون شيء فيه ضرر كالدواء وليس بشرّ، أو يكون شيء فيه اختلال وفساد وليس بشرّ كالمريض، أو يكون شيء من جهة الصورة قبيحاً وليس بشرّ. فيلاحظ في الشرّ أثر الشيء من حيث هو ـ راجع السوء.

والشرّ يتصوّر على أنحاء: إمّا في أصل التكوين والخلق بالذات، أو في التكوينيّات بالعرض، أو في الآثار والأعمال.

والقسم الأوّل ممتنع: فإنّ التكوين نشر رحمة وإفاضةُ فيض وتجلّي من الصفات والأسماء الإلهيّة وظهورٌ وبسط نور، ولا يتصوّر فيها الشرّ:

رَبَّنا وسعتَ كُلَّ شَيء رَحمةً وعِلماً ـ ٤٠ / ٧.

ما خَلَقَ اللهُ السَّمٰواتِ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إلّا بالحَقّ ـ ٣٠ / ٨ .

بِيَدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدير ـ ٣ / ٢٦.

والقسم الثاني هو لحوق الشرّ بالعرض، كما في:

إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الَّذينَ كَفَرُوا فَهُم لا يُؤْمِنُون ـ ٨ / ٥٥.

في نارِ جَهَنَّم خالِدينَ فيها أُولئِكَ هُم شَرُّ البَرِيَّة ـ ٩٨ / ٦.

مِن شَرِّ ما خَلَق ـ ١١٣ / ٢.

فإنّ الموجود في أيّ مرحلة كان إذا انحرف عن صراط الحقّ الّذي خلق عليه، وضلّ عن سبيل الاهتداء الّذي هداه الله بالفطرة الأوّليّة إليه: فقد بَعُد عن محيط الخير والرحمة، وغيّر خلق الله وبدّل فطرته السليمة، وهذا هو المراد من قوله تعالى: فليُغيّرُنَّ خلقَ الله ـ ٤ / ١١٩.

وأمّا الشرّ في الآثار والأعمال المترتّبة: وهو العمل على خلاف نظم التكوين

والتشريع، كما قال تعالى:

ومَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّة شَرّاً يَرَه ـ ٩٩ / ٨ .

مِن شَرّ الوَسْواس الخَنّاس ـ ١١٤ / ٤.

مِن شَرّ غاسِقٍ إذا وَقَب ومِن شَرّ النفّاثات في العُقد ومِن شَرّ حاسِدٍ إذا حَسَد ـ ١١٣ / ٣.

وتوضيح ذلك: أنّ مراتب التكوين والخلق في أنفسها حقّ وخير، لا باطل فيها ولا شرّ:

الّذي أحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَه ـ ٣٢ / ٧.

ويَتَفَكَّرون في خَلق السَّماوات والأَرْض رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً ـ ٣ / ١٩١.

ومراتب التشريع والأديان الإلهيّة: على وفق التكوين وفي جهة إبقائه وإتمامه وإكماله، فالتشريع تتميم التكوين، ولا يمكن وجود الاختلاف بينهما، وإلّا فيتحقّق التضادّ في جريان الأُمور:

هوَ الَّذي أرسَلَ رَسولَهُ بالهُدىٰ ودِين الحَقِّ ليُظهرَهُ عَلى الدِّين كُلِّه ـ ٦١ / ٩.

ونزَّلنا عَلَيكَ الكِتاب تِبياناً لكُلّ شَيء وهُدىً ورَحمَة ـ ١٦ / ٨٩ .

والانحراف عن مجرى التكوين والتشريع: إنّما يوجب الخروج عن جريان الخير والفلاح والنظم الطبيعيّ الّذي جعله الله تعالى وقدّره.

ثمّ إنّ الانحراف إمّا في الآراء والأفكار، أو في الأخلاق والصفات الباطنيّة الإنسانيّة، أو في الأعمال والآداب الخارجيّة.

وفي أثر كلّ من هذه الانحرافات يتحصّل شرّ ويُصيب صاحبَه، وقد يصيب الشرّ من الخارج: إمّا بسبب انحرافات في أفراد متجاوزين، كما في:

مِنْ شَرِّ النفّاثاتِ في العُقَد، مِن شَرِّ ما خَلَق.

وإمّا بإصابة من الحوادث الخارجيّة كما في:

وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذو دُعاءٍ عَريض ـ ٤١ / ٥١.

وإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فيؤوسٌ قَنوط ـ ٤١ / ٤٩.

وقد يكون الشرّ في النظرة الأوّلية الظاهريّة فقط دون الواقع الحقّ، كما في:

وعَسى أن تُحِبّوا شَيئاً وهوَ شَرٌّ لَكُم ـ ٢ / ٢١٦.

ويَدعُ الإنسانُ بالشَّرّ دُعاءَه بالخَير ـ ١٧ / ١١.

ما لَنا لا نَرى رجالاً كُنّا نَعدُّهُم مِنَ الأَشرار ـ ٣٨ / ٦٢.

فظهر أنّ مراتب الحقّ من التكوين والتشريع هي الخير، كما أنّ مراتب الباطل والانحراف هي الشرّ، فالسالك إلى الحقّ لازم له أن يسير في طريق الخير، ويجتنب عن سبيل الشرّ، هذا هو حقيقة الصراط المستقيم.

ولتَكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ يَدعونَ إلى الخَير ـ ٣ / ١٠٤.

أأربابٌ متفرِّقون خَير أم اللهُ الواحِد ـ ١٢ / ٣٩.

إنَّما عِندَ الله هوَ خَيرٌ لَكُم ـ ١٦ / ٩٥.

واللهُ خيرٌ وأبقى ـ ٢٠ / ٧٣.

ولكُلٍّ وِجهَةٌ هوَ مُوَلِّيها فاستبِقوا الخَيراتِ ـ ٢ / ١٤٢.

ثمّ إنّ كلمة الشرّ كالخير مشبهة كالصَّعْب، وليست بصيغة تفضيل.

وأمّا مفهوم الشَّرَر والشَّرار كالحَسَن والجَبان: فالتحريك يدلّ على تحرّك في الوصف، وهو التطاير والتظاهر في النار، ويستعمل هذا المفهوم في مورد إرادة الشرّ،

لا في موارد الاستفادة منه.

إنَّها تَرمي بشَرَرٍ كالقَصْر - ٧٧ / ٣٢.

راجع القصر.

وأمّا قولهم - شررت اللحم أو الثوبَ أي بسطته: فإنّ في الشرّ مفهوماً من البسط والنشر، كما أنّ في الخير شيئاً من القبض، فإنّ الاختيار والاجتباء والانتخاب لاتخلو عن معنى القبض والجمع. وعلى هذا قال بعضهم كما في المقاييس: إنّ الأصل في المادّة هو التطاير والانتشار.

* * *

شرط:

مقا - شرط: أصل يدلّ على عَلَم وعَلامة وما قارب ذلك من عَلَم. من ذلك الشَّرَط العلامة، وأشراط الساعة: علاماتها. وسمِّي الشُّرَط: لأنّهم جَعلوا لأنفسهم علامة يُعرفون بها. ويقولون أشرَطَ فلان نفسَه للهلكة: إذا جعلها علماً للهلاك. ويقال أشرَطَ من إبله وغنمه، إذا أعدّ منها شيئاً للبيع. ومن الباب شَرْط الحاجم، وهو معلوم، لأنّ ذلك علامة وأثر. ويقال إنّ أشراط الساعة أوائلها. ومن الباب الشَريط وهو خَيط يُربق به البَهْم، وإنّما سمّي بذلك لأنّها إذا رُبطت به صار لذلك أثر. ومن الباب الشَّرَط وهو المَسيل الصغير، وسمّي بذلك لأنّه أثر في الأرض كشَرْط الحاجم.

مصبا - شَرَطَ الحاجمُ شَرْطاً من بابي ضرب وقتل، الواحدة شَرْطة، وشرِطتُ عليه كذا شَرْطاً أيضاً واشترطت عليه. وجمع الشَّرْط شُروط. والشَّرَط: العلامة، والجمع أشراط. والشُّرطة، وفتح الراء لغة قليلة، وصاحب الشُّرطة: الحاكم. والشُّرَط: أعوان السلطان، وإذا نسب إلى هذا قيل شُرْطيّ ردّاً إلى واحده. وشَرَط المعزى:

رذالها. والشَّريطة في معنى الشرط، وجمعها شرائط.

الجمهرة ٢ / ٣٤١ ـ والشَّرَط: رديء المال من الإبل والغنم، والجمع أشراط. وأشرطَ فلان نفسَه لهذا الأمر: جعل نفسه علماً له. والشَّرَطان نجمانِ من منازل القمر. والشَّرْط للحجّام، وأصله الشقّ.

التهذيب ١١ / ٣٠٨ ـ قال الليث: الشَّرْط معروف في البيع. والفعل: شارَطه فشرطَ له على كذا وكذا، وهو يَشرِط، والشَّرْط: بَزْغ الحجّام بالمِشرط. وقال أبو سعيد: أشراط الساعة علاماتها وأسبابها الّتي هي دون معظمها وقيامها، قال، وأشراط كلّ شيء ابتداء أوّله، والشَّرَط: الدون من الناس، والّذين هم أعظم منهم ليسوا بشَرَط، وشَرَطُ المال: صِغارها، والشُّرَط: سمّوا شُرَطاً لأنّ شُرطة كلّ شيء خياره، وهم نخبة السلطان من جُنده. أشرط نفسَه: استخفّ بها وجعلها شَرَطاً أي شيئاً دوناً خاطَر بها. وقال أبو عمرو: أشرطت فلاناً لعمل كذا، أي يسَّرته وجعلته يليه، فهو مُشرَط له أي مُعَدّ له.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الإلزام والالتزام بشيء لشيء آخر بحيث يتوقّف وجود ذلك الشيء عليه، إمّا في ذاته وفي نفس الأمر، أو من جهة التعهّد والالتزام.

وهذا المعنى ملحوظ في جميع مصاديق الأصل: فأشراط الساعة: وقائع حادثة قبل الساعة يتوقّف مجيء الساعة على حدوثها. والشُّرَط: ما يلتزم في جريان الحكومة به ويُشرَط به، وهو وجود جُند وأفراد يحفظون النظم ويُعينون الحاكم. وفي الحجامة

يلتزم بالبزغ والشقّ لخروج الدم، فالبزغ شرط فيه، ثمّ إنّ الشروط من جهة أنّها مقدّمة للمشروط وفانية فيه وواقعة في ظلّه: يقال إنّها في مرتبة دانية وخفيفة. ومن جهة أنّ المشروط يتوقّف على وجودها ويتحقّق في ظلّ تحقّقها: فهي في مرتبة مختارة عالية. وأيضاً إن الشرط يلازم التهيئة والإعداد. وهذه المعاني الأخيرة من لوازم الأصل وهي معاني مجازيّة.

فَهَل يَنظرونَ إلّا السّاعَةَ أن تأتيهم بغتةً فَقَد جاءَ أشراطُها فأنّىٰ لَهُم إذا جاءَتهم ذِكراهُم ـ ٤٧ / ١٨.

قلنا في الساعة: إنّها إذا ذكرت معرّفة يراد منها الزمان المحدود المعيّن، وهي عند الإطلاق تنصرف إلى زمان الموت، وهو أشدّ حالة ابتلاء، حيث إنّ الإنسان يفارق جميع ما يُحبّه من مال وأهل وملك وتعلّق وعشيرة، ويسير إلى عالم غير مأنوس.

وأشراط تلك الساعة: هي ظهور آثار الضعف والوهن في البدن وقُواه والوقوعُ في القوس النزوليّ من الحياة الدنيا وفراق الأحبّة وإحاطة الهموم والكربات والنقصان في التمتّعات المادّيّة وغيرها.

ويقول تعالى: إنّهم في غفلة عن الساعة، ولا يتوجّهون إلى أشراطها الحادثة في وجودهم وفي محيط حياتهم، فكيف يكون حالهم إذا تذكّروا وتوجّهوا إلى الساعة وشاهدوها قريبة منهم.

كأنَّما يُساقونَ إلى المَوت وهُم يَنظرون ـ ٨ / ٦.

قُل إنَّ المَوت الّذي تَفِرُّونَ مِنهُ فإنَّهُ مُلاقيكُم ـ ٦٢ / ٨.

❁ ❁ ❁

شرع:

مصبا ـ الشِّرعة: الدِّين، والشَّرع والشَّريعة مثله، مأخوذ من الشريعة وهي مَورد الناس للاستقاء، سمّيت بذلك لوضوحها وظهورها، وجمعها شرائع، وشرعَ الله لنا كذا يشرعه: أظهره وأوضحه. والمَشرَعة: شريعة الماء. والناس في هـذا الأمـر شَرَع، وتُسكن الراء للتخفيف: أي سَواء. وشرعت في الأمر أشرعُ شروعاً: أخذت فيه. وشرعت في الماء شروعاً: شربتَ بكفّيك أو دخلتَ فيه. وشرَعَ الباب إلى الطريق شروعاً: اتّصل به، وشرعته أنا: يستعمل لازماً ومتعدّياً، ويتعدّى بالألف أيضاً فيقال أشرعته إذا فتحته وأوصلته. وطريق شارع: يسلكه الناس عامّة، والجمع شوارع.

مقا ـ شرع: أصل واحد، وهو شيء يُفتح في امتـداد يكون فـيه، مـن ذلك الشريعة: وهي مَورد الشاربة الماءَ. واشتقّ من ذلك الشِّرعة في الدِّيـن والشريـعة. ومن الباب: أشرعت الرّمح نحوه إشراعاً. وربّما قالوا في هذا شرعتُ. والإبل الشُّروع: الّتي شَرَعت ورَوِيت. ويقال: أشرعتُ طريقاً إذا أنفذتَه وفتحـتَه، وشرعتُ أيضاً. وحيتان شُرَّع: تَخفض رؤوسَها وتشرب. وشرعت الإبلَ إذا أمكنتَها من الشريعة. هذا هو الأصل ثمّ حمل عليه كلّ شيء يُمدّ في رفعة وغير رفعة، من ذلك الشِّرَع وهي الأوتار، واحدتها شِرعة، والشِّراع جمع الجمع. ومن ذلك شِراع السفينة وهو ممدود في علوّ، وشبّه بذلك عنق البعير، فقيل شرَع البعير عنقه، وقد مَدّ شِراعَه.

مفر ـ الشرع: نهج الطريق الواضح، يقال شرعت له طريقاً، والشَّرْع مصدر ثمّ جعل إسماً للطريق النهج، فقيل له شِرع وشَرْع وشريعة، واستعير ذلك للـطريقة الإلهيّة.

التهذيب ١ / ٤٢٤ ـ قال أبو إسحاق في قوله ـ شِرعَةً ومِنهاجاً: قال بعضهم: الشِّرعة هي الدِّين، والمنهاج الطريق. وقيل الشِّرعة والمنهاج جميعاً: الطريق، والطريق هاهنا الدِّين. وقال محمّد بن زيد: شِرعة، معناها: إبتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمرّ. قال ابن الأعرابيّ في قوله شرَعَ لكُم مِنَ الدِّين: أي أظهر، والشارع الربّانيّ: العالم العامل المعلِّم، وشرّع فلان إذا أظهر الحقّ وقمع الباطل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إنشاء طريق واضح مادّياً أو معنويّاً. ومن مصاديق الأصل: طريق الورود للإستقاء فيقال إنّه شريعة للماء. وشَرَع الطريقَ أي أنشأه واضحاً. وشرَع في الأمر أي أحدث طريقاً في خصوص هذا الأمر وابتدأ في السلوك فيه. وشرَع من الدين أي أنشأ من الدين المعنويّ والبرنامج في الحياة طريقاً واضحاً بيّناً.

وبهذه المناسبة يطلق على عنق البعير وعلى شِراع السفينة وعلى أوتار في العود وغيره.

وأمّا مطلق مفاهيم الإيضاح، الإيصال، الفتح، الأخذ، الإنفاذ، الإظهار، الابتداء: فليس من الأصل، بل من لوازمه وآثاره.

شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّين ما وصَّى بِه نوحاً والَّذي أوحَينا إلَيك ـ ٤٢ / ١٣.

أم لَهُم شُركاءُ شرَعوا لَهُم مِنَ الدِّين ما لَم يأذن بِه الله ـ ٤٢ / ٢١.

أي إنشاء طريق واضح من الدين في الحدود المذكورة.

فالشَّرْع إحداث طريق مبيّن إمّا من جانب الله الحقّ تعالى، أو من جانب

الشركاء والشياطين الباطلة من دون إذن من الله تعالى. كما أنّ الدين أيضاً أعمّ من الحقّ والباطل ـ لَكُم دِينكُم ولِيَ دِين.

فالشَّرْع لا بدّ أن يكون في البرنامج والأحكام الإلهيّة من جانب الله تعالى، حتّى يطابق التكوينَ والقوانينَ التكوينيّة ـ راجع الشرّ.

فالشريعة إذا كانت من جانب غير الله ولم يكن بإذنه وإنشائه: فهو شرك وانحراف عن التوحيد وعن صراطه المستقيم، والسالك فيه يسير إلى مسير خلاف دينه ورضاه، وهو يعبد الشيطان ويطيعه.

وَلا تتَّبِعْ أهواءَهُم عَمّا جاءَك مِنَ الحَقّ لِكُلٍّ جَعَلنا مِنكُم شِرعةً ومِنهاجاً ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدَة ـ ٥ / ٤٨.

الجعل قريب من التقدير، وهو يتحقّق بعد التكوين. وجعل الشِّرعة وتقديرها أعمّ من أن يكون في سبيل الحقّ أو الباطل، كلّ منهما بمقتضى أسباب موجبة، كما قال تعالى: وجَعَلنا جَهَنَّمَ لِلكافِرينَ حَصيراً، وأرادوا به كَيداً فَجَعَلناهُم الأخسَرين.

والشِّرعة فِعلة للنوع، يراد نوع من إنشاء الطريق، وهذا التعبير يناسب المقام، حيث تنسب الكلمة إلى الفرق المختلفة، بخلاف ما إذا نسبت إلى النبيّ (ص) فيعبّر بكلمة الشريعة مطلقة.

ثُمَّ جَعَلناكَ عَلى شَريعةٍ مِنَ الأَمر فاتَّبِعها وَلا تتَّبِعْ أهواءَ الَّذينَ لا يَعلمون ـ ٤٥ / ١٨.

واسألْهُم عَنِ القَريَةِ الَّتي كانَت حاضِرَةَ البَحر إذ يَعْدون في السَّبْت إذ تأتيهم حيتانهم يَومَ سَبتِهم شُرَّعاً ـ ٧ / ١٦٣.

الشُّرَّع جمع شارعة، بمعنى مَن يُنشئ طريقاً يسلكه، فالحيتان يتحرّكن في

البحر على خطّ ممتدّ، كلّ فرقة على طريقة خاصّة.

ولعلّ تحريم صيد الحيتان يوم السَّبت: كان لحفظ نسلها وتكثير تناسلها ولتمرينهم تقوى النفس وقطع الطمع، أو لغيرها.

* * *

شرق:

مصبا ـ شرقَتِ الشمسُ شُروقاً من باب قعد وشرقاً أيضاً: طلعت. وأشرقَتْ: أضاءت. ومنهم من يجعلها بمعنىً. وأشرقَ: دخل في وقت الشروق. وأيّام التشريق ثلاثة، وهي بعد يوم النحر، قيل لأنّ لحوم الأضاحي تقدد في الشرقة وهي الشمس، وقيل تشريقها تقطيعها وتشريحها، وشرِقتِ الشّاة شَرَقاً من باب تعب إذا كانت مشقوقة الأُذن، فهي شَرْقاء، ويتعدّى بالحركة، يقال شَرَقها شَرقاً من باب قتل. والشَّرْق: جهة شروق الشمس، والمَشرِق مثله وهو بكسر الراء، وبالفتح وهو القياس، لكنّه قليل الاستعمال. وشرق الجرح بالدم: إمتلأ.

مقا ـ شرق: أصل واحد يدلّ على إضاءة وفتح. من ذلك شَرَقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، والشروق: طلوعها، ويقولون لا أفعل ذلك ما ذرَّ شارق، أي طلع. والمشرقان: مَشرقا الصيف والشتاء. وقال قوم إنّ اللحم الأحمر يسمّى شَرْقاً: فإن كان صحيحاً فلأنّه من حُمرته كأنّه مُشرِق. وممّا شذّ عن هذا الباب قولهم: شَرِق بالماء إذا غصّ به شَرَقاً.

الاشتقاق ٣٠٥ ـ شَريق: إمّا من شرقت الشمسُ إذا أضاءت أو شَرَقت إذا انبسطت. والشرق ضدّ الغرب. وصبح شارِق ومُشرق، والإشراق مصدر، وقد سمّت العرب عبد الشارق.

التهذيب ٨ / ٣١٦ ـ الشَّرِقة: الأرض الشديدة الخُضرة الرَّيّا. الشَّريق: المُشبَع بالزعفران. وقال الليث: شَرِقَ فلان بريقه وكذلك غصَّ بريقه. ويقال للشيء إذا اشتدّت حُمرته بدم أو نحوه أو بحسن لَون أحمر: قد شَرِقَ شَرَقاً. ويقال للنبت الّذي يرفّ من شدّة الخُضرة: شَرِقٌ، كأنّه غاصّ بكثرة مائه الّذي يجري فيه. عن ابن الأعرابيّ: الشَّرَق: الشّمس. قال ابن السِّكّيت: الشَّرَق الشّمس، والشَّرْق: المكان الّذي تشرق فيه الشمس. يقال: طلع الشَّرَق والشَّرْق، ولا يقال غاب الشَّرْق ولا الشَّرَق. ويقال شَرَقتِ الشّمسُ تشرُق شروقاً: إذا طلعت، وأشرقت إشراقاً: إذا أضاءت على وجه الأرض.

الفروق ٢٥٤ ـ الفرق بين الطلوع والبزوغ والشروق: أنّ البزوغ أوّل الطلوع ـ فَلَمّا رأى الشَّمس بازغَة. والشروق الطلوع، تقول طلع الرجل ولا يقال شرق الرّجل، فالطلوع أعمّ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الطلوع مع الإضاءة. وعلى هذا لا يصحّ أن يقال: شَرَق الرّجل. ويدلّ على هذا المعنى استعمالها في مقابل الغروب بمعنى البعد والغيبة، والعشاءُ بمعنى الظلام، كما في: يُسبِّحنَ بالعَشيّ والإشراق، لا شَرقيّة وَلا غَربيّة.

والإشراق متعدٍّ بمعنى جعل شيء آخر شارقاً، وهذا المعنى أعمّ من أن يكون المُشرِق في نفسه شارقاً كالشمس فإنّها شارقة ومُشرقة، أو يكون مُشرِقاً وغير شارق في نفسه، بأن يكون وسيلة للإشراق ومنعكساً فيه الشروق إلى غيره، كالأرض وما فيها، فإنّها في أنفسها مظلمة إلّا أنّها ينعكس فيها الضياء وينتقل إلى غيرها من

الأجسام.

ثمّ إنّ الشروق يختلف شدّة وضعفاً، فمن مصاديقه: شروق اللحم حمرةً بعد الذبح، وشروق النبت خضرةً في موسمه، وشروق عضو حمرةً بدم أو لون، ويلاحظ في كلّ منها جهة طلوع وإضاءة بحسبه.

وبهذا اللحاظ تستعمل المادّة في مورد غصّ بالريق أو غيره، فإنّه يوجب حدوث حالة خارقة تضطرب النفس شديداً ويحمرّ اللّون.

وبهذه المناسبة تستعمل مجازاً في موارد تناسبها.

وإسم المكان من المادّة: المَشرَق والمَشْرِق، والتثنية المَشْرقان، والجمع المَشارق. والمَشرِق: كلّ محلّ يَشرق ويطلع فيه شارق، والشارق أعمّ من أيّ طالع مُشرق، شمساً أو غيرها من النجوم.

فكلّ من المفرد والتثنية والجمع إذا أطلق من دون قرينة مخصّصة يعمّ الموارد كلّها، كما في:

قالَ رَبُّ المَشرِق والمَغرِب وَما بَينَهُما ـ ٢٦ / ٢٨.

قالَ يا لَيتَ بَيني وبَينَك بُعدَ المشرقين ـ ٤٣ / ٣٨.

فَلا أُقسِمُ بِرَبّ المَشارِق والمَغارِبِ إنّا لَقادِرون ـ ٧٠ / ٤٠.

وقد تعمّ مواردَ المحسوسات والمعنويّات ـ كما في:

وخَلَقَ الجانَّ مِن مارِج مِن نار... رَبُّ المَشرِقَيْنِ ورَبُّ المَغرِبَين ـ ٥٥ / ١٧.

رَبُّ المَشْرِقِ والمَغرِبِ لا إلٰهَ إلّا هوَ فاتَّخِذهُ وَكيلاً ـ ٧٣ / ٩.

رَبُّ السَّماواتِ والأَرْضِ وَما بَينَهُما ورَبُّ المَشارِق إنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا ـ ٣٧ / ٥.

فالمَشرق المتفاهَم العرفيّ: هو محلّ طلوع الشمس من الأرض في المرتبة الأُولى من طلوعها. والمغرب محلّ غروبها وغيبتها، وقد يطلق عليهما المشرقان تغليباً، كما في آية ٤٣ / ٣٨.

ولا يبعد أن يراد من المَشرقَيْن: المَشرقان من شارقَيْن مختلفَيْن، من الشموس السماويّة.

وقد يراد من المَشارق: المَشارق الجزئيّة باعتبار شروق الشمس في كلّ يوم في نقطة مخصوصة معيّنة، كما في:

وأورَثنا القَومَ الَّذينَ كانوا يُستَضعفون مَشارقَ الأَرض وَمغاربَها الَّتي بارَكنا فيها ـ ٧ / ١٣٧.

أي مجموع الأراضي الّتي في جهة الشرق وفي جهة الغرب.

يوقَدُ مِن شَجَرَة مُبارَكَة زَيتونَة لا شَرقيَّة وَلا غَربيَّة ـ ٢٤ / ٣٥.

فهذه الشجرة المتجلّية المتعالية غير منسوبة إلى شرق بأن تكون طالعة شارقة متجدّدة، ولا منسوبة إلى غرب بأن تكون غائبة وتصير إلى تبعّد وغروب.

فالشجرة المباركة لا توصف بالشروق ولا بالغروب المتحوّلين المتجدّدين، فالمراد منها في هذا المورد الشروق والغروب المعنويّان، ويمكن أن يراد المفهوم المطلق الأعمّ.

واذكُرْ في الكِتاب مَريَمَ إذِ انتبذَتْ مِن أهلِها مَكاناً شَرقيّاً ـ ١٩ / ١٦.

يراد في هذا المورد المكان الشرقيّ من جهة مسكنها، أي مكاناً منسوباً إلى شروق الشّمس فيه، حتّى يكون مَطلِعاً للشّمس وفي معرض حرارتها.

إنّا سَخَّرنا الجِبالَ مَعَه يُسبِّحنَ بالعَشيِّ والإشراق ـ ٣٨ / ١٨.

أي الزمان المظلَم وهو يتحقّق بحصول الظلام بالحركة الوضـعيّة في الأرض، والعَشيّ فعيل وهو الزمان المتّصف بالظلام. وفي زمان إشراق الشمس وإضاءتها حتّى يكون المسبّح في ضياء، والتسبيح في الظلام أصل، وعلى هذا قدّم في المورد.

فأخَذَتهم الصَّيْحَةُ مُشرِقين ـ ١٥ / ٧٣.

يراد هنا إشراق بالقوّة والقدرة والنفوذ والتدبير في الأُمور وإعمال ما يريدون من الأعمال وإجراء ما يشاءون من الأُمور المادّية، ففي تلك الحالة ومع وجود هذه القدرة والقوّة لهم أخذتهم الصيحة، فلا يستطيعون صرفاً.

فهذا الإشراق نوع من الإضاءة، وهو تصرّف ونفوذ وتدبير في أُمور نـفوس آخرين وفي موضوعات خارجيّة، مضافاً إلى أُمور نفسه.

فلا حاجة لنا إلى تفسير الكلمة بمعاني مجازيّة أخرى.

وأشرَقَتِ الأَرض بنُور رَبِّها ووُضعَ الكِتاب ـ ٣٩ / ٦٩.

الآية الكريمـة في بيان القـيامة الكـبرى [ثمّ نُفِخَ فيه أُخـرى فإذا هُـم قِـيامٌ يَنظرون].

إشارة إلى تحقّق مالكيّة الربّ ونفوذه الحقّ، وهذا المعنى إنّما يتوقّف على رفع الأنانيّة وآثارها ومقتضياتها وخصوصيّاتها في عالم المادّة.

يَومَ تُبدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّماواتُ وبَرزوا لِلهِ ـ ١٤ / ٤٨.

والأرض وما فيها بمعناها الخاصّ، أو ما يعمّها والسماوات المادّية بمعناها العامّ: إنّما تكون خاشعة في منتهى حدّ الذلّة والإخلاص الطبيعيّ والفناء والانمحاء، بحيث لا يبقى في وجودها إلّا أثر حكمه وسلطانه ونفوذه، فتصير تلك الأجسام الجامدة حيّة مستنيرة مستشرقة منعكساً فيها نور الربّ وسلطان حكمه، فهي إذاً مُشرِقة.

أشرقَتْ بنور رَبِّها، وبَرزوا لله، وإنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهي الحَيَوانُ لو كانوا يَعلمون ـ ٢٩ / ٦٤.

وأمّا التعبير ـ أشرقتْ بنور ربّها: فإنّ الأرض والسماوات كانت في الحياة الدنيا مستشرقةً، أو مُشرِقة: بذاتها أو بواسطة شموس أو كواكب ثوابت. وأمّا في الآخرة: فتكون مشرقة بنور الربّ.

والشروق: إنّما يطلق في مقام طلوع مع ضوء في الذات.

* * *

شرك:

مصبا ـ شَرِكته في الأمر أشرَكُه من باب تعب شَرِكاً وشَرِكة: إذا صرتَ له شريكاً، وجمع الشريك شُركاء وأشراك. وشرّكت بينهما في المال تشريكاً، وأشركته في الأمر والبيع: جعلته لك شريكاً. ثمّ خُفّف المصدر بكسر الأوّل وسكون الثاني، واستعمال المخفّف أغلب، فيقال شِرك وشِركة، كما يقال كِلم وكِلمة. وشاركه وتشاركوا واشتركوا وطريق مشتَرك، والأصل مشترك فيه. والشِّرك: النصيب، ومنه قولهم لو أعتَق شِركاً له في عبد أي نصيباً، والجمع أشراك. والشِّرك: إسم من أشرك بالله إذا كفر به. والشَّرَك للصائد معروف، والجمع أشراك، وقيل الشَّرَك جمع شَرَكة كقَصَب وقَصَبة.

مقا ـ شرك: أصلانِ، أحدهما يدلّ على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدلّ على امتداد واستقامة. فالأوّل ـ الشِّركة وهو أن يكون بين إثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال شاركت فلاناً في الشيء: إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً: إذا جعلته شريكاً لك، وأشرِكه في أمري. وأمّا الأصل الآخر ـ فالشَّرَك لَقَم الطريق، وهو شِراكه أيضاً،

وشِراك النعل مشبّه بهذا، ومنه شَرَك الصائد، سمِّي بذلك لامتداده.

الجمهرة ٢ / ٣٤٨ ـ والشِّرك مصدر شرِكت الرجل في ماله أشرَكُه شِركاً، وشارك فلان فلاناً شرك عِنان وشِرك مفاوَضة، فالعنان في صنف من المال بعينه، والمفاوَضة في جميعه. وشريك الرجل ومشارِكه: سواء. وأشرك بالله تعالى وهو أن يدعو معه شريكاً. وشِراك النعل معروف، والجمع شُرُك، وشرّكت النعل تشريكاً، وقال قوم: أشركتها إشراكاً، وليس بالعالي، والشِّراك: الطريق الدقيق ينشعب عن جادّة، والجمع شُرُك. وشَرَك الصائد: حبالته، الواحدة شَرَكة، والجمع شُرُك أيضاً.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تقارن فردين أو أفراد في عمل أو أمر بحيث يكون لكلّ واحد منهم نصيب فيه أو تأثير.

وبهذه المناسبة تطلق على السهم والنصيب، وعلى الشَّرَك باعتبار تأثيره في الصيد ومشاركته الصائد في هذا العمل، وعلى شِراك النعل فإنّ تأثيره في التنعّل كالنعل وله سهم في هذا اللبس. وعلى شِراك الطريق فإنّ استقامة الطريق فيها تأثير في السّير والهداية إلى المقصود.

قُل ادعُوا الَّذينَ زَعمتُم مِن دونِ الله ... وما لَهُم فيهما من شِرك وما لَهُ مِنهُم مِن ظَهير ـ ٣٤ / ٢٢.

الشِّرك يتحقّق باشتراك مستقيم في العمل، وهذا أشدّ تأثيراً من كونه ظهيراً، فالظهيريّة مرجعها إلى المعاونة وهي في المرتبة اللّاحقة.

يا بُنَيَّ لا تُشرِكْ بالله إنَّ الشِّرك لَظُلمٌ عَظيم ـ ٣١ / ١٣.

فإنّ الظلم هو التعدّي وتضييع الحقّ في قبال العدل، ولا ظلم أشدّ وأسوأ من التعدّي إلى مقام عظمة الربّ وتنزيله إلى مقام عبده المخلوق وجعله في مرتبته، حتّى يكونا شريكين.

وهذا الظلم يختلف باختلاف مراتب التشريك سعة وضيقاً وشدّة وضعفاً، كالقول في تأثير المخلوق في التكوين:

أم لَهُم شِركٌ في السَّمٰوات ـ ٣٥ / ٤٠.

والتأثير في مقام التربية والألوهيّة: إنّما اُمرتُ أن أعبُدَ اللهَ وَلا اُشركَ بِه ـ ١٣ / ٣٦.

إنَّما أدعُو رَبِّي وَلا اُشركُ بِه أحَداً ـ ٧٢ / ٢٠.

قُل هَل مِن شركائهم مَن يَهدي إلى الحقّ ـ ١٠ / ٣٥.

وفي مقام العبادة والطاعة:

وإن أطعتموهُم إنَّكُم لَمشركون ـ ٦ / ١٢١.

وَقالَ الَّذينَ أشركوا لَو شاءَ الله ما عبَدنا مِن دونه مِن شَيءٍ ـ ١٦ / ٣٥.

وتوضيح ذلك: أنّ الشرك بالله في مقابل التوحيد، والتوحيد له مراتب ثلاث: توحيد في الذات، وتوحيد في الصفات، وتوحيد في الأفعال. فتكون مراتب الشرك أيضاً راجعة إلى ثلاث طبقات.

ولمّا كان حقّ التوحيد: هو تسبيح الذات عن أيّ حدّ مادّيّ، وحدود عرضيّة وطوليّة في البرزخيّة، وحدود ذاتيّة في عالم العقل: فهو تعالى نور مطلق وحياة مطلق ووجود بحت منزّه عن أيّ حدّ ووصف وتصوّر.

فيكون منزّهاً عن مقارنة وصف ومقابلة شيء ووجود شريك، فإنّ مرجع

هذه الأُمور إلى تحديده خارجاً أو ذاتاً. فنفي الشريك يلازم التوحيد ـ لا إلٰهَ إلّا هُو وَحدَه لا شَريكَ لَه.

لا تتَّخِذوا إلٰهين إثنين إنَّما هُوَ إلٰهٌ واحِد ـ ١٦ / ٥١.

لا إلٰهَ إلّا هُوَ الحَيُّ القَيّوم ـ ٢ / ٢٥٥.

ومَن يُشرِك بالله فَقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً ـ ٤ / ١١٦.

ثمّ إنّ التوحيد في أصل الذات: يلازم التوحيد في الصفات المنتزعة الملحوظة المعتبرة، وفي الأفعال المتجلِّية المتظاهرة من الصفات، كما يتراءى في صفات النّفس وقواها الملحوظة وفي أفعالها وأعمالها الظاهرة المتجلِّية من صفاتها، مع أنّ النّفس في وحدتها كلّ القُوى.

فالأسماء والصفات المتكثِّرة والأفعال المتجلِّية: كلّها يرجع إلى مبدأ واحد ووجود بحت فارد لا إسم له ولا رسم ولا وصف.

وهذه الوحدة القاهرة الأصيلة البحتة: هي الحاكمة الحقّة الثابتة في جميع مراتب الوجود ـ ألم تَرَ إلىٰ رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ الظِلّ.

فالتوجّه إلى الظلّ إذا وقع بوجه استقلاليّ ومن حيث هو هو: فهو شرك في قبال التوحيد، في أيّ مرتبة كان. وأمّا إذا كان التوجّه إلى جهة كونه وجهاً وفيه ظهور النور والتجلّي: فهو توحيد ـ ويَبقىٰ وجهُ رَبّك.

فالتوحيد الصفاتي: أن يُرى جميع الصفات في الممكنات والأشياء راجعة إلى صفاته تعالى وفانية فيها ومتجلّية عنها، كما في الذوات، فالنظر إليها بالنظر الموضوعيّ الاستقلاليّ ومن حيث هي هي: يكون شركاً.

وهكذا التوحيد الأفعالي: فالنظر إليها من حيث هي ومستقلّة شرك، وأمّا النظر

إليها من جهة كونها مجالي لأفعاله تعالى وفانية فيها ومضمحلّة في جنب تأثيره تعالى وقدرته ونفوذه وسلطان عظمته: فهو توحيد حقّ ـ فَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلّا باللهِ العَليِّ العَظيم.

فالإنسان في أيّ نظرة لا يخلو من أن يكون موحِّداً أو مشركاً، سواء كان متوجِّهاً إلى حقيقة حالته أم لم يتوجّه.

وإن أطَعتُموهُم إنَّكُم لَمُشركون ـ ٦ / ١٢١.

وادعُ إلى رَبّك وَلا تَكونَنَّ مِنَ المُشرِكين وَلا تَدعُ مَعَ الله إلهاً آخَر لا إلٰهَ إلّا هُو كُلُّ شَيء هالِكٌ إلّا وَجْهَه لَهُ الحُكمُ وإلَيه تُرجَعون ـ ٢٨ / ٨٧ .

فالمناط في الشرك: هو جعل شيء مستقلّاً وله موضوعيّة وهو مورد نظر وتوجه بذاته أو بصفته أو بفعله، وكلّما ازداد التوجّه إليه واشتدّ النظر إلى خصوص وجوده وخصوصيّته: تزداد مرتبة الإشراك به تعالى، ويهون الارتباط فيما بينه وبين الله.

ويَقولُ يا لَيتَني لَم أُشرِك بِرَبِّي أحَداً ـ ١٨ / ٤٢.

إنَّ الله لا يَغفر أن يُشرَك بِه ويَغفِرُ ما دون ذلك ـ ٤ / ٤٨.

ومَن يُشرِكْ بالله فكأنَّما خَرَّ مِنَ السَّماء ـ ٢٢ / ٣١.

فالمشرك هو المنقطع عن الله تعالى، والمحروم عن بحر كرامته ولطفه وجوده وفضله، والساقط عن مقام الروحانيّة الرفيعة، والمنحرف عن صراط العبوديّة وإطاعة الربّ الحقّ العزيز.

* * *

شرى:

مصبا ـ شريت المتاعَ أشريه: إذا أخذته بثمن أو أعطيتَه بثمن، فهو من

الأضداد. وشريت الجارية شِرىً، فهي شَريّة، فعيلة بمعنى مفعولة، وعبد شَريّ، ويجوز مَشريّ ومَشريّة، والفاعل شارٍ، والجمع شُراة مثل قاض وقُضاة، وتسمّى الخوارج شُراة: لأنّهم زعموا أنّهم شروا أنفسهم بالجنّة لأنّهم فارقوا أئمة الجَور، وإنما ساغ أن يكون الشّرى من الأضداد، لأنّ المتبايعين تبايعا الثمن والمثمن، فكلّ من العوضين مَبيع من جانب ومَشريّ من جانب. ويُمَدّ الشّرى ويُقصَر، وهو الأشهر، وإذا نسبتَ إلى المقصور قلبتَ الياء واواً والشين باقية على كسرها وقلتَ شِرويّ كما في رِبويّ وحِمويّ.

مقا ـ شرى: أصول ثلاثة: أحدها يدلّ على تعارض من الإثنين في أمرين أخذاً وإعطاءً مماثلة، والآخر نبت، والثالث هَيْج في الشيء وعلوّ. فالأوّل ـ قولهم شريتُ الشيءَ واشتريته: إذا أخذتَه من صاحبه بثمنه، وربّما قالوا شريت إذا بعتَ ـ وشروه بثمنٍ بخس. وأشراء الشيء: نواحيه،الواحد شَرىً،وسمّي بذلك لأنّه كالناحية الأُخرى. والشّرىٰ مقصور، يقال شَرى الشيء شِرىً. وأمّا النّبت: فالشَّرْي، يقال إنّه الحنظل، ويقولون الشَّرْية: النخلة الّتي تنبت من النَّواة. والشَّرى موضع كثير الدَّغَل. والأصل الثالث ـ قولهم شرِي لرجل شَرىً إذا استُطير غَضَباً، ويقال شَرِي البعير في سيره إذا أسرع. وشَرِي البرقُ إذا استطار.

مفر ـ الشّراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن، والبايع دافع المثمن، هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناضّ (الدرهم والدينار)، وأمّا إذا كانت بيع سِلعة بسلعة صحّ أن يُتصوّر كلّ واحد منهما مشترياً وبايعاً، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشّراء يستعمل كلّ واحد منهما في موضع الآخر. وشريتُ بمعنى بعت أكثر، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر. ويجوز الشّراء والاشتراء في كلّ ما يحصل به شيء ـ اشتروُا الحياةَ الدُّنيا.

التهـذيب ١١ / ٤٠١ ـ قال الليث: شَرِي البرقُ يَشرَى: إذا تفرّق في وجـه الغَيْم، وقال غيره: شرِي البرقُ: إذا تتابَع لَمعانُـه، واستشرى مثله، ومن هذا يـقال للرجل إذا تمادى في غيّه وفساده. واستشرى فلان في الغيّ: إذا لجّ فيه، والمشـاراة: المُلاجَّة. وقال الليـث: الشرى: داء يأخذ في الرجل أحمر كهيئـة الدراهم. وأشراء الحَرَم: نواحيـه. وشَرَى الفراتِ: ناحيتـه. ابن الأعـرابيّ: أشرَى حوضَـه: مـلأه. والشِّريانات: عُروق رِقاق في جسـد الإنسان. وعن أبي زيد: شَرَيْت بمعنى بِـعت، وشَرَيْت أي اشـتريت. والشِّرَى: يكون بيعاً واشـتراءً. والشـاري: البـائع وأيـضاً المشتري.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تحصيل شيء وأخذه في جريان أمره. فمن هذا الباب تحصيل المثمن وأخذ المبيع المقصود في جريان معاملة. وأخذ الشريانات للدم من القلب في جريان تحرّكه وضرباته. وأخذ الحرم أو الفرات من مواضع نواحيه وأطرافـه في جريان أمره وإلحاقها به. وتحصيل اللمعان والبسط في جـريان الغَـيم. وتحصيل الغيّ والفسـاد في مقام المُلاجّـة. وهكذا. فلابدّ من لحاظ الخصوصيّة في الموارد.

وأمّا إطلاق المادّة في مقام البيع: فإنّما هو في موارد يكون النـظر إلى مـفهوم التحصيل والأخذ، فالمادّة مستعملة بمعنى الأخذ في جريان أمر، وذلك يشـتبه على الناظر غير البصير.

ولَبِئسَ ما شرَوْا بِه أنفُسَهُم ـ ٢ / ١٠٢.

فَلَمّا جاءَهُم ما عرَفوا كَفَروا بِه ... بِئسَ ما اشتَرَوْا بِه أنفُسَهُم أن يكفُروا ـ ٢ / ٩٠.

أي أخذوا أنفسهم وجعلوها في مضيقة ومَهلكة ومحدوديّة وكفر ومحجوبيّة.

والتعبير بالاشتراء: إشارة إلى الاختيار الدالّ عليه الافتعال، كما في: اشتَرَوُا الضّلالَةَ بالهُدى، اشتَرَوُا الحَياةَ الدُّنيا بالآخرَة.

وَلا تَشتَرُوا بآياتي ثَمناً قَليلاً ـ ٢ / ٤١.

أي أخذوا وحصّلوا في قبال العهد والآيات الكريمة العظيمة الثمينة ثمناً قليلاً.

ولا يجوز التفسير بالبيع: فإنّ الآيات والعهد ليست بمملوكة لهم حتّى يصحّ التعبير بالبيع والنقل والإعطاء.

والمراد هو الإعراض عن الآيات التكوينيّة والتشريعيّة وعدم التوجّه إليها وعدم الاستفادة منها، والكفر بها في مقابل متاع قليل من الدنيا.

فليُقاتِلْ في سَبيل الله الّذينَ يَشرُون الحياةَ الدُّنيا بالآخرَة ـ ٤ / ٧٤.

الضمير (في فليقاتل) يرجع إلى ـ وإنَّ مِنكُم لَمَن لَيُبَطِّئَنّ، أي لِيقاتل هذا المسلم المُبطِّئ، في سبيل الله وفي سبيل المستضعَفين، مَن يأخذ الحياة الدنيا ويترك الآخرة، وليتوجّه إلى أنّ هذا خير له ـ ومَن يُقاتِلْ في سَبيل الله فيُقتل أو يُغلَب فَسَوفَ يؤتيه أجراً عَظيماً. والموصول (الّذين) مفعول به وليس بفاعل، حتّى يحتاج إلى جعل الشِّراء بمعنى البيع، مع أنّ هؤلاء (يختارون الآخرة) لا يحتاجون إلى هذا الأمر، مضافاً إلى أنّ البيع معنى مجازيّ.

وهذا الأمر تحريض وتشويق وإرشاد للمبطّئين في الجهاد والقتال.

ومِنَ النّاس مَن يَشري نَفسَه ابتغاءَ مَرضاتِ الله ـ ٢ / ٢٠٧.

أي يأخذ نفسه ويجعله في محدودة الطاعة ومرضاة الله، وتحت سلطته وحكمه وأمره، فنفسه مأخوذ له وفي اختيار عقله.

فهذا أخذ في سبيل الخير وللصلاح والفلاح، كما أنّ الآية ـ وَلَبئسَ ما شَروا بِه أنفُسَهُم لَو كانوا يَعلمون ـ ٢ / ١٠٢.

يراد أخذ النفس وجعله في سبيل الشرّ والضلال ومحدودة الانحراف والكفر.

ومثله الاشتراء: كما في ـ إنَّ الَّذينَ اشتَرَوُا الكُفرَ بالإيمان لَن يَضرّوا اللهَ شَيئاً ـ ٣ / ١٧٧ ـ في تحصيل الكفر والانحراف.

إنَّ اللهَ اشترَى مِنَ المؤمنين أنفُسَهُم وأموالَهُم بأنّ لَهُم الجَنَّة ـ ٩ / ١١١.

في تحصيل الجنّة.

ولا يخفى أنّ الشِراء في قوله تعالى: شَرَوْا بِه أنفُسَهُم، مَن يشري نَفسَه، اشترَوا به أنفسهم: لا يناسب أن يحمل على معنى البيع، فإنّ البيع يلازم التبديل والنقل والتحويل وإخراج المبيع عن التصرّف، وفي هذه الصورة كيف يمكن تحصيل الخير أو الشرّ أو المرضاة له.

نعم مفهوم البيع في النفس إنّما يصحّ إطلاقه في الجهاد والقتل وبذل النفس كما في: إنَّ اللهَ اشتَرى مِنَ المؤمنينَ أنفُسَهُم وأموالَهُم بأنَّ لَهُم الجَنَّةَ يُقاتِلونَ في سَبيل الله فيَقتلون ويُقتَلون... فاستبشِروا ببَيعكُم الَّذي بايَعتُم بِه ـ ٩ / ١١١.

إلّا أن يراد مطلق جعل المبيع تحت سلطة المشتري وحكمه واختياره.

فأرسَلوا وارِدَهُم فأدلىٰ دَلوَه قالَ يا بُشرىٰ هذا غُلامٌ وأسرّوه بِضاعةً... وشرَوْه بِثَمن بَخسٍ دَراهمَ مَعدودة ـ ١٢ / ٢٠.

الظاهر أنّ قول الوارد يا بشرى هذا غلام: خطاب للطائفة السيّارة، وبعد هذه البشارة أرادوا بإسراره لينتفعوا في معاملته، ثمّ أخذوه بثمن بَخس.

وهذا الشِّراء إمّا من الوارد البشير، فإنّه كمُنشِد الضالّة والعامل في إخراجه من البئر وإنجائه، ولا أقلّ له من حقّ العمل في قبال تسليمه، أو أنّ إخوته كانوا مطّلعين وأرادوا أن يعرّفوه بكونه عبداً آبقاً، وباعوه منهم ليتحقّق النقل من البلد إلى بلد آخر.

ومفهوم الأخذ أولى من الاشتراء في معاملة، فإنّ المعاملة لم تكن صحيحة، وهو حُرّ غير مملوك لأحد. وهكذا البيع: فإنّه تجوّز وعلى خلاف الأصل. والتعبير بالشِّراء دون الاشتراء: إشارة إلى أنّ هذا الأخذ لم يكن باختيار وانتخاب، بل بمطلق أخذ عاديّ ـ وكانوا فيه مِنَ الزاهِدينَ ـ فإنّ الزهد هو التمايل الشديد إلى جهة الترك.

وهذا بخلاف الأخذ في مصر مرتبة ثانية: فعبّر فيها بالاشتراء الدالّ على الاختيار في العمل والمطاوعة الإراديّة ـ وقالَ الَّذي اشتَراهُ مِن مصرَ لامرأتِهِ أكرمي مَثواه ـ ١٢ / ٢١.

فظهر أنّ الشِّرى مجرّداً يدلّ على مطلق الأخذ في جريان أمر، والاشتراء بمناسبة المطاوعة والاختيار يدلّ على أخذ المبيع في المعاملة، إذا كان مع تفهّم واختيار وانتخاب، واستعماله في مورد البيع إذا كان النظر إلى جعل الثمن كالمبيع والمبيع في نظر المشتري كالثمن.

وممّا يدلّ على أنّ الأصل في المادّة مطلق الأخذ، قوله تعالى: ومِنَ النّاس مَن يَشتَري لَهوَ الحَديث لِيُضلَّ عَن سَبيل الله ـ ٣١ / ٦.

أي يأخذه ويحصّله ويضبطه ليُضلّ به الناس، ولهو الحديث ما يُلهي عن ذكر الله ويمنع عن سلوك سبيله ويكون سبب الضّلال والانحراف.

* * *

شطأ:

مقا ـ شطأ: فيه كلمتان. إحداهما الشَّطْء، شَطءُ النبات، وهو ما خرج من حول الأصل، والجمع أشطاء، وقد شطأت الشجرةُ. والأصل الآخر ـ شاطئ الوادي: جانبه، وشاطأت الرجلَ: مشيت على شاطئ ومشى هو على الشاطئ الآخر، وهما متباينتان.

صحا ـ شَطْءُ الزرع والنبات: فِراخه، والجمع أشطاء، وقد أشطأ الزرعُ: خرج شطؤه. وقال الأخفش: في قوله تعالى ـ **أخرَجَ شَطأَه**، أي طَرَفه. أبو عمرو: شطأت الناقةَ شَطْأً: شددت عليها الرَّحْلَ. وشاطئ الوادي: شطّه وجانبه، وتقول شاطئ الأودية، ولا يجمع.

التهذيب ١١ / ٣٩١ ـ الأصمعيّ: شَطَأ الناقةَ يشطؤها شطأً: إذا شدَّها بالرَّحْل. وقال أبو زيد: شَطأ جاريته ورطَأها ونَطأها: إذا نكحها. وقال الفرّاء: في ـ**أخرَجَ شَطْأه**، شطأه السنبل. وقال أبو زيد: أشطأت الشجرةُ بغصونها: إذا أخرجت غصونَها. أبو خيره: شاطئ الوادي: شفته، وجمعه شُطآن وشواطئ.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو المتفرّع اللّاحق في جنب شيء. ومن هذا الباب شطء الشجر والزرع وهو ما يتفرّخ من أصلها. وشاطئ الوادي ما يكون في طرفيها وفي جنبيها.

وأمّا شطأتُ الجاريةَ وشطأتُ الناقةَ: فلا يبعد كونهما من الاشتقاق الانتزاعي،

بمعنى جعل حمل في جنب الناقة، أو جعل نفسه في مضطَجَعه.

وبينها وبين شطب اشتقاق أكبر وهو بمعنى امتداد في شيء.

ومَثَلُهم في الإنجيل كَزَرْعٍ أخرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فاستَغْلَظَ فاستَوىٰ ـ ٤٨ / ٢٩.

أي متفرّعون ومُنشَؤون من شجرة الإسلام وزرع قوانين القرآن والأحكام الإلٰهيّة، والمستقيمون المستوون بتربية ربّانيّة، من غير أن يُتراءى فيهم انحراف أو تمايل إلى جانب.

ولكنّ الظاهر تشبيه الأصحاب بالزرع وهو طرح بذر وتربيته حتى ينبت، فيكون الزارع ووسيلة الزرع هو الإسلام والقرآن والنبوّة، ثمّ يخرج منه الشطء والفروع المتفرّعة، وهم اللّاحقون من المسلمين.

وعلى الأوّل: يكون الزارع هو الله تعالى ثمّ رسوله (ص)، والزرع هو المقرّرات الإسلاميّة والأحكام الدينيّة، والشطء هو المؤمنون، والنظر في التمثيل إلى هذه الأشطاء المتفرّعة المستغلظة المستوية، لا إلى الزرع.

وسارَ بأهْله آنَسَ من جانب الطُّور ناراً ... فلمّا أتاها نودِيَ مِن شاطِئ الوادِ الأيمَنِ في البُقعَةِ المبارَكة ـ ٢٨ / ٣٠.

الظاهر من الآية الشريفة: هو وقوع تلك الوادي في جانب جبل الطور في طريق مَدين إلى مصر، ولا يبعد كونها وادي فيران أو فاران أو رفيديم، وفي الجبل الّذي إلى يسار الوادي قمّة مرتفعة تُدعى جبلَ المناجاة، وهذا الوادي واقع في سفح جبل سربال المشهور المقدّس ـ راجع تاريخ سيناء.

راجع ـ بحر، سينا، طور، نور.

ولعلّ تلك الناحية كانت في قرب من نبع ماء فيها حديقة وأشجار وفيها

خضرة وزهرة جالبة، تتجلّى فيها أنوار الجمال.

* * *

شطر:

مقا ـ شطر: أصلان يدلّ أحدهما على نصف الشيء. والآخر على البعد والمواجهة. فالأوّل ـ قولهم شطرُ الشيء لنصفه. وشاطرت فلاناً الشيء: إذا أخذت منه نصفه وأخذَ هو النصفَ. ويقال شاة شَطور: وهي الّتي أحد طُبْيِيها (حلمة الثدي) أطول من الآخر. ومن هذا الباب قولهم شَطَر بصرُه شُطوراً وشَطْراً: وهو الّذي ينظر إليك وإلى آخر، وإنّما جعل هذا من الباب لأنّه إذا كان كذا فقد جعل لكلّ واحد منهما شطر نظره. وفي قول العرب ـ حَلَب فلان الدهرَ أشطُرَه: فمعناه أنّه مرّت عليه ضروب من خيره وشرّه، وأصله في أخلاف الناقة خِلفان قادمانِ، وخِلفان آخِرانِ، وكلّ خِلفَيْن شَطْر، لأنّه إذا كانت الأخلاف أربعة فالإثنان شَطْر الأربعة وهو النصف. وإذا يبِس أحد خِلفي الشاة فهي شَطور، وهي الإبل الّتي يبسَ خِلفان من أخلافها. وأمّا الأصل الآخر ـ فالشَّطير البعيد، ويقولون شطرَت الدارُ. ومنه قولهم ـ شَطَر فلان على أهله: إذا تركهم مُراغِماً مخالِفاً. والشاطِر: الّذي أعيا أهله خُبثاً، وهذا هو القياس، لأنّه إذا فعل ذلك بَعُد عن جماعتهم ومُعظم أمرهم. ومن هذا الباب الشَّطْر الّذي يقال في قصد الشيء وجِهته.

التهذيب ١١ / ٣٠٧ ـ قال الليث: شَطْر كل شيء: نصفه. وفي مَثَل أُحلُب حَلْباً لك شَطْره: أي نصفه. وشطرت الشيء: جعلته نصفين. عن أبي زيد: إذا يبِس أحد خِلفي النَّعجة، فهو شَطور، وهي من الإبل الّتي قد يبس خِلفانِ من أخلافِها. أبو عبيد: الشَّطير: البعيد، ويقال للغريب شطيراً، لتباعده عن قومه. والشَّطْر: البُعد.

شطر المَسْجد: قال الفرّاء: يريد نحوه وتلقاءه، ومثله في الكلام ـ وَلِّ وجهك شطرَه وتُجاهه. قال أبو إسحاق: أي نحوها، لا اختلاف بين أهل اللّغة فيه، قال: والشَّطْر النحو.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يعمّ الجنب والطرف، فإنّ الجنب كما مرّ: هو ما يلي الشيء من غير انفصال، والطرف هو منتهى الشيء داخلاً فيه. وأمّا الشطر فهو جهة وجانب من الشيء سواء كان في داخل أو من خارج.

وبهذا اللحاظ يطلق على طرف من الشيء وهو أعمّ من أن يكون مقدار نصف منه أو قريباً منه. وعلى جانب من الشيء منفصلاً وفي جنبه وهو جهة الشيء لاصقة به.

وبالنظر إلى هذا الأصل: يطلق على البُعد إذا كان ممّا يلي ومنفصلاً عن الشيء، وعلى التلقاء والنحو.

فَولِّ وجهَك شَطرَ المسجِدِ الحَرام ـ ٢ / ١٤٤.

وحيثُ ما كُنتُم فَولّوا وُجوهَكُم شطرَه ـ ٢ / ١٥٠.

أي جهة المسجد، طَرَفاً منه أو جانباً منه، ويشملهما عنوان الجهة.

ولا يخفى وجود الاشتقاق الأكبر فيما بين المادّة وموادّ الشطء والشطب والشطّ، ويجمعها مفهوم الإمتداد.

وأمّا التعبير بكلمة المسجد الحرام دون الكعبة والبيت وغيرهما: إشارة إلى التوجّه الباطنيّ أيضاً، فإنّ السجود كما مرّ هو آخر مرتبة العبوديّة، وهو فناء العبد

بانمحاء الأنانيّة وتحقّق غاية الخضوع والذلّة، فلازم للعبد المستقبل أن يتوجّه بقلبه أيضاً إلى هذا المقام الأسنى، ويستعدّ للوصول إليه، وهو السجود الحقّ المحرّم فيه جميع العلائق الدنيويّة.

وبهذا المعنى يتحقّق حقّ التوحيد في التوجّه الظاهريّ والباطنيّ، وتتحصّل الوحدة الحقّة في الإجتماع والإنفراد.

* * *

شطّ :

مقا ـ شطّ: أصلان صحيحان، أحدهما ـ البُعد. والآخر يدلّ على الميل. فأمّا البعد: فقولهم شطّت الدار، إذا بعدت، تشِطّ شطوطاً. والشِّطاط البُعد. والشِّطاط: الطّول، وهو قياس البُعد، لأنّ أعلاه يبعُد عن الأرض. ويقال أشطّ فلان في السوم، إذا أبعد وأتى الشَّطَط، وهو مجاوزة القدر. ويقال أشطّ القوم في طلب فلان إذا أمعنوا وأبعدوا. وأمّا الميل: فالميل في الحكم، ويجوز أن ينقل إلى هذا الباب الاحتجاج بقوله تعالى ـ ولا تُشطِط ـ أي لا تَمِل، يقال شطّ وأشطّ، وهو الجور والميل في الحكم. والشَّطّ: شطّ السَّنام وهو شِقّه، ولكلّ سَنام شَطّانِ، وإنّما سمّي شَطّاً لأنّه مائل في أحد الجانبين. وشطّ النهر يسمّى شَطّاً لذلك، لأنّه في الجانبين.

مصبا ـ شطّت الدار: بعدت. وشطّ فلان في حكمه شُطوطاً وشَطَطاً: جار وظلم. وشطّ في القوم شَطَطاً وشُطوطاً: أغلظ فيه. وشطّ في السوم: أفرط. والجميع من بابي ضرب وقتل، وأشطّ في الحكم وفي السوم أيضاً: لغة. والشطّ: جانب النهر وجانب الوادي.

مفر ـ الشَّطَط: الإفراد في البُعد، يقال شطّت الدار وأشطّ، يقال في المكان وفي

الحكم وفي السوم. وعبّر بالشَّطَط عن الجور.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التمايل عن أمر ثابت وتحقّق الانفصال عنه. ومن مصاديقه: جانب النهر، وجانب الوادي، والانفصال عن محلٍّ معيّن، والتمايل عن الحقّ، والانحراف في حق أو حكم أو عمل. والإفراط والغلظة عن الاعتدال.

فمفاهيم البُعد والجور والانحراف والإفراط وغيرها: من مصاديق الأصل إذا لوحظ فيها قيد التمايل والانفصال عن أمر ثابت.

فاحكُم بينَنا بالحَقّ ولا تُشطِطْ واْهدِنا إلى سَواء الصِّراط ـ ٣٨ / ٢٢.

فتذكر المادّة في مورد التمايل عن الحقّ وعن سواء الصراط.

وهذا الأمر لازم الرعاية لكلّ فقيه يَقضي في حكم أو أمر.

لَن نَدعُوَ مِن دُونِه إلهاً لَقَد قُلْنا إذاً شَطَطاً ـ ١٨ / ١٤.

وأَنَّهُ كانَ يَقولُ سفيهُنا عَلى الله شَطَطاً ـ ٧٢ / ٤.

وأيّ تمايل عن الحقّ الثابت أعظمُ من القول في الله عزّ وجلّ خلاف شأنه ومقامه، كالقول بالشرك، وأنّه اتّخذ صاحبةً أو ولداً، وأمثال ذلك.

ولا يخفى أنّ قول الحقّ في الله عزّ وجلّ: هو التوحيد الكامل والمعرفة بأنّ الحكم والسلطة والحول والقوّة التامّة لله تعالى، وأنّه حيّ قيّوم قادر لا تأخذه سنة ولا نوم، ويلازم حقّ التوحيد: التوكّل والتفويض والرضا والتسليم، ويجمعها العبوديّة الكاملة ومحو الأنانيّة والفناء التامّ.

* * *

شطن :

مصبا ـ شطَنت الدار شطوناً من باب قعد: بعدت. والشَّطَن: الحبل، والجمع أشطان. وفي الشيطان قولان: أحدُهما أنّه من شطن إذا بعُد عن الحقّ أو عن رحمة الله، فتكون النون أصليّة، وكلّ عاتٍ متمرِّد من الجنّ والإنس والدوابّ فهو شيطان. والقول الثاني ـ أنّ الياء أصليّة من شاط يشيط إذا بطل أو احترق، فوزنه فَعْلان.

مقا ـ شطن: أصل مطَّرِد صحيح يدلّ على البُعد، يقال شطنتِ الدار تَشطُن شُطوناً: إذا غربت. ونَوىً شَطون أي بعيدة. ويقال: بئر شَطون أي بعيدة القَعر والشَّطَن: الحبل، وهو القياس، لأنّه بعيد ما بين الطرفين. قال الخليل: الشَّطَن: الحبل الطويل. وأمّا الشيطان: فقال قوم هو من هذا الباب والنون فيه أصليّة، لبُعده عن الحقّ وتمرّده. ويُشبه أن يكون من حجّة مَن قال بهذا القول قولُ أُميّة: أيّما شاطِنٍ عَصاه عكاه، فيكون بوزن فيعال. ويقال إنّ النون فيه زائدة، وإنّه من شاطَ.

التهذيب ٣١١ ـ الشَّطَن: الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به ويشدّ به الخيل. وقال ابن السكّيت: الشَّطْن مصدر شطَن يَشطِنُه إذا خالفه عن نيّته ووجهه. والشَّطَن: الحبل الّذي يُشطن به الدلو، والمُشاطِن: الّذي يَنزع الدلو من البئر بحبلين. وقال غيره: ألية شَطون: إذا كانت مائلة في شِقّ، وبئر شَطون: مُلتوية عَوْجاء، وحرب شَطون: عَسِرة شديدة. الأصمعيّ: رُمح شَطون: طويل أعوج، وبئر شَطون: بعيدة القعر في جِرابها عِوَج. وقال الليث: الشيطان فَيعال من شَطَن أي بعُد، وشَيْطنَ الرجل وتشيطَن: إذا صار كالشيطان وفعَل فِعله. وقال غيره: الشيطان فَعْلان من شاط يشيط، إذا هلك واحترق. قلتُ: والأوّل أكبر، والدليل على أنّه من شَطَن قول أُميّة ـ أيّما شاطنٍ عَصاه.

قع ــ (شاطان) الشيطان، خصم، عدوّ، متّهم.

(شاطَن) حقدَ، كَره، بَغَض، عادَى، كان خصماً.

(شِطِناء) [آراميّة] الشيطان.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الميل عن الحقّ والاستقامةِ وتحقّقُ العِوج والالتواء.

ومن مصاديق الأصل: البئر العميق المعوجّ، والبعد عن الحقّ والقرب، والرمح فيه عِوَج، وحرب خارج عن النظم والجريان الصحيح، وحبل طويل فيه فتل والتواء، وعدوّ خارج عن الصدق والرفق.

والشيطان كلمة مأخوذة عن العبريّة والسريانيّة، وهو على وزان فيعال كالقيدار والبيطار والهيذام.

وهو مصداق كامل لمفهوم الميل عن الحقّ والاستقامة في مقام القرب، والاعوجاج في سلوك سبيل الطاعة، والخروج عن مراحل الصدق والوفاء، والالتواء والفتل في الرفق والرحمة والوفاق.

وهذا المعنى يتحقّق في الجنّ والإنس والحيوان وغيرها، ولكنّ كلمة الشيطان يَنصرف إطلاقها إلى الجنّ، ثمّ إلى الإنس بقرينة، ثمّ إلى الحيوان.

فالجنّ كما في: وَما هوَ بقَول شَيطانٍ رَجيم، وحِفظاً مِن كُلِّ شَيطان مارِد، أن لا تَعبُدوا الشَّيطانَ.

والإنس كما في: وإذا خَلَوْا إلى شَياطينهم قالوا إنّا مَعَكُم، وكذلِك جَعَلنا لِكُلّ

نَبيٍّ عدُوّاً شَياطينَ الإنس والجنّ .

ويذكر للشيطنة في القرآن آثار ولوازم: كالإضلال والإغواء، والعداوة، والبغضاء، والأمر بالفحشاء والمنكر، والتزيين، والوسوسة، وغيرها.

فالإضلال والإغواء: ويُريدُ الشَّيطانُ أن يُضلَّهم ضلالاً بَعيداً ـ ٤ / ٦٠.

قالَ فبِعِزَّتك لأُغوينَّهم أجمَعينَ ـ ٣٨ / ٨٢ .

والعداوة والبغضاء: إنَّما يُريدُ الشَّيطان أن يوقعَ بينَكُم العَداوَةَ والبَغضاءَ في الخَمر والمَيسر ـ ٥ / ٩١.

إنَّ الشَّيطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبين ـ ٧ / ٢٢.

إنَّ الشَّيطانَ للإنسانِ عَدُوٌّ مُبين ـ ١٢ / ٥.

والأمر بالفحشاء والمنكر: ومَن يَتَّبع خُطُواتِ الشَّيطان فإنَّه يأمُرُ بالفَحْشاء والمُنكر ـ ٢٤ / ٢١.

الشَّيطانُ يَعِدُكُم الفقر ويأمركُم بالفَحشاء ـ ٢ / ٢٦٨.

كَمَثَل الشَّيطانِ إذ قال للإنسان اكفُر ـ ٥٩ / ١٦.

والوسوسة: فوَسوَس لهُما الشَّيطانُ ليُبدِيَ لَهُما ـ ٧ / ٢٠.

فوَسوَسَ إليه الشَّيطانُ قالَ يا آدَمُ هَل أدلّك ـ ٢٠ / ١٢٠.

والتزيين: وإذ زَيَّن لَهُم الشَّيطانُ أعمالَهُم ـ ٨ / ٤٨.

وَلكن قَسَتْ قلوبُهم وزيَّنَ لَهُم الشَّيطان ما كانوا يَعملون ـ ٦ / ٤٣.

والدعوة إلى النار: أوَلَو كان الشَّيطان يَدعوهُم إلى عَذاب السَّعير ـ ٣١/٢١.

لا يَفتِنَنَّكُم الشَّيطانُ كَما أخرجَ أبوَيكُم مِنَ الجنَّة ـ ٧ / ٢٧.

والكفر: وكانَ الشَّيطانُ لربِّه كَفوراً ـ ١٧ / ٢٧.

كَمَثَل الشَّيطان إذ قالَ للإنسان اكفُر ـ ٥٩ / ١٦.

والقول الجامع أنّ الشيطان لغةً هو المائل المنحرف عن الحقّ وصراطه مع كونه متّصفاً بالاعوجاج، وهذا مفهوم كلّي وله حقيقة وثبوت في الخارج، ومن كان كذلك: فهو منحرف عن الحقّ الأوّل بالكفر والكفران والطّغيان فكراً، ومنحرف عن جهة الصفات النفسانيّة والكمالات الذاتيّة بالتكبّر والاستكبار والتحيّر والشكّ وعدم الطمأنينة والسكينة، ومنحرف عن إطاعة الرحمن بالعصيان والطغيان وفعل المنكر والفحشاء والإضلال والإغواء والدعوة إلى الفساد وإلى النار والهلاك وإظهار البغضاء والعدوان عملاً.

فالشيطان هو جامع هذه الرذائل ومجمع هذه الخسائس بانحرافه عن الحقّ وميله عن سبيل الحقيقة، ويقابله الرحمن وهو الحقّ الأوّل:

ومَن يَعشُ عن ذِكر الرَّحمٰن نُقيِّضْ لَهُ شَيطاناً فَهوَ لَهُ قَرين ـ ٤٣ / ٣٦.

إنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمٰن عَصيّاً ـ ١٩ / ٤٤.

ويقابله أيضاً الإنسان التامّ:

إنَّ الشَّيطانَ للإنسان عَدُوٌّ مُبين ـ ١٢ / ٥.

إنَّ الشَّيطان كانَ للإنسان عدوّاً مُبيناً ـ ١٧ / ٥٣.

وعلى هذا يؤمر الإنسان بمخالفته:

وَلا تتَّبِعوا خُطُواتِ الشَّيطان.

ومَن يتَّخِذِ الشَّيطانَ وَليّاً مِن دُون الله فَقَد خَسِر خُسراناً مُبيناً ـ ٤ / ١١٩.

فاستَعِذ باللهِ مِنَ الشَّيطان الرَّجيم ـ ١٦ / ٩٨.

وينبغي هنا التنبيه على اُمور:

١ ـ إنّ اختلاف مراتب العوالم إنّما هو باختلاف المحدوديّة فيها شدّة وضعفاً، فما كان الحدّ فيه أقلّ فهو من جهة القوّة والقدرة والنفوذ والروحانيّة والسعة والوجوديّة أقوى.

فعالم العقل (الجبروت) حدوده في ذاته فقط. وفي عالم الملكوت مضافاً إلى الحدود الذاتيّة حدود خارجيّة لها كمّية وكيفيّة في عالمها أيضاً، وفي عالم الحيوان مضافاً إلى الحدّين حدود مادّية أيضاً. وفي العالم النباتيّ: جهة المادّية أغلب وجهة الروحانيّة وقواها أضعف، وفي الجمادات محدوديّة ومادّية صرفة، وعالم الإنسان مجموع من العوالم ومظهر تامّ لمراتب مختلفة، وفيه استعداد التشكّل بأيّ شكل منها سافلة وعالية.

٢ ـ عالم الملكوت يتشعّب على شعبتين: شعبة دانية نازلة، وشعبة متأخّرة عالية. والمخلوقون بالملكوت العالية يسمّون بالملائكة، وفيها مراتب وطبقات على اختلاف في منازلهم ووظائفهم. وأهل النازلة السافلة يسمّون بالجنّ، وفيهم من الحدود ما ليس في العالية.

وأنّا لَمَسْنا السَّماءَ فَوَجَدناها مُلِئَت حَرَساً شَديداً وشُهُباً ـ ٧٢ / ٨ .

وهذه الحدود أوجبت وجود طغيان وعصيان فيهم دون الملائكة ـ وأنّا منّا الصّالحون ومنّا دون ذلك كُنّا طَرائقَ قِدَداً ـ ٧٢ / ١١.

فالجنّ في مرتبة بين مرتبة الحيوان والملائكة، باعتبار الحدود فيها.

٣ ـ كلّما ازداد الحدّ في موجود: يزداد الطغيان والعصيان فيه، فإنّ المحدوديّة أوجبت محروميّة وممنوعيّة، والممنوعيّة توجب الحرص والطمع وهيجان الميل والشهوة

وقصور الاستطاعة، وهذه الأُمور في النفس تولد العدوان والعصيان والخلاف والتجاوز والظلم والسخط والغضب والانحرافات في القول والعمل والخصومة والاستكبار.

فإنّه لا خصومة ولا عدوان ولا استكبار ولا طمع ولا غضب في صورة الحريّة والانطلاق والسعة، وإنّما ينشأ العصيان من الحدود.

وعلامة العصيان عدم الرِّضا: والاقتناع بما قسّم له، فإذا افتقد الاقتناع وهو من أعظم محامد الصفات: تظهر آثار الطغيان والعصيان.

٤ ـ قلنا إنّ الشيطان، هو المتمايل عن الحقّ مع الاعوجاج، فيستعمل هذا اللفظ في موارد التجاوز والطغيان والعدوان، وهذا بخلاف كلمة إبليس وهو من الإبلاس بمعنى اليأس الشديد بسوء عمل:

إلّا إبليسَ أبىٰ أن يَكون مَعَ السّاجِدين ـ ١٥ / ٣١.

وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيهِم إبليسُ ظنَّه فاتَّبعوه إلّا فَريقاً ـ ٣٤ / ٢٠.

إلّا إبليسَ استكبَرَ وَكانَ مِنَ الكافِرين ـ ٣٨ / ٧٤.

وهذا إبليس يعبّر عنه بالشيطان إذا لوحظ فيه العدوان.

فَوَسوَسَ لَهُما الشَّيطانُ لِيُبدِيَ لَهُما ـ ٧ / ٢٠.

فأزلَّهما الشَّيطانُ عَنها ـ ٢ / ٣٦.

فيلاحظ في كلّ من التعبيرين خصوصيّة مفهوم كلّ منهما الّذي يستعمل.

٥ ـ الشيطنة لا توجد في عالم العقل: لفقدان الحدود الخارجيّة فيه، فلا يتصوّر في هذا العالم استكبار ولا طغيان ولا عصيان ولا عدوان ولا إنحراف عن الحقّ ولا اعوجاج في السلوك والطاعة، فليس في هذا العالم إلّا فناء في خضوع، ومعرفة

وشهود، وطاعة وخشوع خالص، لانعدام الأنانيّة فيه.

وكذلك في عالم الملكوت العُليا: لتنزّههم عن حدود التجسّم والتكاثف المادّية، واستغراقهم في السجود والقيام والركوع والخشية:

لا يَسبقونَه بالقَول وهُم بأمره يَعملون ـ ٢١ / ٢٧.

وللهِ يَسجُد... والملائكةُ وهُم لا يَستكبرون ـ ١٦ / ٤٩.

وأمّا الملكوت السُّفلى: فالحدود فيها زائدة، والتمايلات فيها ممكنة، فإذا تحقّق التمايل والانحراف عن الحقّ: يتبعه الاعوجاج، ثمّ الطغيان والعدوان والضّلال والاضلال والشيطنة.

وأمّا الإنسان: فهو ما دام لم يصل إلى منزل الملكوت العُليا، ففي معرض ضلال وزَلّة:

فأمّا مَن طَغَى وآثَرَ الحياةَ الدُّنيا فإنَّ الجَحيمَ هيَ المأوى ـ ٧٩ / ٣٨.

إنَّهُم اتَّخَذوا الشَّياطينَ أولياءَ مِن دونِ الله ـ ٧ / ٣٠.

وإذا خَلَوْا إلى شَياطينهم قالوا إنّا مَعَكُم ـ ٢ / ١٤.

٦ ـ خلقُ الجنّ من حيث المادّة ممّا يكون بين الإنسان والملائكة، فإنّ الإنسان خُلق من ماء مهين، وباعتبار من تراب أو طين. والملائكة خلقت من مادّة لطيفة نورانيّة. وأمّا الجنّ فقد خلق من نار، وليس المراد النار الفعليّة المادّيّة، كما أنّ الإنسان ليس تراباً فعلاً.

والمادّة الناريّة ما فيها حرارة، والحرارة فيها تحرّك سريع شديد، وهي تتحصّل من تحوّل في المادّة إلى حالة ثانويّة لطيفة، ومن الحرارة تتولّد المادّة النورانيّة فيكون الجنّ من حيث المادّة ألطف من الإنسان، والملائكة فوقه، كما في الشجر والنار والنور

ـ قالَ أنا خَيرٌ مِنهُ خَلَقتَني مِن نار وخَلَقتَهُ مِن طين ـ ٧ / ١٢.

والجانَّ خَلَقناه مِن قَبلُ مِن نار السَّموم ـ ١٥ / ٢٧.

وخَلَقَ الجانَّ مِن مارِج مِن نار ـ ٥٥ / ١٥.

٧ ـ وليعلم أنّ التماسّ مع الشيطان الجنّيّ: لابدّ وأن يكون في سطح لطيف وفي مرتبة تلائم مرتبة الشيطان والجنّ من جهة المادّة، وليس المراد حصول التماسّ والتلاقي في سطح المادّة.

فيكون المراد من المقارنة والتولّي والوسوسة والنزغ والتزيين والإلقاء والوحي من الشيطان: ما يلائم خصوصيّة وجوده ومرتبة خلقته وأطواره.

فليس المراد من هذه المعاني: ما يتحقّق ويتصوّر في عالم المادّة من لقاء وتماسّ وارتباط مادّيّة خارجيّة، حتّى تحتاج إلى مقابلة ومشافهة ظاهريّة، وإلى تقارب وتقارن مكانيّ.

فالارتباط بين الشيطان والإنسان: إنّما يتحقّق في عالم فوق عالم المادّة، فيوحي الشيطان إلى أوليائه وأتباعه ويوسوس في صدورهم ويُضلّهم ويُمنّيهم على طور قريب من الطور الروحاني والإلقاء القلبي:

ذٰلِكُم الشَّيطانُ يُخوِّف أولياءَه ـ ٣ / ١٧٥.

ومَن يَكُن الشَّيطانُ لَهُ قَريناً فساءَ قَريناً ـ ٤ / ٣٨.

ويُريدُ الشَّيطان أن يُضلَّهم ـ ٤ / ٦٠.

يَعِدُهُم ويُمَنِّيهم وَما يَعِدُهُم الشَّيطان إلّا غُروراً ـ ٤ / ١٢٠.

فَوَسوَسَ لَهُما الشَّيطانُ لِيُبدِي ـ ٧ / ٢٠.

وإذ زيَّنَ لَهُم الشَّيطانُ أعمالَهُم ـ ٨ / ٤٨.

فأنساه الشَّيطان ذِكرَ رَبّه ـ ١٢ / ٤٢.

٨ ـ هذه المعاني الملـقاة من جانب الشـيطان: كما يُلقَى من شـياطين الإنس، وليس بتسلط وحكومة وتفوّق من جانب الشيطان، كما أنّه لا تسلّط ولا قهر ولا جبر ولا حكومة لشياطين الإنس على مَن سِواهم.

والفرق بينهما أنّ الإلقاء في الإنس إنّما يتحقّق بوسائل الجوارح والقوى البدنيّة المادّية كاللسان والعمل. وفي الجنّ بالقوى الباطنيّة، فإنّ الجوارح والقوى الظاهريّة البدنيّة غير مؤثرة في ارتباطها:

وإنَّ الشَّياطينَ لَيُوحونَ إلى أوليائهم ـ ٦ / ١٢١.

إنَّهُم اتَّخذوا الشَّياطينَ أولياءَ ـ ٧ / ٣٠.

فلا يقال إنّ الله عزّ وجلّ قد سلّط الشياطين على أفراد الإنسان.

هَل أُنبِّئُكُم عَلى مَن تَنَزّلُ الشَّياطين تنزّلُ عَلى كُلّ أفّاكٍ أثيم ـ ٢٦ / ٢٢١.

ليجعَلَ ما يُلقِي الشَّيطانُ فتنةً للَّذينَ في قلوبهم مَرَض ـ ٢٢ / ٥٣.

ثمّ إنّ الشيطان في الآيات الكريمة: قد يراد منه الشيطان الشخصيّ المعيّن، كما في الشيطان الّذي وسوس لآدم وحوّاء عليهما السّلام:

فَوَسوَسَ لَهُما الشَّيطانُ، فأزلَّهما الشَّيطانُ عَنها فأخرَجَهما ـ ٢ / ٣٦.

وقد يراد مطلق الشيطان كما في:

إنَّما الخَمْرُ والمَيْسرُ ... مِن عَمَل الشَّيطان ـ ٥ / ٩٠.

فالشيطان له مفهوم عامّ مطلق، وإرادة كلّ من أنواعه ومصاديقه يحـتاج إلى قرينة مقاميّة أو مقاليّة.

* * *

شعب :

مقا ـ شعب: أصلان مختلفان، أحدهما يدلّ على الافتراق، والآخر على الاجتماع. ثمّ اختلف أهل اللغة في ذلك، فقال قوم هو من باب الأضداد، وقد نصّ الخليل على ذلك. وقال آخرون: ليس ذلك من الأضداد إنّما هي لغات. قال الخليل: من عجائب الكلام ووسع العربيّة أنّ الشَّعب يكون تفرّقاً ويكون اجتماعاً. وقولهم للصَّدْع في الشيء شَعب، ومنه الشعب ما تشعّب من قبائل العرب والعجم، والجمع شُعوب، ويقال الشَّعْب الحيّ العظيم. ومَشْعبُ الحقّ: طريقه. ويقال انشعبت بهم الطُّرُق: إذا تفرّقت. والشَّعْب ما انفرج بين الجبلين. قال ابن دُريد: وسمّي شَعبان لتشعّبهم فيه وهو تفرّقهم في طلب المياه. وأمّا الباب الآخر: فقولهم شَعَب الصدعَ إذا لاءَمه. ويقال للمِثقب المِشعب. وقد يجوز أن يكون الشَّعب الّذي في باب القبائل سمِّي للاجتماع والائتلاف. ويقولون تفرّق شَعْبُ بني فلان، وهذا يدلّ على الاجتماع.

مصبا ـ الشِّعب: الطريق، وقيل الطريق في الجبل، والجمع شِعاب. والشَّعب: ما انقسمت فيه قبائل العرب، والجمع شُعوب. ويقال الشَّعب: الحيّ العظيم. وشعبتُ القومَ شعباً من باب نفع: جمعتهم وفرّقتهم، فيكون من الأضداد. ومن التفريق اشتقّ إسم المنيّة، شَعوب، لأنّها تُفرّق الخلائق، وصار علماً لها غير منصرف.

مفر ـ الشَعْب: القبيلة المتشعّبة من حيّ واحد. والشَّعب من الوادي: ما اجتمع منه طرف وتفرّق طرف، فإذا نظرت إليه من الجانب الّذي تفرّق أخذت في وهمك واحداً يتفرّق، وإذا نظرت من جانب الاجتماع أخذت في وهمك إثنين اجتمعا، فلذلك قيل شعبت إذا جمعتَ، وشعبت إذا فرّقتَ. وشُعيب: تصغير شَعْب الّذي هو مصدر، أو الّذي هو إسم، أو تصغير شِعب. والشَّعيب: المَزادة الخَلِق الّتي قد أصلحت وجُمعت.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو المجتمع المتشكّل المنقسم عن مجتمع آخر. ففيه قيدان الانقسام والتجمّع بعده.

فهذان المفهومان مأخوذان معاً في الأصل، ولابدّ من كونهما ملحوظين، وليس كلّ واحد منهما منظوراً بالاستقلال، حتّى تكون اللغة من الأضداد.

فلا يصحّ إطلاق المادّة على مجرّد مفاهيم ـ الجمع، التفرّق، الصدع، التلاؤم، ومصاديقها بدون لحاظ القيدين: إلّا مجازاً.

وجَعَلناكُم شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعارفوا ـ ٤٩ / ١٣.

الشعوب هو ما ينشعب من أصل نوع الإنسان، كالأسود والأحمر والأبيض والأصفر.

الشعوب باعتبار الامتيازات الطبيعيّة الخارجيّة، والقبائل باعتبار الخصوصيّات الحاصلة بالنّسب، وهذه الامتيازات لا توجب فضيلة ولا شرفاً في مقاماتهم المعنويّة ـ إنَّ أكرَمَكُم عِندَ الله أتقاكُم.

إنطلِقوا إلى ما كُنتُم بِهِ تُكَذّبونَ انطلِقوا إلى ظِلٍّ ذي ثَلاثِ شُعَب لا ظَليل وَلا يُغني مِنَ اللَّهَب ـ ٧٧ / ٣٠.

الانطلاق استرسال وتخلّي عن التقيّدات وهو حرّية مخصوصة، ولم يعبّر بالذهاب وبأمثاله: لعدم الحاجة إلى انتقال أو حركة مكانيّة، بل هو تحوّل حالة معنويّة.

وَما كُنتُم بِهِ تُكَذّبون: هو البعث ومشاهدة الجزاء ورؤية آثار الأعمال.

والظِّلّ: هو الحاجب وأثره، والحاجب إمّا في مقابل نور وخير أو في قبال ظلمة وشرّ، فيكون الظلّ المتحصّل منهما أيضاً متقابلين. والمراد من الظلّ هنا: هو ظلّ ما كانوا به يكذّبون، وهو الظلّ لظلمة وشرّ.

ذي ثَلاث شُعَب: وهو رؤية النفس والتعلّق بالدنيا والغفلة، فإنّ الحاجب للتوجّه إلى الله تعالى والاستنارة بنوره: وقوع الإنسان تحت حجاب هذه الثلاثة، فإنّها هي المانعة الحاجبة عن الله تعالى.

فمن توجّه إلى نفسه وأخذه صنماً له، أو تعلّق بالحياة الدنيا وأخذها مقصودة ومحبوبة ومطلوبة مألوهة، أو غفل عن الحق والتوجه إليه: فهو في ظلّ هذه الشعب من الحجب الظلمانيّة.

وهذه الحجب الثلاثة متلازمة: فإنّ الغفلة توجب الانقطاع والبُعد عن مبدأ الرحمة والنور، ويُلازمها التوجّه إلى النفس وتأمين هواه، ويتحصّل منهما التعلّق بالدنيا والتوجّه إلى زخارفها الجالبة.

فهذا الظلّ متشكِّل من ثلاث شعب، وهو ظلّ معنويّ لا مادّيّ، وهو ظلّ ولكنّه لا يغني من اللّهب ولا يمنع عن مواجهة العذاب.

وأمّا شُعَيب: بصيغة التصغير، فهو من الأنبياء المشهورين.

المروج ١ / ٢٨ ـ شعيب (ص) وهو شعيب بن نويت بن رَعويل بن مرّ بن عَنقاء بن مدين بن إبراهيم، فكان لسانه عربيّاً، وكان مبعوثاً من أهل مدين، فلمّا خرج موسى (ع) هارباً من فرعون مرّ بشعيب النبيّ (ص).

المعارف ٤١ ـ ذكر وهب: إنّ شعيباً وبلعم كانا من ولد رهط آمنوا لإبراهيم يوم أُحرق، وهاجروا معه إلى الشام، فزوَّجهم بنات لوط. فكلّ نبيّ كان قبل بني

إسرائيل وبعد إبراهيم من اولئك الرهط. وجدّة شعيب هي بنت لوط، وإنّما قيل له شعيب: لأنّه كان يدعو ـ **اللّهمّ بارِكْ لي في شَعْبي**. ويقال: شعيب خطيب الأنبياء. ولم تكن مدين قبيلة شعيب من أصحاب الأيكة، ولكنّها أمّة بُعث إليهم، ولمّا أصاب قوم شعيب ما أصابهم لحق شعيب والّذين آمنوا معه من أصحاب الأيكة إلى مكّة فلم يزالوا بها حتّى ماتوا. وكان مسكن بلعم: ريحاء والشام.

نهاية الأرب ـ ٢٠ ـ ومنها مَدين: وكانت بها منازل العرب العاربة من عاد وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن هم في معناهم، ثمّ انتقلت ثمود منها إلى الحِجر... وهلك من هلك من بقايا العرب العاربة باليمن (بمدين) من عاد وغيرهم. وخلفهم فيه بنو قحطان بن عابر فعُرفوا بعرب مدين إلى الآن.

وتَبوك: وهي بلدة عظيمة بين الحِجر أرض ثمود وبين الشام، وبها عين ماء ونخيل، ويقال إنّ بها كان أصحاب الأيكة الّذين بعث الله إليهم شُعيباً عليه السلام.

معجم البلدان ـ مَدين: على بحر القُلزم (البحر الأحمر) محاذية لتبوك على نحو من ستّ مراحل، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر الّتي استقى منها موسى (ع) لسائمة شعيب. قال أبو زيد: ورأيت هذه البئر مغطّاة قد بني عليها بيت، وماء أهلها من عين تجري، وهي مدينة قوم شعيب، سمّيت بمدين بن إبراهيم. ومَدين: إسم القبيلة.

قاموس كتاب مقدّس ـ يِترون (فضلة): كاهن أو أمير مِديان وأبو زوجة موسى ـ خروج ٣/١، وفي خروج ٢/١٨ وأعد ١٠/٢٩ يدعى برَعوئيل، والظاهر أنّ يترون كان لقباً له بمناسبة عمل له، وكان من نسل إبراهيم وقطوره، كما في ـ التكوين ٢٥ / ٢.

خروج ٣ ـ وأمّا موسى فكان يرعى غنم يِترون حَمْيه كاهن مِديان فساق الغنم إلى وراء البريّة ٤٠ / ١٨ ـ فمضى موسى ورجع إلى يترون حَمْيه.

خروج ٢ / ١٧ ـ فنهض موسى وأنجَدهنّ وسَق غنمهنّ، فلمّا أتين إلى رعَوئيل أبيهنّ قال ما بالكنّ أسرعتنّ في المجيء اليوم... فأعطى موسى صَفورةَ ابنته فولدت إبناً فدعا إسمَه جِرشوم.

التكوين ـ ٢٥ ـ وعاد إبراهيم فأخذ زوجة إسمها قَطورَةُ فـوَلدت له زِمـرانَ ويَقْشانَ ومَدانَ ومِديان وبِشباقَ وشُوحاً... وبنو مِديان عِيفَةُ وعِفرُ وحَنوكُ وأبيداع وأَلْدعَة.

وهكذا في النسخ العبريّة ـ يِترون، رعَوئيل، مِديان.

الكامل لابن الأثير ١ / ٥٤ ـ قيل إنّ إسم شعيب: يِثرون بن ضيعون بن عنقا ابن نابت بن مِدين بن إبراهيم. وقيل هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين. وقيل لم يكن شعيب من وُلد إبراهيم وإنّما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام، ولكنّه ابن بنت لوط، وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى ـ وإنّا لَنَراك فينا ضَعيفاً ـ أي ضعيف البصر. وكان النبيّ (ص) إذا ذكره قال: ذاك خطيب الأنبياء، بحسن مراجعته قومه. وإنّ الله تعالى أرسله إلى أهل مَديَن وهم أصحاب الأيكـة، وكانوا أهل كفر بالله وبَخسٍ للناس في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم.

قع ـ (يتر) بقيّة، باق، فضلة.

(يِتَرُون) أفضليّة، مَيزة، تفوّق، رجحان.

(رِعوت) صداقة، زمالة.

* * *

والتحقيق :

أنّه يستنتج من هذه الكلمات أُمور:

١ ـ إنّ الأراضي الّتي عاش وبُعث فيها شعيب: هي الجهة الشماليّة الغربيّة من الحجاز السَّعوديّ، الواقعة في الجانب الشرقيّ من منتهى البحر الأحمر، في حدود تبوك، وكانت ممتدّة إلى أراضي الشام، وفيها سكنت قبيلة مَدين من آل مِديان بن إبراهيم، وقد سمّيت بلدتهم بمدين.

٢ ـ وشعيب النبيّ (ص) إمّا من هذه القبيلة أو ممّن تبعهم وصحبهم من المؤمنين بإبراهيم (ع)، وعلى أيّ حال فالظاهر كونه من آل بيت إيمان وشرافة وكرامة وعزّة، ومن أسباط لوط النبيّ (ص).

٣ ـ وتسميته بشُعيب ورَعوئيل ويِترون: فكأنّه شَعْب صغير ومجتمع محدود ينفصل وينشعب من أهل مدين، ويناسب هذا المعنى لفظ يترون بمعنى الفُضلة الزائدة المتحصّلة من القبيلة، ولعلّ كلمة شعيب تَرجمة يِترون، وقد سمّاه به أهله تحقيراً عليه.

وأمّا رَعوئيل: فهو بمعنى صديق الله، ويؤيّد هذا المعنى ما ورد فيه عن النّبيّ (ص): إنّه بكى من حبّ الله تعالى حتّى عمي بصره فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره ثمّ بكى (ثلاث مرّات) فلمّا كانت الرابعة: أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون أبداً منك، إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة فقد أبحتك! فقال سيّدي إلٰهي أنت تعلم أنّي ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنّتك، ولكن عقد حبّك على قلبي فلست أصبر أو أراك! فأوحى الله جلّ جلاله: أما إذا كان هذا هكذا، فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بنَ عمران.

٤ ـ يظهر من جريان أُموره: أنّه كان نبيّاً مبعوثاً قبل مبعوثيّة موسى بن عمران (ع)، فيكون زمان حياته في القرن الخامس من مولد إبراهيم (ع)، فإنّ موسى (ع) توفّي حدود سنة ٥٤٥ من مولد النبيّ إبراهيم (ص)، وكان خدمة موسى (ع) عند شعيب بعد أربعين سنة من عمره، وقد كان عمره / ١٢٠ سنة.

٥ ـ وقد وصف الله تعالى شعيباً في كتابه الكريم بقوله:

وإلى مَدينَ أخاهم شُعيباً ... فكذَّبوه فأخَذَتهم الرّجفةُ ـ ٢٩ / ٣٦.

كذَّب أصحابُ الأيكة المرسلين إذ قالَ لهُم شُعيب ألا تتَّقون إنِّي لَكُم رَسول أمين ... فكذَّبوه فأخذَهُم عَذاب يَوم الظُّلّة ـ ٢٦ / ١٧٧.

قالوا يا شُعيب أصلاتك تأمُرك أن نَترك ... إنَّك لأنت الحليم الرّشيد ـ ١١ / ٨٧.

فيصرّح بأنّه كان من الأنبياء المرسلين، وأنّ مخالفته وتكذيبه من قومه أوجب نزول العذاب عليهم، فهو رسول أمين، وهو الحليم الرشيد على اعتراف من قومه.

هذا توصيف القرآن الكريم. والتوراة كما رأيت تعرّفه بأنّه كاهن، أو أمير مديان، كما في سِفر الخروج والقاموس المقدّس.

٦ ـ التعبير بقوله تعالى: أخاهم شُعيباً: يدلّ على أنّ شعيباً كان من أفراد قومه ومن مدين، كما في: أخاهم هوداً، أخاهم صالحاً. والأصل يقتضي أن يكون الرسول مبعوثاً إلى قومه، ليكونوا على بصيرة من أمره وسوابقه، ويكون الرسول أعرف بهم وبآدابهم.

* * *

شعر:

مصبا ـ الشَّعْر فيجمع على شعور، وبفتحها فيُجمع على أشعار كسبب وأسباب، وهو من الإنسان وغيره، وهو مذكّر، الواحدة شعرة. والشَّعار: كثرة الشجر في الأرض. والشِّعار: ما ولي الجسد من الثياب. وشاعرتُها: نمتَ معها في شِعار واحد. والشِّعار أيضاً: علامة القوم في الحرب، وهو ما يُنادَون به ليعرف بعضهم بعضاً.

والعيد شِعار من شعائر الإسلام. والشَّعائر: الحجّ وأفعاله، الواحدة شعيرة أو شِعارة. والمَشاعر: مواضع المناسك. والمَشعر الحرام: جبل بآخر مُزدلِفة وإسمه قُزَح، وميمه بعضهم يَكسرها على التشبيه بإسم الآلة. والشَّعير: حَبّ معروف، وأهل نجد تؤنّثه، وغيرهم يذكّره. والشِّعر العربيّ: هو النظم الموزون، وهو مأخوذ من شعرت إذا فطنت وعلمت، وسمِّي شاعراً لفطنته وعلمه به، وهو مصدر في الأصل، يقال شعَرت أشعُر من باب قتل: إذا قلته، وجمع الشاعر شُعَراء، وشَعَرت بالشيء شُعوراً من باب قعد وشِعراً وشِعرةً: علمت، وليت شِعري: ليتني علمتُ. وأشعرت البدنة إشعاراً: خززت سنامها.

أقول: البَدَنة: البقرة أو الناقة. والخزّ: الطَّعن. والسَّنام: حدبة ظهر البعير.

مقا ـ شعر: أصلان معروفان يدلّ أحدهما على ثَبات، والآخر على عِلم وعَلَم. فالأوّل ـ الشَّعَر معروف، والجمع أشعار، وهو جمعُ جمعٍ (بلحاظ دلالة الشعر على الجمعيّة كما في التمر والتمرة)، والواحدة شَعَرة، ورجل أشعر: طويل شعر الرأس والجسد. والشَّعار: الشجر. ويقال لِما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث ينبت الشَّعر حوالي الحافر: أشعر، والجمع الأشاعر. والشَّعْراء: جنس من الخَوْخ، وسمِّي بذلك لشيء يعلوها كالزَغَب. والشَّعْراء: ذبابة كأنّ على يديها زَغَباً. ومن الباب داهية شَعْراء. وممّا يقرب من هذا الشَّعير وهو معروف. والشَّعارير: صغار القثّاء. والشِّعار: ما وَلي الجسد من الثياب لأنّه يمسّ الشعر الّذي على البشرة. والباب الآخر ـ الشِّعار الّذي يتنادى به القوم في الحرب. والأصل قولهم ـ شَعَرت بالشيء، إذا علمته وفطنتَ له، قال قوم أصله من الشَّعْرة كالدُّربة والفطنة، يقال شَعرة، وسمِّي الشاعر لأنّه يفطن لما لا يفطن له غيره.

الفروق ٦٤ ـ الفرق بين العلم والشعور: أنّ العلم هو ما ذكرناه (اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة). والشعور: علم يوصل إليه من وجه دقيق كدقّة الشَّعَر. ولهذا قيل للشاعر شاعر لفطنته لدقيق المعاني. وقيل للشعير شعيراً للشظية الدقيقة الّتي في طرفه خلاف الحنطة. ولا يقال: الله يشعر، لأنّ الأشياء لا تدقّ عنه. وهذا قول من يقول: إنّ الشعور هو أن يدرك بالمشاعر وهي الحواسّ، كما أنّ الإحساس هو الإدراك بالحاسّة.

مفر ـ الشَّعَر: معروف، وجمعه أشعار، وشعرتُ: أصبت الشَّعَر، ومنه استعير شعرت كذا أي علمت علماً في الدقّة كإصابة الشّعر. والشِّعر في الأصل إسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شِعْري، وصار في التعارف إسماً للموزون المقفّى من الكلام، والشاعر للمختصّ بصناعته. ومَشاعر الحجّ: معالمه الظاهرة للحواسّ، والواحد مَشعر، ويقال شعائر الحجّ، الواحد شعيرة، لا تُحِلّوا شعائر الله ـ أي ما يُهدَى إلى بيت الله، وسمّي بذلك لأنّها تُشعَر أي تُعلَّم بأن تُدمى بشَعيرة أي حديدة يُشعر بها. والشِّعار: الثوب الّذي يلي الجسد لماسّة الشَّعَر.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما دقّ أو رقّ في محيط لشيء، متحصّلاً منه أو متعلّقاً به. كالشَّعَر المتحصِّل في السطح الخارج من جلد الحيوان، والأشجار الدقيقة في الأراضي المستعدّة، والحبوب اللطيفة الخارجة عن ساق الشعير، والثوب اللطيف يلبس تحت الثياب ملصَقاً بالبدن، والعلامات المعيّنة تجعل لقوم من المحاربين مستسرّة مخصوصة، وأعمال وخصوصيّات دقيقة لموضوع، وإحساسات دقيقة للنفس، وذوقيّات لطيفة لها، وهكذا.

وبلحاظ هذا الأصل مع حفظ خصوصيّات الصيغة: تطلق المـادّة في مـعاني متناسبة، كما نقلناها، وقد تستعمل مشتقّة بالاشتقاق الانتزاعيّ.

فظهر أنّ القيود المذكورة في الأصل لازم أن تلاحظ في موارد الاستعمال، وأمّا إذا استعملت من دون رعاية القيود: فهي من التجوّز. كالعلم المطلق، ومطلق الأشجار، ومطلق الآثار والعلائم.

وقريب من هذا الأصل ما في اللغة العبريّة للمادّة:

قع ـ (شاعَر) فكَّر، تصوَّر، اعتَبر، حدس، قدَّر، افترض.

(شِعار) شَعر، الياف.

فالشـعور إنّما هو بمعنى الإدراك الدقيق، وبهذه المناسبة يطلق المَشـاعر على الحواسّ، وبالنظر إلى هذا الأصل قد استعملت في القرآن الكريم.

ألا إنَّهُـم هُمُ المُفسِـدونَ ولكن لا يَشـعُرون، وما يُضِلّون إلّا أنفُسَـهُم وَما يَشعُرون، وَما يَمكُرون إلّا بأنفُسِهِم وَما يَشعُرون.

يراد بأنّهم ما يُدركون بالإحساس الدقيق إفسادهم وإضلالهم ومكرهم، فالمنفيّ في هذه الموارد هو الإدراك الدقيق، فإنّها محتاجة إلى هذا النحو من الإحساس، ولا يكفي فيها مطلق التوجّه والإدراك الإجماليّ المطلق.

إن حسابُهم إلّا عَلىٰ رَبّي لَو تَشعرون ـ ٢٦ / ١١٣.

أي إن كنتم في إدراك دقيق.

والشاعر: هو الّذي له إحساس لطيف وإدراك دقيـق، وهذا المعنى في نفسـه مطلوب وممدوح وطلب للحقّ وسلوك في سبيل الحقيقة.

وأمّا إذا استعمل قبال المقامات الروحانيّة العالية الشهوديّة: فيكون مـذموماً

وغير مطلوب، فإنّ الدقّة في الإحساس من نفسه والاتّكاء على هذا المعنى: يدلّ على فقدان الوحي والإلهام والارتباط والشهود والحقّ والنبوّة.

وَما هوَ بقَول شاعِر قَليلاً ما تؤمنون ـ ٦٩ / ٤١.

ويَقولون أئنا لَتاركو آلهتنا لِشاعرٍ مَجنون ـ ٣٧ / ٣٦.

بَل قالوا أضغاثُ أحلامٍ بَل اْفتَراه بَل هوَ شاعِر ـ ٢١ / ٥.

يُريدون إنّ ما يذكر من القرآن والآيات: ليس إلّا من جهة أفكاره الدقيقة وذوقيّاته اللّطيفة وإحساساته الشخصيّة، مع وجود جهات ضعيفة إضافيّة فيه، فلا يعتمد عليه ولا يصحّ السكون إليه فيقول تعالى:

وَما علَّمناه الشِّعرَ وَما يَنبغي لَهُ إنْ هوَ إلّا ذِكر وقُرآن مُبين ـ ٣٦ / ٦٩.

فالشِّعر هو دقّة في الإدراك ولطف في الذوقيّات، ثمّ يطلق في العُرف على ما يُعمل فيه هذه الدقّة والذوق، وهذه الدقّة واللّطف أعمّ من أن تكون من جهة الوصول إلى الحقّ أو لطفاً في نفس الموضوع ومن جهة الذوق وإبداع المعاني الظريفة والتعبيرات اللطيفة، وبهذا اللحاظ يكون الشعر اللطيف مطلقاً (حكمة أو كذباً) جالباً وموردَ توجّه الناس.

والشُّعَراءُ يتَّبعُهم الغاوون ألم تَرَ أنَّهُم في كُلِّ وادٍ يَهيمون ـ ٢٦ / ٢٢٤.

وإذا كانت الدقّة في الإدراك للوصول إلى الحقّ والهداية لا في الأُمور المادّية النفسانيّة: فتكون مطلوبة.

إلّا الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات وذَكَروا اللهَ كَثيراً ـ ٢٦ / ٢٢٦.

وأمّا الشَّعائر لله: فالشَّعيرة فعيلة بمعنى ما يُدرَك باللّطف والدقّة حول عظمته وجلاله وسلطانه، وما يرتبط بظهور أمره.

إنَّ الصَّفا والمَروةَ مِن شعائِر الله ـ ٢ / ١٥٨.

لا تُحِلّوا شَعائر الله ـ ٥ / ٢.

والبُدنَ جَعلناها لَكُم مِن شَعائر الله ـ ٢٢ / ٣٦.

ذلِكَ ومَن يُعَظِّم شَعائِرَ الله فإنَّها مِن تَقوى القُلوب ـ ٢٢ / ٣٢.

فموضوعات البُدن والصفا والمروة وما يتعلّق بها ممّا يُدرك دقيقاً حول عظمة الله تعالى، ومن لطائف جلاله المحسوسة المتجلّية الظاهرة، ولازم أن تعظّم شعائره، ويُهتمّ في حفظها ويُتوجّه إلى تحقّقها بأحسن أنحائه. وهذا المعنى إنّما يتحقّق إذا تحقّق حقّ التقوى في القلب، فإنّ التقوى هو حفظ النفس والمراقبة عليها وصيانتها عن أيّ خلاف وانحراف، حتّى يتحصّل حقّ التوجّه والخلوص. وكلّما ازداد التوجّه والخلوص يزداد التوجّه والعلاقة إلى تنظيم شعائره تعالى.

فيصحّ لنا أن نفسّر الشعائر: بأنّها علائم لطيفة وآيات دقيقة وشواهد رقيقة تدرك حولَ مقاماته وكبريائه وعظمته.

وأمّا المَشاعر: فهو جمع مَشعر مصدراً أو إسماً لمكان أو زمان كالمناسك، فهو أعمّ من الشّعائر، فيدلّ على أمكنة وموارد فيها ترد وتظهر الشّعائر أيضاً، ومنها المَشعر الحرام.

فإذا أفَضتُم مِن عَرَفات فاذكُروا اللهَ عِندَ المَشْعرِ الحَرام ـ ٢ / ١٩٨.

هذه الكلمة إسم باعتبار كون المكان محلّاً لإدراك دقيق من آيات إلٰهيّة، ومنزلاً لمشاهدة الشعائر لله تعالى، فهي تنطبق على مجموع أراضي تقع فيها هذه الشعائر، بأيّ إسم كان، وهذا لطف التعبير بها.

وهي تبتدئ ظاهراً من المَأزِمَيْن إلى وادي مُحَسِّر، والمَأزِم مَضيق بين جبلين

بعد عرفة، وحدّ الحَرَم من المأزِمَيْن، وما بين المأزمَيْن وبطن عُرَنة: يقال له المُزْدَلِفة وقُزَح وجَمْع والقَرْن، كلّ منها يطلق بقسمة مخصوصة منه، والمجموع يقال له المَشْعر الحرام.

وأمّا الشَّعَر: قلنا إنّه ما يتحصّل في سطح جلد الحيوان، ويشتقّ منه بالاشتقاق الانتزاعيّ، فيقال شعرت.

وَجَعَلَ لَكُم مِن جُلود الأَنعام بُيوتاً ... ومِن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومَتاعاً ـ ١٦ / ٨٠.

وأمّا الشِّعرى: على فِعلى كذِكرى ومِعزى، إمّا إسم مصدر أو إسم، بمعنى ما يُدرك دقيقاً ثمّ جُعل إسماً للكوكب المعيّن.

وجهة امتياز الكوكب: أنّه من النجـوم الثوابت من القدر الأوّل، وهو أضوأ الثوابت وأنورها فيما يُرى بالنظر المجرّد، وهو أكبر من الشمس في حدود / ١٥٠٠، ويقال إنّ الشّمس إذا بعدت من الأرض بمقدار هذا النجم واستقرّت في محلّه: تكون من القدر المائة.

وهو واقع في صورة الكلب الأكبر الواقع في الجهة الجنوبيّة من الجَوزا، والجوزا هي المشاهدة في وسط السماء في البرجين ـ الثالث والرابع.

وكلمة الشِّعرى عند الإطلاق يراد منها اليمانيّة، والشِّعرى الشاميّة واقعة في صورة الكلب الأصغر فيما بين جوزا والشعرى اليمانيّة.

وكان بعض العرب يعبدونه ويجعلونه معبوداً لهم، وعلى هذا قال تعالى: وأنّه هوَ رَبُّ الشِّعْرى ـ ٥٣ / ٤٩.

فالشِّعرى بأيّ مفهوم كانت: واقعة تحت نظر الربّ وتربيته.

* * *

شعل :

مقا ـ شـعل: أصل صحيح يدلّ على انتشـار وتفرّق في الشيء الواحـد من جوانبه، يقال أشعلتُ النارَ في الحطب، واشتعلت النارُ، واشتعل الشيبُ. والشَّعيلة: النار المشـتعلة في الذُّبال. وأشـعلنا الخيلَ في الإغارة: بَثثـناها. والشُّعلة من النـار معروفة. والشَّعَل: بياض في ناصية الفرس وذنَبه، يقال فرس أشعل، والأُنثى شَعْلاء. ومن الباب تفرّق القوم شَعاليلَ، أي فِرَقاً كأنّهم اشتعلوا. وممّا شذّ عن الباب المِشعل، وهو شيء من جلود له أربع قوائم ينتبذ فيه.

مصبا ـ شعَلَت النـارُ تشعَلُ واشتعلت: تـوقّدت، ويـتعدّى بـالهمزة فـيقال أشعلتها، واستعمال الثلاث متعدِّياً لغة، ومنه قيل اشتعل فلان غضباً، إذا امتلأ غيظاً، وقوله تعالى ـ واشتعَلَ الرّأسُ شَيباً ـ فيه استعارة بديعة، شبّه انتشار الشيب باشتعال النار في سرعة التهابه وفي أنّه لم يبق بعد الاشتعال إلّا الخمود.

التهذيب ١ / ٤٣٠ ـ الشُّعلة: شبه الجِذوة، وهي قطعة خشبة يُشعل فيها النار، وكذلك القَبَس والشهاب. وأمّا الشَّـعيلة فهي الفتيلة المُروّاة بالدهن يسـتصبح بها. واشتعلَ شَـيْباً: أصله من اشـتعال النار، ونصب شـيباً على التفسـير. والأصـمعيّ وأبوعمرو: الغارة المُشـعِلة: المتفرِّقة، وقد أشـعلَتْ إذا تفرّقت. وأشـعلت القِـربةُ والمَزادة إذا سال ماؤها.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحـد في هذه المادّة: هو التوقّد مع انتشـار وتـلألؤ، مـادّياً أو معنويّاً. فالمادّي المحسوس كالاشتعال في النار، وبالنار كالفتيلة. والمعنويّ كما في توقّد

الغضب، وتوقّد الشيب في جهة ظهور البياض في الأشعار، وتوقّد الخيل وانتشارها في الإغارة، وتوقّد لون البياض في الجبهة أو في عضو آخر، وتوقّد القِربة بالسيلان.

وقد ذكرنا الفرق بين التوقّد ومترادفاته في السَّعر ـ فراجع.

رَبِّ إنِّي وَهَنَ العَظْمُ منِّي واشْتَعلَ الرّأسُ شَيْباً ـ ١٩ / ٤.

التعبير بالاشتعال للمبالغة والتشديد في ابيضاض شعر الرأس، فكأنّ الابيضاض يتوقّد ويلتهب في الرأس مع انتشار.

ونسبة الاشتعال إلى الرأس دون الشعر مبالغة أخرى في ظهور الشيب، فكأنّ الرأس بمجموعه قد التهب. وهكذا التعبير بصيغة الافتعال الدالّ على المطاوعة، إشارة إلى أنّ الاشتعال قد تحقّق بالطوع وبالجريان الطبيعيّ.

* * *

شغف :

مقا ـ شغف: كلمة واحدة وهي الشَّغاف، وهو غلاف القلب ـ قَد شَغفها حُبّاً ـ أي أوصل الحبّ إلى شَغاف قلبها.

مصبا ـ شَغَف الهوى قلبه شغفاً من باب نفع، والإسم الشَّغَف: بلغ شَغافَه، وهو غشاؤه. وشغفه المال: زيّن له فأحبّه فهو مَشغوف به.

لسا ـ شغف: الشَّغاف: غِلاف القلب، وهو جِلدة دونه كالحجاب وسُويداؤه. الشّغاف: مَولج البلغم، ويقال: بل هو غشاء القلب. وشَغَفه الحبُّ يشغَفه شَغْفاً وشَغَفاً: وصل إلى شَغاف قلبه. وقيل: غشّى الحبُّ قلبَها. وقيل أصاب شَـغافَها. أبو عبيد: الشَّغْف: أن يبلغ الحبّ شَغاف القلب وهي جِلدة دونه. وقال الزجّاج: شَغَفها حُبّاً، ثلاثة أقوال ـ قيل الشَّغاف غلاف القلب، وقيل هو حبّة القلب وهو سُويداء القلب.

وقيل هو داء. وقال الفرّاء: أي خَرَق شَغافَ قلبها ووصل إليه. وشُغِف بالشيء: أُولِعَ به. وشَغِف بالشيء شَغَفاً: قَلِق.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو أخذ وتصرّف بالنفوذ والإحاطة بالشيء، فيقال: شغف الحبُّ أو الهوى أو المال قلبَه، أي أخذه وتصرّف فيه بالإحاطة والنفوذ في أعماقه.

وبهذا اللحاظ تطلق المادّة في موارد ـ الخرق، الدخول، النفوذ، الإحاطة، القلق، الولع. ويطلق الشَّغاف على الغلاف والحجاب والسُّويداء والغشاء والجلد ـ بإعتبار الإحاطة والنفوذ.

وأمّا تفسير ـ قَد شغَفها ـ بإيصال الحُبّ إلى شَغاف القلب أي غلافه أو جلده وغشائه: فليس بصحيح، فإنّ الشغاف إسم ولابدّ من أن يؤخذ معناه من المصدر والفعل، لا بالعكس، مضافاً إلى أنّ إيصال الحبّ إلى الغلاف أو الجلد الخارجين عن القلب: لا معنى له في مقام كمال الحبّ.

إمرأةُ العَزيز تُراوِدُ فَتاها عَن نَفسِه قَد شَغفَها حُبّاً إنّا لَنَراها في ضَلال مُبين ـ ١٢ / ٣٠.

أخذ قلبها وتصرّف فيه بالنفوذ في سُويداء قلبها والإحاطة به من جهة إيجاد المحبّة والتعلّق في قلبها.

وهذه المرتبة من الحبّ إنّما تتحقّق إذا غلب على ظاهر القلب وباطنه ونفذ في أعماقه وأحاط بغشائه وكان حاكماً عليه.

* * *

شغل :

مقا ـ شـغل: أصل واحـد يدلّ على خلاف الفـراغ، تقول: شغلت فلاناً فأنا شاغله، وهو مَشـغول، وشُغِلتُ عنك بكذا، قالوا ولا يقال أُشـغِلت، ويقال شُـغلٌ شاغل، وجمع الشُّغل أشغال، وقد جاء عنهم: اشتُغِل فلان بالشيء، وهو مُشتَغَل.

مصبا ـ شغله الأمر شُغلاً من باب نفع، فالأمر شاغل، وهو مشغول، والإسم الشُّغُل وتسكن العين للتخفيف. وشُغِلتُ به: تلهّيت به، واشتَغلَ بأمره فهو مُشتغِل.

صحا ـ الشغل: فيه أربع لغات: شُغْل وشُغُل وشَغْل وشَغَل، والجمع أشغال، وقد شَغلت فلاناً فأنا شاغل، ولا يقال أشغلته لأنّها لغة رديّة، وشُغل شاغل توكيد.

أسا ـ أنا في شغل شاغل. وشغلَتْني عنك الشواغل. وشُغِلتُ عنك. واشتغلت بكذا، وتشاغلتُ به. ولي أشغال وشغول ومَشاغِل. وفلان فارغ مشغول: متعلّق بما لا ينتفع به. ومن المجاز دار مشغولة: فيها سُكّان. وجارية مشغولة: لها بعل.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحـد في هذه المادّة: هو ما يقابل الفـراغ والخلاء، وهو مطلق العمل، فإنّ عمل كلّ شيء بحسبه وبما يناسبه.

كالعمل في الإنسان العامل. والعمل في الفكر والقلب. والعمل في الجارية من جهة ازدواجه. والعمل في المكان من جهة السكونة. وهذه كلّها تقابل مفهوم الفراغ والخلاء.

سَـيَقولُ لَكَ المُخلَّفونَ مِن الأَعرابِ شَـغَلَتْنا أموالُنا وأهلُونا فاسْـتَغْفِرْ لَنا ـ ٤٨ / ١١.

أي كنّا مشغولين بتدبير أمور متعلّقة بالأهل والمال.

في التعبير دلالة على أنّ التخلّف عن الجهاد إنّما يكون باختيار المـال والأهل والحياة الدنيا.

إنَّ أصحابَ الجنَّةِ اليومَ في شُغُل فاكِهون ـ ٣٦ / ٥٥.

الظرف متعلّق بالفاكهين وهو خبر بمعنى المتنعّمين المتلذّذين، فإنّ الفراغ وعدم الاشتغال بعمل مطلوب ملائم: يوجب كدورة وتضيّقاً واختلالاً.

وتقديم ـ في شغل: لنفي تلك الكدورة والمضيقة الناشئة من الفراغة، في الدرجة الأُولى، ثمّ الإشارة إلى كونهم فاكهين في ذلك الشغل.

ثمّ إنّ اشتغالهم في الجنّة: لابدّ من أن يكون مناسباً للمحيط ولأحوالهم.

فإنّ اشتغالهم في الجنّة: لابدّ وأن يكون بمقتضى محيط الجنّة وبتناسب أفكارهم وأحوالهم، كالالتذاذات الروحيّة والتوجّهات الإلهيّة والجذبات الباطنيّة والارتباطات المعنويّة.

* * *

شفع:

مصبا ـ شفَعت الشيء شَفْعاً من باب نفع: ضممته إلى الفرد، وشفعت الركعة: جعلتها ثنتين. ومن هنا اشـتقّت الشّـفعة، لأنّها يَشفعُ مالَه بها، وهي إسم للـملك المَشفوع مثل اللُّقمة إسم للشيء الملقوم. وشفعت في الأمر شَفْعاً وشـفاعة: طالبت بوسيلة أو ذمام. وإسم الفاعل شفيع، والجميع شُفَعاء، وشافعٌ أيضاً.

مقا ـ شفع: أصل صحيح يدلّ على مقارنة الشّـيئين. من ذلك الشَّفع خلاف الوَتر. قال أهل التفسير: الوَتر: الله تعالى. والشَّفع: الخلق. والشُّفعة في الدار من هذا.

والشاة الشافع: الّتي معها ولدها. وشفع فلان لفلان: إذا جاء ثانيه ملتمساً مَطلبه ومُعيناً له. وممّا شذّ عن الباب ولا نعلم كيف صحّته: امرأة مَشفوعة، وهي الّتي أصابتها شُفعة وهي العين. ولعلّه أن يكون بالسين.

التهذيب ١ / ٤٣٦ ـ مَن يَشفعْ شفاعةً حسنة ـ عن أبي الهيثم: أي يزداد عملاً إلى عمل، والشفع الزيادة، وعين شافعة: تنظر نظرين. وعن أبي العبّاس: سئل عن اشتقاق الشُّفعة في اللغة فقال: الشفعة الزيادة، وهو أن يشفّعك فيما تطلب حتّى تضمّه إلى ما عندك فتزيده وتشفعه بها، أي تزيده بها. وعن المبرّد وثعلب في قوله تعالى ـ مَن ذا الَّذي يَشفَعُ عِندَه إلّا بإذنه. الشفاعة الدعاء هيهنا. والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. وقال الليث: الشَّفع من العدد: ما كان زوجاً، تقول: كان وِتراً فشفعتَه بآخر. قال: والشافع: الطالب لغيره يستشفع به إلى المطلوب.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل في هذه المادّة: هو إلحاق شيء أو قوّة بآخر لغرض مطلوب وتحصيل نتيجة مقصودة.

فقيد اللحوق، وكذلك وحدة الموضوع والاشتراك فيه: مأخوذ في مفهوم الأصل. وهذا المعنى واقع فيما بين مرتبتي الولاية وأخذ العَدْل.

ففي الولاية اختيار كامل وتصرّف استقلاليّ في أمر المولّى عليه. وفي إعطاء العَدل بمعنى النظير والمثل والقيمة: إجراء نظر في أمره وتحصيل غرض بوسيلة خارجيّة. وأمّا معنى الشفاعة: فهو تأييد وتقوية بالحاق قوّته وضمّ نفوذه إلى ما لآخر:

لَيسَ لَهُم مِن دون الله وليّ وَلا شَفيعٌ ـ ٦ / ٥١.

وَلا يُقبَل مِنها شَفاعَة وَلا يؤخَذ مِنها عَدلٌ وَلا هُم يُنصَرون ـ ٢ / ٤٨.

ويؤيّد الأصل أيضاً: أنّ الشفع قد ورد في مقابل الوَتر مصدراً، وهو الإفراد والنقص، ويقابله الإلحاق والتقوية.

والشَّفعِ والوَتر واللَّيل إذا يَسر.

فمن مصاديق الأصل: كلام الشفيع للملِك في حاجة لغيره، فيجعل كلامَه ضميمة وملحقة لها. وتثنية ركعة الصلاة وتقويتها بركعة ملحقة. وشفع المال أو الملك بمال آخر لتقويته. وشفع الأُمّ بولدها الملحق بها.

فظهر أنّ حقيقة الشفاعة: جعل نفوذ الشافع وقوّته أو تأثير كلامه ضميمة لما لآخر حتّى يتقوّى بها وتتحصّل النتيجة المطلوبة:

فَهَل لَنا مِن شُفَعاءَ فيَشفعوا لَنا ـ ٧ / ٥٣.

فَما تَنفعُهُم شَفاعَةُ الشّافِعين ـ ٧٤ / ٤٨.

وما لِلظّالمينَ مِن حَميم وَلا شَفيع يُطاع ـ ٤٠ / ١٨.

وَلَم يَكُن لَهم مِن شُرَكائهم شُفَعاءُ ـ ٣٠ / ١٣.

فيراد تأثير نفوذ الشافع ودعوته وإعانته وإخراج الغير عن الوِتريّة.

ولمّا كانت السلطة التامّة والمالكيّة المطلقة والاختيار الكامل في يوم القيامة لله المتعال العزيز الجبّار: فلا يمكن لأحد أن يتصرّف في جريان الأُمور الحادثة الّتي على اقتضاء الحكمة والعدل التامّ، ولا يَملك أحد في تغيير أمر أو تبديله أو تحريفه:

مالِكِ يَومِ الدِّين ـ ١ / ٤.

لِمَن المُلكُ اليَومَ لِلّهِ الواحِدِ القَهّار ـ ٤٠ / ١٦.

المُلك يَومئذٍ الحقُّ للرَّحمٰن ـ ٢٥ / ٢٦.

المُلكُ يَومئذٍ لِلّهِ يَحكُم بَينَهُم ـ ٢٢ / ٥٦.

فاليَوم لا يَملكُ بعضُكُم لبَعض نَفعاً وَلا ضَرّاً ـ ٣٤ / ٤٣.

يَومَ لا تَملك نَفسٌ لنَفس شَيئاً والأَمرُ يَومئذٍ لِلّهِ ـ ٨٢ / ١٩.

ونتيجة هذه المالكيّة المطلقة: أن تكون الشفاعة أيضاً يومئذٍ لله الرّحمن، ولا يتمكّن أحد أن يشفع لأحد، كما قال تعالى:

قُل لِلّهِ الشَّفاعَةُ جَميعاً لَهُ مُلكُ السَّمٰوات والأَرض ـ ٣٩ / ٤٤.

ما لَكُم مِن دُونه مِن وَليٍّ وَلا شَفيع أفَلا تتذَكَّرون ـ ٣٢ / ٤.

فلا تتحقّق الشفاعة يومئذ إلّا من الله العزيز الجبّار من دون واسطة، أو بواسطة من أوليائه، وهم الّذين لا يَشاءون إلّا أن يشاء الله، وهم في إخلاص كامل وتسليم تامّ وفناء في الله العزيز، وهم وجه الله، وفيهم يتجلّى ما يشاء الله ويريد ويُحبّ، وليس لهم من أنفسهم طلب ولا دعوة، وهم بأمره يَعملون، ولا يَسبِقونه بقَول ولا بعَمل:

وجَعلناهُم أئِمَّـةً يَهدون بأمرنا وأوحَينا لَهُم فعلَ الخيرات ـ ٢١ / ٧٣.

وَلا يَشفعون إلّا لمَن ارتَضى ـ ٢١ / ٢٨.

وَما مِن شَفيع إلّا مِن بَعد إذنه ـ ١٠ / ٣.

يَومئذٍ لا تنفعُ الشَّفاعَة إلّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمٰن ـ ٢٠ / ١٠٩.

وَلا تَنفع الشَّفاعةُ عِندَه إلّا لِمَن أذِنَ لَهُ ـ ٣٤ / ٢٣.

لا تُغني شَفاعتُهم شَيئاً إلّا مِن بَعد أن يأذَن الله لمن يَشاء ـ ٥٣ / ٢٦.

فظهر أنّ الشفاعة مختصّة بالله المتعال. وأمّا شفاعة أوليـائه فـبعنوان الظـليّة وكونهم وجهاً له، لا بعنوان أنفسهم وذواتهم مستقلّة.

فهذا حقيقة ما يتعلّق بموضوع الشفاعة وبيان خصوصيّاته، فخذه واغتنم.

وأمّا الشفاعة في حياة الدار الدنيا: فهي أعمّ من أن تكون في أُمور مادّية أو معنويّة، ومن أفراد صالحين أو طالحين، وفي خير أو شرّ.

فالشفاعة في الأُمور المادّية: كما في كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، وفي الشاة معها ولدها، وقوله تعالى: وَمَن يَشفعْ شَفاعةً سيِّئة يكن لَهُ كِفلٌ مِنها ـ ٤ / ٨٥. بأن تكون شفاعته غير مستحسنة وقبيحةً، أو في مورد قبيح، أو لغرض غير حسن.

وفي الأُمور الدنيويّة الحسنة: كما في: مَن يَشفعْ شَفاعةً حَسَنَة يكُنْ لَهُ نَصيبٌ مِنها ـ ٤ / ٨٥.

فإنّ النصيب وكذلك الكِفل يدلّان على أنّ الشفاعة واقعة في الحياة الدنيا، فإنّ الشفاعة في دار الآخرة إنّما تكون بإذن الله من دون توجّه إلى واسطة حتّى تستحقّ نصيباً وأجراً.

وفي مطلق الأُمور دنيويّة وأُخرويّة: كما في ـ لَهُ ما في السّماواتِ وَما في الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذي يَشفعُ عِندَه إلّا بإذْنِه ـ ٢ / ٢٥٥.

له ما فيهما من الأُمور الجـارية من مادّية أو معنويّة، دنيويّة أو أُخرويّة، ولا يشفع أحد في هذه الأمور، بأن يكون نفوذه وقوّة اختياره مؤثراً في جريان الأُمور الّتي تجري تحت مشيّته وتقديره، بأيّ صورة وفي أيّ مورد.

وقال تعالى: أمِ اتَّخذوا مِن دُون الله شُفَعاءَ قُل أوَلَو كانوا لا يَملكونَ شَيئاً وَلا

يَعْقلون قُل لِلّهِ الشَّفاعَةُ جَميعاً لَهُ مُلكُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ثُمَّ إليهِ تُرْجَعُون ـ ٣٩ / ٤٤.

فإنّ التصرّف في أيّ شيء يستلزم التسلّط والتملّك فيه، وإنّ السّماوات والأرض لله وملك له تعالى، فكيف يصحّ لأحد أن يتصرّف في ملكه وتكوينه بأيّ نحو من التصرّف، أو الشفاعة فيها من أنحاء التصرّف.

والفَجرِ ولَيالٍ عَشر والشَّفْعِ والوَتر واللَّيلِ إذا يَسرِ ـ ٨٩ / ٣.

فإنّ عالم التكوين ومراحل الوجود متشكّلة من الأمرين من إلحاق قوّة وضمّها إلى أمر، أو سلبها وتجريدها حتّى يبقى وِتراً وبلا قوّة ـ راجع الوتر.

* * *

شفق:

مقا ـ شفق: أصل واحد يدلّ على رِقّة في الشيء، ثمّ يشتقّ منه. فمن ذلك قولهم أشفقتُ من الأمر إذا رققتَ وحاذرتَ، وربّما قالوا شَفِقتُ. وقال أكثر أهل اللغة: لا يقال إلّا أشفقت وأنا مشفق. ومن الباب: الشَّفَق من الثياب. قال الخليل: الشَّفَق: الرديء من الأشياء، ومنه الشَّفَق: النُّدءة الّتي تُرى في السماء عند غروب الشّمس، وهي الحُمرة، وسمِّيت بذلك للونها ورقّتها.

مصبا ـ الشفق: الحمرة من غروب الشّمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل غاب الشفق، حكاه الخليل. وقال الفرّاء: سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب كالشفق، وكان أحمر. وقال الزجّاج: الشفق الحمرة الّتي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس، وهذا هو المشهود في كتب اللغة. وأشفقت من كذا بالألف: حذرت، وأشفقت على الصغير: حنوت وعطفت، والإسم الشَّفَقَة، فأنا شَفِق وشَفيق.

التهذيب ٨ / ٣٣٢ ـ قال الليث: الشفق الرّديء من الأشياء، وقد أشفق العطاءَ. وشفَق الثوبَ أي جعله في النسج شَفَقاً. والشَّفَق: الخوف، تقول أنا مُشفق عليك أي خائف، وأنا مشفق من هذا الأمر أي خائف. والشَّفَق أيضاً: الشَّفَقَة وهو أن يكون الناصح من بلوغ نُصحه خائفاً على المنصوح، تقول أخاف عليه أن يناله مكروه. والشَّفيق: الناصح الحريص على صلاح المنصوح. والشَّفَق: الحمرة الّتي في المغرب من الشمس.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو أمر جامع بين الرخوة والدقّة والضعف في مقابل الشدّة والغلظة والقوّة، مادّياً كان أو معنويّاً.

ومن مصاديق هذا الأصل: الشفق وهو النور الضعيف الرّخو الدقيق بعد غروب الشّمس. والرديء الضعيف الدقيق من الأشياء. والعطاء الحقير الضعيف الرخو. والثوب الرخو الضعيف في النسج. والحالة الرخوة الهيّنة الضعيفة، في مقابل مُخوِّف أو مُرغِّب.

وهُم مِن خَشيته مُشفِقون ـ ٢١ / ٢٨.

وهُم مِن السّاعَة مُشفِقون ـ ٢١ / ٤٩.

والَّذينَ هُم مِن عَذاب ربّهم مُشفِقون ـ ٧٠ / ٢٧.

فَتَرى المُجرمين مُشفِقين مِمّا فيه ـ ١٨ / ٤٩.

يراد إنّهم متبدّلة حالاتهم من القوّة والشدّة والغلظة إلى حالة ضعف ورخوة ودقّة، ويتأثّرون ممّا يشاهدون من العظمة والقدرة ومواجهة العذاب والمضيقة.

وليست المادّة مستعملة بمعنى الخوف:

فأوّلاً ـ إنّ الخوف في مورد توقّع ضرر، ولا يستعمل بعد تحقّق الضرر، كما في: مُشفِقينَ مِمّا فيه، مُشفِقينَ مِمّا كَسَبوا وَهوَ واقعٌ بِهِم.

وثانياً ـ إنّ الخشية هي المراقبة مع الخوف، فتكون أقوى من الخوف، فلا يصحّ استعمال الإشفاق حينئذ مع الخشية، كما في: وَهُم مِن خَشيته مُشفِقون، إنَّ الَّذينَ هُم مِن خَشية رَبِّهم مُشفِقون.

إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ عَلى السَّماواتِ والأَرْضِ والجبالِ فأبَيْنَ أن يَحملنَها وأشفقنَ مِنْها وحَمَلَها الإنْسانُ ـ ٣٣ / ٧٢.

قلنا في الأمن: إنّ الأمانة هي الطمأنينة والسكون وعدم الاضطراب والتزلزل في قبال التكاليف التكوينيّة والتشريعيّة، وفي توارد التجلّيات والإفاضات الإلهيّة.

وهذا الاستقرار والتمكّن والتثبّت في مواجهة هذه الأُمور، وحفظ الطمأنينة والسكون وإدامتها من دون إضطراب: هو تحقّق الأمانة.

وهذا مقام روحانيّ يختصّ بالإنسان. وأمّا سائر مراتب الموجودات فهي محرومة عن هذا الاستعداد الذاتيّ، وضعيفة رخوة في هذا المقام. وهذا معنى كونهنّ مشفقات فيه وفي تحمّله.

ثمّ إنّ هذه الأُمور مقامات تكوينيّة واستعدادات ذاتيّة فطريّة فطر الله عليها مراتب الوجود، والإنسان غافل علماً وعملاً عن استعداده.

فإشفاق السّماوات والأرض والجبال ليس بمعنى الخوف والوحشة، بل بمعنى القصور والضعف والرخوة والرقّة الذاتيّة.

فَلَمّا تَجَلّىٰ رَبُّـه للجَبل جَعَلَهُ دَكّاً، لَو أنزَلنا هذا القُرآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأيتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشيَةِ الله، ثُمَّ عَرَضَهُم عَلى الملائِكة فَقال أنبِئو ني بأسماء هؤلاء... قالوا

سُبحانَكَ لا عِلمَ لَنا إلّا ما علَّمتنا.

وأمّا الشفق في قوله تعالى: فَلا أُقسِمُ بالشَّفَق والليلِ وَما وسَق والقَمرِ إذا اتَّسَق لَترَكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَق ـ ٨٤ / ١٦.

ظاهر معنى الشفق هو ما يبقى ضعيفاً ورقيقاً من نور الشمس بعد غروبها، وهو الحمرة الّتي تكون في المغرب، أو من كلّ نور أو قوّة. والوَسْق: الجمع والحمل. والاتِّساق هو الجمع بانتخاب واختيار. واللّيل بظلمته يقتضي جمع متفرِّقات ومختلِّفات، كما أنّ القمر في محيط الظلمة أيضاً يوجب جذب أشياء وجمعها في محيط إنارته.

وأمّا من جهة الروحانيّ: فالشفَق هو النور الضعيف والفيض المنبسط الرقيق المتجلِّي في عالم المادّة. ثمّ يتحوّل إلى الظلمة والمحجوبيّة في محيط المادّة، الجامعة لأُمور مادّية وما يناسبها. وهذا المحيط الظلماني مواجه بقمر نورانيّ يفيض نوره المكتسب إلى المحيط. وهذا الجريان ينتهي إلى طبقات نازلة ومراتب ظلمانيّة متأخّرة.

فلابدّ للعاقل المتنبِّه المتوجِّه إلى الحقيقة: أن يستفيض من الشفق الضعيف المتجلِّي، وإلّا فمن القمر المتنوِّر في محيط الظلمة، حتّى يتحفّظ نفسه من الارتطام في الهلكات والسقوط في مراحل الضلال والغوايات.

ولمّا كان الشفق وكذلك الليل مع إنارة القمر فيها جهة الهداية والاستفاضة والتخلّص من الظلمات: فتكون ذات رحمة وأهميّة، قابلة بأن تهتدي بهديها.

والتعبير بالشفق والليل: إشارة إلى أنّ ذلك الضعف والرخوة في بسط النور إنّما من جهة الحجب الناشئة من ناحيتنا، كما أنّ في عالم المادّة أيضاً إنّما يتحقّق من ناحية الأرض المتحوِّلة المتحرِّكة.

فكلّما كان التوجّه والوجهة إلى جانب الله المتعال: إزدادت النورانيّة والروحانيّة،

وإذا كانت الوجهة إلى جانب المادّة: ضعفت النورانيّة وازدادت الظلمة، كالأرض المتحوِّلة عن الشّمس.

وكلّما ازدادت الظلمة: إزداد التلوّن، إلى أن يصل إلى السواد والظلمة الصرفة، وهذا جهة الحمرة في الشفق.

* * *

شفه:

مصبا ـ الشفه: مخفّف ولامها محذوفة والهاء عوض عنها. وللعرب فيها لغتان: منهم من يجعلها هاء ويبني عليها تصاريف الكلمة ويقول: الأصل شَفْهة، وتجمع على شِفاه وعلى شَفَهات، وتصغّر على شُفيهة، وكلّمته مشافَهةً، والحروف الشفهيّة، ومنهم من يجعلها واواً ويبني عليها تصاريف الكلمة، ويقول: الأصل شفوة، وتجمع على شَفَوات، وتصغّر على شُفيّة، وكلّمته مشافاة، والحروف الشفويّة. ولا تكون الشفة إلّا من الإنسان.

مقا ـ شفى: يدلّ على الإشراف على الشيء، يقال أشفى على الشيء، إذا أشرف عليه. وأمّا الشفة: فقد قيل إنّ الناقص منها واو، يقال ثلاث شَفَوات، ورجل أشفى، إذا كان لا تنضمّ شفتاه كالأروق. وقال قوم: الشفة حذفت منها الهاء وتصغيرها شفيهة. والمشافهة بالكلام مواجهة مِن فيك إلى فيه. ورجل شُفاهيّ: عظيم الشفتين. والقولان محتملان إلّا أنّ الأوّل أجود، لمقاربة القياس الّذي ذكرناه، لأنّ الشفتين تُشفِيان على الفم.

أسا ـ شفه: شافهته بحديثي. ورجل شُفاهيّ: عظيم الشفه. وماء مَشفوه: كثرت عليه الواردة. وما التقت الشفاهُ على كلام أحسن منه. وله في الناس شفة

حسنة: ذكر جميل. وشافهت البلد والأمرَ إذا دانيتَه.

صحا ـ شفه: أصلها شَفَهة لأنّ تصغيرها شُفيهة، والجمع شِفاه. وإذا نسبت إليها فأنت بالخيار، إن شئت على حالها قلت شفيّ مثل دَميّ ويديّ، وإن شئت شفهيّ. وزعم قوم أنّ الناقص من الشفة واو، لأنّه يقال في الجمع شَفَوات، ورجل أشفى إذا كان لا تنضمّ شفتاه كالأروق، ولا دليل على صحّته. ابن السكّيت: فلان خفيف الشفة أي قليل السؤال للناس. وما كلّمته ببنت شفة، أي بكلمة. والشَّفَة: الشُّغل، يقال شفهني عن كذا أي شغلني. وقولهم: نَشفهُ عليك المرتع والماء، يعني نشغله عنك، أي هو قدرنا لا فضل فيه. ورجل مشفوه إذا كثر سؤال الناس إيّاه حتّى نفد ما عنده. وقد شفهني: إذا ألحّ عليك في المسألة. والمشافهة: المخاطبة من فيك إلى فيه. والحروف الشفهيّة: الباء والفاء والميم، ولا تقل شفويّة.

قع ـ (شافاه) شفة، لغة، كلام، حافة، حدّ، شاطئ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: كلمة واحدة ومعنى واحد، وهو حافّتا الفم من الظاهر، ثمّ يشتقّ منها كلمات بمناسبة ذلك المعنى انتزاعاً.

فيقال شفهه أي شغله، وشفهني أي ألحّ في المسألة، وهو مشفوه أي كثير السؤال عنه وكثير الورود عليه، وشافهته أي دانيته وخاطبته بالتكلّم.

وقيد الشفة ومقابلتها أو وساطتها مأخوذ في جميع مشتقّاتها الانتزاعيّة.

وهذه اللغة مستقلّة في نفسها، وبينها وبين مادّة ـ شفى: اشتقاق أكبر.

أَلَمْ نَجعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وِلِسَاناً وشَفَتَيْنِ وهَدَيناهُ النَّجدَينِ ـ ٩٠ / ٩.

العيـنان: هما المبصِرتان في الظاهر، أو العـين الظـاهرة والبـاطنة المـدرِكتان للمحسوسات والمعاني. واللسان: وهو ما به يُظهر ويُعلن مدرَكاته الظاهريّة والمعنويّة. والشفتان: وبهما يستعان في تحديد المنطق وحفظ اللسان عن الكلام الزائـد واللـغو والضارّ، وهكذا في الأكل والشرب وغيرهما.

وقد جعل الله تعالى اللسان للإنسان واحداً، والعين والشفة إثنتين: تنبيهاً على أنّ الإدراك لازم أن يكون بالتحقيق والدقّة حتّى يكون على يقين وعلم من مدرَكاته، وهكذا في مقام الحفظ والمراقبة في التكلّم. وهذا بخلاف مقام الإظهار والبيان: فلابدّ من أن يكون بمقدار اللزوم والحاجة.

* * *

شفى:

مقا ـ شفي: يدلّ على الإشراف على الشيء. يقال أشفى على الشيء: إذا أشرف عليه. وسمّي الشفاء شفاءً لغلبته للمرض وإشفائه عليه، ويقال استشفى فلان إذا طلب الشفاء، وشَفى كلِّ شيء: حرفهُ، وهذا ممكن أن يكون من هذا الباب، وممكـن أن يكون من الإبدال. ويقال أعطيتك الشيء تستشفي به، ثمّ يقال أشفيتك الشيء، وهو الصحيح. ويقال أشفى المريض على الموت وما بقي منه إلّا شَفىً أي قليل.

مصبا ـ شفى الله المريض يشفيه من باب رمى شفاءً: عافاه. واشتفيت بالعدوّ وتشفّيت به من ذلك، لأنّ الغضب الكامن كالداء فإذا زال بما يطلبه الإنسان من عدوّه فكأنّه برئ من دائه، واشفيت على الشيء: أشرفت، وأشفى المريض على المـوت. وشَفا كلّ شيء: حرفه.

التهذيب ١١ / ٤٢٣ ـ شفى: قال الليث: الشِّفاء معروف، وهو ما يُبرئ من

السقم، والفعل شفاه الله يَشفيه، وأشفيت فلاناً: إذا وهبتَ له شِفاء من الدواء. وعن ابن الأعرابيّ: أشفى إذا سار في شَفا القمـر وهو آخر الليل، وأشفى إذا أشرف على وصيّة أو وديعة. وشَفا كلّ شيء: جَرْفه ـ على شَفا جُرفٍ هارٍ، والجميع الأشفاء. ابن السكّيت: الشَّفا: مقصور، بقيّة الهلال وبقيّة البصر وبقيّة النهار وما أشبهه. وأشـفى فلان على الهلكة أي أشرف عليها.

مفر ـ شَفا البئرِ وغيرها: حرفُه، ويضرب به المثل في القرب من الهلاك ـ على شَفا جُرُف، على شَفا حُفرة، وأشفى فلان على الهـلاك، أي حصل على شَفاه. ومـنه استعير ما بقي من كذا إلّا شَفى، أي قليل، كشَفا البئر. والشِّفاء من المرض: موافـاة شفاء السلامة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو آخر نقطة مشرف على انحطاط أو أوّل نقطةِ تخلّصٍ منه مادّياً كان أو معنويّاً.

وقلنا في السـابق: إنّ الشطّ هو التمـايل عن أمر ثابت مع تحـقّق الانـفصال. والشاطئ هو المتفرّع اللّاحق في جنب شيء. والساحل هو نزع الأمواج المتحرّكـة وكشطها في الجانب منها.

ومن مصاديق المادّة: آخر نقطة مشرفة على محلّ أو بئر أو غروب أو هلاك أو سقم أو ضلال أو موت. وكذلك أوّل نقطة يتخلّص فيها من مرض بحصول السّلامة والعافية، أو أوّل حالة بعد التأثّر الشديد والألم والسخط.

فيظهر الفرق بين قولنا ـ شفي من المرض، وقولنا برئ من المرض: فإنّ الشِّفاء أوّل مرحلة يتحصّل بالتخلّص. والبراءة هو التباعد وتحقّقه.

ويؤيّد ما ذكرناه: إنّ الهداية تذكر قبل الشفاء، وكذلك الموعظة الّتي فيها جهة الهداية. ويذكر الإنقاذ بعده.

وكُنتُم عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّار فأنقَذَكُم مِنها ـ ٣ / ١٠٣.

أم مَن أسَّسَ بنيانَه عَلى شَفا جُرُف هارٍ فانهارَ بِهِ في نار جَهَنَّم ـ ٩ / ١٠٩.

الجُرُف كالجُنُب هو الجانب الّذي أكله الماء من حاشية النهر أو الوادي. والهَوْر هو الانصداع والوقوع في معرض السقوط والانهدام. فالشَّفا هو آخر نقطة قبل الهَوْر والسقوط في حفرة وانحطاط، وهو واقع بين السقوط والإنقاذ.

ونُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ ورَحمة ـ ١٧ / ٨٢ .

قُل هُوَ لِلَّذينَ آمَنوا هُدىً وشِفاءٌ ـ ٤١ / ٤٤.

قَد جاءَكُم موعظةٌ مِن رَبّكم وشِفاءٌ لِما في الصُّدور ـ ١٠ / ٥٧.

يَخرج مِن بُطونها شرابٌ مُختلِف ألوانه فيه شِفاءٌ ـ ١٦ / ٦٩.

ففي هذه الأُمور إنقاذ إلى خطّ النجاة والتخلّص من انحطاط وسقوط مادّي أو معنويّ. وفي هذا التعبير إشـارة إلى أنّ الهداية والنجاة والتخلّص: من هذه الأُمـور تتحصّل، وأمّا التثبّت وإدامتها والاهتداء والسلوك بإرشادها فمرحلة أُخرى، وتتحقّق بعد الشفاء، وفيها تتنزّل الرحمة.

ثمّ الشفاء في القرآن الكريم معنويّ، وفي الشراب مادّيّ.

وكذا في قوله تعالى: وإذا مَرِضتُ فَهوَ يَشفين ـ ٢٦ / ٨٠ .

يراد المرض البدنيّ.

ويَنصُركُم عَلَيهم ويَشفِ صُدورَ قَوم مؤمنين ـ ٩ / ١٤.

أي يُخرج صدورهم عن تألّم الغيظ على الكافرين حتّى يحصلَ التشفّي لهم.

فظهر أنّ القرآن الكريم نسـخة جامعة سماويّة، فيه شفاء لما في القلوب مـن الانحطاطات والظلمات، فإنّ القرآن لا ريب فيه هدى للمتّقين، ومن أراد أن يحـفظ نفسه ويتّقي في صراط الإنسانيّة: لابدّ وأن يستفيد من هدايته ويسترشد بهُداه، وهو يهدي إلى جميع مراتب الحقائق ومراحل الكمالات الإنسانيّة إلى ما لا نهاية له.

* * *

شقّ:

مصبا ـ شـققته شَقّاً من باب قتل، والشقّ بالكسر: نصف الشيء. والشِّـقّ: المشـقّة: والشِّقّ: الجـانب. والشِّقّ: الشَّـقيق. وجمع الشقيق أشِقّاء. والشَّقّ بـالفتح: انفراج في الشيء، وهو مصدر في الأصل، والجمع شقوق. وانشقّ الشيء: إذا انفرج فيه فرجة. وشقّ الأمر علينـا يشُقّ من باب قتل أيضاً، فهو شـاقّ، والمشـقّة منه. وشَقّت السَّـفْرة أيضاً، وهي شقّة شاقّة إذا كانت بعيدة. والشُّـقّة من الثياب، والجمع شُـقَق. وشاقّه مُشاقّة وشـقاقاً: خالفـه، وحقيقـته أن يأتي كلّ منهما ما يشـقّ على صاحبه، فيكون كلّ منهما في شِقّ غير شِقّ صاحبه.

مقا ـ شقّ: أصل واحد صحيح يدلّ على انصداع في الشيء، ثمّ يُحمل عـليه ويشتقّ منه على معنى الاستعارة. تقول شققت الشيء أشُقّه شقّاً، إذا صدَعْتَه. وبيده شقوق، وبالدابّة شُقاق، والأصل واحد. والشِّقّة: شظيّة تُشظّى من لوح أو خشبة. ومن الباب: الشِّقاق وهو الخلاف، وذلك إذا انصدعت الجماعة وتفرّقت، يقال شَقّوا عصا المسلمين، وقد انشقّت عصا القوم بعد التئامها، إذا تفرّق أمرهم. ويقال أصاب فلاناً شِقّ ومَشقة، وذلك الأمر الشديد، كأنّه من شدّته يشقّ الإنسان شقّاً. والشِّقّ أيضاً: الناحية من الجـبل. والشِّقّ: الشقيق، يقال هذا أخي وشـقيقي وشِقّ نفسي،

والمعنى إنّه مشبّه بخشبة جعلت شِقّين. والشُّقّة: مَسير بعيد إلى أرض نطيّة، تقول هذه شُقّة شاقّة. ومن الباب الشِّقشِقة: لَهاة البعير، وهي تسمّى بذلك لأنّها كأنّها منشقّة، ولذا قالوا للخطيب هو شِقشقة، فإنّما يشبّهونه بالفحل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الانفراج المطلق سواء كان مع حصول تفرّق أم لا وسواء كان في مادّيّ أو معنويّ، ويقال له في اللغة الفارسيّة ـ شكافتن.

وبلحاظ تحقّق الانفراج مع التفرّق: تطلق على مفاهيم ـ الجانب، النصف، الناحية، الشقيق، المشتق، وأمثالها.

وإن خِفتُم شِقاقَ بينهما فابعَثوا حَكماً ... يُوفِّق اللهُ بَينهما ـ ٤ / ٣٥.

أي إذا خِفتم حصول انفراج شديد مع التفرّق فيما بينهما من جهة المعنى وفي حياتهما وتواصلهما. ومعنى التوفيق هو إيجاد الوفاق في قبال الفراق والشقاق.

وإنَّ الَّذينَ اختلَفوا في الكتاب لَفي شِقاق بَعيد ـ ٢ / ١٧٦.

وإن تَولَّوا فإنَّما هُم في شِقاق ـ ٢ / ١٣٧.

وَيا قَوم لا يَجرِمنَّكُم شِقاقي أن يُصيبَكُم مثلُ ما أصابَ قَومَ نوح ـ ١١ / ٨٩.

بَل الَّذينَ كَفَروا في عِزَّة وشِقاق ـ ٣٨ / ٢.

فتحقّق الاختلاف في الكتاب، وحصول الشقاق والانفراج والخلاف ومفارقة النبيّ، والكفر بالله وبرسوله: توجب انفراجاً شديداً وتفرّقاً.

وبلحاظ مفهوم مطلق الانفراج والصّدع: تطلق على مفاهيم ـ الخلاف،

والطلوع، الخروج، الخرق، وأمثالها.

وأمّا مفهوم المشـقّة والصعوبة والعَناء: فإنّ الأمر الصـعب، يوجب صـدعاً ويوجد انفراجاً، ويرفع الجريان والنظم والاعتدال، فهو شاقّ وأشقّ.

ولَهُم عَذابٌ في الحَياة الدُّنيا ولَعذاب الآخرَة أشقّ ـ ١٣ / ٣٤.

فإنّ الصدع وإيجاد الاختلال والانفراج فيه أشدّ.

فإن أتممتَ عشراً فمن عِندك وَما أُريد أن أشُقَّ عَلَيك ـ ٢٨ / ٢٧.

أي أن أوجدَ اختلالاً وانفراجاً في جريان أمرك ونظم برنامجك عليك.

أو سَفَراً قاصِداً لاتَّبعوك ولكن بَعُدَت عَلَيهم الشُّقَّةُ ـ ٩ / ٤٢.

الشُّقّة فُعلة كاللُّقمة بمعنى ما يُشقّ به وما يحصل به الانفراج والصدع في الأمر الجاري ويوجب اختلالاً ومشقّة. والمراد من البُعـد ما بَعُـد عن الجريان والاعتدال واشتدّ الصدع وازداد الاختلال به ـ في شِقاقٍ بَعيد.

فالصَّدع والصعوبة متلازمان، ومبدؤهما الخروج عن جريان طبيعيّ.

وأمّا مطلق الشقّ فكما في: ثُمَّ شققنا الأَرضَ شَقّاً فأنبتنا فيها حَبّاً ـ ٨٠ / ٢٦.

وتَنشقُّ الأَرضُ ـ ١٩ / ٩٠.

فإذا انشقَّتِ السَّماءُ ـ ٥٥ / ٣٧.

إذا السَّماءُ انشقَّت ـ ٨٤ / ١.

فالمراد مطلق الصدع وحصول الانفراج.

ذلك بأنَّهُم شاقّوا اللهَ ورَسُولَه ومَن يُشاقِقِ اللهَ ورسولَه فإنَّ الله شَديدُ العِقاب ـ ٨ / ١٣.

التعبير بالمفاعلة يدلّ على استمرار الشقّ في خصوص الله تعالى ورسوله، أي في الدين والأحكام الإلهيّة وفي سبيل الحقّ وفي الارتباط فيما بينه وبين الله تعالى ورسوله. وهذا المعنى يلازم الخلاف والمعاداة، أي الخلاف من طريق إيجاد الانفراج مع التفرّق.

ونسبة المشاقّة إلى الله وإلى رسوله معاً: تدلّ على إرادة معنى مشترك موجود بينهما، ولا سيّما بلحاظ وصف الرسالة، فيراد معنى فيه تتحقّق الرسالة.

وأمّا نسبة المشاقّة إلى الله ورسوله دون الأحكام والدين: فلِلمبالغة، فكأنّ إيجاد الشَّقّ في الأحكام الإلٰهيّة، مشاقّة في الله ورسوله.

وهذا كما في قوله عزّ وجلّ - إن تَنصُروا اللهَ يَنصُرْكُم، إنَّهُم لَن يَضُرّوا اللهَ شَيئاً، إن تُقرِضوا الله قَرضاً حَسَناً يُضاعِفْه.

وتوضيح ذلك: إنّ الله تعالى متعالٍ عن عوالم المادّة والجسم والحدود، فلا يتصوّر فيه كونه متعلَّقاً لأمر مادّيّ أو مفعولاً به عمل، إلّا بنحو يناسب شأنه ويوافق مقامه، فيقال عرفت الله، أي عرفت صفاته الجماليّة، وصفاته الجلاليّة، وأسماءه الذاتيّة، والفعليّة، وأحكامه، ودينه.

فالذات سبحانه وتعالى: لا يمكن أن يكون متعلَّق المعرفة لإنسان محدود، وهكذا في مفاهيم ـ الشقّ، النصر، الضرر، القرض.

فظهر أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو مطلق الانفراج، وهذا المعنى يختلف من جهة الخصوصيّات باختلاف الموضوعات والموارد.

* * *

شقى:

مصبا ـ شقِي يشقَى شَقاء: ضدّ سعِد، فهو شَقِيّ، والشِّقوة والشَّقاوة إسم منه،

وأشقاه الله.

مقا ـ شقو: أصل يدلّ على المعاناة وخلاف السُّهولة والسَّعادة. والشِّقوةُ خلاف السَّعادة، ورجل شقيّ: بيّن الشَّـقاء والشِّقوة والشَّـقاوة. ويقال إنّ المشاقاة: المـعاناة والممارسة، والأصل في ذلك أنه يتكلّف العَناء ويَشق به. فإذا هُمِز تغيّر المعنى.

التهذيب ٩ / ٢٠٩ ـ قال الليث: شقِي شَقاوة وشَـقاءً وشِـقوةً. وقال غيره: شاقيت فلاناً مشاقاة: إذا عاشرته وعاشرك. والشَّقاء: الشدّة والعسر. وشاقيتُه: أي صابرته: ويقال شاقيت ذلك الأمر بمعنى عانَيته.

صحا ـ الشَّقاء والشَّقاوة: نقيض السعادة. وقرأ قتادة (في: غلبَتْ علينا شِقوتُنا) شِقاوتنا، بالكسر، وهي لغة. تقول: شَقِي الرجل، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، ويَشقىٰ، انقلبت في المضارع ألفاً لفتحة ما قبلها، ثمّ تقول يشقَيان، فيكونان كالماضي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل السعادة، أي حالة شدّة وعناء تمنع السلوك إلى الخير والصلاح والكمال، مادّياً أو معنويّاً، كما مرّ في السعد.

فالشَّقاء المادّي كما في: ما أنزَلنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقىٰ ـ ٢٠ / ٢.

أي يوجب عناء وشدّة وكلفة وعسرة في جريان حياتك، فإنّ حصول الشدّة والعناء في الظاهر من الحـياة يوجب المضـيقة والمحـدوديّة الروحيّة وسلب الشـوق والذوق والتوجّه إلى المعنويّات، ولازم للسالك إلى الله تعالى أن يكون في سعة من عيشه ورفاهية من حياته وعافية من بدنه: حتّى يستعدّ ويسهل له السلوك الروحانيّ.

وكذلك قوله تعالى: إنَّ هذا عَدوٌّ لَكَ ولِزَوجِك فَلا يُخرجَنَّكُما مِن الجَنَّةِ فَتَشقىٰ ـ ٢٠ / ١١٧.

أي بأن تنتقل إلى محيط مادّيّ خولط عيشه بالعناء والتزاحم والشدّة والإبتلاء، وحفّت ملاذّه بالمكاره، فالعائش فيه دائماً في كلفة وتعب ومشقّة وشقاء، فكيف يستطيع مع تلك الحالة وفي ذلك المحيط أن يسير في طريق روحانيّ، وما هو إلّا تكلّف ورياضة.

والشقاء الروحانيّ كما في: يَومَ يأتِ لا تَكلّم نفسٌ إلّا بإذنه فمِنهُم شَقيٌّ وسَعيد فأمّا الَّذينَ شَقُوا فَفي النّار لَهُم فيها زَفير وشَهيق ـ ١١ / ١٠٥.

فأنذرتُكُم ناراً تَلظَّى لا يَصْلاها إلّا الأشقَ ـ ٩٢ / ١٥.

فالشقيّ من كان على حالة مضيقة وعناء وشدّة روحيّة لا اقتضاء فيها إلى التوجّهات الروحانيّة والجذبات النورانيّة والارتباطات المعنويّة، بل لهم بمقتضى حالتهم هذه زفير وشهيق، أي من شدّة العناء ـ راجع السعد.

والشقاء المطلق كما في: قالَ اْهبِطا مِنها جَميعاً ... فإمّا يأتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمن اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُ وَلا يَشقىٰ ـ ٢٠ / ١٢٣.

وبَرّاً بِوالِدَتي ولَم يَجعَلْني جَبّاراً شَقِيّاً ـ ١٩ / ٣٢.

يراد نفي الشقاء في الحياة الدنيا والآخرة، فإنّ الهداية من الله تعالى تعمّ الجهتين، وحقّ الحياة في الدارين كلّ واحد منهما مربوط بالآخر، والآخرة لُبّ الدنيا وباطنها.

ونفي الشقاء المطلق في الحياتين: بأن تكون حياته الجارية مستديمة في الدنيا والآخرة على حالة تقتضي صلاحه وخيره وسعادته وسلوكه إلى ما هو كمال وعظمة

وجمال له، في كلّ مقام بحسبه.

ثمّ إنّ الشَّقاء في الآية الثانية: شقاوة فطريّة ذاتيّة. وفي الأُولى شقاوة مكتسَبة في أثر أعمال طالحة وحركات سيّئة. كما أنّ المراد منها في الآيتين قبلها شقاوة فعليّة متحصّلة من المرحلتين.

ولَمْ أكُن بدُعائك رَبِّ شَقيّاً ـ ١٩ / ٤.

وأدعو ربِّي عَسَى ألّا أكون بدعاء رَبّي شَقيّاً ـ ١٩ / ٤٨.

أي لم أكن في ما مضى على حالة عناء وكلفة ومضيقة عند طلب ربِّي ودعوتِه لتتحقّق الاستجابة والتوجّه إليّ. وأرجو فيما يأتي أيضاً أن أكون كذلك، وأن أدعوه في حالة إقبال وتوجّه واشتياق تقتضي الخير والصلاح.

ولايخفى أنّ الحالة المقتضية للخير المسمّاة بالسعادة، فطريّةً أو مكتسَبةً: أعظمُ مقدّمةٍ وأوسع مقام للسلوك إلى النجاح والفلاح والكمال. كما أنّ الحالة المقتضية للمضيقة والمحدوديّة والعناء، فطريّة أو مكتسَبةً: أشدّ سبب للخيبة والضلال.

ثمّ إنّ للشقاء مراتب، كما أنّ للسعادة مقامات، وأوّل مراتب الشقاء إذا غلبت جهة الشقاء على السعادة، كما أنّ أوّل مقامات السعادة إذا غلبت جهة السعادة على الشقاء، ومنتهى درجة كلّ منهما إذ انعدمت الجهة المقابلة وبقيت تلك الجهة خالصة بلا تزاحم.

وهذه المراتب في المكتسَبة منهما صحيحة متحقِّقة، فتنتهي الشقاوة إلى درجة يصدق فيها قوله تعالى ـ خَتَمَ اللهُ عَلَى قلوبِهم وعَلَى سَمعهم.

وأمّا الفطريّة: فلا يمكن أن تنتهي إلى تلك الدرجة، وإلّا لم يصحّ تعلّق التكليف الإلٰهيّ، لعدم اقتضاء الحالة الشقيّة الصرفة أن تُوجَّه إلى خير وفلاح.

وأيضاً إنّ الخَلق والتكوين لازم أن يكون خيراً في نفسه، فإنّ التكوين فيض وظلّ من رحمته وأثر من تجلّي صفاته وظهور من إحسانه، ولا يمكن ظهور شرّ من حيث هو وفي نفسه من مبدأ الجلال والجمال والرحمة.

وتوضيح ذلك: أنّ تلك المراتب في الشقاء مفروضة إذا نسبت إلى ما فوقها وأمّا إذا فرضت في أنفسها ومن حيث هي: فلا يكون شرّ فيها، فإنّ مراتب الخير تكون مختلفة بحسب الشدّة والضعف، كما في الظروف المختلفة سعةً وضيقاً، فكلّ منها في نفسه مطلوب وفي مورده خير ومستحسن ـ فَسالَتْ أودِيةٌ بقَدَرِها، إنّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْناهُ بقَدَر، ما خَلَقْنا السَّماواتِ والأَرْضَ وَما بينَهُما إلّا بالحَقّ.

* * *

شكر:

مصبا ـ شكرت الله: اعترفت بنعمته وفعلت ما يجب من فعل الطاعة وترك المعصية، ولهذا يكون الشكر بالقول والعمل، ويتعدّى في الأكثر باللّام، فيقال شكرت له شُكراً وشُكراناً، وربّما تعدّى بنفسه، فيقال شكرته، وأنكره الأصمعيّ في السعة وقال بابه الشعر. وتشكّرت له مثل شكرت له. وشَكر المرأة: فرجها، والجمع شِكار. وقد يطلق على النكاح.

مقا ـ شكر: أُصول متباينة بعيدة القياس. فالأوّل ـ الشُّكر: الثناء على الإنسان بمعروف يُوليكَه. ويقال إنّ حقيقة الشكر الرضا باليسير، يقولون فرس شَكور إذا كفاه لسمنه العلفُ القليل. والثاني ـ الامتلاء والغُزر في الشيء، يقال حَلوبة شَكِرة إذا أصابت حَظّاً من مَرعى فغزرت، ومن هذا الباب شكرت الشجرةُ إذا كثر فيئها. والثالث ـ الشَّكير من النبات، وهو الّذي يَنبت من ساق الشجرة، وهي قُضبان

غَضّة. والرابع ـ الشَّكر وهو النكاح، ويقال بل شَكر المرأة فرجها.

الفروق ٣٥ ـ الشُّكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم. والحمد: الذِّكر بالجميل على جهة التعظيم ويصحّ بالنعمة وغير النعمة. والشاكر هو الذاكر بحقّ المنعم بالنعمة على جهة التعظيم. وأصل الشكر إظهار الحال الجميلة، فمن ذلك دابّة شكور إذا ظهر فيه السمن مع قلّة العلف. وأشكر الضرعُ: إذا امتلأ، وأشكرت السحابةُ: إمتلأت ماءً. والشَّكير قُضبان غَضّة تخرج رخصة بين القُضبان العاسية. والشَّكير من الشَّعر والنبات: صغار نبت خرج بين الكبار. والشَّكر: بضع المرأة. والشُّكر: على هذا الأصل: إظهار حقّ النعمة لقضاء حقّ المنعم، كما أنّ الكفر تغطية النعمة لإبطال حقّ المنعم.

مفر ـ الشُّكر: تصوّر النعمة وإظهارها. قيل وهو مقلوب عن الكَشْر أي الكشف، ويضادّه الكفر وهو نسيان النعمة وسترها.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إظهار التقدير والتجليل في قبال نعمة ظاهريّة أو معنويّة تصل إليه من المنعِم. ويقابله الكُفران وهو ستر النعمة وعدم التقدير في مقابل إنعام المنعم.

ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى: أن أشكُرَ نعمتَك الَّتي أنعمتَ عَلَيَّ، هذا مِن فَضل رَبِّي لِيَبْلُوَني أأشكُر أم أكفُر، وَلَقَد آتَينا لُقمانَ الحكمَةَ أنِ اْشكُرْ لله.

وإظهار التقدير أعمّ من أن يكون باللسان أو بالعمل.

وأمّا مفاهيم ـ الامتلاء والنكاح وما ينبت من الساق: فمن باب الشكر العمليّ،

أي إظهار تقدير وتجليل عملاً وبلسان الحال عن وجود نعمة متحقّقة، كنموّ نبات يشعر بالقوّة والحياة النباتيّة. وظهور امتلاء ووفور في شيء مشعر بوجود مرتبة وجوديّة فيه. وتجلّي جمال وزينة باطنيّة بإظهار التزويج وطلب المزاوجة. ففي كلّ من هذه الموارد تقدير وتجليل عن نعمة موجودة في الشيء عملاً وبلسان الحال، وهذا القيد مأخوذ في كلّ من هذه الموارد المستعملة فيها.

ثمّ إنّ في تحقّق حقيقة الشكر آثاراً مفيدة ونتائج مادّية ومعنويّة:

١ ـ التوجه إلى جهة الفقر والاحتياج والضعف لنفسه: فيحتاج دائماً إلى النعم والآلاء والفيوضات من جانب المنعم:

أنشأ لَكُم السَّمعَ والأبصارَ والأفئدَةَ قَليلاً ما تَشكرون ـ ٢٣ / ٧٨.

وأيدكُم بنصره ورزقَكُم من الطيِّبات لَعَلَّكُم تَشكرون ـ ٨ / ٢٦.

كُلوا مِن رزق رَبّكُم واشكُروا لَه ـ ٣٤ / ١٥.

٢ ـ التوجّه إلى النعم المتوجّهة والآلاء الفائضة والفيوضات الواصلة: لئلّا يغفل عن الألطاف والمراحم والخيرات المتعلّقة به، حتّى يتهيّأ للاستفادة منها ويستعدّ للاستفاضة منها في سبيل الفلاح والنجاح:

فابتَغوا عِندَ اللهِ الرِّزقَ واعبُدوهُ واشكُروا لَه ـ ٢٩ / ١٧.

رَبِّ أوزِعني أن أشكُرَ نعمتك الَّتي أنعمتَ عَلَيّ ـ ٢٧ / ١٩.

٣ ـ الاستفادة من النعم وصرفها في طريق سعادته وكماله: حتّى تكون هذه النعم في حقّه رحمة ونعمة وخيراً، لا نقمة وشرّاً وعقوبةً يستعان بها ويتوسّل إليها في تحصيل الشقاء والردى والحياة الدنيا:

إنّا هَديناه السَّبيلَ إمّا شاكراً وإمّا كَفوراً ـ ٧٦ / ٣.

كَذلِك نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَوم يَشكرون ـ ٧ / ٥٨.

٤ ـ التقدير والتجليل عن المنعِم في إنعامه وإظهار هذا المعنى: وهذا هو الشكر، والشكر يوجب جلب اللّطف والمرحمة، ومزيد النعمة والرحمة، والعملَ بالوظيفة والفريضة العقليّة والشرعيّة في قبال المنعم وإنعامه، وأداءَ حقّ العبوديّة والتنعم: وإذ تأذّنَ ربّكُم لَئن شَكَرتُم لأزيدَنَّكُم ـ ١٤ / ٧.

بَل الله فاعبُد وكُن مِنَ الشّاكِرين ـ ٣٩ / ٦٦.

ولَهُم فيها مَنافعُ ومَشارب أفَلا يَشكرون ـ ٣٦ / ٧٣.

٥ ـ مرجع التقدير ونتيجته: هو صرف النعمة في سبيل إطاعة المنعم ورضاه، وموافقٍ برنامج دينه، وعلى طبق ما يلزم له في السلوك إلى الفلاح والكمال، ويحترز على خلاف رضاه وعن صرف نعمه في عصيانه وفيما يبغضه.

سواء كانت هذه النعم ظاهريّة أو معنويّة، وداخليّة أو خارجيّة.

فالداخلية الظاهريّة: كالأعضاء والجوارح والقُوى والحواسّ البدنيّة:

وجَعَلَ لَكُم السَّمعَ والأبصارَ والأفئدَةَ لَعَلَّكُم تَشكرون ـ ١٦ / ٧٨.

والداخليّة المعنويّة: كالقُوى والحواسّ الباطنيّة والعقل والروح، وكلمةُ الأفئدة في الآية تشمل القوى والحواسّ الباطنيّة.

والخارجيّة المادّية: كالكواكب والهواء والماء والجمادات والنباتات والحيوان والفواكه واللحوم وغيرها: كُلوا مِن طيِّبات ما رَزقناكُم وآشكروا لِلهِ ـ ٢ / ١٧٢.

ولتَجريَ الفُلكُ بأمره ولتَبتَغوا مِن فَضله ولَعَلَّكُم تَشكرون ـ ٣٠ / ٤٦.

والخارجيّة المعنويّة: كالهداية والتوفيق وبعث الأنبياء وإنزال الكتب وإيتاء

المعرفة والحكمة والإفاضات الروحانيّة: وَلَقَد آتَينا لُقمانَ الحكمةَ أن اشكُر لِلّهِ ـ ٣١ / ١٢.

كَذلك نُصرِّفُ الآيات لقَوم يشكرون ـ ٧ / ٥٨.

وَلكن يُريد ليُطهِّركُم وليُتِمّ نعمتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تشكرون ـ ٥ / ٦.

فللشكر مراتب:

الأوّل ـ إظهار باللسان، وتشكّر قوليّ.

الثاني ـ إظهار باللسان وتصديق بالجنان.

الثالث ـ إظهار بالأركان وتشكّر بالعمل، وهو صرف النعمة في سبيل الطاعة، وعلى ما يوافق رضاه، ويقتضيه الخضوع والعبوديّة، ويدلّ على التقدير والتجليل.

ولا يخفى أنّ الشكر مرجعه إلى تجليل النفس والتقدير والتعظيم لنفس الشاكر، فإنّ النعمة واردة في خصوص الشاكر ولتنعّمه، فإذا استفاد منها وصرفها في موردها المناسب بها: فقد أخذ منها حظّه الوافر، وانتفع منها في طريق تكميل نفسه وترضية ربّه وتكثير نعمته ورزقه.

ومَن شَكَرَ فإنّما يشكُر لِنفسه ومَن كَفَرَ فإنَّ رَبّي غنيٌّ كَريم ـ ٢٧ / ٤٠.

وَلَقَد آتَينا لقمانَ الحكمة أن اشكُر لِلّه ومَن يَشكُرْ فإنَّما يَشكُرُ لِنَفسه ومَن كَفَرَ فإنَّ الله غَنيّ حَميد ـ ٣١ / ١٢.

فإنّ منتهى مراتب الخضوع والعبوديّة هو كمال الإنسان.

وأمّا حقيقة الشاكريّة من صفات الله عزّ وجلّ: فإنّ حقيقة الشكر كما قلنا، عبارة عن إيقاع النعمة وإجرائها في موردها الّذي لوحظ صرفها فيه، فيكون صرفها وجريانها الخارجيّ على وفق صدورها، منطبقاً على الغرض والمقصود من صدورها.

ولمّا كان العمل الخالص لله من العبد، صادراً في جهة الله تعالى وفي جهة تحصيل رضاه وإطاعة أمره، ولتعظيمه وتجليله وتكبيره: في نظر العبد وفي ظاهر الأمر: فيتصوّر في الظاهر وعلى اعتقاد العبد، أنّ هذا العمل قد صدر من العبد بنظر الخدمة لله تعالى، فكأنّه هديّة إليه معطىً من العبد، وقد عمل عمله لله وبنيّة الله، فهو تعالى يشكر له طبق نيّته.

أو أنّ العمل إذا صدر في جهته تعالى، تقرّباً إليه أو حبّاً له أو خدمة إلى عبيده أو إطاعة لأمره أو لغرض آخر ينتهي إليه: فيكون ذلك العمل محتَسباً له وفي وجهه وعلى سبيله، فالله تعالى يتقبّله ويشكر له، فهو الشاكر.

فالله تعالى شاكر للعبد إذا عمل عملاً ينوي فيه وجه الله بأيّ نحو كان، ويتقبّل منه ذلك العمل، ويحسبه واقعاً على ما نوى:

ومَن تَطوّعَ خَيراً فإنّ الله شاكرٌ عَليم ـ ٢ / ١٥٨.

ومَن يقترِفْ حَسَنَة نَزِدْ لَهُ فيها حُسناً إنّ الله غَفور شَكور ـ ٤٢ / ٢٣.

وكانَ سَعيُهُم مَشكوراً، ليُوفِّيهم أُجورَهُم ويَزيدَهُم مِن فَضله إنّهُ غَفور شَكور ـ ٣٥ / ٣٠.

* * *

شكس:

مصبا ـ شَكِس شَكَساً وشَكاسَة فهو شَكِسٌ مثل شَرِس شَراسة فهو شَرِس، وزناً ومعنىً.

مفر ـ الشَّكِس: السيّئ الخُلُق. وقوله ـ شُركاءُ متشاكِسون، أي متشاجرون لشَكاسَة خُلُقهم.

الاشتقاق ٣٢١ ـ شَكِس فعيل من قولهم ـ رجل شَكيس الخُلق، وتشاكسَ علينا، وهي الشَّكاسة، إذا تعسَّر.

صحا ـ رجل شَكْس بالتسكين: أي صعب الخُلق. وقوم شُكس مثال رجل صَدْق وقوم صُدق. وقد شَكِس شَكاسَة. وحكى الفرّاء ـ رجل شَكِسٌ، وهو القياس.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العَسَر والصعب في جريان عمل أو خُلق. والتشاكس لمطاوعة المفاعلة، ويدلّ على الاستمرار، فالمتشاكِس هو الّذي يُصاعب ويُعاسر في عمله وجريان أمره. ويقابله التسالم والتساهل. ونتيجة الشَّكَس: حصول الخلاف والتشتّت والاضطراب.

ولا يخفى أنّ موادّ ـ الشكس والشأس والشرس والشمس والشخس والشوس، ممّا فيه حرفا الشين والسين، مشتركة في مفهوم الغلظة والصعوبة، وفي الشكس شدّة زائدة بمقتضى لفظه وبحرف الكاف.

ضربَ اللهُ مَثَلاً رَجلاً فيه شُركاءُ مُتشاكِسونَ ورَجلاً سَلَماً لرجلٍ هَل يَستويانِ مثلاً ـ ٣٩ / ٢٩.

أي عدّة من الأفراد يشتركون في إدارة أُمور هذا الرجل ويداخلون في جريان أعماله، وهم يعاسرون ويصاعبون في رأيهم وإجراء نظرهم، فلا بدّ من حصول الاختلاف بينهم وبين هذا الرجل، بل وحصولِ الخلاف بين هؤلاء الشركاء أيضاً، فهذا الرجل كمن اتّخذ أهويته ومشتهيات نفسه وأصناماً أُخر آلهة له يتّبعها، فهو دائماً في اضطراب وتحيّر ومضيقة وتردّد لايدري أين مسلكه وفيمَ مسيره وإلى أين يذهب.

وأمّا الرجل الآخر فهو سِلم ومتّبع رجلاً اتّخذه وليّاً واعتقد بأهليّته وبصلاح نيّته وبخلوص سريرته، فهو على راحة وسعة واطمينان.

فهذان الرجلان كالمؤمن الموحّد، والمشرك المتحيِّر المتردِّد.

ثمّ إنّ الشرك له مراتب، وكلّما ضعفت مرتبة الشرك: قوي مقام التوحيد، وكلّما اشتدّ التوحيد والإخلاص: اشتدّ مقام الطمأنينة.

* * *

شكّ:

مصبا ـ الشكّ: الارتياب، ويستعمل لازماً ومتعدّياً بالحرف، فيقال شكّ الأمرُ يَشكّ شكّاً: إذا التبس، وشككت فيه، قال أئمّة اللغة: الشكّ خلاف اليقين، وهو التردّد بين شيئين سواء استوى طرفاه أو رجّح أحدهما على الآخر. وشككته بالرمح شكّاً: طعنته. وشكّ القوم بيوتَهم: جعلوها مصطفّة متقاربة،ومنه يقال شكّت الأرحام: إذا اتّصلت، وكلّ شيء ضممته فقد شككته.

مقا ـ شكّ: أصل واحد مشتقّ بعضه من بعض، وهو يدلّ على التداخل، من ذلك قولهم ـ شككته بالرمح، وذلك إذا طعنته فداخلَ السنان جسمَه. ومن هذا الباب الشكّ الّذي هو خلاف اليقين، إنّما سمّي بذلك لأنّ الشاكّ كأنّه شكّ له الأمران في مَشَكّ واحد وهو لا يتيقّن واحداً منهما. ومن ذلك اشتقاق الشكّ، تقول شككت بين ورقتين إذا أنت غرزت (أي أدخلتَ) العُود فيهما فجمعتَهما. ومن الباب الشِّكّة وهو ما يلبَسه الإنسان من السِّلاح، يقال هو شاكّ في السلاح، لأنّه يُشكّ به، أو لأنّه كأنّه شُكّ بعضه في بعض. والشَّكائك: الفِرَق من الناس، والواحدة شَكيكة، وإنّما سمّيت بذلك: لأنّها إذا افترقت فكلّ فرقة منها يداخل بعضُهم بعضاً.

مفر ـ الشكّ: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين، أو لعدم الأمارة فيهما. والشكّ قد يكون في الشيء هل هو موجود أو غير موجود، وربّما كان في جنسه من أيّ جنس هو، وربّما كان في بعض صفاته، وربّما كان في الغرض الّذي لأجله أُوجِدَ. والشكّ ضرب من الجهل وهو أخصّ منه: لأنّ الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً، فكلّ شكّ جهل، وليس كلّ جهل شكّاً. واشتقاقه إمّا من شككت الشيء أي خرقته. ويصحّ أن يكون مستعاراً من الشكّ وهو لصوق العضد بالجنب، وذلك أن يتلاصق النقيضان.

أسا ـ رجل شَكّاك من قوم شُكّاك، وشكّكني أمرك وتشكّكت فيه، وهذا ممّا ينفي الشكوك، وشكّ عليّ الأمر إذا شككت فيه، وشكّه بالرمح: خرقه وأدخله اللحمَ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الجِدّ والقاطعيّة في حكم أو عمل أو جريان أمر. فمن ذلك الشكّ في عقيدة وحكم، وهو إذا لم يقطع في حكمه ولم يحصل له فيه يقين وقاطعيّة، وهذا معنى عرفيّ لا يحتاج إلى الدقّة حتّى يقال بلزوم المساواة التحقيقيّة بين طرفي الشك وعدم وجود أدنى رجحان في البين. كما أنّ المناط في الظنّ أيضاً هو الرجحان العرفيّ.

ومن ذلك: الشكّ وفقدان الجِدّ والقاطعيّة في المحاربة، إذا توسّل إلى لُبس السِّلاح وجعل نفسه مستوراً ومَحفوظاً به، لا مطلقاً.

ومن ذلك: الخَرق لشيء إذا أوجب نفي القاطعيّة المتوقَّعة منه.

ومن ذلك: الضرب بالرمح إذا أوجب التوقّف في جريان أمره وحياته.

ومن ذلك: الشكائك لِفرق متفرّقة مختلفة خرجوا عن سبيل الهدى وتحيّروا في

مسيرهم وضلّوا وأضلّوا.

ومن ذلك: الخروج عن الاستقلال والقاطعيّة في جهة السكنى، وانضمام بعضهم على بعض لكي يحصل لهم الأمن والاستقرار.

فقيد نفي القاطعيّة وفقدان الجدّ مأخوذ في جميع هذه الموارد.

وسبق في الردّ والريب: ما يبيّن حقيقتهما ـ فراجع.

ولا يخفى أنّ وجود الشكّ هو المانع الفرد عن الوصول إلى أيّ خير وكمال، سواء كان في المعارف الإلهيّة أو في مراحل السلوك وتهذيب النفس أو في الأحكام والوظائف الشرعيّة أو في الآداب العرفيّة: فإنّ حقيقة القاطعيّة والجدّ هي الإقدام والعمل والمجاهدة والحركة، كما أنّ أثر الشكّ هو التوقّف والتحيّر والسكون والاختلاف:

وإنَّ الَّذينَ اختَلفوا فيه لَفي شَكّ مِنه ـ ٤ / ١٥٧.

بَل هُم في شَكّ مِنها بَل هُمْ مِنْها عَمُون ـ ٢٧ / ٦٦.

وإنّا لَفي شَكّ مِمّا تَدعونَنا إليه مُريب ـ ١٤ / ٩.

بَل هُم في شَكّ يَلعبون ـ ٤٤ / ٩.

فللرجل العاقل المسؤول: أن يجتهد في إزالة شكّه وتحصيل العلم واليقين، حتّى يخرج عن وادي الحيرة والجهل والغفلة، وينتهي إلى صراط الإيمان والطمأنينة والقاطعيّة، ويسلك إلى منزل الفلاح والسعادة الأبديّة.

قالَتْ رُسُلهم أفي الله شَكّ فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْض ـ ١٤ / ١٠.

وَما كان لَهُ عَلَيهم مِن سُلطان إلاّ لِنَعلَم مَن يؤمِنُ بالآخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنها في شَكّ ـ ٣٤ / ٢١.

فإنّ من لم يحصل له إيمان واطمينان وهو في شكّ: فلابدّ أنّه يتّبع كلّ شيطان مريد، ويميل إلى أيّ طريق منحرف ـ فاتَّبَعوه إلّا فَريقاً مِن المؤمنين.

ومن العجب أنّ هؤلاء الجهّال الغافلين عن حقيقة سعادتهم: يزعمون أنّ الشكّ هو الحجّة لهم في توقّفهم، ويستدلّون في إنكارهم وجحودهم وكفرهم بأنّهم كانوا في شكّ:

قالوا يا صالحُ قَد كُنتَ فينا مَرجُوّاً ... وإنَّنا لَفي شَكٍّ مِمّا تَدعونا إلَيه مُريب ـ ١١ / ٦٢.

وإنّهم غافلون عن أنّ الشكّ كالجهل، وللعاقل المتنبّه أن يجتهد في رفع جهله وحجابه وظلمته، ولا يَسكن على مرض الجهالة والغفلة، ويلزم له أن يعالج داءَ نفسه بدواء العلم والمعرفة والإيمان.

وكلّما كان الشكّ في اُمور وحقائق أصيلة أو في اُمور كلّيّة: فهو أهمّ ومحذوره أشدّ وداؤه أعضل، وإذا كان في فروع الاُمور والمسائل أو في اُمور جزئيّة: فرفعه أسهل ومعالجته أيسر ومحذوره أقلّ:

أفي الله شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْض ـ ١٤ / ١٠.

فإنّه أوّل الأوائل وأعرف الاُمور ومبدأ الوجود وأصل الاُصول وفاطر السماوات والأرض، فكيف يجوز لأحد أن يجهله ويشكّ فيه، فإنّه جهل بجميع العالم وشكّ في قاطبة مراتب الوجود، بل وشكّ بنفسه وبوجوده، ومن شكّ في نفسه فهو في أدنى مراتب الجهل وفي أسفل منازل الظلمة والمحجوبيّة.

* * *

شكل:

مصبا ـ الشِّكال: للدابّة معروف، وجمعه شُكُل، وشكلته شكلاً من باب قتل:

قيّدتُه بالشِّكال. وشكلت الكتابَ شكلاً: أعلمته بعلامات الإعراب، وأشكلته: لغة. وأشكل الأمرُ: التبس. وأشكل النخل: أدرك ثمُره. والشَّكل: المثل، يقال هذا شكل هذا، والجمع شُكول، وقد يجمع على أشكال، ويقال إنّ الشَّكل: الّذي يُشاكل غيره في طبعه أو وصفه، وهو يُشاكله أي يشابهه. وامرأة ذاتُ شِكل أي دَلّ (وهو التغنّج والتلوّي). والشُّكلة كالحُمرة وزناً ومعنىً، ولكن يَخلطها بياض.

مقا ـ شكل: معظم بابه المماثلة. ومنه يقال أمر مشكل، كما يقال أمر مشتبه، أي هذا شابَه هذا، وهذا دخلَ في شَكل هذا، ثمّ يحمل على ذلك فيقال شكلتُ الدابّة بشِكاله، وذلك أنّه يجمع بين إحدى قوائمه وشكل لها. وعين شَكلاء إذا كان في بياضها حمرة يسيرة. ويسمّى الدم أشكل، للحُمرة والبياض المختلطين منه، وهو من الباب الّذي ذكرناه في إشكال هذا الأمر، وهو التباسه، لأنّها حمرة لابَسها بياض، وأشكل النخلُ، لأنّه قد شاكل التمر في حلاوته ورطوبته وحمرته.

فأمّا قولهم ـ شكلت الكتابَ أشكُله شَكلاً: إذا قيّدته بعلامات العربيّة والإعراب: فلست أحسبه من كلام العرب العاربة، وإنّما هو شيء ذكره أهل العربيّة. وممّا شذّ عن هذا الأصل: شاكِلُ الدابّة وشاكلتُه، وهو ما علا الطِّفطِفة منه. وقال قُطرب: هو ما بين العذار والأُذن من البياض. وممّا شذّ أيضاً: الشَّكلاء وهي الحاجة.

مفر ـ المشاكلة: في الهيئة والصورة. والنِّدُّ: في الجنسيّة. والشَّبَهُ في الكيفيّة. وآخرُ من شَكلهِ أزواج ـ أي مثلُه في الهيئة وتعاطي الفعل. والشَّكل: قيل هو الدُّلّ، وهو في الحقيقة الانس الّذي بين المتماثلين في الطريقة، ومن هذا قيل الناس أشكال وأُلّاف. وأصل المشاكَلة من الشكل أي تقييد الدابّة. وقوله: كُلٌّ يَعمل عَلى شاكِلته ـ أي على سجيّته الّتي قيّدته، وذلك أنّ سلطان السجيّة على الإنسان قاهر.

الفروق ـ ١٢٧ ـ الفرق بين المِثل والشَّكل: أنّ الشكل هو الّذي يُشبه الشيء في أكثر صفاته حتّى يُشكل الفرق بينهما، ولا يستعمل الشكل إلّا في الصُّوَر، فيقال هذا الطائر شكل هذا الطائر، ولا يقال الحلاوة شكل الحلاوة. ومِثل الشيء: ما يماثله وذاته.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصورة مع التوجّه إلى خصوصيّاتها. وهذا المعنى في كلّ شيء بحسبه، مادّيّة أو معنويّة.

فالتشكّل في التمر أو ثمرةٍ أخرى: إنّما يتحقّق بكمال يَنعه وإدراكه، حتّى تظهر خصوصيّات صورته وتتبيّن ما فيه من اللون والظرافة والطراوة وغيرها.

والشكل في الكتاب: بتبَيُّن خصوصيات صورة الكتاب والكلمات بالحركات.

وعين شكلاءُ وامرأة ذات شِكل: إذا كانت لها صورة مخصوصة زائدة على صورتها الطبيعيّة، كالحمرة الجالبة المتجلّية.

والشِّكال في الدابّة: بمناسبة بروز صورة مخصوصة عارضة لها.

هذا وإنَّ لِلطاغينَ لَشرَّ مَآب جَهَنَّم يَصلونها فَبئسَ المِهاد هذا فليَذوقوه حَميمٌ وغَسّاق وآخَرُ مِن شَكله أزواج ـ ٣٨ / ٥٨.

أي هذا جريان أمر أهل التقوى وحالهم، وأمّا الّذين لم يتّقوا بأنفسهم وطغوا في صراط الحقّ وعن الحقيقة فهم ينتهون إلى منزل شرّ ويَصْلون جهنّم ويستقرّون فيها، هذا جريان أمرهم وخصوصيّات حالتهم، وهم في جريان حارّ ومظلم، وجريان آخر من هذا الشكل، أي حالة شبيهة بهذا الجريان وبخصوصيّاته، كالمضيقة والكدورة وغيرها.

قُل كُلٌّ يَعمَلُ عَلى شاكِلَته فربّكُم أعلمُ بِمَن هُوَ أهدىٰ سَبيلاً ـ ١٧ / ٨٤ .

الشاكِلة: الهيئة الإجماليّة ذات خصوصيّات ظاهريّة، أو الطبيعة الباطنيّة الّتي تقتضي تشكّلاً مخصوصاً في الصورة، فإنّ الشكل الصوريّ أثر ما في الباطن من الصفات والطبايع، فإنّ الإناء يترشّح بما فيه، والأعمال الظاهريّة ترشّحات ممّا في الباطن، ولا يمكن إصلاح العمل من دون إصلاح القلب وتزكيته وتهذيبه.

ومراتب الاهتداء تختلف باختلاف مراتب التزكية، وكلّما ازدادت التزكية: إزداد الاستعداد للاهتداء ـ فربُّكُم أعلَمُ بِمَن هُوَ أهدىٰ .

* * *

شكو :

مصبا ـ شكوته شَكواً من باب قتل، والإسم شَكوَى، وشِكايةً وشَكاةً، فهو مَشكوّ ومَشكيّ، واشتكيت منه، والشَّكيّة إسم للمشكوّ، مثل الرَّميّة إسم للمَرميّ، والشَّكيّ الشاكي، والشَّكيّ المشكوّ، وأشكيته: فعلت به ما يُحوج إلى الشَّكوى، وأشكيته: أزلت شكايته، بالهمزة للسلب، مثل أعربته.

مقا ـ شكو: أصل واحد يدلّ على توجّع من شيء، فالشَّكو المصدر، شكوته شَكواً وشَكاة وشِكاية. وشكوت فلاناً فأشكاني، أي أعتبني من شَكواي، وأشكاني إذا فعل بك ما يُحوجك إلى شكايته. والشَّكاة والشِّكاية بمعنى. شكوته فهو شَكيّ ومَشكوّ.

صحا ـ شكوت فلاناً أشكوه شَكواً وشِكاية وشَكيّة وشَكاة: إذا أخبرتَ عنه بسوء فعله بك، فهو مَشكوّ ومَشكيّ، والإسم الشَّكوى، واشتكى عضواً من أعضائه، وتشكّى: بمعنىً، أي اتّخذ شَكوة. قال الفرّاء: المِشكوة: الكُوّة الّتي ليست بنافذة.

ورجل شاكي السِّلاح إذا كان ذا شوكة وحِدّة في سِلاحه. قال الأخفش: هو مقلوب من شائك.

الجمهرة ٣ / ٦٩ ـ الشَّكوة والشَّكو: سِقاء صغير يعمل من مَسك حَمَل صغير، (المَسك: الجِلد أو قطعة منه. والحَمَل: الضَّأن الصغير)، والشَّكو: الحَـمَل الصـغير، والشَّكو: مصدر شكوته أشكوه. وشكوت فلاناً فأشكاني، أي أعتَبني من شكواي، ويقال أشكاني فلان أيضاً، إذا حملك على أن تشكوه، فكأنّه عندهم من الأضداد.

المعرّب ـ ٣٠٣ ـ قال ابن قتيبة: المِشكاة: الكوّة بلسان الحبشة. غيرُه: كلّ كوّة غيرِ نافذة فهي مِشكاة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إظهار التألّم عمّا يواجهه ممّا لا يلائم، من خُلق سيّئ أو عمل غير صالح أو قول فاحش.

وقد يكون إظهار التألّم: عمّا لا يلائم في بدنه ومزاجه وأخلاق نفسه، فيشكو بالتألّم عن هذه الأُمور في نفسه.

وأمّا الإشكاء: فهو بمعنى جعل شخص شاكياً وذا شكاية، وهـذا المـعنى إذا أطلق في مورد فيه شكاية وهو شاكٍ: فيكون كالنفي في النفي ويفيد إثباتاً، فإنّ جعل شخص وهو في حال الشـكاية، ذا شكاية وشاكياً ثانياً معناه سلخ الشـكاية عـنه وتبديل حالته وإزالة ما فيه. فهذا ليس من الأضداد ولا بمعنى الإعتاب والإزالة.

وأمّا الشكو بمعنى السقاء الصغير يعمل من مَسك: فكأنّه مَظهر التألّم عن فقدان الماء أو المواجهة بالعطش وقلّة الماء.

وكذلك المِشكوة إذا قلنا بكونها مأخوذة من هذه المادّة العربيّة على وزان مِفعَلة كالمِكنسة والمِرماة: فإنّ وضع المصباح في مشكوة، يدلّ على وجود ما لا يلائم الإصباح، من جريان ريح أو مانع آخر، فالمشكوة مظهر التألّم وآية وجود ما لايلائم، وبها يدفع ومنها تستفاد في مورده.

وأمّا إذا أخذت عن لغة اُخرى كالحبشيّة أو غيرها: فتكون واضحة.

والحبَشة واقعة في الشرق من أفريقيّة في الجهة الغربيّة من اليمن، ويطلق عليها أثيوبيّة، ولغتها كانت مؤلّفة من العربيّة ومن الساميّة.

قَد سَمِعَ اللّهُ قَولَ الَّتي تُجادلُك في زَوجها وتَشتَكي إلى الله ـ ٥٨ / ١.

الاشتكاء افتعال ويدلّ على المطاوعة واختيار الفعل، أي وتختار الشكوى وتقصد الشكاية وتشكوه مريدة ومع التوجّه.

قالَ إنَّما أشكو بَثّي وحُزني إلى الله ـ ١٢ / ٨٦.

يريد يعقوبُ عليه السّلام إنّما اُظهر تألّمي في مورد النشر والتفرّق والإضطراب في أفكاري وتحزّني في المواجهة بهذه الاُمور إلى الله تعالى، وهو وليّ أموري وبيده جريان الحوادث والوقائع وأزمّة الاُمور.

ولا يخفى أنّ إظهار الحزن والتألّم إلى الله تعالى: لا ينافي موضوع الرضا في الله تعالى، فإنّ التألّم أمر واقعيّ محقّق لا ينكر، وإظهاره إلى الله عبارة عن التوجّه إليه والإستغاثة منه وطلب العافية والفراغ منه، وهذا المعنى يجتمع مع الرضا والوفاق والصبر في قبال حكم الله تعالى.

مضافاً إلى أنّ الرضا لازم أن يكون في مقابل حكم الله وقَدَره، وهذا البثّ والحزن والابتلاء غير معلوم كونها من جانب الله تعالى.

اللّهُ نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ مَثلُ نورِهِ كمِشكْوةٍ فيها مِصْباح ـ ٢٤ / ٣٥.

يراد من الأرض عالم المادّة من أرضها وسمائها، ومن السماوات عوالم ما وراء المادّة من ملكوتها وجبروتها.

ويراد من النور ما به ظهور الموجودات وبقاؤها، فإنّ النور من حيث هو من أسماء الله تعالى، ولنوريّته عزّ وجلّ في مقام البسط مرتبتان: مرتبة تكوين وإيجاد، ومرتبة إبقاء وإدامة.

فالأوّل ـ هو الإفاضة الوجوديّة وبسط الوجود والتجلّي في مرتبة الذوات وخلق السماوات والأرض.

والثاني ـ هو الإفاضات الثانويّة بإدامة النظر التكوينيّ إليها في بقائها، وإعطاء حوائجها بالرحمة واللطف، وهدايتها إلى كمالاتها.

رَبُّنا الَّذي أعطىٰ كُلَّ شَيء خلقَه ثُمَّ هَدىٰ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلّا بالله.

فالنور بلحاظ كونه إسماً من أسمائه الجماليّة الحُسنىٰ: فهو صفة ذاتيّة، إذا لوحظ من حيث هو متّصفاً به الذات القدّوس السبّوح. وأمّا إذا لوحظ مطلق كونه نوراً وله ظهور وتجلّي وبسط: فيكون مصباحاً في زجاجة. وإذا لوحظ فيضاً منبسطاً ونوراً متجلّياً سارياً ظاهرةً به السماوات والأرض ومتنزّلاً في العوالم ومتنوّراً به عالم التكوين والوجود: فهو مشكوة.

وإن اهتدينا بأكثر من هذا المقدار: نشير إليه في عنوان ـ الصبح، والنور، والكوكب ـ فراجعها. والله هو الهادي.

* * *

شمت :

مقا ـ شمت: أصل صحيح، ويشذّ عنه بعضُ ما فيه إشكال وغموض. فالأصل

فرحُ عدوّ ببليّة تُصيب مَن يُعاديه، يقال شمِت به يشمَت شَماتة، وأشمته الله عزّ وجلّ بعدوه ـ فلا تُشمِت بِي الأعْـداءَ. ويقال بات فلان بليلة الشوامت، أي بليلة سَـوء تُشمت به الشوامت. ويقال رجع القوم شَماتَى أو شِماتاً من متوَجّههم إذا رجعوا خائبينَ. والّذي ذكرتُ أنّ فيه غموضاً واشتباهاً: فقولهم ـ في تشميت العاطس ـ يرحمُك الله. قال الخليل: تشميت العاطس دعاء له، وكلّ داع لأحد بخير فهو مشـمِّت له. وهو عندي من الشيء الّذي خفي علمـه، ولعلّه كان يُعلَم قديماً ثمّ ذهب بذهاب أهـله. وكلمة أخرى: وهو تسميتهم قوائم الدابّة شوامت. وهذا أيضاً من المشكل، لأنّه لا قياس يقتضي أن تسمّى قائمة ذي القوائم شامتة.

التهذيب ١١ / ٣٢٩ ـ قال الليث: الشَّماتة: فرح العدوّ ببليّة تَنزل بمن يُعاديه. وقال أبو عبيد: شمَّت العاطسَ وشمّته: إذا دعا له، وكلّ داع لأحد بخير فهو مشمِّت له، قال، والشين أعلى وأفشى في كلامهم، وعن أبي العبّاس: الأصل فيهما السين من السَّمْت، وهو القصد والهَدي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو إظهار فرح بما ينزل لأحد رفيقاً كان أو عدوّاً من ابتلاء أو حادثة سوء، سواء كان الإظهار باللسان أو بالعمل.

والإشمات: جعل شخص شامتاً، ويدلّ على قيام الحدث بالفاعل وعلى جهة الصدور. كما أنّ التشميت يدلّ على جهة الوقوع والمبالغة.

وأمّا تشميت العاطس: وهو قول ـ رحمك الله ـ للعاطس بصورة الدعاء، فكأنّ هذا القول في مورد العطسة: يُشعر بإظهار علم بحدوث مقدّمة من مرض للعاطس، فيكون كالشماتة به.

وأمّا كون قوائم الدابة شوامت: فلعلّها باعتبار توقّفها عن الحركة والسير إذا أصابت الدابّة بليّة، فكأنّها شامتة عملاً بالدابّة.

إنَّ القَومَ استَضعَفوني وكادوا يَقتُلونَني فَلا تُشمِتْ بِي الأعداءَ - ٧ / ١٥٠.

أي فلا تجعل أعدائي شامتين بي بسبب تضعيفي وقهري.

* * *

شمخ:

مقا - شمخ: أصل صحيح يدلّ على تعظّم وارتفاع، يقال جبل شامخ، أي عال. وشَمَخ فلان بأنفه، وذلك إذا تعظّم في نفسه.

مصبا - شَمَخ الجبل يشمَخ: إرتفع، فهو شامخ، وجبال شامخة وشامخات وشوامخ. ومنه قيل شمخ بأنفه إذا تكبّر وتعظّم.

صحا - الجبال الشوامخ: هي الشواهق. وقد شمَخ الجبل، فهو شامخ، والأُنوف الشُّمّخ مثل الزُّمّخ. والشَّمّاخ: شاعر.

التهذيب ٧ / ٩٦ - قال الليث: شمخ فلان بأنفه، وشمخ أنفه: إذا رفع رأسه عزّاً وكِبراً. وجبل شامخ: طويل في السماء. وقد شمخ شُموخاً، والجميع شَوامخ. قلت: ومن هذا قيل للمتكبّر شامخ وشَمّاخ. وقال عرّامٌ: نبّة زَمْخ وشَمْخ وزَموخ وشَموخ، وقد زمخ بأنفه وشمَخ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التعظّم والارتفاع معاً، كما أنّ الأصل في الزمخ هو التعظّم والتكبّر. وفي الشهق: هو الارتفاع مع سرعة، ولا سيّما في الكلام

والتنفّس.

ولا يخفى ما بين موادّ ـ الشمخ، الزخ، الشبّ، الشخّ، الشعف، الشهق، الشول، الشجر، الشخص، الشرف: من الاشتراك في المفهوم الكلّيّ، وهو الارتفاع، ويختصّ كلّ منها بخصوصيّة معيّنة.

وَجَعَلنا فيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وأسقَيناكُم ماءً فُراتاً ـ ٧٧ / ٢٧.

الرواسي: الثوابت العظام كالجبال، والشامخات: المرتفعات العظيمة.

والماء الصافي المَعين إنّما يتحصّل بالعيون الجارية من هذه الجبال.

❊ ❊ ❊

شمز:

صحا ـ إشمأزّ الرجل اشمئزازاً: إنقبض، وقال أبو زيد: ذُعِر من الشيء وهو المَذعور.

التهذيب ١١ / ٣٠٦ ـ عن ابن الأعرابيّ: الشَّمْز: نفور النفس من الشيء تُكرهه. وقال أبو إسحاق في الآية: اشمأزّت نفرت، وكان المشركون إذا قيل لا إله إلّا اللهُ وحدَه: نفروا من هذا. وقال ابن الأعرابيّ: اشمأزّت، أي اقشعرّتْ. وعن الفرّاء: رجل فيه شُمأزيزة، من اشمأززتُ.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو انقباض ممّا لا يلائم بالشدّة. ومن آثاره: النفور، الكراهة، الاقشعرار، الذَّعر.

وأمّا مطلق التقبّض أو النفور أو الكراهة: فليس من الأصل.

وإذا ذُكِرَ اللهُ وَحدَهُ اشمأزَّتْ قُلوبُ الَّذينَ لا يُؤمِنونَ بالآخِرَةِ وإذا ذُكِرَ الَّذينَ مِن دُونِه إذا هُم يَستَبشِرون ـ ٣٩ / ٤٥.

أي إذا ذكرَ عندهم إسم الله عزّ وجلّ، تحوّلوا منقبضين ممّا سمعوا من إسمه.

والاشمئزاز كالاقشعرار من شمأزَ شمأزةً، واشمأزّ اشمئزازاً، والشُّمأزيزة إسم من الاشمئزاز كالطُّمأنينة من الاطمينان والشُّرأبيبة من الاشرئباب من موادّ الطمن والشرب، فتجعل رباعيّة إلحاقاً بزيادة الهمزة بعد العين، ثمّ يشتقّ منه الإفعِلّال.

وأمّا اشمئزازهم عند سماع ذكر الله تعالى والتوحيد: فإنّ برنامج معاشهم هو التعلّق بالأسباب المادّيّة والوسائل الطبيعيّة والأُمور الدنيويّة، وإنّهم متوغّلون في الشهوات النفسانيّة واللذّات المحسوسة، وليس لهم من قول أو عمل أو رأي إلّا فيما يتعلّق بالحياة الدنيا.

فالتوجّه إلى ما وراء عالم المادّة وإلى التوحيد: لا ينطبق بوجه من الوجوه على برنامج معاشهم، ولايصدّقه جريان أُمورهم، بل يأباه أشدَّ إباء ما لَهم من خصوصيات حالاتهم وأمورهم.

* * *

شمس :

مقا ـ شمس: اصل يدلّ على تلوّن وقلّة استقرار. فالشمس معروفة، وسمّيت بذلك لأنّها غير مستقرّة، هي أبداً متحرّكة. وأشمَسَ: إذا اشتدّت شمسه. والشَّموس من الدوابّ: الّذي لا يكاد يستقرّ، يقال شَمَس شِماساً، وامرأة شَموس: إذا كانت تنفر من الرَّيْبة ولا تستقرّ عندها، والجمع أشْمُس. ورجل شَموس: إذا كان لا يستقرّ على خُلُق. ويقال شمِسَ لي فلان: إذا أبدى لك عداوتَه، وهذا محمول على ما ذكرناه من

تغيّر الأخلاق، فهذا قياس هذا الإسم.

مصبا ـ الشّمس: أُنثى وهي واحدة الوجـود. وشمَس يومـنا من بابي ضرب وقتل: صار ذا شمس، وقيل اشتدّت شمسه. وشمس الفرس يشمِسُ ويشمُس أيضاً شُموساً وشِماساً: استعصى على راكبه، فهو شَموس، وخيل شُمُس مثل رَسول ورُسُل. ومنه قيل للرجل الصعب الخلق شَـموس أيضاً، وشَـمّاس للمبالغة، وشَماسَة بالفتح والتخفيف.

التهذيب ١١ / ٣٠٠ ـ قال الليث: الشّمس: عَين الضِّحّ. أراد أنّ الشمس هو العين الّذي في السّماء، جارٍ في الفـلك، وأنّ الضِّحّ ضـوؤه الّذي يُشرق عـلى وجـه الأرض. وقال الليث: الشُّـموس مَعاليق القَلائـد. ويقال يوم شامِس، وقـد شمَس يَشمُس شُموساً، أي ذو ضِحّ نهارُه كلّه. وعن الكسائيّ: شَمِس يَومُنا وأشمَس. رجل شَمُوس: عَسِرٌ، وهو في عداوته كذلك خلافاً وعَسراً على مَن نازعه، وإنّه لَذو شِماس شديد، وشمَس لي فلان إذا أبدى لك عداوته، كأنّه قد همَّ أن يفعل.

قع ـ (شِمِش) الشمس، كلّ نجم مُشِعّ، سعادة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الكوكب الثابت العظيم النهاريّ في المـنظومة الشمسـيّة لنا، بل كلّ كوكب من الثوابت له نور وحرارة ذاتـيّاً وفي أطـرافـه أقمـار وكواكب سيّارة.

ولمّا كان للشمس نور وإرتفاع ونفوذ وحرارة وحِدّة: فـيستعمل في مـفاهيم الشدّة والحدّة والعلوّ والغلبة، ولا يبعد أن نقول إنّ الاشتقاق في المورد انتزاعيّ.

وهذه الكلمة مأخوذة من العبريّة، وفيها ـ شِمِش.

قالَ إبراهيم فإنَّ اللهَ يَأتي بالشَّمْسِ مِنَ المشرِق ـ ٢ / ٢٥٨.

هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضياءً والقمر نوراً ـ ١٠ / ٥.

وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقمَرَ كُلٌّ يَجري لأجلٍ مُسمّىً ـ ١٣ / ٢.

وسَخَّرَ لَكُم الشَّمْسَ والقَمَرَ دائبَيْن ـ ١٤ / ٣٣.

حَتّى إذا بَلَغَ مغرِبَ الشَّمْسِ وجدَها تَغْرُب في عَيْنٍ حَمِئَة ـ ١٨ / ٨٦.

والشَّمسُ تَجري لمُستَقَرٍّ لَها ـ ٣٦ / ٣٨.

وَجَعَلَ القَمَرَ فيهِنَّ نوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً ـ ٧١ / ١٦.

والشَّمْسِ وضُحاها ـ ٩١ / ١.

وجُمِعَ الشَّمْسُ والقمَرَ ـ ٧٥ / ٩.

إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ـ ٨١ / ١.

وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكناً والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً ـ ٦ / ٩٦.

أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوكِ الشَّمسِ إلى غَسَقِ اللَّيل ـ ١٧ / ٧٨.

حَتّى إذا بَلَغَ مطلع الشَّمْسِ وَجَدَها ـ ١٨ / ٩٠.

وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ يَجري إلى أجَلٍ مُسَمّى ـ ٣١ / ٢٩.

لا الشَّمْسُ يَنبغي لَها أن تُدرِكَ القَمَرَ ـ ٣٦ / ٤٠.

لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً وَلا زَمهَريراً ـ ٧٦ / ١٣.

ففي هذه الآيات الكريمة إشارات نُشير إليها:

١ ـ جريان الشّمس في نفسها: كُلٌّ يَجري لأجَل، والشَّمْسُ تَجري لمُسْتَقرّ،

الشَّمْسَ والقَمَر دائِبَين، لا الشَّمْسُ يَنبغي لَهَا أن تُدْرِك القَمَر، لدُلوك الشَّمْس.

فإنّ الجريان هو الحركة الدقيقة المنظّمة في طول مكان. والدأب هو الجريان المداوم المستمر في أمر مع اهتمام فيه. والدلوك هو إمرار شيء على شيء مع المسح. والإدراك هو الوصول إلى الإحاطة.

فهذه الآيات الكريمة تصرّح بحركة الشّمس خلاف ما يتراءى لنا منها من السكون، وقد اتّفق علماء النجوم بأنّ الشّمس تتحرّك كباقي الثوابت، وأنّها واقعة في المجرّة المسمّاة بالسَّديم الكبير ومطلق المجرّة (كهكشان) وهي ممتدّة من ذات الكرسي إلى جانب الجنوب إلى أن تنتهي إلى قَنطوروس بعد السِماك الأعزل في السنبلة، ويقال إنّ نجوم المجرّة تبلغ إلى عشرات ملايين.

وفي أصول علم الهيئة لفانديك ص ٣٤٠ ـ فقد اتّفق أشهر علماء الهيئة الآن: على أنّ الشمس ونظامها من العوالم، سائرة نحو نقطة من القبّة السماويّة، موقعها على الخطّ الموصل إلى جانب ـ الجاثي ـ شمالاً، وإلى الحمامة جنوباً.

والمراد من الجاثي: النجمة المضيئة من صورة الجاثي على ركبتيه المتشكّلة من ١١٣ نجماً، تسعة منها من القدر الثالث، وأربعة منها على شكل ذي ذَنَقة، واقعة في مقابل ظَهر ـ التِّـنِّين المحيط بالدبّ الأصغر، أو المراد صورة الجاثي.

٢ ـ جريانها لأجَل مسمّى وإلى أجَل مسمّى: فالأجَل هو غاية الوقت، وجريانها يمتدّ إلى هذا الوقت المعيّن، ويختصّ به وهو لهذا الغرض.

فإنّ حركات النجوم وأنوارها وخصوصيّات اُخر منها: إنّما هي بتقدير العزيز العليم، وقد يشرق كوكب ويغرب آخر، أو يزيد في إشراقه أو ينقص، أو يحصل ميل في فلك أو توقّف.

يقول پيروروسو: في كتابه في النجوم ـ ترجمة ص ٩٥ ـ سوانح في السماء: في سنة ١٩٣٤ م، تعجّب المنجِّم پرنتيس من مشاهدة كوكب في صورة الجاثي ولم يكن قبل موجوداً، وكان صغيراً لا يشاهد بالباصرة، ثمّ صار كبيراً في ساعات معدودة، حتّى انتهى إلى مرتبة النجوم من القدر الأوّل. ومنها كوكب ظهر في سنة ١٥٧٢ م، في صورة ذات الكرسي، ونوره من القدر الضعيف، وانتهى إلى درجة الكواكب من القدر الأوّل بل هو أنور من الزّهرة. وهذه الحـوادث في السماء كثيرة، وهي غير مهمّة في نظرنا، إلّا أنّ هذه الزيادة والنقيصة إذا عرضت وحدثت في شمسنا هذه، فازداد نورها إلى أن يبلغ إلى عشرة أضعاف أو مأة أو مئات من الحرارة والنور: فكيف تـتحمّل الأرض وأهلها هذه الشدّة والغليان أو البرودة والانجماد ـ (إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ).

ويقول في ص ٩٧: ولازم أن نتوجّه أنّ في كلّ سنة تتكوّن في العالم وفي المجرّة نجوم قريبة من العشرة إلى خمسة وعشرين كوكباً، ولعلّها من جهة الانفجارات الذرِّيّة ـ إلى أجَلٍ مُسمّى.

٣ ـ يستعمل النور في موارد يراد منه النور من حيث هو وفي نفسه من دون نظر إلى تعدّيه وإنارته. وهذا بخلاف الضياء: فإنّ النظر فيها إلى جهة الإنارة والإضاءة ـ هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمس ضياءً والقَمَرَ نوراً، والشَّمْسِ وضُحاها ـ ولا نظر فيهما إلى جهة الاكتساب أو الذاتيّة، أو القوّة والضعف، أو المعنويّة والماديّة.

٤ ـ تحقّق جريان النظم الدقيق ووجودُ الحساب الثابت والقانون التمام في جميع جهاتها وخصوصيّاتها من حركة ونور وحرارة ورابطة بينها وبين الأرض وسكّانها وهوائها وأشجارها وحيوانها وإنسانها، بحيث لو ازداد في جهة منها أو نقص أو تغيّر في خصوصيّة منها: لاختلّ نظام العالم وانقطع جريان الحياة ولم تتحصّل النتيجة المطلوبة من الخلقة.

وَجَعَلَ الشَّمْس والقَمَرَ حُسباناً، وسخَّرَ الشَّمْس والقَمَر كُلّ يَجري لأجَل مُسمّىً، لا الشَّمْسُ يَنبغي لَها أن تُدرِك القمَرَ وَلا اللَّيلُ سابق النَّهار وكُلّ في فلكٍ يَسْبَحُون، فارْجِع البَصَرَ هَل تَرَى مِن فُطُور.

٥ ـ الشّمس وخواصّها من الضياء والحرارة وسائر آثارها إنّما هي بحسب احتياج عالم المادّة والحياة الدنيويّة والبدن الجسمانيّ الجسدانيّ، وأمّا النفس الروحانيّ المتعيّش في ما وراء هذا العالم الجسداني المادّيّ: فلا حاجة لها إلى هذه الكيفيّات والأُمور الجارية. والحرارة والنور والتعيّش في ذلك العالم إنّما هي من سنخ الروحانيّة اللطيفة أو المجرّدة.

لا يَرَوْن فيها شَمْساً وَلا زَمهَريراً ـ ٧٦ / ١٣.

٦ ـ قلنا إنّ الشّمس عبارة عن كلّ كوكب له ضياء ذاتيّ وهو من الثوابت وفي أطرافه نجوم سيّارات، ولا يبعد أن يكون نظير شمسنا هذه في العالم ملايين، بل ما هو أعظم وأكبر وأهمّ منها بمراتب، فليراجع إلى مباحث الثوابت والسِّدام والمجـرّة، من كتب النجوم.

يقول فان ديك في ص ٢٢٦ ـ وكلّ نجم نراه في السماء في ليل صاف هو شمس، نورها ذاتيّ يُضيء على عوالم ونظامات كما تُضيء شمسنا على العوالم في نظامها، وتلك النجوم لها حركات في سـاحة الكون غير أنّه على بُعدها الشاسع لا تظهر إلّا على مضيّ القرون.

فهذه شموس إذا لوحظت من حيث هي وفي عوالمها، وأمّا بالنسبة إلى عالمنا: فهي كواكب ونجوم، فإنّا لا ندرك منها آثار الشمسيّة.

وسَخَّرَ لَكُم اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمْسَ والقَمَرَ والنّجومُ مُسَخَّراتٌ بأمْرِه ـ ١٦ / ١٢.

* * *

شمل:

مقا ـ شمل: أصلان منقاسان مطّرِدان، كلّ واحد منهما في بابه ومعناه. فالأوّل يدلّ على دَوَران الشيء بالشيء وأخذِه إيّاه من جوانبه، من ذلك قولهم ـ شَمِلَهم الأمر إذا عمّهم، وهذا أمر شامل، ومنه الشَّمْلة وهي كساء يُؤتزر به ويُشتَمل، وجمعَ اللهُ شَمْله إذا دعا له بتألّف أموره، وإذا تألّفت اشتمل كلّ واحد منها بالآخر. ومن الباب ـ شمَلتُ الشاةَ إذا جعلتَ لها شِمالاً، وهو وعاء كالكِيس يُدخل فيه ضَرعها فيشتمل عليه، وكذلك شمَلتُ النخلة، إذا كانت تنفضُ حملَها فشُدّت أعذاقها بقِطَع الأكسية، ومن الباب المِشمل: سيف صغير يشتمل عليه الرجل بثوبه. والأصل الثاني يدلّ على

الجانب الّذي يخالف اليمين، من ذلك اليد الشِّمال، ومنه الريح الشمال لأنّها تأتي عن شمال القبلة إذا استند المستند إليها من ناحية قبلة العراق. وفي الشَّمول وهي الخمر قولان: أحدهما أنّ لها عَصفة كعصفة الريح الشمال. والقول الثاني أنّها تشمل العقل. وجمع الشمال أشمُل.

مصبا ـ شمِلهم الأمر شَمَلاً من باب تَعِب: عمّهم، وشمَلهم شُمولاً من باب قعد: لغة، وأمر شامل: عامّ. وجمع الله شملهم أي ما تفرّق من أمرهم، وفرّق شملهم أي ما اجتمع من أمرهم. والشمال: الريح تقابل الجنوب، وفيها خمس لغات، الأكثر بوزن سَلام، وشَمْأل، وشَأمَل، وشَمَل، وشَمْل. واليد الشِّمال: خلاف اليمين، وهي مؤنّثة، وجمعها أشمُل وشَمائل. والشِّمال أيضاً: الجهة.

قع ـ (شِمؤُل) شمال، يسار، الجهة اليُسرى.

(شيملاه) ثوب، عباءة، رداء.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إحاطة أمر على شيء أو أشياء بحيث يغطّيه وينطبق عليه، ويلاحظ فيه جهة الانطباق وهذا بخلاف العموميّة والإدارة والإحاطة.

وبهذه المناسبة تطلق على ثوب محيط، أو كساء، أو كِيس إذا أحاطت ضرعاً، وعلى شدّ أغصان النخلة لحفظ الأثمار والتسلّط عليها، وعلى الخمر النافذ في البدن وقواه، ويقال جمع الله شملَه إذا وسعت دائرة أمره بحيث تقتضي التفرّق، وفرّق شمله إذا ضاقت واجتمعت أُموره فيدعو له بالتفرّق.

قُل أألذكَرينِ حَرَّم أم الأُنثيَيْنِ أمّا اشتملَتْ عَلَيه أرحامُ الأُنثيَين أم كُنتُم شُهَداءَ ـ ٦ / ١٤٤.

أي من الإبل والبقر، وتحريمُ كلّ شيء لازم أن يكون من جانب الله تعالى.

والاشتمال افتعال للمطاوعة ويدلّ على اختيار الفعل، وكأنّ الأرحام شملت ما فيها باختيار وانتخاب.

وأمّا الشِّمال في قبال اليمين: فهو مأخوذ من العبريّة ـ شِمؤُل، وفي بعض اللغات القديمة أيضاً ما يقرب منه.

والأصل فيه هو الجهة الخارجة المنفصلة عن الشيء، كجهات الأمام والخلف والفوق والتحت. وإطلاقه على اليد أو الجانب المتّصل في جهة اليسار: باعتبار المجاورة.

وأمّا جهة الشِّمال في قبال الجَنوب: فإنّ الإنسان بالطبع يواجه إلى جهة الشرق لتعيّنه دائماً، فتكون جهة الشمال في يساره، ويطلق على الجانب الآخر الجنوب، فإنّه واقع في جنبه الآخر، ولم يطلق عليه اليمين لأنّ النظر إلى مطلق تعيين الجهات، ومفاهيم القدرة والضعف المفهومين من كلمتي اليمين واليسار غير منظورة.

ويدلّ على هذا الأصل تعبيره تعالى:

ونُقلّبُهم ذاتَ اليَمين وذاتَ الشِّمال ـ ١٨ / ١٨.

وإذا غرَبت تَقرضهم ذاتَ الشّمال ـ ١٨ / ١٧.

ثُمَّ لآتينّهُم مِن بَين أيديهم ومِن خَلفهم وعَن أيمانهم وعَن شمائلهم ـ ٧ / ١٧.

ولم يعبّر بقوله ـ ونقلّبهم اليمين والشمال. وأيضاً لا معنى لإتيانهم عن يمين بدنهم أو عن شمال بدنهم المتّصلين به:

إذ يَتَلَقّى المُتَلَقّيان عَنِ اليَمين وعَنِ الشِّمال قَعيد ـ ٥٠ / ١٧.

وأصحابُ الشِّمال ما أصحابُ الشِّمال في سَموم وحَميم ـ ٥٦ / ٤١.

قلنا إنّ الشمال هو الجهة الواقعة في قبال اليمين. وسبق في الشأم: أنّ اليمين مأخوذ من اليُمن وهو بمعنى البركة والزيادة والقوّة، وبملاحظة المقابلة يدلّ الشمال على الضعف والنقص.

فيكون المراد من أصحاب اليمين: الّذين كانوا على قوّة روحانيّة وقدرة ذاتيّة باطنيّة وفي بركة من الخير والكمال، ويقابلهم أصحاب الشمال وهم في جهة ضعف وانكسار.

ولا يبعد أن نقول بوجود المناسبة والارتباط بين هذا المعنى وبين مفهوم الإحاطة والانطباق: فإنّ أصحاب الشمال هم الّذين كانوا من الأفراد العامّة، وفي مراتب تنطبق عليهم الجريانات المتداولة المحيطة عليهم، فهم من الأفراد الّذين عاشوا على برنامج عامّ، ويسيرون كما يسير الناس في حياتهم الدنيويّة: إنَّهُم كانوا قَبلَ ذلِكَ مُترَفين.

فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينه فَيَقول هاؤمُ اقرءُوا كِتابيَه ... وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِماله فَيَقول يا لَيْتَني لَمْ أُوتَ كِتابيَه ـ ٦٩ / ٢٠.

الكتاب: ما يُضبط ويندرج فيه حقائق المراتب، ومقدّرات ثابتة من شخص، سواء كان مادّياً أو روحانيّاً، ففي كلّ شيء بحسبه. وقلنا إنّ اليمين والشمال جهتان متقابلتان إمّا محسوستين أو معقولتين، والمفهوم الجامع هو طرفا الإنسان ذوا قوّة وضعف، وفيهما بركة أو انكسار، فيكون المراد من إيتاء الكتاب باليمين أو اليسار: إيتاؤه وإلحاقه إلى جانب فيه بركة وقوّة، أو إلى جانب فيه ضعف وانكسار.

فمن يكون كتابه وما ضُبط في صحيفة أعماله مرتبطاً بجانب الشمال ويؤخذ بيد شماليّ ضعيف متزلزل، فيقول: يا لَيْتَني لم أُوتَ كتابيَه.

ثُمَّ لآتينَّهُم مِن بَين أيديهم ومِن خَلفهم وعَن أيمانهم وعَن شَمائلهم ـ ٧ / ١٧.

صيغ الجمع باعتبار انطباق الإتيان على الأفراد. وأمّا الخلف فمفهوم واحد يتساوى فيه الجميع. وأمّا التعبير في الأوّلين بحرف من وفي الآخرين بحرف عن: فإنّ المراد من بين الأيدي والخلف، هو المراحل الّتي في مستقبل السلوك والمنازل الأُخرويّة والمقامات المتوقّعة في سير الإنسان إلى السعادة والكمال. ويراد من الخلف: ما مضى وتقدّم وانصرم في ذلك السلوك الحقيقيّ أو ما يكون كالمنصرم الماضي، من منازل الطبيعة ومشاهد العالم المادّيّ والأيّام الّتي خلت أو تخلو عن قريب من الحياة الدنيا والعيش البدنيّ الظاهريّ، بل وجميع ما يتعلّق بتلك الحياة الدنيويّة في قبال الحياة الروحانيّة، فإنّ السالك إذا لوحظ من حيث هو وبالنظر إلى سلوكه المطلق: يكون عوالم الروحانيّة والنورانيّة فيما بين أيديه، وعوالم المادّيّة والظلمانيّة خلفه.

وأمّا الأيمان والشمائل: يراد ما يقع في جانبي مَسير السلوك من حيث هو، فيشمل كلّ ما يرتبط بالسالك في طول سلوكه وما يتعلّق به.

ولمّا كان سير الإنسان إلى الكمال معنويّاً: فيكون ما يتراءى منه في ذلك السير من قول أو عمل أو رأي، صالحاً أو طالحاً معنويّاً أيضاً.

فما في أيمان السائرين إلى الله تعالى وإلى الآخرة: هو العمل الصالح والقول الصدق والرأي الحقّ، وهي الّتي توجب قوّة وبركة.

وما في شمائلهم: هو ما يقابل الحقّ والصلاح من إثم وخطأ وعصيان، وهي الواقعة في جانب ضعيف وهو اليسار.

فظهر أنّ التعبير بحرف مِن في القُدّام والخَلف، وبحرف عَن في اليمين والشمال: لاقتضاء المورد والتناسب فيها، فإنّ القدّام والخلف جزءان من خطّ المسير، فالشيطان يأتي منهما ليمنع السالك ويردّه عن السّير والحركة في ذلك الخطّ. وأمّا

الطرفان فهما خارجان عن الخطّ وأُمور متعلّقة به، فللشيطان أن يأتي في خصوصهما وأن يوسوس فيهما.

وهذا كما في: وَجَعَلْنا مِن بَينِ أيديهم سَدّاً ومِن خَلفِهم سَدّاً.

وفي قوله تعالى: عَمَّ يَتَساءَلون عَنِ النَّبأِ العَظيم.

يَتفيَّؤ ظِلالُه عَن اليَمينِ والشَّمائلِ سُجَّداً ـ ١٦ / ٤٨.

راجع الظلّ.

* * *

شنأ:

مصبا ـ شنِئته أشنَؤه من باب تَعِب شَنْأً وشَنَآناً بفتح النون وسكونها: أبغضته، والفاعل شانئ، وشانِئة في المؤنّث، وشنِئت بالأمر: اعترفت به.

مقا ـ شنأ: أصل يدلّ على البِغضة والتجنّب للشيء، من ذلك الشنوءَة، وهي التقزّز (وهو الفزع والاضطراب)، ومنه اشتقاق أزدِ شَنوءة (رهط من قبيلة أزد). ويقال شَنِئَ فلان فلاناً: إذا أبغضه. وهو الشَّنَآن، وربّما خفّفوا فقالوا الشَّنان. ورجل مِشناء إذا كان يُبغضه الناس. وأمّا قولهم: شَنِئت للأمر وبه إذا أقررتَ: (ففيه نظر).

مفر ـ شنِئته: تقذّرته بُغضاً له. وقوله شَنَآنُ قوم، أي بُغضهم، وقرئ شَنْآن، فمن خفّف أراد بَغيض قوم، ومن ثقّل جعله مصدراً.

التهذيب ١١ / ٤٢١ ـ عن ابن السِّكّيت، الشانئ: المبغض. والشِّنءُ والشَّنءُ: البِغضة. وقال أبو عبيدة: يقال شنِئتُ حقّك أي أقررت به وأخرجته من عندي. وقال الليث: رجل شَناءَة وشَنائِية: مُبغَّض سيّئ الخُلق.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو البُغض مع الكراهة والتجنّب. ومن لوازم هذا المعنى في بعض الموارد: الإقرار والاعتراف بأمر يتنحّى عنه ويريد التجنّب عنه. أو كون شخص سيّئ الخلق بحيث يوجب التجنّب عنه. والبغض خلاف الحبّ، وإذا اشتدّ يكون عداوة.

فهذا هو الفرق بين المادّة وبين البغض والعداوة.

وَلا يَجرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوم أن صَدُّوكُم عَنِ المَسْجِدِ الحَرام أن تَعتدوا ـ ٥ / ٣.

الجَرْم هو القطع على خلاف الحقّ، وشَنآن قوم إضافة مصدر إلى فـاعله أي بغضهم الشديد وتجنّبهم عنكم في صدّهم عن المسـجد، وفي التعبير بالصيغة (فَعَلان محرّكةً) دلالة على الجريان والحركة كالخَفَقان والجَولان. وقوله أن تَعتدوا: مفعول ثان للجَرْم.

وفي كلمة الجَرَم إشارة إلى النهي عن قطع الارتباط والتجنّب عن الّذين صدّوهم عن المسـجد، وعن الاعتـداء عليهم انتقاماً. بل من محاسن صفات أهـل الإيمـان: الإحسان إلى المسيء.

إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَر ـ ١٠٨ / ٣.

أي إنّ مَن يُبغضك ويتجنّب عن صحبتك ولا يحبّ سعة في أهلك: هو الأبتر والمحدود المنقطع.

* * *

شهب :

مقا ـ شهب: أصل واحد يدلّ على بياض وشيء من سواد، لا تكون الشُّهبة

خالصة بياضاً. من ذلك الشُّهبة في الفرس، هو بياض يخالطه سواد. ويـقال كـتيبة شَهْباء: إذا كانت عِليتُها بياضَ الحديد. ويـقال للـيوم ذي البرد والصُّراد: أشهب، واللّيلة الشَّهْباء. ويقال: إشهابّ الزرع إذا هاج وبقي في خـلاله شيء أخضر. ومن الباب: الشِّهاب وهو شعلة نار سـاطعة، وإنّ فـلاناً لَشِهـابُ حرب، وذلك إذا كان معروفاً فيها مشهوراً كشُهرة الكواكب اللوامع. ويقال إنّ النَّصْل الأشهب: الّذي قد بُرد بَرْداً خفيفاً حتّى ذهب سواده. ويقال إنّ الشهاب: اللّبن الضَّياح، وإنّما سمِّي بذلك لأنّ ماءه قد كثر فصار كالبياض الّذي يخالطه لون آخر.

مفر ـ الشِّهاب: الشعلة الساطعة من النار الموقَدة ومـن العـارض في الجـوّ، فأتبعَهُ شهابٌ ثاقِب. والشُّهبة: البياض المختلط بالسّـواد تشبيهاً بالشِّهاب المخـتلط بالدّخان. ومنه قيل كتيبة شَهْباء: اعتباراً بسواد القوم وبياض الحديد.

التهذيب ٦ / ٨٦ ـ الليث: الشَّهَب: لون بياض يصدعه سواد في خلاله. ويقال اشهابّ رأسي إذا كان البياض غالباً للسّواد، واشهبّ كذلك. ويوم أشهب: ذو ريح باردة، ولَيلة شهباء كذلك. وشهَّب الناسَ البردُ أي غيّر ألوانَها. واشهابّ الزرع: إذا كاد يَهيج وفي خلاله خُضرة. والشِّهاب: شعلة نار ساطع، والجميع الشُّهُب والشُّهبان. ابن السكّيت: الشِّهاب: شعلة نار ساطع، والجميع الشُّهُب والشُّهبان. ابن السكّيت: الشِّهاب: العود الّذي فيه نار. وأبو الهيثم: الشِّهاب أصل خشـبة أو عود فيها نـار ساطعة. ويقال للكوكب الّذي ينقضّ على إثر الشيطان بالليل: شِهاب. ويقال: لِلّبن المَمْزوج بالماء شَهاب بفتح الشين، وقال أبو حاتم: هو الشُّهابة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو البيـاض المختلط الّذي يتلألأ ويتجلّى. ومن

مصاديقه البياض المختلط المتلألئ في شعر الرأس. والبياض المختلط المتجلّي في الهواء من البرودة والثلج. والشعلة الساطعة من النار المختلط بدخان أو في خشبة أو عود. والنّيازِك (الشُّهُب) الّتي تسمّى في العُرف نجوماً ساقطة تمرّ بسرعة في الجو مضيئة مشتعلة ولها أنواع. والكتيبة من الجيش المسلّح المتهيِّئ الحادّ المتحرِّك كالشعلة الساطعة.

سَآتيكُم مِنها بِخَبَر أو آتيكُم بشِهاب قَبَس لَعَلَّكُم تصطَلون ـ ٢٧ / ٧.

فالشِّهاب ما يظهر من شُعَل النار. والقَبَس ما يؤخذ ويُقبض من شيء. ولمّا كان المورد خصوصَ النار: فيقيّد الشهاب بالشعلة الناريّة. وبقرينة قوله ـ آتيكم منها: يستفاد الإتيان بالشعلة في حطب أو عُود، ولعلّ هذا المعنى أوجب تقييد المعنى بهما كما رأيت.

إلّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فأتبعَه شِهابٌ مُبين ـ ١٥ / ١٨.

إلّا مَن خَطِف الخَطْفَةَ فأتبعَه شِهاب ثاقِبٌ ـ ٣٧ / ١٠.

فَمَن يَسْتَمِع الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً ـ ٧٢ / ٩.

وأنّا لَمَسنا السَّماءَ فَوَجَدناها مُلِئَت حَرَساً شَديداً وشُهُباً ـ ٧٢ / ٨ .

استراق السّمْع: استماع مستخفياً كأنّه سرق وأخذ السمع من غير حقّ. والمُبين: ما يوجب انكشافاً وتفرّقاً. والخَطَف: هو الأخذ دفعةً وبسرعة وهو قريب من الاستراق. والثاقب: هو النافذ. والحَرْس: هو المراقبة، والحَرَس جمع. والرَّصْد: تمكّن للمراقبة.

قلنا إنّ الجنّ في مقابل الإنس، وألطف وأشدّ تحرّكاً وأقوى عملاً وأدقّ تحوّلاً ونفوذاً، وقد خلق من مادّة النار والحرارة.

وكلمات ـ الاستراق والخَطَف والحَرَس: تدلّ على أنّ المراد من السماء هي

السماوات الروحانيّة والمراتب المعنويّة، من عالم الملائكة وغيرها.

وعالم الملائكة واقع في باطن عالم المادّة وفيه من الأسرار والتقديرات والحقائق والعلوم ما يخفى على أهل عالم الإنس والجنّ.

فيكون المراد من الشُّهُب في هذه الموارد: القوَى الروحانيّة والأنوار الحادّة الصادعة النافذة المتجلّية الظاهرة من تلك العوالم. وكذلك المراد من الرصد والحرس: لابدّ أن يكون ما يناسبها.

ومن الممكن أن يكون المراد من السماء: السماوات الطبيعيّة الظاهريّة كبعض الثوابت والكواكب، إذا كانت فيها موجودات متناسبة بها.

فإنّ الموجودات تختلف باختلاف محيط الحياة من الحرارة والبرودة ولطافة الهواء وكثافته والموادّ الموجودة الأصيلة فيه، فالموجودات الحيّة في البحر والماء تخالف الحيوانات البرّيّة، وفي المناطق المنجمدة تخالف ما في المناطق الحارّة، وهكذا.

ويقال إنّ الحرارة في الثوابت قد تبلغ عشرات ألوف من حرارة النار في الأرض. وقالوا إنّ بعض النجوم تبلغ حرارته إلى ١٢٠ ألفاً من الدرجات، فإذا كانت لها مخلوقات فلابدّ أن تكون مخلوقة من النار كالجنّ وألطف منه وأقوى تحرّكاً ونفوذاً وإحاطة، فالجنّ إذا قصَد استراق السّمع والاستعلام منها: فيتبَعه الشُّهب واللَّهب المتصاعدة منها.

وعلى أيّ حال، فالنظم التامّ ثابت في العالم.

وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون، وكلٌّ يجري لأجَلٍ مُسَمّىً، قَد جَعَلَ اللهُ لكُلِّ شَيءٍ قَدراً.

* * *

شهد:

مقا ـ شهد: أصل يدلّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الّذي ذكرناه. من ذلك الشهادة يجمع الأصول الّتي ذكرناها من الحضور والعلم والإعلام، يقال: شهد يشهد شهادة، والمَشهد: مَحضر الناس. ومن الباب الشهود جمع الشاهد وهو الماء الّذي يخرج على رأس الصبيّ إذا وُلد. والشَّهيد القتيل في سبيل الله، قال قوم: لأنّ ملائكة الرحمة تشهده أي تحضره. وقال آخرون: لسقوطه بالأرض، والأرض تسمّى الشاهِدة. والشاهِد: اللسان. والشاهد: الملك. فأمّا قوله جلّ وعزّ ـ شَهِدَ اللهُ أَنَّه لا إلٰه إلّا هو: فقال أهل العلم: معناه ـ أعلمَ الله، بيَّن الله، كما يقال شهِد فلان عند القاضي إذا بيَّن وأعلم لَمن الحقّ وعلى مَن هو. وامرأة مُشهِد إذا حضر زوجُها، كما يقال للغائب زوجُها مُغيب. وممّا شذّ عن هذا الأصل: الشُّهد: العسل في شمعها.

مصبا ـ الشُّهد: العسل في شمعها، وفيه لغتان: فتح الشين لتميم وجمعه شِهاد، وضمّها لأهل العالية. والشَّهيد: من قتله الكفّار في المعركة، فَعيل بمعنى مفعول، لأنّ ملائكة الرحمة شهدت غسلَه، أو شهدت نقلَ روحه إلى الجنّة، أو لأنّ الله شهد له بالجنّة. واستُشهِد: قُتل شهيداً، والجمع شهداء. وشهدت الشيءَ: اطّلعت عليه وعايَنته فأنا شاهد، والجمع أشهاد وشهود، وشَهيد أيضاً، والجمع شهداء. ويعدّى بالهمزة فيقال أشهدته الشيءَ، وشهدت على الرجل بكذا، وشهدت له به. وشهدت العيدَ: أدركته. وشاهدته مشاهَدة مثل عاينته معاينة وزناً ومعنىً. وشهد بالله: حلف. وشهدت المجلس: حضرته فأنا شاهد وشهيد أيضاً ـ فَمَن شَهِدَ منكُم الشّهْرَ ـ أي مَن كان حاضراً في الشهر مقيماً غير مسافر، وانتصاب الشهر على الظرفيّة، وصَلّينا صلاة

الشاهد ـ أي صلاة المغرب، لأنّ الغائب لا يقصّرها بل يصلّيها كالشاهد. والشاهد يَرى ما لا يراه الغائب ـ أي الحاضر يعلم.

مفر ـ الشُّهود والشَّهادة: الحضور مع المشاهدة إمّا بالبصر أو بالبصيرة. وقد يقال للحضور مفرداً ـ عـالمُ الغَيْبِ والشّهادَة، لكنّ الشهود بالحضـور المجرّد أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى.

صحا ـ الشهادة: خبر قاطع بقـول، منـه شهِد الرّجـل على كذا، وربّما قالوا شَهْدَ الرجل، يسكِّنون الهاء للتخفيف عن الأخفش. وقولهم أشهدُ بكذا أي أحلِف. والمشاهَدة: المعاينة. وشهده شهوداً، أي حضره، فهو شاهد. وقوم شُهود أي حُضور، وهو في الأصل مصدر، وشُهَّد أيضاً مثل رُكّع. وشهِد له بكذا أي أدّى ما عنده من الشهادة.

الفروق ٧٦ ـ الفرق بين العلم والشهادة: أنّ الشهادة أخصّ من العلم، وذلك أنّها علم بوجود الأشياء لا من قبل غيرها. والشاهد نقيض الغائب في المعنى، ولهذا سمّي ما يُدرَك بالحواسّ ويُعلَم ضرورة شـاهداً، وسمّي ما يُعـلَم بشيء غـيره وهو الدلالة غائباً، كالحياة والقدرة، وسمّي القديم شاهداً لكلّ نجوىً، لأنّـه يَـعلم جمـيع الموجودات بذاته.

والفرق بين الشاهد والحاضر: أنّ الشاهد للشيء يقتضي أنّه عالم به، ولهـذا قيل الشهادة على الحقوق لأنّها لا تصحّ إلّا مع العـلم بها، وذلك أنّ أصل الشهادة الرؤية، والشهد: العسل على ما شوهد في موضعه، فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود، والحضور لا يقتضي ذلك، يقال حضره الموت ولا يقال شهده الموت.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العلم بالحضور عند المعلوم ومعاينتُه، وهذا المعنى في الأُمور المحسوسة معلوم، وأمّا في الأُمور المعقولة والمعارف الروحانيّة: فبحضور المعلوم عند العالم وفي نفسه.

وتوضيح ذلك: أنّ لشهود النفس مراتب:

١ ـ الشهود بعضو الباصرة، أي بانتقال صورة من المبصَر في الشَّبَكيّة ثمّ نقلها بالعصب المخصوص إلى الدماغ.

٢ ـ الشهود بأعضاء السامعة والذائقة والشامّة واللّامسة، بانتقال محسوساتها إلى أعصاب مخصوصة، حتّى تنتهي إلى الدِّماغ.

والباصرة أيضاً من الحواسّ الظاهرة، وإفرادها من جهة أنّ العرف يحسبها منفردة مستقلة في مفهوم الشهادة.

فهذه المحسوسات المشاهدة: يشاهدها النفس بحضور صورها المنتقلة إليه، فأعضاء الحواسّ ثمّ الأعصاب المخصوصة بها ثمّ تمركزها في الدماغ: توجب حضور صور من المحسوسات في النفس وانطباعها فيه، فيتحقّق الشهود والعلم الحضوريّ اليقينيّ.

٣ ـ الشهود بالقوّة المفكِّرة (المتصرّفة العقليّة) إذا ركَّبت بعضَ ما في خزينة الخيال من الصور وفي خزينة الحافظة من المعاني الجزئيّة، وتصرّفَتْ فيها تحت حكومة العقل، فتنطبع النتيجة في الدِّماغ، ويشهدها النفس، هذا إذا كانت موادّ إدراكها من اليقينيّات والقطعيّات. وأمّا إذا كانت من الوهميّات الصرفة والمظنونات: فهي من المتخيّلات.

والشهادةُ الّتي توجب القطع وتُعتبر في الأحكام الفقهيّة: هي هذا النـوع من الشهود العلميّ، وهو الشهود بالحواسّ أو بالمفكّرة، بأن يكون المعلوم مشهوداً عند الشاهد وحاضراً ومنطبعاً في نفسه بحيث لا يقبل الترديد والخلاف.

والشهود إنّما يتحقّق في هذه المراتب: بحصول صور من المدرَكات في صفحة النفس الساذج وانطباع فيها.

٤ ـ شهود النفس لنفسه ولصفاته الذاتيّة، فإنّ النفس في تلك الحالة شـاهد باعتبار شهوده، ومشهود باعتبار كونه متعلّق الشهود، وهذا العلم إنّما يتحقّق مـن دون احتياج إلى واسطة وقوّة، فإنّ النفس في وحدته كلّ القوى وجامعها، ولا قرب أقرب حضوراً من نفس الشيء، فهذا الشهود أقوى وأشدّ من المراتب الثلاثة.

ومن هذا القبيل: شهود الله تعالى لنفسه ولصـفاته الذاتـيّة وللأُمـور القـائمة بوجوده، فإنّ لنفسه تجرّداً بَحتاً، وهو نور غير محدود، ليس في ذاته حدّ ولا نقص ولا ضعف ولا حاجة ولا ظلمة، فهو علم مطلق وحيّ وقيّوم ومدرِك مطلق وغنيّ أبديّ.

٥ ـ شهود النفس لله تعالى ولصفاته الذاتيّة بالفناء فيه ومحو آثاره الوجوديّة المتشخّصة، بحيث لا يرى إلّا بسط نوره، ولا يشاهد إلّا تجلّي جماله، وهـو تـعالى غالب على أمره قاهر على وجوده مستولٍ عليه، وهو فانٍ تحت سيطرة نوره ومنمحي في ظهور شعاع عظمته.

وفي هذه المرتبة أيضاً شهود تامّ وحضور كامل ورؤية من دون أن يتوقّف إلى حصول صورة وحضورها، بل يشاهد النفس نور الربّ عزّ وجلّ من دون واسطة، وهذا أعلى مراتب الشهود، فإنّه فناء في الشهود وليس إلّا الشهود.

فالشهود بالبصر كما في: وليَشهَدْ عَذابَهُما طائفةٌ مِنَ المؤمنين ـ ٢٤ / ٢.

لِيَشْهَدوا مَنافعَ لَهُم ـ ٢٢ / ٢٨.

والَّذينَ يَرمون المحصَناتِ ثُمَّ لَم يأتوا بأربعة شُهداءَ ـ ٢٤ / ٤.

والشهود بالسمع كما في:

شَهادةُ بينكُم إذا حَضَرَ أحدَكُم الموتُ حينَ الوصيَّة إثنانِ ـ ٥ / ١٠٦.

أم كُنتُم شُهداءَ إذ حَضَرَ يَعقوبَ الموت إذ قال ـ ٢ / ١٣٣.

والشهود باللّامسة كما في:

شهِدَ عَليهم سمعُهم وأبصارهم وجُلودهم ـ ٤١ / ٢٠.

وقالوا لجلودِهِم لِمَ شهِدْتُم عَلينا ـ ٤١ / ٢١.

والشهادة المطلقة كما في:

وَلا تكتُموا الشَّهادَة ـ ٢ / ٢٨٣.

والَّذينَ هُم بشهاداتهم قائمون ـ ٧٠ / ٣٣.

قُل هلمّ شهداءَكُم الَّذينَ يَشهدون أنّ الله حرَّم هذا ـ ٦ / ١٥٠.

والشهادة بالقوّة المفكِّرة كما في:

وشهِدَ شاهد مِن أهلها إن كان قيصُه قُدّ مِن قُبُل ـ ١٢ / ٢٦.

كونوا قَوّامِين لِلّه شُهداء بالقِسط ـ ٥ / ٨ .

والشهود للنفس ولما يقوم به كما في:

قالوا شهِدنا عَلى أنفسنا وغرَّتهم الحياةُ الدُّنيا وشهِدوا عَلى أنفسهم أنَّهُم كانوا كافِرين ـ ٦ / ١٣٠.

شَهِدَ الله أنَّهُ لا إلٰهَ إلّا هُو ـ ٣ / ١٨.

والشهود لله بالفناء كما في:

شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إلٰهَ إلّا هو والملائكةُ وأُولو العِلْم ـ ٣ / ١٨.

والمعنى الجامع بين هذه الموارد: هو الحضور مع تحقّق العلم بإحدى هذه الوسائل المذكورة.

ثمّ إنّ المادّة إذا استعملت متعدّية من دون ذكر حرف من الحروف: يراد منها مطلق الحضور والعلم من حيث هو كما في:

فَمَن شَهِدَ مِنكُم الشَّهرَ فليصُمه، وشهدوا أنَّ الرَّسول حقّ، وليَشهَدْ عَذابَهُما طائفة، واللهُ يَشهد أنَّ المنافقين لَكاذبون.

فيراد مطلق الحضور والعلم والاطّلاع.

وإذا استعملت مقارنة بحرفي ـ عَلى، اللّام: يراد منها تحقّق المعنى في موارد إعماله في ضرر شخص أو في نفعه، ويلازمها الإظهار والإعلام بما يعلمه، وهذا هو الشهادة العرفيّة، كما في:

شَهِدَ عَليهم سمعُهم، شَهِدنا عَلى أنفُسنا، وشَهِدوا عَلى أنفُسهم، يَومَ تَشهَد عَليهم ألسنتُهم، ويُشهِد اللهَ عَلى ما في قَلبه، وأقيموا الشَّهادةَ لله:

فيراد إظهار العلم.

وإذا استعملت بحرف الباء: فتدلّ على توجّه مخصوص ودقّة في الأمر ونظر ممتاز، وهذه الدقّة والتوجّه الخاصّ تلازم الاستمرار والاستدامة، وهو قد ينتهي إلى الإظهار والإعلام، كما في:

وَما شهِدنا إلّا بِما علمنا، وتشهد أرجُلهم بما كانوا يكسِبون، لكنّ اللهَ يشهد بِما أُنزل إليك، قالوا آمنّا واشهدْ بأنّنا مُسلمون.

ولا يَملك الَّذينَ يَدْعونَ مِن دونه الشّفاعَةَ إلّا مَن شهِد بالحقّ ـ ٤٣ / ٨٦.

وأمّا الفرق بين الشاهد والشهيد: فإنّ الشاهد يلاحظ فيه قيام المعنى بالذات فقط والنظر فيه إلى جهة الحدوث. والشهيد فعيل ويلاحظ فيه ثبوت المعنى واستقراره في الذات.

فالشاهد يستعمل في موارد يكون النظر فيه إلى مجرّد حدوث وقيام الشهود وتحقّقه، كما في:

وشهد شاهد مِن أهلها، وشهد شاهِد مِن بَني إسرائيل، إنّا أرسَلناكَ شاهِداً ومُبشِّراً، فاكتبنا مَعَ الشّاهدين.

وأمّا الشهيد فيستعمل في موارد يكون النظر فيها إلى جهة الثبوت والاستقرار والاستدامة، كما في:

والله شَهيد عَلى ما تعملون، إنَّ الله عَلى كُلّ شَيء شَهيد، قُل الله شَهيد بيني وبَينكُم ـ ٦ / ١٩.

فإنّ الله تعالى هو الشهيد على الإطلاق، وهو الحاضر العالم المشرف على جميع الأشياء، لا يعزُب عن علمه وإحاطته ذرّة في السماوات والأرض، وهذه الصفة ثابتة له في الأزل والأبد:

قُل كَفى بالله شَهيداً بَيني وبينكُم إنَّه كان بعباده خَبيراً بَصيراً ـ ١٧ / ٩٦.

نعم هذه الحقيقة لا يمكن لنا فهمها كما هي ما لم نخرج عن القيود والحدود المحيطة، فإنّ الإنسان محدود بحدود أربعة، وكلّ منها يوجب حجاباً وتقيّداً وضعفاً:

١ ـ التقيّد والمحدوديّة بالزمان، وهو بُعد طوليّ.

٢ ـ المحدوديّة بالمحلّ والمكان، وهو بُعد عَرْضيّ.

٣ ـ التعلّق والتقيّد بالبدن المادّيّ، وهو بُعد عُمقيّ.

٤ ـ المحدوديّة الذاتيّة وتقريرها على قَدَر معيّن لا تتجاوز عنه.

فإذا وُفّقنا بالتخلّص عن الحدود والقيود، وحصل لنا الورود في عالم القدس والنور: أدركنا حقيقة حضوره تعالى وإحاطته وعلمه، وشاهدنا حقيقة الشهود من الله تعالى بالشهود، وهذا من أبواب العلم الّتي يفتح منها ألف باب بل آلاف.

وأمّا الشهيد الّذي يقتل في سبيل الله تعالى: فهو إذا سلك في هذا السبيل عن إخلاص، وانقطع عن تعلّقاته المادّية والنفسانيّة، ثمّ أفدى نفسه لله وفي الله: فيصل إلى مقام الشهود بالفناء، فهو شهيد حقّاً لأنّه يشهد أنوار الملكوت ويشاهد عالم النور ويدرك آثار الجمال والجلال، وتتحقّق له هذه الصفة ويثبت له هذا المقام.

فالشهيد باعتبار شهوده في نفسه كما مرّ من الفروق، ولا يجوز إطلاق الشهيد على شخص بلحاظ وقوع الشهود من الغير، كشهود الملائكة وشهود الله تعالى:

فأُولئك مَعَ الَّذينَ أنعَمَ اللهُ عَلَيهم مِنَ النّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداءِ والصّالحين ـ ٤ / ٦٩.

والَّذينَ آمَنوا بالله ورُسُله أُولئك هُم الصِّدِّيقون والشُّهداءُ عِندَ رَبِّهم ـ ٥٧ / ١٩.

ولا يبعد أن يكون إطلاق الشهيد: باعتبار مطلق الشهود، لشهوده بروحانيّته وبصيرته حقيقة أحوال المخالفين وأعمالهم وتظاهراتهم، ثمّ شهود حقيقةِ الصراط الحقّ وما بين يديه من مراحل السلوك والمقامات الروحانيّة، وهذا معنى مطلق لا ينافي المعنى المخصوص الّذي ذكر.

وهذا المعنى هو المراد في الآيات الكريمة:

وجيءَ بالنبيِّين والشُّهداءِ وقُضيَ بَينَهُم ـ ٣٩ / ٦٩.

لِيَكون الرَّسولُ شَهيداً عَلَيكُم وتكونوا شُهداءَ عَلى النّاس ـ ٢٢ / ٧٨.

وكَذلك جَعَلْناكُم أُمَّـةً وسـطاً لتَكونوا شُهداءَ عَلى النّاسِ ويَكون الرَّسـول عَلَيكُم شَهيداً ـ ٢ / ١٤٣.

ويَوم نَبعث مِن كُلّ أُمّة شَهيداً ثُمَّ لا يؤذَن للَّذينَ كَفَروا ـ ١٦ / ٨٤ .

فيراد مطلق الشهود والإحاطة على أعمال الأُمّـة واعتقاداتهم وكيفيّة سلوكهم في طريق الهدى أو الضلال، ويكشف هذا المعنى عن كمال نورانيّة قلوبهم وروحانيّة أنفسهم، وتنزّههم عن التعلّقات الدنيويّة، وتوجّههم الخالص إلى الله المتعال، حـتّى تتحصّل لهم هذه الطهارة والنزاهة وخلوص السريرة والشهود النافذ.

فتكون لهذا المعنى من الشهود مراتب أيضاً:

١ ـ شهود الله عزّ وجلّ: وهو الشهود المطلق بلا قيد ولا حدّ، وقد ذكرناه.

٢ ـ شهود الملائكة الموكلين بهذا الأمر: وهم طاهرون قادسون غير محجوبين يفعلون ما يؤمرون:

وجاءَت كُلُّ نَفس مَعها سائق وشَهيد ـ ٥٠ / ٢١.

لكن اللهَ يَشهد بِما أنزَل إلَيك أنزله بعلمِه والملائكة يَشهدون ـ ٤ / ١٦٦.

٣ ـ شهود الأنبياء على ما لأُممهم: هذا مضافاً إلى مأموريتهم في التبليغ والهداية والتزكية والتعليم:

إنّا أرسَلناك شاهداً ومُبشِّراً ونَذيراً ـ ٣٣ / ٤٥.

ويَومَ نَبعثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيداً عَلَيهِم مِن أنفُسِهِم وجِئْنا بِكَ شَهيداً عَلى هؤلاء ـ ١٦ / ٨٩ .

٤ ـ شهود المؤمنين: وهم الّذين حصلت لهم مرتبة الشهود كما ذكرناها.

وأمّا انعكاس الشهود وظهور نتيجته في الآخرة: فالبحث فيه وعن شرحه وخصوصيّاته وكيفيّة جريان كلّ منها في ذلك العالم: خارج عن حدود أفكارنا المحدودة، كسائر جزئيّات عالم الآخرة.

ونحن نشير إجمالاً إلى ما يشاهد لبعض من أهل المعرفة في هذا المقام:

١ ـ إنّ الروح يُنفخ في البدن على مقتضى خصوصيّاته الذاتيّة واستعداده المنطوي المستتر فيه بأيّ أسباب وعلل مادّيّة ومعنويّة، ثمّ إنّ البدن يتشكّل على ما يتحصّل للروح من خصوصيّات ذاتيّة أو عارضة بالآراء والصفات والأعمال، فيكون البدن ظلّاً وآية ومرآةً من الروح، يتغيّر آناً فآناً بتغيّر فيه من توجّه وإقبال إلى جهة النورانيّة أو إلى جانب الظلمة والمادّيّة، بل يزيد له نور أو ظلمة بكلام أو نظر أو قدم أو خيال، كما ورد في الروايات الشريفة في آثار الأعمال ثواباً وعقاباً، وهذا المعنى محسوس لمن كان له حظّ من البصيرة والنورانيّة الباطنيّة.

٢ ـ كلّ ما يتحصّل للإنسان في طول حياته الدنيويّة من الآراء والعقائد والصفات والأخلاق والأعمال والآداب والتمايلات جزءاً أو كلّاً: فهو يؤثّر في الروح وفي شكله، بمعنى أنّه يوجب تجسّم صورة وتحقّق شكل مخصوص في الروح يناسب تلك الحالات، والروح يتشكّل بهذه الصورة المتجسّمة، ويأخذها لباساً يتلبّس بها، وهذا حقيقة البدن البرزخيّ في عالم البرزخ.

٣ ـ ولا يمكن تحصّل البدن البرزخيّ من خارج، فإنّ ما يتحصّل من الخارج يكون مغايراً للنفس غير ملائم لها، مع أنّ وجود الملاءمة التامّة بينهما من الضروريّات، حتّى لا يدرك أدنى اختلاف بينهما في مقام الرأي والعمل، بل لازم أن لا تكون إثنينيّة بوجه من الوجوه.

وهذا الاتّحاد كما يرى حاصل في البدن المادّيّ الدنيويّ أيضاً، وهكذا لازم أن يتحقّق في المعاد بعد البرزخ.

٤ ـ والبدن البرزخيّ يتغيّر في الخصوصيّات والجزئيّات، حيث إنّ الآراء المتشتّة والأخلاق المختلفة والأعمال المتفرّقة الحاصلة في طول الحياة الدنيويّة لم تتحصّل منها نتيجة حاصلة دقيقة كما هي، فإنّها كانت في الزيادة والنقصان وفي الاضطراب والنوَسان، مضافاً إلى ما يلحقه من الباقيات الصالحات أو الطالحات ومن الخيرات والمبرّات أو السيّئات والمضرّات.

٥ ـ ويتحصّل من التحوّلات الجزئيّة في البرزخ ومن خلاصة مجموع الآثار المتنوّعة: لباس متكوّن، وصورة أخرى دقيقة لطيفة جامعة تامّة، هي محصولة الحياتين وخلاصة ما سبق، وتسمّى بالبدن التامّ الأُخرويّ البعثيّ، وهذا ألطف من البرزخيّ.

٦ ـ وهذا البدن أقوى وأشدّ من البدن البرزخيّ، والبرزخيّ أقوى وأشدّ من البدن المادّيّ الجسدانيّ: فإنّ الموجود كلّما كان عنوان مادّيته أشدّ وأقوى كان من جهة الوجود أضعف وأهون، لأنّ مرجع الموجود المادّيّ إلى كثرة الحدود والقيود، وكلّ قيد يزيد في شيء فقد يزداد في محدوديّته ويشتدّ في فقره ويصير مَعرضاً للحوادث والابتلاءات.

فالإنسان من جهة بدنه المادّيّ: أضعف الموجودات، بدليل كثرة ابتلاءاته واحتياجاته في حياته، وليس هذا إلّا بسبب كثرة القيود والحدود فيه من أيّ جهة ـ خُلِقَ الإنسانُ ضَعيفاً.

٧ ـ فالإنسان في مرحلة الآخرة خلاصة ما كان في العوالم السابقة ومَظهر ما كان له أو عليه، وقد تبيَّن حسابه وتعيّن مسيره ـ يومئذٍ تُعرَضُونَ لا تَخفى مِنكُم

خافِيَة.

فيكون الإنسان يومئذ إمّا شاهداً يُشاهد ما حولَه ومن حولَه والحقائق المرتبطة به، وإمّا مشهود واقع تحت النظر والسلطة وهو محجوب عن رؤية الحقائق، ويعيش في محدوديّة تامّة ـ واليومِ الموعود وشاهدٍ ومَشهود ـ ٨٥ / ٣.

فالمشهود من ليس له جهة شاهديّة، وليس له نور يُبصر به ـ وفي ظُلماتٍ لا يُبْصِرُون.

ولنا أن نُعمِّم الشاهد والمشهود ونقول: إنّ اليوم الموعود ليس فيه خفاء وظلمة وغفلة وجهالة، وهو مجموع متشكِّل من نوعين: إمّا شاهد يشاهد ذلك اليوم وخصوصيّاته وجريانَ أُموره وسُنَنه وما يتعلّق به وأهلَه من أيّ مرتبة وصنف، شهودَ حضور وعلم واطِّلاع، وإمّا مشهود يشاهده أهل الشهود، شهود إحاطة ويقين، فهو عندهم مورد علم وقطع، لا يتردّدون في أمره.

فذلك اليوم لا يرى فيه أدنى تزلزل أو اضطراب أو اشتباه وريب.

ومن مصاديق المشهود: هذا اليوم وما يظهر فيه والأُمور الّتي تجري فيه وما يتعلّق به من نعمة أو نقمة، ورحمة أو عذاب.

وعلى ذلك الإطلاق قوله تعالى: ذٰلِكَ يومٌ مَجموعٌ لَهُ النّاسُ وذلِكَ يَوم مَشهود ـ ١١ / ١٠٣.

فإنّ ذلك اليوم كما قلنا محصول ما سبق من العوالم ونتيجتها وخلاصتها، بل نتيجة الخلقة ومحصَّل التكوين، فلابدّ من حضور جميع الناس فيه وتوجّههم إليه، ولكلّ فرد يومئذ مقام معلوم وشأن يغنيه، وهذه الأُمور يشاهدها جميع طبقات الناس، ولا يخفى لأحد فيها خافية.

وشهود الشاهدين أيضاً مختلفة سعة وضيقاً، فالله سبحانه وتعالى وملائكته، وأنبياؤه وأولياؤه يشاهدون اليوم وخصوصيّاتِه ولو كانوا في عالم الدنيا، فإنّهم غير محجوبين بحدود المادّة وقيود العوالم الظلمانيّة وأبعادها، ولا يحجبهم بُعد زمان ولا مكان ولا بُعد مادّيّة ـ أرواحُهم معلَّقة بالمَلأ الأعلى.

وقد قيل في تفسير الآيتين الكريمتين أقاويل مختلفة ضعيفة خارجة عن مدلول الكلمة وعن مقام الحقيقة.

إنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهوداً ـ ١٧ / ٧٨.

راجع ـ قرأ.

وأمّا الفرق بين الشهود والشهادة: أنّ في الشهادة بمناسبة زيادة الألف وهي من حروف المدّ، دلالة على امتداد الشهود، وهو يدلّ قهراً على إظهار وإعلام.

وفيه دلالة أيضاً على عالم الشهادة في مقابل الغيب: بلحاظ البسط والظهور والامتداد فيه.

والشهادة والغيب بالنسبة إلى الإنسان وقواه المدرِكة الظاهرة الّتي توجب تحقّق مفهوم الحضور والعلم، فيكون شهادة، وفيما وراءه يكون غيباً، كعالم البرزخ والآخرة.

وأمّا بالنسبة إلى الله المتعال: فشهادة كلُّها، لانتفاء الحدود الزمانيّة والمكانيّة والذاتيّة فيه تعالى كما قلنا:

ثُمَّ تُردُّون إلى عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَة فيُنبِّئكُم بِما كُنتُم تَعملون ـ ٩ / ٩٤.

عالِمُ الغَيب والشَّهادَة العَزيزُ الحَكيم ـ ٦٤ / ١٨.

والله على كلّ شيء شهيد.

* * *

شهر:

مصبا ـ الشهر: قيل معرّب، وقيل عربيّ مأخوذ من الشهرة، وهي الانتشار، وقيل الشهر الهلال، سمّي به لشهرته ووضوحه، ثمّ سمّيت الأيّام به، وجمعه شهور وأشهر، وقوله تعالى ـ الحجّ أشهُر مَعلومات: التقدير وقت الحجّ أو زمان الحجّ، ثمّ سمّى بعض ذي الحجّة شهراً مجازاً تسمية للبعض بإسم الكلّ، وأشهرُ الحجّ عند جمهور العلماء: شوّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجّة، وقال مالك: وذو الحجّة عملاً بظاهر اللفظ لأنّ أقلّ الجمع ثلاثة. وعن ابن عمرو الشعبي: هي أربعة هذه الثلاثة والمحرّم. وأشهَر الشيءَ إشهاراً: أتى عليه شهر، كما يقال أحال إذا أتى عليه حول، وشهَر الرجل سيفَه شهراً من باب نفع: سلّه. وشهرت زيداً بكذا وشهّرته بالتشديد مبالغة. وأمّا أشهرته بمعنى شهرته: فغير منقول. وشهرته بين الناس: أبرزته.

مقا ـ شهر: أصل صحيح يدلّ على وضوح في الأمر وإضاءة، من ذلك الشهر، وهو في كلام العرب الهلال، ثمّ سمّي كلّ ثلاثين يوماً بإسم الهلال فقيل شهر، قد اتّفق فيه العرب والعجم. والشُّهرة: وضوح الأمر. وشَهر سيفَه إذا انتضاه. وقد شُهِر فلان في الناس بكذا فهو مشهور، وقد شهروه. وأشهرنا بالمكان إذا أقمنا به شهراً.

التهذيب ٦ / ٧٩ ـ قال الليث: الشهر والأشهُر: عدد، والشهور جماعة. والمشاهَرة: المعاملة شهراً بشهر. قال الزجّاج: إنّما سمّي الشهر شَهْراً: لشهرته وبيانه. وقال غيره: سمِّي شهراً بإسم الهلال إذا أهلّ يسمّى شهراً، والعرب تقول رأيت الشهر أي رأيت هلاله.

كتاب الأفعال ٢ / ١٨١ ـ شهرتُ الأمرَ والشيءَ شهراً: أظهرته. ومنه الشَّهْر لاشتهاره، والسيفَ على المسلمين: سلّه.

قع ـ (سَهَر) قمر، هلال.

* * *

والتحقيق:

أنّ هذه اللغة مأخوذة من العبريّة والسريانيّة، وجُعلت في العربيّة مستعملة في امتداد زمان من ظهور القمر إلى مَحاقه، وهو ثلاثون يوماً، وهو قطعة من الزمان فيها دائرة من جريان القمر.

وبمناسبة هذا المعنى: تستعمل أيضاً في ظهور شيء مع رفعته.

ثمّ تشتقّ من المادّة بالاشتقاق الانتزاعي مشتقّات، فيقال: أشهرنا بالمكان أي أقمنا فيه شهراً، وهكذا.

ولمّا كان المفهوم الأصيل والأصل الواحد الحقيقيّ في المادّة: هو ما ذكرناه: لم تستعمل المادّة في كلام الله الكريم في الموردين الأخيرين.

شَهرُ رَمضانَ الَّذي أُنزِلَ فيهِ القُرآن ... فَمَن شَهِدَ مِنكُم الشَّهرَ ـ ٢ / ١٨٥.

وحملُه وفِصالُه ثَلاثون شَهراً ـ ٤٦ / ١٥.

فَمَن لَم يَجِد فصيامُ شَهرين ـ ٤ / ٩٢.

لَيلةُ القَدرِ خَيرٌ مِن ألفِ شَهر ـ ٩٧ / ٣.

فسِيحوا في الأَرض أربعةَ أشهُر ـ ٩ / ٢.

يَتَربَّصن بأنفُسهنّ أربعةَ أشهُر وعَشراً ـ ٢ / ٢٣٤.

إنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِندَ اللهِ إثنا عَشَرَ شَهراً في كِتابِ الله ـ ٩ / ٣٦.

لِلَّذينَ يُؤلونَ مِن نِسائهم تربّصُ أربعةِ أشهر ـ ٢ / ٢٢٦.

إن ارتبتم فعِدّتُهن ثَلاثةُ أشهُر ـ ٩٦ / ٤.

ولسُلَيمانَ الرّيحَ غُدوّها شَهرٌ ورَواحُها شَهر ـ ٣٤ / ١٢.

هذه الآيات الكريمة تدلّ دلالة صريحة واضحة على أنّ المراد من الشهر في هذه الموارد هو المعنى الّذي ذكرناه. وتدلّ أيضاً على أنّ المراد من الشهر في لسان القرآن والإسلام: هو الشهر من السنة القمريّة.

فإنّ الشهر القمريّ هو شهر طبيعيّ يبتدئ من رؤية الهلال إلى طلوع هلال آخر، ويعرفه كلّ أحد عالِمٍ أو عامّي، ولا يوجد فيه اختلاف.

وأيضاً ـ الشهور القمريّة غير ثابتة في فصل معيّن، بل تدور في الفصول، وتلائم باقتضاء الفصل أغراضاً مختلفة.

وتسمية هذه الشهور بأسمائها العربيّة المعروفة: إنّما هي تسمية طبيعيّة، بانطباق كلّ شهر في بدء التسمية بفصل أو بوضع أو جريان أو حادثة واقعة، ووجه التسمية في كلّ شهر: مذكور في كتب الأدب والتاريخ ـ راجع المروج ١ / ٣٥٤.

والأحكام الدينيّة والقوانين التشريعيّة إنّما تتبع القوانين التكوينيّة، بل إنّ التشريع لتتميم التكوين وتكميله.

وعلى هذا قد جرى من الأحكام الدينيّة والمقرّرات الإسلاميّة ممّا يحتاج إلى وقت ويقيّد بزمان: على هذه الشهور العربيّة.

كصيام شهر رمضان، وما يندب في أوقات، والحجّ المفروض والمندوب كالعُمرة في رجب، والصلاة المخصوصة المندوبة في أوقات من الأشهر، والآداب

المخصوصة في الأعياد الإسلاميّة أو الوفيات والمواليد للأئمة الطاهرين، والأشهر الحُرُم، وغيرها.

يَسألونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرامِ قِتالٍ فيهِ قُل قِتالٌ فيهِ كَبيرٌ وصَدٌّ عَن سَبيلِ اللهِ وكُفرٌ بِه ـ ٢ / ٢١٧.

وقاتِلوهُم حَتّى لاتَكونَ فِتنةٌ... الشَّهر الحَرام بالشَّهرِ الحَرامِ والحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعتَدى عَلَيْكُم فاعتَدوا عَلَيْهِ بِمثلِ ما اعتَدى عَلَيكُم ـ ٢ / ١٩٤.

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تُحِلُّوا شعائِرَ الله ولا الشَّهر الحَرام ـ ٥ / ٢.

فإذا انسلَخَ الأَشْهر الحُرُم فاقتلوا المشركينَ حيث وَجدتموهُم ـ ٩ / ٥.

إنَّ عدَّة الشّهور عِندَ الله إثنا عَشَرَ شَهراً في كِتاب الله ... مِنها أربعةٌ حُرُم ـ ٩ / ٣٦.

تدلّ هذه الآيات الكريمة على حرمة القتال في الأشهُر الحرم، إلّا أن يكون بصورة الدفاع، فإنّ الدفاع فيه حفظ النفس وحفظ الحرمة.

والأشهر الحرم أربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم، فواحد منها فرد وهو رجب، وثلاثة سَرد أي متوالية مربوطة.

ونظير الدفاع: المقابلة بمثل ما فعلوا إذا اضطرّوا بالمقابلة في شهر من الأشهر الحرم، فيكون كالقصاص، وهذا معنى قوله تعالى: الشَّهرُ الحَرامُ بالشَّهرِ الحَرامِ والحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعتَدىٰ عَلَيكُم فاعتَدوا عَلَيْهِ بِمثْلِ ما اعتَدىٰ عَلَيكُم واتَّقُوا الله، أي عن التعدِّي بلا حقّ وعلى خلاف المقرّرات الإسلاميّة ـ راجع ـ قصّ ـ عدّ ـ قتل.

ولا يخفى أنّ هذه الأشهر لا مبدأ لها، بل تحاسب من أيّ شهر يجعل أوّل جريان في حركة أو عمل أو برنامج، فالسنة الحقيقيّة على هذا تبتدئ من أيّ شهر ومن أيّ يوم من شهر إلى انتهاء إثني عشر شهراً طبيعيّاً، وبهذا تمتاز هذه السنة القمريّة من سائر السنوات شمسيّة أو غيرها.

والأحكام كلّها بل وجميع القضايا الجزئيّة الواقعة: إنّما هي تتعيّن وتتحقّق في الشهور وأيّامها، وأمّا السنة: فهي تعتبر بحساب الأشهر، وليست للسنة من حيث هي موضوعيّة وخصوصيّة استقلاليّة.

فالسنة إنّما تستعمل في مقام بيان الحساب وفي امتداد الزمان وفي مقام ذكر الأشهر بنحو الإجمال ـ ألف سنة، أربعين سنة.

وأمّا ما ورد من أنّ أوّل شهر من السنة هو شهر رمضان أو غيره: فهو باعتبار نظر ثانويّ وعنوان عَرَضيّ أو اعتباريّ.

* * *

شهق:

مقا ـ شهق: أصل واحد يدلّ على علوّ، من ذلك جبل شاهِق أي عالٍ، ثمّ إشتقّ من ذلك الشهيق: ضدّ الزفير، لأنّ الشهيق ردُّ النَّفَس، والزفير إخراج النفس. والأصل في ذلك ما ذكرناه. وقال بعضهم فلان ذو شاهق إذا اشتدّ غضبه، ولعلّه أن يكون معه صوت.

مصبا ـ شهَق يشهَق بفتحتين شُهوقاً: إرتفع، فهو شاهق، وجبال شاهقة وشاهقات وشواهق، وشهَق الرجل من بابي نفع وضرب، شهيقاً: ردَّد نفَسَه مع سماع صوته من حلقه.

التهذيب ٥ / ٣٨٩ ـ شهق: قال الليث ـ الشهيق ضدّ الزفير، فالشهيق ردّ النَّفَس، والزفير إخراج النَّفَس. وشهَق يشهَق ويشهِق شهيقاً، وبعضهم يقول شُهوقاً. وقال أبو إسحاق: الزفير والشهيق من أصوات المكروبين، والزفير من شدّة الأنين وقبيحه، والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدّاً. وزعم أهل اللغة من البصريّين والكوفيّين: أنّ الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق. وهكذا قال الفرّاء في تفسير هذه الآية: وقال ابن السِّكّيت: كلّ شيء ارتفع وطال فقد شهَقَ، ومنه يقال شهق يشهَق إذا تنفَّس نَفَساً عالياً، ومنه الجمل الشاهق. وقال أبو عبيد: الشاهق الطويل من الجبال. وقال أبو زيد: يقال للرجل إذا اشتدّ غضبه: إنّه لذو شاهق.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ارتفاع مع تظاهر، كما في قُلّة مرتفعة من الجبل، وفي ارتفاع الغضب وغليانه، وفي امتداد التنفّس العميق المتظاهر، وفي كلّ شيء علا وارتفع وظهر.

فأمّا الّذينَ شقُوا فَفي النّارِ لَهُم فيها زَفير وشَهيق ـ ١١ / ١٠٦.

إذا أُلقوا فيها سمِعوا لَها شَهيقاً وهي تفور ـ ٦٧ / ٧.

التنفُّس الشديد العميق إنّما يجري إذا استولت الحرارة على القلب، سواء كان الحَرّ في القلب من حرارة مادّية ظاهريّة أو من هموم وغموم وابتلاءات شديدة وردت على قلب الإنسان وأوجدت حرارة فيه.

وتلك الحرارة تندفع بالزفير وهو إخراج ما في القلب من الهواء الحارّ ثمّ ردّ

النفس وجذب الهواء البارد الملائم.

وبهذا اللحاظ ذكر الزفير أوّلاً ثمّ بعده يتلوه الشهيق، وإن كان الشهيق وهو إدخال الهواء في مجرى التنفّس مقدَّماً طبعاً.

وأمّا الجحيم فهي دائمة في حالة الطلب والجذب، وليس لها زفير حتّى تندفع حرارتها، بل وهي تفور دائمة.

وأمّا تناسب الشهيق مع مفهوم الارتفاع: فإنّ جذب الهواء يوجب ملء الجهاز التنفّسي وارتفاعه، كما أنّ الزّفير تخلية الجهاز عن الهواء الوارد وانخفاضه.

* * *

شهو :

مقا ـ كلمة واحدة وهي الشهوة، يقال رجل شَهْوان، وشيءٌ شهِيّ.

مصبا ـ الشهوة: اشتياق النفس إلى الشيء، والجمع شهوات، واشتهيته فهو مشتهى، وشيء شهيّ مثل لذيذ وزناً ومعنى، وشهّيته بالتشديد فاشتهى عليّ، وشهيت الشيءَ وشهوت من بابي تَعِب وعلا: مثل اشتهيته، فالرجل شهوان، والمرأة شهوَى.

مفر ـ أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربانِ صادقة وكاذبة: فالصادقة ما يختلّ البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا تختلّ من دونه. وقد يسمّى المشتَهى شهوة، وقد يقال للقوّة الّتي تشتهي الشيءَ شهوة.

التهذيب ٦ / ٣٥٤ ـ في الحديث: إنّ أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفيّة ـ وهو عندي ليس بمخصوص بشيء واحد، ولكنّه في كلّ شيء من المعاصي يُضمره صاحبه ويُصرّ عليه، وإن لم يعمله ـ قاله أبو عبيد، والقول ما قاله. وقوم

شَهاوَى: ذوو شهوة شـديدة للأكل. ويقال شَهِي يَشهَى وشَها يشـهو إذا اشـتَهى. والتَّشهِّي إقتراح شهوة بعد شهوة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الرغبة الشديدة من النفس إلى شيء يلائمه. والاشتهاء إفتعال يدلّ على المطاوعة واختيار الشهوة. والشهوة مصدر مجرّد، والجمع شهوات.

ثمّ إنّ الاشتهاء إمّا فيما يلائم الروح وتحت حكم العقل: فهو مطلوب وممدوح عند الشرع والوجـدان الإنسانيّ، وموجب للسعادة والكمال. وإمّا فيما يلائم البـدن وقواه وفي جهة التمايلات النفسانيّة الصرفة: فهو مذموم عند العقل والشرع وموجب للانحطاط وسوق الإنسان إلى الحيوانيّة والمرتبة المادّية النازلة.

وتوضيح ذلك أنّ للإنسان في كلّ مرحلة بحسب مقامه ومنزلته شهوة ورغبة بالطّبع والقهر: فللطفل إلى سـنتين رغبة إلى اللّبن والثّدي والاسـتراحة. وبعـد إلى سنوات شهوةٌ إلى اللّعب واللّهو. وبعد إلى اللذائذ الحيوانيّة. وبعدَ أن بلغ حدّ الرّشـد يتحقّق فيه الميل إلى جهتين مادّية ومعنويّة.

فالشهوة قوّة بها يتحصّل النيل إلى المطلوب دنيويّ أو روحـانيّ، وهـو أوّل وسيلة بها يسلك إلى الرضوان، أو إلى النيران.

ففي المادّيات النفسانيّة، كما في:

ويُريدُ الَّذينَ يتَّبعون الشَّهَواتِ أن تَميلوا مَيلاً عَظيماً ـ ٤ / ٢٧.

فخلفَ مِن بعدِهم خَلْفٌ أضاعوا الصَّلاة واتَّبعوا الشَّهواتِ ـ ١٩ / ٥٩.

زُيِّن للنّاس حُبُّ الشَّهواتِ مِن النِّساء والبَنِينَ والقناطيرِ المُقَنْطَرة ـ ٣ / ١٤.

أئِنّكُم لَتأتونَ الرِّجالَ شَهوةً مِن دونِ النِّساء ـ ٢٧ / ٥٥.

ففي هذه المرتبة يكون الإنسان تابعاً لشهواته من غير ملاحظة جهة أخرى، فالشهوات متّبَعة من حيث هي.

وهذا بخلاف الاشتهاء في المراتب الروحانيّة: فإنّه فيها غير متَّبع من حيث هو، بل من جهة أنّه متعلَّق الإرادة والرضا والطلب والتوجّه من الله المتعال، فاشتهاؤه بلحاظ النظر إلى رضاء الله تعالى لا إلى اشتهاء نفسه وتمايله.

وفيها ما تَشتَهيه الأنفُسُ وتَلَذُّ الأعيُن ـ ٤٣ / ٧١.

وفَواكهُ مِمّا يَشتَهون ـ ٧٧ / ٤٢.

ولَكُم فيها ما تَشتَهي أنفُسُكُم ـ ٤١ / ٣١.

ولَحمُ طَيرٍ مِمّا يَشتَهون ـ ٥٦ / ٢١.

فالاشتهاء في هذه المراحل إمّا من جهة كونه في سبيل الله وفي طريق رضاه، أو أنّه في الحقيقة مراده ومرضيّه، وذلك إذا بلغ العبد حدّ العبوديّة التامّة والإخلاص الكامل، ولم يبق له إرادة وطلب، وهو فانٍ في عظمة الله تعالى، وبلغ إلى حقيقة مقامه، وتخلّى عن العوارض الحادثة، والدسائس المغطّية.

ويمكن أن يراد الاشتهاء الشأني: أي ما من شأنهم أن يشتهوا تلك الأُمور في نفس الأمر، ولهم أن يشتهوها لولا العوارض والحالات، وهذا المعنى نظير التعبير بقوله: وفيها ما تَشتَهيه الأنفُس.

فالاشتهاء هو الرغبة الشديدة والتمايل الأكيد، وهو مفهوم مطلق مشترك بين هذه الموارد، في كلّ مورد بحسبه.

وفرق آخر بين الاشتهاء المادّيّ والروحانيّ: فإنّ الأوّل يلزم أن يتكلّف في تحصيله حتى يتّبعه، فهو دائماً يجتهد في تحصيل ما يشتهيه ويتبعه، وهذا بخلاف الثاني فهو حاضر عنده ومتهيّأ لديه: ولكُم فيها ما تَشْتَهي، وفيها ما تَشْتَهيه الأنفُس، وفواكه مِمّا يَشتَهون.

ويقول تعالى في الأوّل: واتَّبَعوا الشَّهوات.

❊ ❊ ❊

شوب:

مصبا ـ شابه شَوباً من باب قال: خلطه، مثل شَوب اللبن بالماء، فهو مَشوب، والعرب تسمّي العسل شَوْباً لأنّه عندهم مِزاج للأشربة. وقولهم ـ ليس فيه شائبة ملك ـ يجوز أن يكون مأخوذاً من هذا، ومعناه ليس فيه شيء مختلط به وإن قلّ، كما قيل: ليس له فيه عُلقة ولا شُبهة، وأن تكون فاعلة بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية. وقال الجوهريّ: الشائبة واحدة الشوائب وهي الأدناس والأقذار.

مقا ـ شوب: أصل واحد وهو الخلط، يقال شُبتُ الشيءَ أشوبه شَوْباً. قال أهل اللغة: وسمّي العسل شَوباً لأنّه كان عندهم مِزاجاً لغيره من الأشربة. والشِّياب إسم لما يُمزَج به. ويقولون ـ ما عنده شَوْب ولا رَوْب ـ فالشَّوْب العسل، والرَّوْب اللبن الرائب.

الاشتقاق ١٢ ـ شاب شَيْبة حسنة وشَيْباً حسناً، وأحسَب أنّ اشتقاق الشيب من اختلاط البياض بالسّواد، من قولهم شُبت الشيء بالشيء أشوبه شَوْباً: إذا خلطتَه. والشيء المَشيب والمَشوب المختلط، ويقال أُشابة من الناس أي أخلاط لا خير فيهم، والجمع أشائب، والشَّوب: الخَلط بعينه.

مفر ـ الشَّوْب: الخلط: قال لَشوباً من حَميم ، وسمِّي العسل شَوْباً، إمّا لكونه مِزاجاً للأشربة وإمّا لما يُختلط به من الشمع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو اختلاط شيء من الكدر والدنس، وليس مطلق الخلط أو المزج منظوراً.

وبهذا اللحاظ يطلق على عسل ممزوج مشوب بغيره، وعلى جمعيّة مشوبة بأفراد لا خير فيهم، وهكذا.

فَمالِئونَ مِنها البُطونَ ثُمَّ إنَّ لَهُم عَلَيها لَشَوباً مِن حَميم ـ ٣٧ / ٦٧.

أي إنّ لهم بعد امتلاء بطونهم شراباً مَشوباً بالأدناس ومن حميم.

يراد أنّهم بعدما امتلأت بطونهم من شجرة الزقّوم، وكانت تغلي وتحتاج إلى تبريد بالماء الصافي البارد، فيُسقَون بمشوب من حميم.

والتعبير بالمصدر: إشارة إلى أنّه يخلط بأيديهم أو بوساطتهم، وليس مَشوباً قبله، ولم يكن حاضراً عنده، بل يتكوّن من وجوده وحاله.

ويدلّ على هذا: التعبير بكلمة ـ مالِئون ـ صفة لا فعلاً، الدالّة على مفهوم الوصفيّة واتّصاف الذات، لا التجديد والجريان المتوقّع.

وهكذا التعبير بالبطون أي البواطن: دون المعدة وغيرها، إشارة إلى نفوذ الزقّوم إلى بواطنهم. والتعبير باللّام الدالّ على الاختصاص والملكيّة بالنسبة إلى الشوب، في قوله ـ لَهم. والتعبير بعَلىٰ في قوله ـ علَيها ـ الدالّ على الاستعلاء والاستيلاء، أي إنّ الشوب مختصّ بهم مستولياً ومستعلياً على البواطن.

فظهر أنّ إدراك حقيقة الشّوب من حميم، يتوقّف على معرفة حقيقة شجرة الزقّوم الّتي تملأ منها البطون.

طَعامُ الأثيمِ كالمُهْلِ يَغلي في البُطون - ٤٤ / ٤٤.

* * *

شور:

مقا - شور أصلان مطّردان، الأوّل منها إبداء شيء وإظهاره وعَرْضه. والآخر أخذ شيء. فالأوّل - قولهم: شُرت الدابّة شَوراً: إذا عرضتَها. والمكان الّذي يُعرض فيه الدوابّ هو المِشوار. قال بعض أهل اللغة في قولهم - شوّر به إذا أخجله: إنّما هو من الشُّوار. والشُّوار: فرج الرجل، ومن ذلك قولهم - أبدى الله شُواره، فكأنّ قوله شوّر به: أراد أبدى شُواره حتّى خجل. والباب الآخر قولهم - شُرت العسلَ أشوره. قال بعض أهل اللغة: من هذا الباب - شاورت فلاناً في أمري، وهو مشتقّ من شَور العسل، فكأنّ المستشير يأخذ الرأي من غيره.

مصبا - شُرت العسلَ أشوره شَوْراً من باب قال: جنيته، ويقال: شربته. وشُرت الدابّة شَوْراً: عرضتها للبيع بالإجراء ونحوه. وذلك المكان الّذي يجري فيه مِشور. وأشار إليه بيده إشارةً وشوّر تشويراً: لوّح بشيء يفهم من النطق. وشاورته في كذا واستشرته: راجعته لأرَى رأيه فيه فأشار عليّ بكذا، والإسم المَشورة، وفيها لغتان: سكون الشين وفتح الواو، وضمّ الشين وسكون الواو. ويقال هي من شار الدابّة إذا عرضها في المِشوار، ويقال من شُرت العسل، شبّه حسن النصيحة بشرب العسل. وتشاوَر القوم واشتَوروا، والشّورى إسم منه، وأمرهم شورى بينهم، مثل قولهم أمرهم فَوضى بينهم، أي لا يستأثر أحد بشيء دون غيره، والشوار مثلّث:

متاع البيت.

مفر ـ الشُّوار: ما يبدو من المتاع، ويُكنّى به عن الفرج كما يكنّى به عن المتاع. وشـوّرت به: فعلت به ما خجّلـته. وشرتُ العسـل وأشرته: أخرجته. والتشـاور والمشاورة والمَشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم شرت العسل إذا اتّخذته من موضعه واستخرجته منه.

صحا ـ أشار إليه باليـد: أومى إليـه. وأشار عليـه بالرأي. وشُرت العسـل واشترتها: اجتنيتها، وأشرت لغة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: انتخاب أمر من قول أو عمل أو رأي من بـين الأُمور المستندة إلى جمعيّة. والشَّوْرى إسم لهذا الاستخراج والانتخاب بهـذا النحو. والتشاور والمشاورة: إدامة هذا العمل. والشَوْر والتشوير: يلاحظ فيهما جهة الانتخاب من جانب فرد منهم. وهكذا الإشارة، ويلاحظ فيه جهة قيام الفعل بالفاعل والنظر إليه، كما أنّ النظر في التشوير إلى جهة الوقوع، كما مرّ مراراً في صيغ التفعيل.

وأمّا قولهم ـ شُرتُ الدابّةَ، وشُرت العسلَ: يلاحظ في الموردين انتخاب الدابّة من بين الدوابّ وعرضها، وانتخاب العسل من الشمع وغيره.

ولعلّ هذين المعنيين واستعمالهما في الفرج أو المتاع: مجازات.

فأشارَتْ إليهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في المَهْدِ صَبِيّاً ـ ١٩ / ٢٩.

أي فانتخبَتْ أمراً في الجواب، وهو الإرجاع إلى الصبيّ ليجيبهم.

فظهر الفرق بين الإشارة والإيماء: فإنّ الإشارة هو إيماء بعنوان انتخاب أمر من

الأُمور، لا الإيماء من حيث هو.

أمّا أسماء الإشارة في النحو: فهو بمعنى أعمّ من الإيماء والإشارة.

والَّذينَ استَجابوا لربّهم وأقاموا الصَّلاةَ وأمرُهُم شورى بَينَهم وممّا رَزَقناهُم يُنفِقون ـ ٤٢ / ٣٨.

واستغفِر لَهُم وشاوِرهُم في الأَمر فإذا عزمتَ فَتَوَكَّلْ عَلى الله ـ ٣ / ١٥٩.

المشاوَرة في الأُمور الاجتماعيّة وفي كيفيّة إجراء الأحكام الإلهيّة وخصوصيّاتها المحوّلة إلى الناس.

وفي الشورى فوائد:

١ ـ حصول التعاطف والمسالمة، ورفع التفرّق والاختلاف بالاجتماع.

٢ ـ ازدياد الاختبار والبصيرة والاطلاع والمعرفة، بإظهار الآراء والأفكار المتقابلة إلى أن ينتهي إلى التفاهم.

٣ ـ انتخاب ما هو الأولى والأفضل والأرجح من بين الآراء المعروضة والعمل به، وتشخيص ما هو الأصلح والأوفق بحالهم.

٤ ـ إيجاد روح الوحدة، وحصول القوّة والقدرة الواحدة النافذة ورفع التشتّت والتباغض، والعمل على ما هو صلاح وخير لهم.

٥ ـ ثمّ التوكّل على الله العزيز المتعال، فإنّ التوفيق والتأييد والنصر منه ـ وَلا حَول وَلا قوّة إلّا بالله العظيم ـ إن ينصُركُم اللهُ فَلا غالب لَكُم.

فظهر أنّ التشاور من خصائص المؤمنين، حتّى أنّ رسول الله (ص) أيضاً قد أُمر بذلك، ليتحقّق روح التفاهم والوحدة فيما بين الأُمّة الإسلاميّة. وحتّى ينتخبوا

أحسن برنامج وأعلى قانون في نظام معاشهم.

* * *

شوظ :

مقا ـ شوظ: كلمة واحدة صحيحة، فالشُّواظ: شواظ اللَّهَب من النار لا دخان معه.

صحا ـ الشُّواظ والشِّواظ: اللَّهب الّذي لا دخان فيه.

التهذيب ١١/٣٩٩ ـ شواظ من نار ـ قال الفرّاء: أكثر القرّاء يقرؤون شُواظ، وكسر الحسن الشين، كما قالوا لجماعة البقر: صِوار وصُوار. قال الزجّاج: الشُّواظ: اللهب الّذي لا دخان معه. ابن شميل: يقال لدخان النار شواظ، ولحرِّها شُواظ. وحَرُّ الشمس شُواظ، أصابني شواظ من الشمس.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو اللَّهَب أو الحرارة الشديدة المتجسّمة المتجزئة المنفصلة من نار أو شمس.

وبينها وبين موادّ ـ الشظّ، الشظى، الوشظ: تناسب لفظيّ ومعنويّ، لاشتراكها في انشقاق وتفرّق عن شيء.

يُرسَل عَلَيكُما شُواظٌ مِن نار ونُحاسٌ فَلا تنتصرانِ ـ ٥٥ / ٣٥.

فالشواظ قِطعة منفصلة ومتجلّية من النار، وحقيقته متوقّفة على تشخيص حقيقة النار في ذلك العالم المنظور ـ راجع النار.

* * *

شوك :

مقا ـ شوك: أصل واحد يدلّ على خشونة وحدّةِ طرف في الشيء. من ذلك الشوك وهو معروف. يقال شجرة شَوكة وشائكة ومُشيكة. ويقال شاكني الشوك. وأشكت فلاناً: إذا آذيته بالشوك. وشوّك الفرخُ إذا أنبت. ويشتقّ من ذلك الشَّوْكة وهي شدّة البأس. وبُردة شَوْكاء، وهي الخشنة المسّ من حدّتها. وشوَّك ثَديُ المرأة إذا انتصب وتحدّد طَرَفه.

مصبا ـ شوك الشجرة معروف، والواحدة شوكة. فإذا كثر شوكها: قيل شاكت شوكاً من باب خاف، وأشاكت أيضاً. وشاكني الشوك من باب قال: أصاب جلدي. وشوّكت زيداً به وأشكته إشاكةً: أصبته به، والشوكة شدّة البأس والقوّة في السلاح. وشاك الرجل يَشاك شَوْكاً، من باب خاف: ظهرت شوكته وحدّته، وهو شائك السلاح وشاكي السلاح على القلب، وشوكة المقاتل: شدّة بأسه.

مفر ـ الشَّوْك: ما يدِقّ ويصلُب رأسه من النبات. ويعبّر بالشوك والشِّكَة عن السلاح والشدّة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الانتصاب والحدّة في مقابل اللينة والضعة. وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد، ففي كلّ موضوع بحسبه.

فالشوك في النبات: ما يكون خشناً وله دقّة وحدّة. وفي العمل والقول ما يكون خشناً وله نفوذ وإيذاء. وفي ريش الفَرْخ ما خرج منه خشناً بدقّة. وفي الثّدي ما يكون منتصباً دقيقاً في أوّل بدوّه أو في رأسه. وفي المقاتل ما يكون ذا بأس وقوّة

وسلاح. وفي الطائفة المحاربين إذا كانوا مجهَّزين.

وإذ يَعِدُكُم الله إحدَى الطائِفَتينِ أَنَّها لَكُم وتَودُّونَ أنَّ غيرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكون لَكُم ـ ٨ / ٧.

أي طائفة فاقدة للشوكة، وليست لها حدّة وبأس وأسلحة قويّة نافذة.

وهذه الآية نزلت في مقدّمة غزوة بدر، والطائفة العارية عن الشوكة هم أربعون رجلاً أقبلت من الشام مع أموال عظيمة، والطائفة ذات الشوكة هم ألف رجل من قريش خرجوا من مكّة لنجاة الطائفة المقبلين من الشام.

وقد وعد الله تعالى ورسوله أنّ إحدى الطائفتين تكون تحت سيطرة شوكتهم وحكمهم، فيكونون غالبين مسلّطين عليهم: إمّا على أموالهم وكانت عظيمة، أو على نفوس منهم، وهم رؤوس المشركين من قريش، وقد نصر الله رسوله وأيّده بملائكته وقطع دابر الكافرين، وجعل الله كلمة الإسلام هي العليا.

وكان قتل هذه الطائفة ومغلوبيّتهم أشدَّ تأثيراً وأكثر فائدة بمراتب من إصابة الأموال من الطائفة الأُولى كما لا يخفى، وإن كان التسلّط على الأموال في النظرة الأُولى الظاهريّة مورد رغبة وتمايل، ولعلّ هذا هو السبب في التعبير بقوله تعالى: إحدى الطّائفتين.

ويستفاد من الآيات الكريمة المربوطة: أنّ النظر قد كان متوجّهاً إلى هذه الطائفة الثانية من أوّل الأمر: ويَقطع دابرَ الكافرين.

* * *

شوى:

مقا ـ شوى: يدلّ على الأمر الهيِّن. من ذلك الشَّوى وهو رُذال المال. ومن ذلك

الشَوى جمع شَواة وهي جلدة الرأس. والشَّوى: الأطراف وكلّ ما ليس بمَقْتل. وكلّ أمر هيّن شَوِيّ. ويقولون في الإتباع عَيِيّ شَوِيّ. قال ابن دُريد: هو من الشَّوى وهو الرُّذال. ويقال رميتُ الصّيد فأشويته إذا أصبتَ شَواه وهي أطرافه، والشَّوايا: بقيّة قوم هلكوا، الواحد شَويّة، وإنّما سمِّيت بذلك: لقلّتها وهَونها. والشُّواية: الشيء الصغير من الكبير كالقِطعة من الشاة. ويقال ما بقي من المال إلّا شواية أي شيء يسير. والّذي لا نشكّ فيه: أنّ الشِّواء مشتقّ من هذا، لأنّه إذا شُوِي فكأنّه قد أُهين، وتقول: شويت اللّحم شَيّاً واشتويته، فأنا مُشتو، ويقال انشوى اللحم. قال الخليل: الإشواء: الإبقاء أو في معناه، لا شَوى لها: لا بقيّة لها.

مصبا ـ شويت اللحم أشويه شَيّاً فانشوى، مثل كسرته فانكسر، وهو مَشويّ، وأشويته لغة، واشتويته مثل شويته. والشِّواء بمعنى مفعول مثل كتاب وبساط. وأشويت القومَ: أطعمتهم الشِّواء. والشَّوى: الأطراف وكلّ ما ليس مَقتلاً كالقوائم.

كتاب الأفعال ٢ / ٢١٨ ـ شويتُ اللّحم شَيّاً: أنضجته بمباشرة النار، وشويت الشيءَ: أصبت مقتَله، ضدّ أشويت، وأشويتك: أطعمتك الشِّواء، ومن الشيء: أبقيت.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو خروج شيء عن حالته الطبيعيّة بحرارة النار مادّيةً أو معنويّة. من ذلك شواء اللّحم إذا نضج وتبدّل ظاهره. وشويتُ الشيءَ إذا تبدّل ظاهر حياته بحرارة إصابة ما أصابه. ولعلّ رذال المال من ذلك إذا كان في أثر إصابة.

وأمّا باقي المعاني: فمجازيّة باعتبار لوازم خروج الشيء عن حالته الأصيلة

فيبقى الباقي، ويكون رُذالاً، وهو ليس من أصل وجوده الأصيل، ويكون لا محالة هيّناً ضعيفاً، وهكذا.

وإن يَستَغيثوا يُغاثوا بِماء كالْمُهل يَشوي الوجوهَ ـ ١٨ / ٢٩.

أي إذا استنصروا في كشف حرارة العذاب: يُعان عليهم بماء كالمُهل، وهذا الماء الحارّ المذاب إذا أصيب إليهم لكشف العذاب وللشرب يُنضِج وجوههم ويخرجها عن الصورة والحالة الطبيعيّة ـ لا يَموت فيها ولا يَحيى.

يَودّ المُجرمُ لو يَفتدي مَن عَذاب يومَئذٍ ببَنِيه ... كَلّا إنَّها لَظَى نَزَّاعَة للشَّوى ـ ٧٠ / ١٦.

هذا عذاب فوق العذاب الّذي يشوي الوجوه. فإنّ المعذَّبين يومئذ كانوا مَشويّة أجسامهم وخارجة ظواهرهم عن الصور والحالات الطبيعيّة بسبب إحاطة حرارة الابتلاءات، ثمّ يحيط بهم يومئذ عذاب عارض ثانويّ شديد ينزع ما لَهم من الشَّوى.

فهذا هو المراد وهو المعنى الحقيقيّ للّفظ كما قلنا، وبهذا يندفع الخلاف فيما بين اللّفظين في الآيتين الكريمتين، ولا يناسب حمل الشوى على جَلدة الرأس أو أطراف البدن، فإنّهما مجازان.

وأمّا سبب الانحراف: تنزيلهم يوم الجزاء بيوم من الدنيا المادّيّة وفيها حرارة شمس تصيب الرؤوس، مع أنّ الأبدان يومئذ جسمانيّة لطيفة، إذا الشَّمسُ كُوِّرَت، وحرارة العذاب قد أحاطت من كلّ جانب، ولايجوز المقايسة في خصوصيّات العالَمين بوجه ـ راجع ـ عذب.

❊ ❊ ❊

شيء :

مصبا ـ شاء زيد الأمرَ يشاؤه شيئاً، من باب نال: أراده، والمشيئة إسم منه بالهمزة، والإدغامُ غير سائغ إلّا على قياس من يحمل الأصليّ على الزائد، لكنّه غير منقول، والشيء في اللغة عبارة عن كلّ موجود إمّا حسّاً كالأجسام أو حكماً كالأقوال نحو قلت شيئاً، وجمع الشيء أشياءُ غير مُنصرف، واختلف في علّته، والأقرب ما حكي عن الخليل أنّ أصله شيآء وزان حَمْراء.

صحا ـ الشَّيْء: تصغيره شُيَيْء، والجمع أشياء غير مصروف. وقال الأخفش: هو أفعِلاء، فلهذا لم يصرف لأنّ أصله أشيئاء، حذفت الهمزة بعد الياء للتخفيف. وقال الكسائي: أشياء أفعال، وإنّما تركوا صرفها: لكثرة استعمالهم لها، لأنّها شبّهت بفَعْلاء. وقال الفرّاء: أصل شيءٍ شَيِّئ كهَيّن ولَيّن، فيقال هَيْن ولَيْن. والمَشيّة: الإرادة، وقد شِئتُ الشيءَ أشاؤه. وقولهم ـ كلّ شيء لشِيئة الله مثل شيعةٍ، أي بمشيئته. الأصمعي: شَيَّأتُ الرجلَ على الأمر: حملته عليه.

كلّيا ـ الشيء: هو في اللّغة ما يصحّ أن يُعلم ويُخبَر عنه، فيشمل الموجود والمعدوم ممكناً أو مُحالاً، وهو مذكّر يطلق على المذكّر والمؤنّث، ويقع على الواجب والممكن والممتنع، نصّ على ذلك سيبويه. وهو في الأصل مصدر شاءَ، أطلق تارة بمعنى شاءٍ إسمَ فاعل، وح يتناول الباري، وبمعنى إسم مفعول تارة أخرى أي مَشِيء.

كتاب الأفعال ٢ / ٢١٢ ـ وشاءَ الله تعالى الشيءَ شيئاً ومشيئةً: قدّره، والإنسانُ: أراده. وشاءك: أحزَنك. وأيضاً سرّك، وهو من الأضداد.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تمايل يصل إلى حدّ الطلب. وتوضيح هذا الأمر يحتاج إلى مباحث:

١ ـ الشيء في الأصل مصدر كالمشيئة، ويطلق على كلّ ما يصحّ أن يُطلب، فيشمل الواجب فإنّه مطلوب لكلّ موجود، وسائرَ الموجودات الممكنة.

قُل أيُّ شَيء أكبرُ شَهادَةً قُل اللهُ شَهيدٌ بَيني وبينكُم ـ ٦ / ١٩.

فالله تعالى مصداق من مصاديق الشيء المتوقّع شهادته.

فَسَوَّاهنَّ سَبعَ سَماواتٍ وهوَ بَكُلّ شَيء عَليم ـ ٢ / ٢٩.

قُل اللهُ خالِق كُلّ شَيء ـ ١٣ / ١٦.

وَكانَ اللهُ عَلى كُلّ شَيء قَديراً ـ ٤٨ / ٢١.

فيشمل كلّ معلوم ومخلوق ومقدور.

فالشيء يطلق على كلّ ما يُشاء من موضوع أو حكم أو عمل. كما أنّ الموجود يطلق على كلّ ما يوجد. والثابت على كلّ ما ثبت في نفسه.

٢ ـ المشيئة إنّما تتحقّق في الخارج بعد التوجّه إلى المَشيء أوّلاً، ثمّ تصوّره ثانياً، ثمّ التمايل والرغبة إليه ثالثاً، وبعدها تتحقّق المشيئة.

وبعد المشيئة يتحقّق العزم والتصميم، ثمّ الإرادة.

هذا في المخلوق، وأمّا في الخالق تعالى: فلا تحتاج المشيئة إلى توجّه ولا إلى تصوّر ولا إلى رغبة وتمايل، فإنّ إحاطته وعلمه حضوريّ، وهو أقرب إلى كلّ شيء من نفسه، وسع كلَّ شيء علمُه ـ إنَّ الله عَليمٌ خَبير، كتبَ رَبّكُم عَلى نَفسه الرَّحمةَ،

يَمحو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِت وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتاب.

٣ ـ المشيئة في الله تعالى من آثار العلم والقدرة: فبالعلم التامّ الحضوريّ لله تعالى يكون جميع الأشياء حاضراً عنده ومعلوماً ومشهوداً، لا يحجبُه زمان ولا مكان ولا حدّ ولا حجاب نوريّ. وبالقدرة الكاملة المطلقة يتحصّل له اختيار تامّ في جميع ما يشاء ويريد، وقدرته التامّة تقتضي أن لا يشاء إلّا ما هو الأصلح والأحسن في الواقع، فإنّ انتخاب غير الأصلح إنّما هو ينشأ من الضعف والحاجة، وإذا لم يوجد ضعف ولا احتياج إلى أيّ شيء: فكيف يتصوّر التمايل إلى اختيار المرجوح مع وجود الأرجح.

تِلكَ آياتُ الله نَتلوها عَليكَ بالحقّ وَما الله يُريد ظُلماً للعالَمين ـ ٣ / ١٠٨.

٤ ـ مرجع صفتي العلم والقدرة إلى الحياة: والحياة هي الثبوت والتحقّق في ذات الشيء مع حفظ جميع الخصوصيّات الذاتيّة، وهي تختلف في مراتب الموجودات بحسبها، فكلّما اشتدّ الوجود كمالاً كملت الحياة.

وصفة الحياة في الله تعالى عبارة عن هويّة الذات البحت الحقّ والنور المطلق الفرد الثابت القيّوم، فالحياة ليست بزائدة على الذات الحقّ، بل حقيقتها هي الهويّة الحقّة المطلقة بنفسها وفي نفسها.

وإنّما تختلف الحياة والذات: في المفهوم والعنوان.

وعلى هذا يذكر هذا الإسم أوّلاً وبعد الذات ـ هوَ الحيُّ القيّوم، وعنَت الوجوه للحيِّ القيّوم، وتوكلّ عَلى الحيِّ الّذي لا يَموت.

٥ ـ فصفة الحياة مبدأ لسائر الصفات الجلاليّة والجماليّة: فإنّ الذات المنزّه عن أيّ حدود خارجيّة وداخليّة، وهو النور المطلق الحقّ: لا يتّصف بضعف ولا نقص

ولا محدوديّة ولا محجوبيّة ولا احتياج ولا فقر، فهو تعالى نور بَحت مطلق وعلم تامّ وقدرة كاملة وعدل وإرادة وحقّ.

وهذه الصفات كما أنّها تنتزع وتلاحظ في النـور الحـقّ المطلق: كذلك تلازم الحياة المطلقة في ذاتها، فإنّ النور الحقّ بذاته هو عين الحياة وحقيقتها بنفسها كما قلنا ـ راجع ـ شهد.

٦ ـ ومن آثار صفة الحياة ولوازمها التمايل الشديد إلى محافظة الذات وجلب ما يلائمها وتلتذّ منه ودفع ما تستكرهه ويضرّها بالطبع.

وهذا أمر طبيعيّ، فإنّ كلّ حيّ يحبّ بقاءه وسـلامة ذاتـه ودوامها وجلب ما يلائمها، والدفاع عن حريم حياتها.

وهذا التمايل الشديد الطبيعي: قد يعبّر عنه في بعض الموارد بالجاذبة والدافعة، وفي موارد أُخر بالشهوة والغضب. وفي موارد بالحبّ والعشق والبغض. ومرجع كلّ منها إلى حفظ الحياة وجلب ما يلائمها.

وهذا التمايل في الجماد: يتجلّى بصورة الجذب بين أجزائه وحفظها والمقاومة في قبال ما ينافيها.

وفي النبات: مضافاً إلى ذلك، بجذب ما ينفعه ويديمُ حياته.

وفي الحيوان: مضافاً إلى ذلك، بالتمايل والحبّ والتعلّق إلى ملائمه وما يجانسه، والنزاع الشديد مع المخالف والعدوّ.

وفي الإنسان: مضافاً إلى ذلك، تتجلّى آثار الحياة الروحانيّة أيضاً، من التمايل إلى حفظ الروح وإحياء آثاره وإدامة حياته وتقويته، وجذب ما يـلائمه وحبّ مـا يستلذّ منه والتمايل الشديد إلى ما يجانسه.

وفي عوالم الروحانيّة: تتحقّق آثار التمايل الروحانيّ فقط ـ وجَعَل بَينَكُم مودَّةً ورَحمَة، وجَعَلَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجاً ومِنَ الأنعام أزواجاً، إنّا جَعَلنا الشَّياطينَ أولياءَ لِلَّذينَ لا يؤمنون.

وهذا معنى قولهم ـ إنّ جميع أنواع المحبّة والعشق يرجع إلى حبّ النفس، فلابدّ أن يفسّر ـ بأنّ أنواع التمايلات ترجع إلى التمايل بمحافظة النفس حياتها.

٧ ـ وأمّا التمايل إلى محافظة الحياة في الله عزّ وجلّ: فلا يتصور له معنى صحيح، فإنّ حياته تعالى ثابتة واجبة، وقلنا إنّ الحياة عبارة عن هويّة الذات، وهو غنيّ حقّ ونور مطلق أزليّ أبديّ، فلا حاجة فيه إلى محافظة ولا إلى جلب ما يلائمه ويلتذّ منه.

وإنّما الصحيح الحقّ منه: هو التمايل إلى محافظة الحياة ببسط النور والرحمة وإفاضة الجود والوجود، بأيّ نحو يشاء.

فهذا التمايل الشديد والمحبّة: ثابت له، وهو من آثار حياته ولوازمها، وهو في كلّ يوم في شأن، وفي كلّ آن على مشيئة، وبهذا الحبّ تتجلّى التجلّيات النوريّة الإلهيّة الحقّة الحياتيّة: اللهُ يَبسط الرّزقَ لِمَن يَشاء ويَقدر، كَذلك الله يَفعَل ما يَشاء، كَذلكَ الله يَخلق ما يشاء، ولكنّ الله ذو فضل على العالَمين، ورحمتي وسعَتْ كُلَّ شَيء.

٨ ـ ومن آثار القدرة ولوازمها: الاختيار بتحقّق المشيئة والإرادة، فإنّ حقيقة القدرة عبارة عن رفع الحدّ، وكلّما كان الحدّ أقلّ تكون القدرة أكمل، إلى أن ينتهي إلى نور واجب مطلق منزّه عن أيّ قيد خارجيّ وذاتيّ، وهو النور الحقّ الغنيّ.

ومن لوازم هذا الإطلاق والتنزّه عن أيّ قيد وحدّ: تحقّق المشيئة والاختيار ورفع الحدود بالكلّيّة، فإنّ المقهوريّة والجبر خلافُ الإطلاق ويوجب محدوديّة الذات وسلب الاختيار.

فإنّ من كان تحت سلطة قانون طبيعيّ داخليّ أو خارجيّ: فهو محـدود بهذا القانون يُسلَب عنه الاختيار في ذلك المورد، وهذا المعنى يخالف إطلاق النور وتنزّهه عن الحدود:

قُل اللّهمَّ مالكَ المُلْكِ تؤتي المُلْكَ مَن تَشاء وتَنزع الملكَ ممَّن تَشاء وتُعِزّ مَـنْ تَشاء وتُذِلّ مَن تَشاء بيدك الخيرُ إنَّكَ عَلى كُلّ شَيءٍ قَدير ـ ٣ / ٢٦.

وربُّكَ يَخلق ما يَشاء ويَختار ما كانَ لَهم الخِيرَةُ ـ ٢٨ / ٦٨.

٩ ـ فظهر ممّا ذكر حقيقة مفهوم الرواية الشريفة ـ خَلَقَ اللهُ الأشـياءَ بالمشِيَّة والمشيَّةَ بنفسها: فإنّ المشيّة كما قلنا هي من آثار العلم والقدرة، وبها يـتجلّى حـقّ الحياة الأزليّة، فالمشيّة مرتبة شديدة من التمايل، ومقام اختيار أحد الجانبين من الفعل والترك، وهي من صِفات الذات، وبها يظهر الفيض والخلق والتكوين:

كَذلكَ اللهُ يَخلق ما يَشاء، نُصِيب برحمَتِنا مَن نَشاء، والله يؤتي مُلكَه مَن يَشاء، يَمحو اللهُ ما يَشاء ويُثْبِت.

وتوضيح ذلك أنّ القدرة ليست إلّا مقدار سعة النور (المعبّر عنه في لسان أهل الحكمة بالوجود) وكلّما كانت حدوده قليلة تكون السعة والقوّة فيه شديدة، فالقدرة ليست وراء حقيقة نور الذات، ومقام هذا النور شدّة وضعفاً يعرف بخصوصيّة الحدود ومقدار المحدوديّة.

فالقدرة في الله عزّ وجلّ كذاته المنزّه لا نهاية لها، وليست بمحدودة بأيّ نحو يتصوّر، إذ ذاته تعالى منزّه عن أيّ حدّ يتصوّر.

وتجلّي القدرة وظهورها هو المشيئة، فالأشياء مستندة إلى القدرة والمشيئة في ذاتها، وفي خصوصيّاتها إلى العلم.

١٠ ـ وأمّا المشيئة والاختيار في المخلوق: فالدليل فيها ما قلنا في المشيئة والاختيار لله عزّ وجلّ، إذ المشيئة مَظهرة القدرة ومَجلاتها، والقدرة هي رفع القيود ونفي الحدود، وكلّما كانت المحدوديّة بأيّ نحو منها قليلة كانت القدرة شديدة.

فكلّ مرتبة من الموجودات لها مقام محدود من القدرة، باعتبار مقدار إطلاقها عن المحدوديّة، كإطلاق كلّ مرتبة من الجماد والنبات والحيوان والملائكة والروح عن الحدود الواقعة فيما دونها.

فكلّ موجود في أيّ مرتبة كان إنساناً أو غير إنسان: له من المشيئة والاختيار بمقدار قدرته وإطلاقه عن المحدوديّة.

فالمشيئة سارية في مراتب الموجودات كسريان النور والفيض والوجود فيها، في أثر القدرة الظاهرة فيها:

فكُلا مِن حَيثُ شِئْتُما، فكُلوا مِنها حَيث شِئْتُم، فأتوا حَرْثكُم أنّى شِئْتُم، إعملوا ما شِئْتُم.

١١ ـ فظهر من هذه الكلمات حقيقة الرواية الشريفة ـ لا جَبْرَ ولا تفويضَ بل الأمرُ بينَ الأمرين: فإنّ الإنسان مختار وله مشيئة بمقدار قدرته وانطلاقه عن الحدود كما قلناه، وله مقهوريّة ومجبوريّة في مقابل الحدود والقيود الذاتيّة له في نفس الأمر.

مضافاً إلى أنّه واقع تحت سيطرة مشيئة الله، فتؤثّر تلك المشيئةُ في أعماله وحركاته وجريان أموره.

فالإنسان واقع تحت حكومة مشيئتين: مشيئة في أثر قدرته الذاتيّة، ومشيئة نافذة حاكمة على مراتب الخلق من جانب الله المتعال:

مَن كانَ يُريد العاجلَةَ عجَّلنا لَه فيها ما نشاء، وما تَشاءونَ إلّا أن يَشاء الله ربّ، يُسارِعون في الخيرات، وخلَق كلَّ شَيء فقدَّره تَقديراً.

١٢ ـ أكثر استعمال المشيئة في موردين: مقام التكوين، إظهار العظمة: أمّا مقام التكوين: فإنّ المشيئة فيه لله تعالى، وليس لأحد فيه مشيئة واختيار، وهنا مقام جبر وقهر وسلطة صرفة، يفعل ما يشاء بما يشاء كيف يشاء، وذلك على مقتضى علمه وحكمته:

يخلق ما يَشاء يَهب لِمَن يَشاء إناثاً ويهبُ لِمَن يَشاء الذُّكور ـ ٤٢ / ٤٩.

إن يَشأ يُذهِبكُم ويأتِ بخَلقٍ جَديد ـ ٣٥ / ١٦.

إن يَشأ يُسكِن الرّيحَ ـ ٤٢ / ٣٣.

وأمّا مقام العظمة والحكومة المطلقة الأصيلة: فإنّه بما يشاء قدير، وإذا شاء شيئاً فلا رادّ لحكمه، وإذا رأى أمراً وأراده فيقول له كن فيكون:

مَن يشأ الله يُضلِلْهُ ومَن يشأ يجعَلْه عَلى صراطٍ مُستقيم ـ ٦ / ٣٩.

ربّكُم أعلمُ بكُم إن يشأ يرحَمْكُم أو إن يشأ يُعذِّبكُم ـ ١٧ / ٥٤.

ولِلهِ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاء ـ ٤٨ / ١٤.

هذه إجمال ما يشاهَد لبعض من أهل المعرفة في هذا المقام.

وَما تَشاءُون إلّا أن يَشاءَ الله ـ ٧٦ / ٣٠.

قلنا إنّ المشيّة من الإنسان واقعة تحت سيطرة مشيّة الله تعالى، وما لم توافق برنامجَ أمره ونظم تدبيره: فلا يمكن أن تكون مؤثّرة.

ولا تَبْخَسُوا النّاسَ أشياءَهُم ـ ٧ / ٨٥.

أي في كلّ مَشيء لهم في مقام معاملة أو غيرها، بأن لا يضيع حقّ مطلوبٌ لهم.

* * *

شيب :

مقا ـ شيب: هذا يقرب من باب ـ شوب، وهما يتقاربان جميعاً في اختلاط الشيء بالشيء، من ذلك الشيب، شيب الرأس، يقال شاب يشيب. قال الكسائي: شيّب الحزن رأسَه وبرأسه، وأشاب الحزن رأسَه وبرأسه. والرجل إذا شاب فهو أشيَب. والشيب: الجبال يسقط عليها الثلج. وقال الأصمعيّ: الشيب: بياض الشَّعر، والمَشيب دخول الرجل في حدِّ الشَّيْب من الرجال ذوي الكبر والشَّيْب.

مصبا ـ شاب الرجل يشيب شَيباً وشَيبةً، فالرجل أشيب على غير قياس، والجمع شِيب، وشَيْبان مشتقّ من ذلك، وبه سمِّي، ولا يقال امرأة شيباء، وإن قيل شاب رأسها. والمَشيب: الدخول في حدّ الشيب، وقد يستعمل المَشيب بمعنى الشيب وهو ابيضاض الشعر المسودّ. وشيّب الحزن رأسه وبرأسه وأشابه، فشاب.

الاشتقاق ـ ١٢ ـ شاب شيبةً حسنة وشيباً حسناً، وأحسَب أنّ اشتقاق الشيب من اختلاط البياض بالسّواد، من قولهم شُبت الشيء بالشيء أشوبه شَوْباً: إذا خلطته. والشيء المَشيب والمَشوب: المختلط. وقد سمّت العرب شَيْبان، ويُسمّون شهري قِماح الّذين يشتدّ فيهما البَرْد شَيْبان ومِلحان، (وهما كانون الأوّل وكانون الثاني) لابيضاض الأرض من الجَليد.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو اختلاط نافذ عميق، وبينها وبين الشوب والشَّبّ: اشتقاق أكبر، ويجمعها مفهوم الخلط في الجملة. والشَّيب بمناسبة الياء يدلّ

على نفوذ وتسفّل في الخلط. والشبّ على شدّة واستحكام. ويناسبان المشيبة والشباب.

وقلنا في الشوب إنّه اختلاط في قبال الخلوص لا مطلق الخلط.

ففي المشيبة: تحقّق اختلاط في المزاج يرفع الصفاء والخلوص ويوجب تغيّر اللّون والشكل وابيضاض الشعر.

قالَ رَبِّ إنّي وهَنَ العظم منّي واشتعلَ الرَّأسُ شَيْباً ـ ١٩ / ٤.

ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعد قوّة ضَعفاً وشَيبةً ـ ٣٠ / ٥٤.

يَوماً يجعلُ الوِلدانَ شَيباً ـ ٧٣ / ١٧.

أي اختلاطاً مع كدورة يخالف الخلوص والصفاء.

والمشيبة حالة تغيّر واختلاط وكدورة في إدامة جريان المزاج بتبدّل حالة الاستقامة والصفاء، فهي مصداق كامل من الشيب.

وفي التعبير بالمادّة: إشارة إلى جهة تغيّر المزاج وتحوّل القوّة والطراوة والنضارة والبهجة والقدرة إلى الضعف والانكسار.

فالشيب ليس بمعنى كثير السنّ، بل مَن تغيّر مزاجُه.

* * *

شيخ :

مصبا ـ الشيخ: فوق الكَهل، وجمعه شيوخ وشِيخان، وربّما قيل أشياخ وشِيخة. والشيخوخة مصدر شاخ يشيخ، وامرأة شَيْخة. والمَشيخة إسم جمع للشيخ، وجمعها مَشايخ.

صحا ـ شيخ: جمع الشيخ شيوخ وأشياخ وشِيخة وشِيخان ومَشيخة ومَشايخ

ومَشيوخاء. وقد شاخَ الرجل يَشيخ شَيَخاً بالتحريك جاء على أصله وشَيْخوخةً وأصل الياء متحرّكة فسُكّنت، لأنّه ليس في الكلام فَعْلول، وما جاء على هذا من ذوات الواو مثل كَيْنونة وقَيْدودة ودَيْمومة: أصله كَيِّنونة بالتشديد فخفّف، ولولا ذلك لقالوا كَوْنونة ولا يجب ذلك في ذوات الياء مثل الحَيْدودة والطيرورة. وشيّخ تشييخاً، أي شاخَ، وشيّخته: دعوته شيخاً للتبجيل، وتصغيرُ الشيخ شُيَيْخ وشِييخ أيضاً، ولا تقل شُويخ.

لسا ـ الشيخ: الّذي استبانت فيه السنّ وظهر عليه الشَّيب، وقيل هو شيخ من خمسين إلى آخره، وقيل هو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وقيل هو من الخمسين إلى الثمانين. وشيّختُ الرجلَ تشييخاً إذا فضحته، وشيّخ عليه: شنّع. وأشياخ النجوم: هي الدَّراريّ.

التهذيب ٧ / ٤٦٥ ـ شاخ الرجل يشيخ شُيوخَة، فهو شيخ. ويقال للعَجوز شَيخة. والعرب تقول لزوج المرأة وإن كان شابّاً: هو شيخها، ولإمرأة الرجل وإن كانت شابّة: هي عجوزُه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو من يكون مُسِنّاً مع الوقار والكبر ولو عند أهل بيته.

وهذا هو الفارق بينها وبين الشيب والعجوز والمُسِنّ والكَهْل: فإنّ النظر في الشيب إلى جهة الاختلاط والتغيّر، وفي العجوز إلى جهة العجز، وفي المسنّ إلى زيادة السنّ، وفي الكهل إلى جهة تماميّة النموّ والرشد.

وكلّ من هذه الألفاظ يستعمل بالنظر إلى هذه الجهات.

فالشَّيخ صفة كالصَّعْب والكَهْل، يطلق على من كان مُسِنّاً وله وقار عند أهله أو قومه.

ويدلّ على هذا القيد: استعماله بمعنى الرئيس والمعلّم. وكذلك في اللغة السريانيّة أيضاً، كما في ـ فرهنگ تطبيق ١ / ٤٦٩.

ويدلّ على ذلك أيضاً: استعماله في القرآن الكريم في الموارد الّتي يلاحظ فيها هذا القيد، أي الوقار والشخصيّة.

لا نَسقي حَتّى يُصدِرَ الرّعاءُ وأبونا شَيخ كَبير ـ ٢٨ / ٢٣.

يا ويلَتى أألِدُ وأنا عَجوز وهذا بَعلي شَيخاً ـ ١١ / ٧٢.

قالوا يا أَيّها العَزيز إنَّ لَهُ أباً شَيخاً كَبيراً ـ ١٢ / ٧٨.

ثُمَّ لِتبلُغوا أشدَّكُم ثُمَّ لِتكونوا شُيوخاً ـ ٤٠ / ٦٧.

فالمراد في الآية الأُولى شعيب النّبيّ، وفي الثانية إبراهيم النّبيّ، وفي الثالثة يعقوب النّبيّ (صلوات الله عليهم)، وفي الرابعة مقام الانتهاء والكمال في حياة الإنسان، وبهذا النظر لم يعبّر في هذه الموارد بكلمات الكَهْل وأمثاله.

* * *

شيد :

مقا ـ شيد: أصل واحد يدلّ على رفع الشيء، يقال شِدت القصر أشيده شَيْداً، وهو قصر مَشيد، أي معمول بالشِّيد، وسمّي شِيداً لأنّ به يُرفع البناء، يقال قصر مَشيد أي مطوّل. والإشادة: رفع الصوت والتنويه (الرفع).

صحا ـ شيد: الشِّيد بالكسر: كلّ شيء طليت به الحائط من جِصّ أو بَلاط،

وبالفتح المصدر، تقول شاده يشيده شَيْداً: جصّصَه. والمُشيَّد: المطوّل. وأشاد بذكره: إذا رفع من قدره.

التهذيب ١١ / ٣٩٤ ـ شاد: قال الليث: تشييد البناء: إحكامه ورفعه، وقد يسمّي بعض العرب الجِصَّ شِيداً. والمَشيد: المبنيّ بالشِّيد. وقال: الإشادة: شِبه التنديد وهو رفعك الصوت بما يكره صاحبُك، ويقال أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشرّ والمدح والذمّ إذا شهره ورفعه. وقال الأصمعيّ: كلّ شيء رفعت به صوتك فقد أشدتَ به ضالّةً كانت أو غير ذلك.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الإحكام مع الرفع، سواء كان في بناء أو في كلام وخطاب أو في نسبة وحكم، فالمعاني المذكورة كلّها من مصاديق الأصل.

والإشادة: إذا كان النظر إلى قيام الفعل. والتشييد: إذا كان النظر إلى جهة الوقوع، هذا بمقتضى هيئة الصيغة.

فَكَأَيِّن مِن قَريَةٍ أهلَكناها وهيَ ظالمة ... وبِئرٍ مُعطَّلة وقَصْرٍ مَشيد ـ ٢٢ / ٤٥.

القصر عطف على قرية، أي وكأيّن من قصر اُحكم ورُفع أهلكناه، والقصر يبنى فوق الأرض، والبئر تُحفر في الأرض. والقصر لتأمين المسكن، والبئر لتأمين الحياة ـ مِن الماء كُلّ شَيءٍ حَيّ.

أينَمَا تَكونوا يُدركْكُم الموتُ ولَو كُنتُم في بُروجٍ مُشيَّدة ـ ٤ / ٧٨.

أي الأبنية المتظاهرة الجالبة المحكمة العالية الّتي قد بولغ في إحكامها.

إشارة إلى أنّ تحكيم مباني الحياة الدنيويّة وتثبيت المستقرّ والمسكن لا يمنع عن زوالها وفنائها.

والتعبير بالمَشيد في الآية الأُولى: فإنّ النظر فيها إلى أصل القصر المَشيد، وفي الثانية بالمُشيّد: بلحاظ إدراك الموت في قبال إحكام مؤكّد مضاعف.

* * *

شيع:

مصبا ـ شاع الشيء يشيع شيوعاً: ظهر، ويتعدّى بالحرف وبالألف، يقال شِعتُ به وأشعتُه. والشيعة: الأتباع والأنصار، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثمّ صارت الشيعة نَبْزاً لجماعة مخصوصة، والجمع شِيَع، والأشياع جمع الجمع. وشيّعتُ الضيفَ: خرجت معه عند رحيله، وشيّع الراعي بالإبل: صاح بها فتبع بعضها بعضاً. وشاع اللّبن في الماء: إذا تفرّق وامتزج به، ومنه قيل سهم شائع، كأنّه ممتزج لعدم تميّزه. وشايعته على الأمر مشايَعة، مثل تابعته متابعة وزناً ومعنىً.

مقا ـ شيع: أصلان: يدلّ أحدهما على معاضدة ومساعفة (مساعدة)، والآخر على بثّ وإشادة. فالأوّل ـ قولهم شيّع فلان فلاناً عند شخوصه. ويقال آتيك غداً أو شَيْعَه، أي اليوم الّذي بعده، كأنّ الثاني مُشيِّع للأوّل في المضيّ. ويقال للشجاع: المشيَّع، كأنّه لقوّته قد قوي وشُيّع بغيره، أو شُيّع بقوّة. وأمّا الآخر ـ فقولهم شاع الحديث إذا ذاع وانتشر، ويقال شيّع الراعي إبلَه إذا صاح فيها، والإسم الشِّياع: القصبة الّتي يَنفخ فيها الراعي. ومن الباب شيّعت النار في الحطب إذا ألهبتها.

أسا ـ شيّعته يومَ رحيله. وشايعتك على كذا: تابعتك عليه، وتشايَعوا على الأمر، وهم شيعته وشِيَعه وأشياعه، وهذا الغلام شَيْع أخيه: وُلِد بعده، وآتيك غداً أو

شَـيْعه، وأقمت عنده شهراً أو شَـيْع شهر. وشاع الحديثُ والسرُّ، وأشاعه صاحبه. ورجل مِشياع مِذياع.

التهذيب ٣ / ٦٠ ـ شاع: قال الليث: شاع الشيء يَشيع مَشاعاً وشَيوعةً، فهو شائع: إذا ظهر وتفرّق، وأجاز غيره ـ شاع شُيوعاً. ونصيب فلان شايع في جميع هذه الدار ومُشاع فيها: أي ليس بمقسوم ولا معزول. ورجل مِشياع مِذياع لا يكتم سرّاً، يقال أشعت السرّ وشِعت به: إذا أذعتَ به. وكلّ شيء يكون به تمام الشيء أو زيادته فهو شِياع له.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التوسُّع في أمر، وهذا المعنى جامع بين مصاديق المادّة.

يقال شاع الشيء شيوعاً إذا تحصّل التوسّع فيه، وشاع اللّبن في الماء إذا انتفخ وتفرّق وتوسّع فيه، وسهم شايع ونصيب شايع ومُشاع، إذا اتسعت تلك الحصّة شمولاً على الحصص على البدل. والتشييع جعل شخص شائعاً ومتّسعاً في مقامه وعظمته وحاله، فكأنّ المشيّع شعاع من المشيَّع ومن تمامه، والشَّيْع للشيء من شعاعه ولواحقه المائلة إليه، وشيوع الحديث اتّساعه جرياناً في الأسماع، وهكذا.

وأمّا كلمة الشيعة: فهي في الأصل فِعلة لبناء النوع، فتدلّ على نوع خاصّ من الاتّساع، وهو اتّساع في فكر أو رأي مخصوص، ثمّ أطلقت على طائفة مجتمعة تحت هذا الاتّساع الفكريّ المخصوص.

إنَّ الَّذينَ يُحِبّون أن تَشيع الفاحشةُ في الَّذينَ آمَنوا ـ ٢٤ / ١٩.

أي تتّسعَ الفحشاء في الّذين آمنوا.

فَوَجَدَ فيها رجلَيْن يَقتتلانِ هذا مِن شيعته وهذا مِن عدُوِّه ـ ٢٨ / ١٥.

أي من الجماعة الّتي كانت في دائرة برنامج فكره، وفي شعاع نبوّته.

فَوَ ربّكَ لَنحشُرنَّهم والشَّياطينَ ... ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شيعةٍ أيُّهُم أشَدُّ عَلى الرَّحمٰن عِتيّاً ـ ١٩ / ٦٩.

أي من كلّ جمعيّة اجتمعوا في دائرة وحول فكر مخصوص أو شخص معلوم ذي نظر خاصّ.

سَلامٌ عَلى نوح في العالَمين ... وإنَّ مِن شيعته لَإبراهيم إذ جاءَ رَبَّه بقَلبٍ سَليم ـ ٣٧ / ٨٣.

أي من الّذين كانوا في دائرة برنامج النبوّة والمأموريّة الّتي كانت لنوح النبيّ (ص)، ويدلّ على هذا ذكر جملة ـ إنّا كَذلك نَجزي المُحْسنين إنَّهُ مِن عِبادنا المؤمنين ـ عقيب جريان أمر كلّ واحد منهما في المورد.

وهذا نظير آية ـ ولَقَد أرْسَلْنا نوحاً وإبراهيمَ وجَعَلنا في ذُرِّيَّتهما النُّبوَّةَ والكتابَ ـ ٥٧ / ٢٦.

وقوله تعالى ـ إنَّ أولَى النّاس بإبراهيمَ لَلَّذينَ اتَّبَعوه وهذا النَّبيُّ ـ ٣ / ٦٨.

وقوله تعالى ـ أنِ اتَّبِع مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً ـ ١٦ / ١٢٣.

إنَّ الَّذينَ فرَّقوا دينَهم وكانوا شِيَعاً ـ ٣٠ / ٣٢.

أي افترقوا على فرق وجمعيّات مختلفة لكلّ واحدة منها برنامج ورأي مخالف.

وهذا التفرّق والاختلاف علامة الضّلال والانحراف في الحياتين.

وحِيلَ بَينَهم وبَين ما يَشتَهون كَما فُعِل بأشْياعِهِم مِن قبلُ ـ ٣٤ / ٥٤.

وَلَقَد أهلَكْنا أشْياعكُم فَهَل مِن مُدَّكر ـ ٥٤ / ٥١.

التعبير بصيغة جمع الجمع لتعمّ جميع الفرق المنحرفة من أيّ قوم وطائفة.

وكلّما كان الاختلاف كثيراً والفرق متنـوّعة: يكون الضّلال أشدّ. ولذا تـرى الأنبياء يُعرّفون بأنّهم شيعة واحدة وعلى أمر واحد.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يهدينا سبيلَه الحقّ الّذي أنعم على أنبيائه وأوليائه غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين ـ آمينَ يا ربّ العالمين.

وهذا آخر حرف الشين من كتاب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) وأسأل الله تعالى أن يوفّقني في إتمام سائر الحروف، وهو الموفّق وخير معين، وإيّاه نستعين.

وقد تمّ هذا في يوم الأربعاء السادس من شهر ذي الحجّة سـنة ١٤٠٠، يطابق ١٣٥٩/٧/٢٣.

هو

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

وبه نستعين

باب حرف الصّاد

ص :

الصافي ـ في المعاني عن الصادق (ع): وأمّا ص: فعين تنبَع من تحت العرش، وهي الّتي توضّأ منها النبيّ (ص) لمّا عُرج به، ويدخلها جبريل كلّ يوم دخلة فينغمس فيها... وفي الكافي ـ ثمّ أوحى الله إليّ: يا محمّد أُدنُ من صاد فاغسل مساجدَك وطهِّرها وصلّ لربّك... وهو ماء يَسيل من ساق العرش الأيمن.

* * *

والتحقيق :

أنّ ما يستفاد من الآيات الكريمة، قبل هذه الكلمة وبعدها: هو أنّها حرف رمز يشار بها إلى معنى مفهوم للنبيّ (ص)، ويقوى في النظر أن يكون المراد هو الصفّ أو الصبر أو الصراط أو الصلاح أو الصفاء.

وتوضيح ذلك: أنّ الصفّ بقرينة ـ والصّافّاتِ صَفّاً ـ في ابتداء السورة السابقة، وآية ـ وإنّا لنَحنُ الصّافُّون ـ في آخر السورة: في المرتبة الأُولى من كونه منظوراً. ثمّ الصبر بقرينة ذكره بعد جريان أمر الكافرين في هذه السورة آية ١٧ ـ اصبِر عَلى ما

يَقولون ـ خطاباً للنبيّ (ص)، وهكذا بعد ذكر جريان أمر أيوب آية ٤٤ ـ إنّا وجَدناه صابراً ـ في توصيف أيّوب النبيّ. وبعده الصراط والصلاح والصفاء المذكورة في السورة.

ولا يبعد أن يكون ص إشارة إلى كلّ منها، بدليل ذكره مطلقاً.

ولا يخفى أنّ مرجع هذه الكلمات إلى حقيقة واحدة، وهي العبوديّة الصرفة والتسليم التامّ والقيام الخالص في قبال أمره وعظمته.

فإنّ الاستقرار في الصفّ: هو التثبّت في إطاعة الأمر من دون تزلزل واضطراب وتمايل إلى جانب.

والصبر: هو الاستقامة التامّة في العبوديّة والعمل بالوظيفة المحوّلة إليه.

والصراط: هو الاستقرار الكامل في السلوك على صراط الحقّ من دون أيّ زيغ.

والصلاح: هو استدامة العمل الصالح.

والصفا: هو طهارة الباطن والتنزّه عن أيّ تلوّن وتكدّر.

وهذه صفات ممتازة ومن أعلى مقامات الإنسانيّة والنبوّة، كما قال النبيّ (ص): شيّبَتْني سورة هود ـ فاسْتقِم كما أُمِرت.

وهذه السورة الكريمة تشتمل على ذكر قصص وجريانات من الأنبياء وصبرهم وتثبّتهم على الصراط الحقّ واستقامتهم في قبال الكافرين، وعلى هذا أُشير في صدر السورة على تكليفه ووظيفته المنحصرة في قبال الكفّار والمخالفين في مقام إجراء أمر الرسالة الإلهيّة.

فيكون حرف ص إشارة إلى ـ الاستقامة بالاصطفاف والاصطبار على صراط الحقّ مع الاصطفاء والعمل الصالح.

ثمّ إنّ هذا المقام الأسنى لا يتحصّل إلّا بمعارف إلٰهيّة شهوديّة، والمعرفة اليقينيّة بحقيقة العلم والمشيّة اللّاهوتيّة مع الوصول إلى بحر المحبّة.

فإنّ التجلّيات النـوريّة إنّما تتحقّق وتظهر بالمشـيّة، والمشـيّة من آثار العـلم والقدرة الذاتيّتين المتظاهرتين من الحـياة ـ كما سبق في الشيء، فما لم يشاهد المؤمن حقيقة المشيّة وحقيقة العلم الإلهٰيّ وإحاطتـه وقدرته النافـذة التامّة: لا يتمكّن من إدراك مقام العبوديّة والوصول إلى حقّ التسليم والفناء ومحو الأنانيّة.

فيظهر ما يراد في الروايتين: فإنّ العرش عبارة كما يأتي عن العلم والقدرة وعن التجلّيات الإلٰهيّة وعالم الخلق والتكوين، ويمينُ العرش عبارة عن تحقّق صفتي العلم والقدرة، والماء إشارة إلى الحياة والنور الفائض، وبهذا الفيض يتحصّل التنزّه وترتفع آثار الأنانيّة ويتحقّق الخلوص التامّ.

وأمّا من جهة الإعراب: والظاهر من سياق الكلام أنّ التقدير هو داوِم أو لازِم أو توجَّه أو داوِموا ـ على ص والقرآنِ ذي الذِّكر، فتكون الواو عاطفة، فإنّ ص في المعنى مجرور.

وبهذا التقدير المناسب يحفظ الارتباط بينها وبين ما بعدها ـ بَل الَّذينَ كَفَروا في عِزَّة وشِقاق ـ والمعنى ـ لازم لكم أن تُداوموا وتتوجّهوا إلى الاصطفاف والاستقامة والاستفادة من القرآن، ولكنّ الكافرين في عزّة وشقاق، وهم يداومون على خلافهم وانحرافهم وكفرهم الحقّ.

ويمكن أن يقال ـ إنّ ص رمز، وفيه إشارة إلى ما قلنا، ولا محلّ من الإعراب له، والواو للقسم، وجواب القسم بقرينة مفهوم الرمز محذوف، ومرجع التقديرين إلى معنى واحد ـ راجع ـ ق.

❊ ❊ ❊

صبأ:

مصبا ـ صبي: صبَأ من دين إلى دين يصبَأ: خرج، فهو صابئ، ثمّ جعل هذا اللقب علماً على طائفة من الكفّار، يقال إنّها تعبد الكواكب في الباطن وتنسب إلى النصرانيّة في الظاهر، وهم الصابئة والصابئون، ويدَّعون أنّهم على دين صابئ بن شيث بن آدم، ويجوز التخفيف فيقال الصابون، وقرأ به نافع.

التهذيب ١٢ / ٢٥٧ ـ قال أبو زيد: صَبأ الرجل في دينه يَصْبَا صُبوءاً: إذا كان صابئاً. وقال أبو إسحاق في قوله ـ والصّابئين: معناه والخارجين من دين إلى دين، يقال صبأ فلان يصبأ: إذا خرج من دينه، وصبأت النجومُ: إذا ظهرت، وصبأ نابُه: إذا خرج. قال الليث: الصابئون قوم يُشبِه دينهم دين النصارى، إلّا أنّ قبلتهم نحو مَهَبّ الجَنوب يزعمون أنّهم على دين نوح، وهم كاذبون. وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبيّ (ص) قد صبأ عنَوْا أنّه خرج من دين إلى دين.

تاريخ ابن الورديّ ١ / ٧٠ ـ السِريان أقدم الأُمم، وبالسريانيّ تكلّم آدم وبنوه، وملّتهم ملّة الصابئين، ويَذكرون أنّهم أخَذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يُسمّونه صُحفَ شيث فيه محاسن أخلاق، كالصدق والشجاعة والتعصّب للغريب واجتناب الرذائل. قلت: ورأيت صحيفتين من صحف الصابئين، ولكنّهما عن إدريس، الأُولى مِنهما صحيفة الصلاة، فمنها ـ أنت الأزليّ الّذي ترتبط به الرياسات ربُّ جميع المكوّنات... والثانية ـ صحيفة الناموس، فمنها ـ لا يجرينّ أحد منكم في معاملة أخيه إلى ما يكره أن يعامل بمثله وإيّاكم والتفاخر والتكاثر، لا تحلفوا بالله كاذبين.. وللصابئين عبادات منها سبع صلوات، ولهم الصلاة على الميّت بلا ركوع ولا سجود، ويصومون ثلاثين يوماً، ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيّرة بيوت

أشرافها، ويُعظّمون بيت مكّة، وبظاهر حَرّان مكان يَحجّونه، ويقولون إنّ أهرام مصر أحدها قبر شيث بن آدم والآخر قبر إدريس، والآخر قبر صابئ بن إدريس الّذي ينتسبون إليه، ويعظّمون يوم دخول الشمس الحمل.

الفَصْل لابن حزم ١ / ٣٦ ـ الصابئون: وهم يقولون بقدم الأصلين (كالمجوس) إلّا أنّهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الإثني عشر ويصوّرونها في هياكلهم، ويُقرّبون الذبائح والدخن، ولهم صلوات خمس في اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين، ويصومون شهر رمضان، ويستقبلون في صلاتهم الكعبة، ويُحرّمون الميتة والدم ولحم الخنزير، وكان الّذي ينتحله الصابئون أقدمَ الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا، إلى أن أحدثوا فيه الحوادث، وبدّلوا شرايعه: فبعث الله عزّ وجلّ إليهم إبراهيم خليله (ص) بدين الإسلام وتصحيح ما أفسدوه، بالحنفيّة السمحة من عند الله، وكانوا في ذلك الزمان وبعده يسمّون الحنفاء، ومنهم اليوم بقايا بحَرّان، وهم قليل جدّاً.

التنبيه والإشراف ٧٩ ـ الصابئون: وهم على المذهب الّذي أتى به بوذاسب إلى طهمورث، وهذه الكلمة [حنفاء] سريانيّة عرّبت وإنّما هي حنيفوا، وذكر أنّ الصابئين نسبوا إلى صابي بن متوشلخ بن إدريس، وكان على الحنيفيّة الأُولى، وقيل إلى صابي بن ماري وكان في عصر إبراهيم الخليل عليه السّلام.

فرهنگ تطبيقي ١ / ٤٧٣ ـ صبأ: تمايل، تغيير دين، اشتياق. ثمّ ذكر من العبريّة والسريانيّة والأراميّة: ما يقرب من المادّة.

معجم البلدان ٢ ـ حَرّان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مُضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرَّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل سمّيت بهاران أخي إبراهيم (ع) لأنّه أوّل من بناها فعرّبت فقيل

حرّان، وذكر قوم أنّها أوّل مدينة بُنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة وهم الحرّانيّون الّذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل.

دائرة المعارف الإسلاميّة ١٤ / ٨٩ ـ الصابئة: أُطلق هذا الإسم على فرقتين متميِّزتين تماماً، وهما المَنديّا أو الصَّبْوة: وهي فرقة يهوديّة نصرانيّة تمارس شعيرة التعميد في العراق (نصارى يوحنّا ـ المعمدان). ٢ ـ صابئة حرّان وهي فرقة وثنيّة بقيت أمداً طويلاً في ظلّ الإسلام. ولا شكّ أنّ إسم الصابئة مشتقّ من الأصل العبريّ ص ب ء، أي غطس.

تاريخ ابن خَلِّكان (إبراهيم بن هلال) والصابئ: بهمزة آخره، وقد اختلفوا في هذه النسبة: فقيل إنّها إلى صابئ بن مَتوشلح بن إدريس (ع)، وكان على الحنيفيّة الأُولى. وقيل إلى صابئ بن ماري، وكان في عصر الخليل (ع). وقيل الصابئ عند العرب من خرج عن دين قومه ولذلك كانت قريش تسمِّي رسول الله (ص) صابئاً لخروجه عن دين قومه.

قاموس الأعلام ـ صابئين: (ما ترجمته ـ) التابعين لمذهب يُعبد فيه الكواكب السيّارة، وأنّهم عن أصل سريانيّ وكلدانيّ، ثمّ تعرّبوا، وكان مستقرّهم بلدةَ حَرّان، وخرج منهم في زمان حكومة بني العبّاس علماء مبرّزون. ويوجد اليوم في الحلّة وكربلاء عدّة قليلة منهم.

ويقول في ج ٣، حَرّان: في الجزيرة، بجنوب أُورفه ٣٥ كيلومتراً، بلدة قديمة، قد خربت اليوم، وهي قرية، ونزل عليها إبراهيم (ع) في هجرته من بابل، ثمّ انتقل منها إلى كنعان. وهي بلدة الصابئين، كانت فيها معابدهم وبيت أصنامهم، فتحها عياض في زمان عمر.

الملل للشهرستاني ٢ / ١٠٥ ـ ويقرب منهم قوم يقولون بحدود وأحكام

عقليّة، وربّما أخذوا أصولها وقوانينها مؤيّدة بالوحي، إلّا أنّهم اقتصروا على الأوّل، وهؤلاء هم الصابئة الأُولى، الّذين قالوا بعاذيمون وهرمس وهما شيث وإدريس، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء، ويقولون بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقولون بالشريعة والإسلام... ١٠٨، والصبوة في مقابلة الحنيفيّة، وصبا الرجل إذا مال وزاغ، وبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحقّ وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة... والصابئة تدّعي أنّ مذهبنا هو الاكتساب. والحنفاء تدّعي أنّ مذهبنا هو الفطرة. فدعوة الصابئة إلى الاكتساب، ودعوة الحنفاء إلى الفطرة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الخروج، وتقرب منها لفظاً ومعنى: مادّة الصبو بمعنى الميل والحبّ. وهذه اللغة مأخوذة عن أصل سريانيّ وعبريّ.

وأمّا الصابئة: فمن المسلّم أنّ هذا المذهب كان قبل اليهود والنصارى، وهم أخَذوا واستفادوا من إبراهيم (ع) مستقلّاً أو في تكميل مذهبهم.

٢ ـ وأنّهم كسائر المذاهب افترقوا فِرَقاً مختلفة: فمنهم الحُنفاء الّذين لهم ارتباط شديد مع تعليمات إبراهيم (ع)، ومنهم الحرّانيّون الّذين سكنوا في بلدة حَرّان في الشمال الغربيّ من الموصل.

٣ ـ وأنّهم كاليهود والنصارى إنحرفوا عن التوحيد الحقّ والمعارف الإلٰهيّة وأحكام الله تعالى، وصاروا متوجّهين إلى السيّارات السماويّة، وإن كانت بعنوان التوسّل والتوسّط.

٤ ـ وأنّ معرفة خصوصيّات أحوالهم وتواريخهم وأفكارهم وعقائدهم وأعمالهم

غير ميسورة لنا، لقصور المسـانيد الموجودة الّتي بأيدينا، ولم يمكن لنا الاطّلاع عن تاريخهم أزيد من هذا المقدار.

٥ ـ وأنّ التسـمية بها إمّا بالانتسـاب إلى الصابئ أو بمناسـبة معناها اللغويّ وخروجهم عن الطريقة الحقّة الإلٰهيّة.

٦ ـ وأنّ صُحفاً منسوبة إلى إدريس (ع) قد تُرجمت عن السريانيّة إلى العربيّة في ثلاثة عشر صحيفة، وطبعت مراراً منضمّة إلى الأحاديث القدسـيّة، وفي أوّلها ـ قال أحمد بن حسين بن محمّد المعروف بابن مَتّويه: وجدتُ هذه الصحف بالسوريّة ممّا أُنزلت على إدريس النبيّ أُخنوخ (ص) وكانت مُمزّقة ومندرسة، فتحرّيتُ الأجر في نقلها إلى العربيّة بعد أن استقصيت في وضع كلّ لفظة من العربيّة موضع معناها من السوريّة وتجنّب الزيادة ولم أُغيِّر معنىً ... الخ.

٧ ـ وأنّ القرآن الكريم قد عدّهم في رديف أهل الكتاب، والّذين إن عـملوا على عقيدة وإيمان بمذهبهم: يُوفَّوا أُجورهم.

إنَّ الَّذينَ آمَنـوا والَّذينَ هادوا والنَّصارى والصَّابئين ... فَلَهُم أجـرهم عِندَ ربّهم ـ ٢ / ٦٢.

إنَّ الَّذينَ آمَنـوا والَّذينَ هادوا والصَّـابئين والنَّصارى والمجـوسَ والَّـذينَ أشركوا إنَّ اللهَ يَفصل بَينهُم ـ ٢٢ / ١٧.

إنَّ الَّذينَ آمَنـوا والَّذينَ هادوا والصّابئون والنَّصارى مَن آمَنَ ... فَلا خَوفٌ عَلَيهم ـ ٥ / ٦٩.

الآيتان الأوليان: يلاحظ فيهما الترتيب من جهة الإيمان والعمل الصالح وحفظ الآداب والأحكام الدينيّـة. فاليهود في المرتبة الأُولى بعد المسـلمين، ثمّ النـصارى،

وبعدهم الصابئون.

والآية الثالثة: يلاحظ فيها الترتيب من جهة التوحيد وكثرة الأفـراد الّـذين تثبّتوا على هذه الطريقة، واتّقوا في مقابل الشرك. والمراد من المشركين الّذين افترقوا وانحرفوا عن التوحيد من هذه الأمم المذكورة.

فوقوع الشرك في المجوس وانحرافهم عن التوحيد أكثر وأشدّ، كما أنّ التوحيد والتوجّه إليه في المؤمنين أشدّ، والشرك فيهم أقلّ وأضعف، فالنظر في الآية إلى جهة الفصل بين هذه الفرق بلحاظ الإيمان والشرك.

ولمّا كان التوحيد وحفظ الأحكام الدينيّة والإلٰهيّة فيما بين المجـوس في غـاية الضعف والوهن بل كان منتفياً، وإنّهم على برنامج الشرك، ويعبدون في مقابل النيران، ويصرّحون بمبدئيّة النور والظلمة: لم يذكر في الآيتين الأوليين وفي الرابعة أيضاً.

والآية الرابعة: لمّا كان المورد في مقام ذمّ أهل الكتاب وطعنهم، ففرّق الصابئين والنصارى عن المؤمنين واليهود، فذكرهما مجرّدين عن التأكيد، فإنّ القدر المسلّم هو رفع الصابئين وما بعده.

وتوضيح ذلك: أنّ التأكيد إنّما هو للحكم لا للموضوع، والحكم هنا هو عدم الخوف والحزن وفقدانهما، وهذا المعنى مناسب في المؤمنين للإسلام واليهود الملتزمين بدينهم بالنسبة والحافظين لأحكامهم في الجملة، وأمّا الصابئون والنصارى في مقام لحاظ كونهما من أهل الكتاب ومن هذه الجهة: فلا اقتضاء لتأكيد الحكم في موردهما.

وأمّا الإعراب في الآية: فالصـابئون عطف على محلّ إسم إنّ (الّذين آمـنوا) فإنّه مبتدأ في الحقيقة ومرفوع، وقوله ـ مَن آمَن بالله: مبتدأ ثان، وقـوله ـ فلا خوفٌ عليهم: خبره، والجملة خبر المبتدأ الأوّل وهو إسم إنّ.

وليس هنا تواردُ عاملين على معمول واحد: فإنّ التحقيق الحقّ هو أنّ الخبر

في باب إنّ: هو مرفوع على الخبريّة الأصيلة، والحروف المشبّهة إنّما تعمل في المبتدأ فقط بالنصب، وأمّا خبر المبتدأ فهو باق على حالته الّتي كان عليها، والعامل في الخبر هو وقوعه في هذه الموقعيّة.

فظهر أنّ العامل في الخبر هو وقوعه في هذه الموقعيّة، والحروف المشبّهة إنّما تعمل في المبتدأ فقط، والعطف على إسم إنّ قبل تماميّة الخبر لا مانع منه بوجه، ويدلّ عليه ظاهر نسق هذه الآية الكريمة.

وأمّا نصب المبتدأ في الحروف المشبّهة: فإنّ النصب يدل على تعلّق الحكم وتحقّقه وتثبّته منتسباً إلى موضوع، كما في المفعول، وهذا معنى التأكيد المدلول في إنّ، أو التشبيه أو الترجّي أو غيرها.

* * *

صبّ:

مصبا ـ صبّ الماءُ يصِبّ من باب ضرب صَبيباً: انسكب. ويتعدّى بالحركة فيقال صببته صَبّاً من باب قتل، وانصبّ الناس على الماء: اجتمعوا عليه. والصُّبّة والصُّبابة: بقيّة الماء في الإناء، والصُّبّة: القِطعة من الخيل ومن الغنم، والصُّبّة: الجماعة من الناس، والصُّبّة: القِطعة من الشيء، وعندي صُبّة من دراهم.

مقا ـ صبّ: أصل واحد، وهو إراقة الشيء، وإليه ترجع فروع الباب كلِّه، من ذلك صببت الماءَ أصُبّه صبّاً، ويحمل على ذلك فيقال لما انحدر من الأرض صَبَب، وجمعه أصباب، كأنّه شيء منصبّ في انحداره. والصُّبّة: القِطعة من الخيل، كأنّها تنصبّ في الإغارة انصباباً، والقِطعة من الغنم أيضاً صُبّة لذلك المعنى، ويقال للحيّات الأساود: الصُّبّ، وذلك أنّها إذا أرادت النكز انصبّت على الملذوع انصباباً. والصُّبابة: البقيّة من الماء في الإناء. والصَّبابة من صَبَّ إليه. ورجل صَبٌّ: إذا غلبه الهوى، وهو

من انصباب القلب. ويقال تصبّب الحرُّ: إشتدّ، كأنّه شيء صُبّ على الأرض صبّاً.

التهذيب ١٢ / ١٢١ ـ قال الليث: الصَّبّ: صبّك الماء ونحوَه، والصَّبَب: تصوّب نهر أو طريق يكون في حدود. وفي صفة النّبيّ (ص): إنّه كان إذا مشى كأنّما ينحطّ في صَبَب. قال أبو عبيد: الصَّبَب ما انحدر من الأرض، وجمعه أصباب. والصُّبابة: البقية اليسيرة تبق في الإناء من الشراب، فإذا شربها الرجل قال تصاببتها. وعن ابن الأعرابيّ: صَبّ الرجل إذا عشق، والصبابة: رقّة الهوى. وصُبّ الرجل والشيء: إذا مُحق.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو انحدار من فوق بلا قيد مادّيّاً كان أو معنويّاً.

وقلنا في ـ سفح: إنّه انحدار فيما من شأنه أن يكون محفوظاً.

وفي السفك: جهة العدوان.

وفي السقط: الانحدار الدفعيّ.

وفي السكب: جهة المادّيّة.

فالصَّبّ هو مطلق الانحدار بلا تقيّد بالقيود المذكورة.

ففي الأمر المادّيّ كما في ـ إنّا صَبَبْنا الماءَ صَبّاً ـ ٨٠ / ٢٥.

وفي الأعمّ منه كما في ـ فَصَبَّ عَلَيهم رَبُّكَ سَوْطَ عَذاب ـ ٨٩ / ١٣.

وفي ما وراء أمور الدنيا كما في ـ ثُمَّ صُبّوا فَوقَ رأسه مِن عَذاب الحَميم ـ ٤٤ / ٤٨. فالماء من الأمور المحسوسة المادّيّة. والعذاب النازل إلى عاد وثمود وآل فرعون مطلق عامّ من أيّ نوع. والعذاب الحميم في الجحيم ما يناسب عالم الآخرة. وقلنا في

السوط إنّه خلط مع التمايز.

* * *

صبح:

مقا ـ صبح: أصل واحد مطّرِد، وهو لون من الألوان، قالوا أصله الحمرة، قالوا وسمِّي الصبح صبحاً لحمرته، كما سمِّي المصباح مِصباحاً لحمرته، ولذلك يقال وجه صَبيح. والصَّباح: نور النهار. وهذا هو الأصل، ثمّ يفرّع، فقالوا لشُرب الغداة الصَّبوح، وقد اصطبح. والتصبّح: النوم بالغداة. ويومُ الصباح: يوم الغارة.

مصبا ـ الصبح: الفجر، والصَّباح: مثله وهو أوّل النهار. والصباح أيضاً: خلاف المساء. وأصبحنا: دخلنا في الصباح. والمَصْبح: موضع الإصباح ووقته، والمُصبَح. والصبحة بضمّ الصاد وفتحها: الضحى. وتصبَّح: نام بالغداة. وصَبيحة اليوم: أوّله. والمِصباح: معروف، والجمع مصابيح. والصَّبوح: شرب الغداة. واصطبح: شرب صَبوحاً، وصبّحه الله بخير: دعاء له. وصبّحته: سلّمت عليه بذلك الدعاء. وصَبُح الوجه صباحة: أشرق وأنار، فهو صَبيح، واستصبحت بالمصباح. واستصبحت بالدهن: نوّرت به المصباح.

الاشتقاق ٦٦ ـ الصُّبح: ضدّ المُسى. والمُصبَح ضدّ المُمسىٰ. والإصباح ضدّ الإمساء، وهما مصدرا أصبحَ يُصبح إصباحاً، وأمسىٰ يُمسي إمساءً. وصبَح الرجل إبله يَصبُحها ويَصبِحها صَبْحاً، فهي مَصبوحة: إذا سقاها بَكِراً، والرجل صابح. والصَّبوح: ما شُرب مِن لبن أو أُكل من طعام صُبحاً. صَبحت الرجلَ صَبْحاً وصبّحته تصبيحاً. والصُّبحة: نومة الغداة. والصُّباح: السراج بعينه وهو المصباح. والصَّبَح: ضوء النار. والصُّبحة: لون بياض فيه حمرة كَدِرة. ورجل صَبيح: بيِّن الصباحة، إذا كان جميلاً، من قوم صِباح.

كتاب الأفعال ٢ / ٢٣٦ ـ صبُح الشيء صباحة: جَمُل. وصبحتُ القومَ صَبْحاً: أغرتُ عليهم صباحاً. وصبَحتْهم الخيلُ: كذلك. و (صبحتُ) صَبوحاً: سقيتك صَبوحاً بالصباح. و (صبَح) الشيءُ: أتاك ذلك الوقت. و (صَبحتُ) المصباحَ: أوقدته. وصبح الشَّعرُ صَبَحاً وصُبحة: ضربت حمرته إلى البياض. وأصبح الصبحُ: ظهر، ونحن صرنا فيه. و (أصبحتُ) عن الخبر: بيّنت. وأصبحت: أسرجت.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو انكشاف في ظلمة مادّيّة أو معنويّة، وحصول تنوّر ظاهريّ أو باطنيّ.

ومن مصاديق الأصل: ظهور الفجر بذهاب الليل، والوجه الصبيح إذا كان مشرقاً جميلاً، والصُّباح وهو المصباح، والتبيّن في الخبر، والابيضاض في الشَّعر، وغيرها.

وقد يستعمل بالاشتقاق الانتزاعي كما في ـ صبَح الرجل إبلَه إذا سقاها. أو بعلاقة مجازيّة كما في يوم الصباح بمعنى الغارة. فإنّ الاشتقاق في صبح الرجل إبلَه: من كلمة الصُّبح إسماً بمعنى أوّل طلوع الفجر. ومفهوم الغارة باعتبار وقوع الغارة في الصبح.

ثمّ إنّ الإصباح بمعنى صيرورة شخص أو شيء ذا صباح وهو لازم كما في الإفلاح. والتصبيح جعل شيء ذا صباح، وهو متعدّ.

والصَّباح مصدر ـ فساء صَباحُ المنذَرين ـ ٣٧ / ١٧٧.

والصُّبح إسم مصدر جُعل إسماً لزمان الصَّباح ـ والصُّبحِ إذا أسفَر، والصُّبحِ إذا

تنفّسَ، إنَّ مَوعِدَهُم الصُّبحُ ـ ١١ / ٨١.

والمِصباح إسم آلة ـ وزيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بمَصابيح ـ ٤١ / ١٢، مَثَلُ نوره كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحُ المِصْباحُ في زُجاجة ـ ٢٤ / ٣٥.

فالمصباح ما يكون به التنوّر وينكشف به الظلام، وهو في السماء الدنيا المادّيّة عبارة عن الشمس وشموس أُخر وهي الكواكب الثابتة المنيرة ما حولَها، فإنّ كلّاً منها يُضيء ما حولها من الجوّ والكراتِ السَّيّارة، وهي زينة للعالم.

وقد عبّر في آية أُخرى بالكواكب، الشاملة للثابتة والسَّيّارة المستنيرة، فقال تعالى ـ إنّا زيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بزينةِ الكواكب ـ ٣٧ / ٦.

وأمّا المصباح في آية النـور: فالله تعالى نورُ السماوات والأرض، والنور هـو حقيقة ظهور الوجود الفائض المتجلِّي، والسماوات والأرض عبارة عن مجموع عوالم التكوين مادّياً جسمانيّاً وهو الأرض، وعلويّاً روحانيّاً وهو السماوات، فالنور فيهما هو النور المتجلّي المنبسط في جميع العوالم.

فالمشكوة هي هذه العوالم قاطبة إذا لوحظت من حيث انبساط النور وتجلِّيه فيها ـ راجع النور والشكو.

وهذا النور هو المصباح المتجلّي في الزجاجة الفانية فيه، ثمّ المنبسط المتجلّي في المشكوة، فلا يرى في الزجاجة ولا في المشكوة إلّا النور، وهذا في طبقات التكوين من عالم العقول الفانية الصرفة، ثمّ سائر المكوّنات ـ راجع كوكب.

ثمّ إنّ الإصباح إمّا في التنوّر الظاهريّ كما في ـ فَسُبْحانَ اللهِ حينَ تُمسونَ وحينَ تُصْبِحُونَ ـ ٣٠/٧، فالِقُ الإصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً ـ ٦/ ٩٦.

أو في التنـوّر والانكشاف المعنويّ كما في ـ وأصْبَحَ فؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً، ثُمَّ

أَصْبَحوا بِها كافِرين ، فتُصْبِحوا عَلى ما فَعَلْتُم نادِمِين .

وقد يكون التنوّر في انكشاف الضلال والجهل، وفي ظهور الحقّ وإن كان عذاباً وابتلاء وضرراً، كما في ـ فأَصْبَح مِنَ الخاسِرين ، فأَصْبَحَ مِنَ النّادِمين ، فأَصْبَحُوا في دارِهِم جاثِمين ، فأخذتهُم الصَّيْحَةُ مُصْبِحِين .

وقد يراد من الإصباح مجرّد التحـوّل، فيحتاج إلى ذكر حالة تتحـوّل إليها، ويقال حينئذ إنّه من الأفعال الناقصة.

وتوضيح ذلك أنّ كلّ فعل يدلّ على تحوّل أو كون على حالة، ويسـتعمل في هذا المورد: فيتوقّف تماميّة مفهومه على ذكر الحالة المنتهية إليها، وتسمّى خبراً. وقد اشتهر بين النحاة: أنّ الأفعال الناقصة ترفع إسماً لها وتنصب الخبر، وهي من العوامل.

ولكنّ التحقيق أنّ هذه الأفعال ترفع إسماً بعدها بعنوان الفاعليّة، والإسم الآخر يكون منصوباً على الحاليّة، كما هو مذهب الكوفيّين.

فلا فرق بينها وبين سائر الأفعال اللّازمة إلّا أنّها ناقصة محتاجة إلى محوّل إليه وهو الحال، ليتمّ معنى الجملة ويصحّ السكوت عليه.

فالأفعال الناقصة ما تدلّ على مجرّد التحوّل إلى حالة. وأمّا إذا دلّ على الاستقرار والتثبّت في نفسه فهو فعل تامّ.

فالناقـص كما في ـ أصبح ماؤكُم غَـوْراً ، أصبحتُم إخواناً ، أصبحوا كافرين ، فتُصْبِحوا نادِمين ، أو يُصْبح ماؤها غَـوْراً ـ فتدلّ الآيات الكريمة على مجرّد تحوّل بانكشاف ضلال أو ابتلاء أو انحراف سابق، حتّى يتبيّن الحقّ ويظهر، ولو كان عذاباً وابتلاءً، فيحتاج إلى ذكر الحالة اللّاحقة المنكشفة.

والتامّ من المادّة إذا كان بمعنى التثبت وهو الدخول في الصبح والاستقرار فيه

كما في ـ فأَخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ مُصْبِحين ، فَسُبْحانَ الله حينَ تُمسون وحينَ تُصْبِحُون .

❊ ❊ ❊

صبر :

الإشتقاق ١٢٦ ـ والصَّـبِر: الدواء المُرّ. والصَبْر: ضدّ الجـزع. ورجل صابر وصَبير. والصَّبْر: الحبس، ومنه قولهم ـ قُتل صَبْراً، أي حُبس حتى قُتل. والصَّبير: سحاب أبيض. وصبّارة: حَرّة (أرض ذات حجارة سـود) معروفة. وبَيْع الصُّـبرة: معروف. فالرجل مصبور: إذا كان محبوساً. وأصبار كلّ شيء: أعلاه.

مصبا ـ صبرت صبراً من باب ضرب: حبست النفسَ عن الجزع، واصطبرت: مثله. وصبرت زيداً: يستعمل لازماً ومتعدياً. وصبّرته: حملته على الصبر. وصبرت به صبراً وصَبارة: كفلت به، فأنا صَبير. والصُّبرة من الطعام، جمعها صُبَر. والصَّبِر: الدواء المرّ.

مقا ـ صبر: أصول ثلاثة: الأوّل ـ الحَبْس. والثاني ـ أعالي الشيء. والثالث ـ جنس من الحجارة. فالأوّل ـ صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها. والمَصْبورة: المحبوسة على الموت. ومن الباب: الصَّبِير، وهو الكفيل، وإنّما سمِّي بذلك لأنّه يُصبَر على الغَـرْم، صبرت نفسي به أصبر صَـبراً: إذا كفلت به، فأنا به صَـبير. وصبّرت الإنسان، إذا حلّفته بالله جهدَ القسم. وأمّا الثاني ـ صُبر كلّ شيء أعلاه، وأصـبار الإناء: نواحيـه، والواحد صُبر. والثالث ـ فالصُّبر من الحجارة: ما اشـتدّ وغـلظ، والجمع صِبار. والصُّبّارة: قطعة من حديد أو حجر.

الجمهرة ١ / ٢٥٩ ـ والصَّبر: ضدّ الجزع. والصَّـبِر: هـذا الدواء المـعروف. واشتريت الشيء صُبرةً: إذا اشتريته بلا كيل ولا وزن. والصَّبير: الكفيل. والصَّبير:

السحاب إذا تكاثف وفيه بياض.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: حفظ النفس عن الاضطراب والجزع بالسكون والطمأنينة.

وبهذا اللحاظ تستعمل المادّة في موارد تحتاج إلى صبر وتحمّل، إمّا في تهيئته أو في تجمّعه أو في إدامة العمل به أو في أمثال تلك المعاني.

ثمّ إنّ الصبر باعتبار متعلّقه على ثلاثة أقسام:

الأوّل ـ إعمال الصبر في قبال العمل بالوظائف وإتيان ما هو فرض له والاستقامة في هذا الطريق من دون تسامح واضطراب، وهو الصبر على الطاعة.

والثاني ـ الصبر والتثبّت في ترك ما يلزم له تركه وهو منهيّ عن عمله، من المعاصي والمنكَرات والمحرّمات، وهو الصبر عن المعصية.

والثالث ـ الصبر في البلاء، وهو المواجهة بكلّ ما لا يلائم طبعَه، من مصيبة تصيب بدنه أو مكروه يعذّبه، بلا اضطراب.

ويجمع هذه الأقسام الثلاثة: التثبّت والصبر في قبال ما هو غير ملائم له.

فالأوّل كما في ـ فاعبُدْه واْصْطَبِر لعبادَته ـ ١٩ / ٦٥، وأْمُر أهْلَكَ بالصَّلاةِ واْصْطَبِر عَلَيها ـ ٢٠ / ١٣٢.

والاصطبار افتعال ويدلّ على اختيار الفعل، فإنّ العمل بالطاعة من الاُمور الحادثة والمستقبلة، فيلزم التهيّؤ والتصميم للصبر عليه، وهذا هو معنى اختيار الصبر.

والثاني كما في ـ قال إنَّكَ لَن تَستَطيعَ مَعي صَبراً وكَيفَ تَصبر ... سَتَجِدُني إنشاءَ الله صابِراً ... فلا تَسْألني عَن شَيء ... ألم أقُلْ إنَّكَ لَن تَسْتَطيعَ مَعيَ صَبْراً ـ ١٨ / ٧٢.

يراد الصبر عن السؤال والاعتراض عليه.

والثالث، كما في ـ واْصْبِر عَلى ما أصابَك ـ ٣١ / ١٧، واْصْبِر على ما يَقولون ـ ٧٣ / ١٠، بَل سوّلَتْ لَكُم أنفُسُكُم أمْراً فَصَبْرٌ جَميلٌ ـ ١٢ / ١٨.

يراد الصبر في قبال ما يصيب من المكروهات والبلايا وحوادث السوء.

وأمّا الصَّبْر بلحاظ الكَيْفيّة: فهو على أربع مراتب:

١ ـ الصبر بحيث لا يظهر منه جزع واضطراب، وقلنا إنّ الصبر هو حفظ النفس عن الجزع، ويدلّ عليه قوله تعالى ـ سَواءٌ عَلَينا أجزِعنا أم صَبَرنا ـ ١٤ / ٢١، فذكر الصبر في قبال الجزع.

وهذا كما في ـ ستَجِدُني إنشاءَ الله صابِراً وَلا أعْصي لَكَ أمْراً ـ ١٨ / ٦٩، سأنبِّئُك بتأويلِ ما لَم تَسْتَطِع عَلَيهِ صَبْراً ـ ١٨ / ٧٨.

فيراد مطلق الصبر.

٢ ـ الصبر بحيث لا يُرى منه جزع في الظاهر ولا في الباطن، وهذا كما في ـ ومن الّذينَ أشركوا أذىً كَثيراً وإن تَصْبِروا وتتَّقوا فإنَّ ذلِكَ مِن عَزمِ الأُمور ـ ٣ / ١٨٦، ولَمَنْ صبرَ وغفَرَ إنَّ ذلكَ لَمِن عَزمِ الأُمور ـ ٤٢ / ٤٣.

فإنّ العزم لابدّ من تحقّقه في الباطن.

٣ ـ الصبر منبعثاً عن المحبّة والشوق كما في ـ والَّذينَ صبروا ابتغاءَ وجهِ ربّهم ـ ١٣ / ٢٢.

وهذا هو الصبر الجميل.

٤ ـ الصبر على جهة العبوديّة: فإنّ العبد المخلِص ليس له داعٍ ولا هوى ولا نظر ولا مقصود إلّا الطاعة والعبوديّة ـ الَّذينَ صبَروا وعَلى رَبّهم يتوكَّلون ـ ١٦ / ٤٢، واصبِر وَما صَبرُك إلّا بالله ـ ١٦ / ١٢٧.

وأيضاً إنّ الصبر بتفاوت مراتبه بحسب خصوصيّات الموارد والموضوعات، من جهة الشدّة والضعف، والصعوبة والسهولة، ومقدار التحمّل اللّازم ولزوم صرف القوّة والطاقة، وغيرها.

فاصبِر كَما صَبَرَ أُولو العَزْمِ مِنَ الرُّسُل وَلا تَسْتَعْجِل لَهُم ـ ٤٦ / ٣٥.

ونقْصٍ مِن الأموالِ والأنفُسِ والثَّمراتِ وبَشِّر الصّابِرين ـ ٢ / ١٥٥.

وإذ قُلْتُم يا موسىٰ لَن نصْبِرَ عَلى طعامٍ واحد ـ ٢ / ٦١.

فإنّ الصبر بأعباء الرسالة ليس كالصبر على نقص من الأموال والأنفس والثمرات، والصبر عليها أيضاً ليس كالصبر والقناعة على طعام واحد.

ولا يخفى أنّ الصبر هو المعيار في تشخيص مرتبة الإنسان من جهة الاستعداد الذاتيّ والوسع الباطنيّ والقدرة الروحيّة، ولا يبلغ الحدّ الأعلى منه إلّا من كملت نفسه وبلغت غايتها ـ فسالَتْ أَوْدِيَةٌ بقدَرها.

فإنّ حقيقة الصبر: هو التحمّل والتفسّح، ومَن كانت سعة وجوده ومقدار تحمّله أزيد: كان استعداده وقوّة روحه أكمل.

❊ ❊ ❊

صبع:

مصبا ـ الإصبَعْ: مؤنّثة، وكذلك سائر أسمائها مثل الخِنصِر والبِنصِر. وقال

الصغاني: يذكّر ويؤنّث، والغالب التأنيث. قال بعضهم: في الإصبع عشر لغات، تثلث الهمزة مع تثليث البـاء، والعاشرة أُصبوع مثل عصفور، والمشهور من لغاتها كـسر الهمزة وفتح الباء، وهي الّتي ارتضاها الفصحاء.

مقا ـ صبع: أصل واحد، ثمّ يستعار، فالأصل إصبع الإنسان واحدة أصابعه، قالوا هي مؤنّثة، وقالوا قد يذكّر. ويقال صبَع فلان بفلان، إذا أشـار نحوه باصبعه، مغتاباً له. والإصبع: الأثر الحسن، وهذا مستعار. ومَثل يقال ـ لفلان في ماله إصبع، أي أثر جميل. والصَّبْع: إراقتك ما في الإناء من بين إصبعيك.

التهذيب ٢ / ٥١ ـ أبو عبيـدة: صبَعتُ بالرجل وصـبعت عليه أصبَع عليـه صبعاً: إذا اغتبته. وصبعت فلاناً على فلان: دللته. وصَبعُ الإناءِ: أن يُرسل الشراب الّذي فيه من طرفي الإبهامين أو السبّابَتين لئلّا ينتشر فيندفق. قلت وهذا كلّه مأخوذ من الإصبع لأنّ الإنسـان إذا اغتاب إنسـاناً أشار إليه بالإصبع. عن ابن الأعرابي: رجل مصبوع: إذا كان متكبّراً، والصَّبْع الكِبر التامّ. والإصبع: واحدة الأصابع. وإن ذكّر الإصبع جاز له: لأنّه ليس فيها علامة التأنيث. والإصبع: الأثر الحسَن، وإنّما قيل للأثر الحسن إصبع: لإشارة الناس إليه بالإصبع.

أسا ـ صبع: ما صَبعك علينـا: أي ما دلّك. وصَبع على أخيـه وبأخيـه: أشار إليه بإصبعه مغتاباً. ويقال لمن يتكبّر في ولايتـه: صبَعه الشـيطان، وأدركته أصـابع الشيطان.

قع ـ (اِصِبَعْ) اصبع، سبابة، قضيب.

(ايصبع) أشار.

* * *

والتحقيق:

أنّ هذه المادّة مأخوذة من اللّغة العبريّة بتغيير مختصر، والإصبَع كدرهم، والجمع أصابع كدراهم، وهذا هو الوزن الفصيح الأصيل، ويشتقّ منه في العربيّة اشتقاق انتزاعيّ بحذف الهمزة كما رأيت، وكلّ منها بمناسبة مفهوم الإصبع، فإنّ الإصبع يُشار به في موارد الطعن والتحقير، وهو يوجِد أثراً بالعمل أو الكتابة أو الصناعة، ويشار إليه إذا كان متكبّراً خارجاً عن حدِّ الاعتدال.

يَجْعَلونَ أصابعَهُم في آذانِهِم مِنَ الصَّواعِق - ٢ / ١٩.

وإنّي كُلَّما دعوتُهم لِتغْفِر لَهُم جَعَلُوا أصابِعَهُم في آذانِهِم - ٧١ / ٧.

فإذا كان الإنسان شديد التعلّق بنفسه وبحياته المادّيّة، ومغروراً بالدنيا وزينتها وأهواء نفسه وتمايلات قلبه: فهو مختوم على قلبه ومقطوع عن الحقيقة ومحروم عن إدراك المعارف الروحانيّة، ولا يبقى له تهيّؤ واستعداد للاهتداء وقبول الحقّ والتوجّه إليه والتمايل إلى الكمالات المعنويّة.

فهو يتأبّى عن استماع الدعوة الروحانيّة، ويمتنع عن سلوك سبيل الفلاح والرّشد. ويجعلون أصابعهم في آذانهم، تعلّقاً بوجودهم وبأهوائهم وبحياتهم الدنيويّة وتمايلاتهم النفسانيّة.

والتعبير بالأصابع في هذا المقام: فإنّها أقوى وسيلة وأقرب واسطة وألطف شيء تمنع عن الاستماع.

* * *

صبغ:

مقا ـ صبغ: أصل واحد وهو تلوين الشيء بلون ما. تقول صبَغته أصبَغُه.

فأمّا ــ صِبغةُ الله: فقال قوم: هي فطرته لخلقه. وقال آخرون: كلُّ ما تُقرّب به إلى الله تعالى صِبغة. والأصبغ: الفرس في طرف ذنبه بياض، وذلك دون الأشكل، والأوّل مشبّه بالشيء يُصبغ طَرَفه.

مصبا ــ الصِّبغ والصِّبغة والصِّباغ: بمعنى، وهو ما يصبغ به، ومنهم من يقول الصِّباغ جمع صِبغ مثل بئر وبئار. والنسبة إلى الصِّبغ صِبغيّ على لفظه. وصبغت الثوب صَبغاً من باب نفع وقتل، وفي لغة من باب ضرب. والصِّبغ أيضاً ما يُصبغ به الخبز في الأكل، ويختصّ بكلّ إدام مائع كالخَلّ ونحوه ــ وصِبْغٌ للآكِلين . قال الفارابيّ: واصطبغ بالخَلِّ وغيره. وقال بعضهم: واصطبغ من الخلّ، وهو فعل لا يتعدّى إلى مفعول صريح، فلا يقال اصطبغ الخبز بخلّ. وأمّا الحرف: فهو لبيان النوع الّذي يصطبغ به، كما يقال اكتحلت بالأثمد ومن الأثمد، وصبَغ يده بالعلم: كناية عن الاجتهاد فيه والاشتهار فيه. وصِبغَةَ الله: فطرة الله، ونصبها على المفعول، والمعنى ــ قل بل نتّبع صبغة الله، وقيل ــ اتّبعوا صِبغة الله أي دين الله.

التهذيب ٨ / ٢٧ ــ قال الليث: الصِّبغ والصِّباغ ما يلوّن به الثياب، والصَّبْغ: المصدر. والصِّباغة: حرفة الصَّبّاغ. والصِّبغ والصِّباغ: ما يُصطبغ به من الأُدم. قال الله في الزيتون ــ وصِبْغٌ للآكِلين ــ يعني دُهنَه. والأصبغ من الطير: ما أبيضّ أعلى ذنَبه. وقال ابن الأنباري في ــ قد صبَغوني في عينك: غيَّروني عندك وأخبروا أنّي قد تغيّرتُ عمّا كنت عليه، قال: والصَّبْغ في كلام العرب التغيير، ومنه صُبغ الثوب إذا تغيَّر لونه وأُزيل عن حاله إلى حال سواد أو حُمرة أو صُفرة. وعن الأصمعيّ وأبي زيد: صبَغتُ الثوب أصبُغُه وأصبَغُه صِبغاً حسناً، والّذي يُصبَغ به الصِّبغ. وقال الفرّاء: نُصب صبغةَ الله: لأنّه ردّها على قوله ــ بل نتّبع ملّة إبراهيم ونتّبع صبغةَ الله. وقال غيره: أضمِر لها فِعلاً ــ إعرفوا وتدبّروا وشبهَ ذلك. ويقال: صبَغَتِ الناقة مَشافِرَها في الماء إذا غمستها،

وصبغ يده في الماء. وسمّت النصارى غمسَهم أولادهم في ماء فيه صِبغ صَبْغاً، لغمسهم إيّاهم فيه، والصَّبْغ: الغمس. وقال اللحـياني: تصبّغ فلان في الدين تصبّغاً وصِـبغة حسنة. وقال أبو عمرو: كلّ ما تُقرِّب به إلى الله فهو الصِّبغة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو غمس في شيء غمساً ظاهريّاً أو معنويّاً يوجب تغيّراً في حالته وتحوّلاً.

فيقال صبغت الثوبَ، وصبغت الخبز في الإدام المايع أو الزيتون، وصبغ يدَه في الماء، وصبغ وَلده في الماء لغُسل التعميد أو غيره.

وفي المعنويّ ـ صَبغوني في عينك، وتصبّغ في الدين، وصبغ يده بالعلم.

وأمّا الأصبغ: فكأنّه باختلاف في لونه قد صُبِّغ تصبيغاً.

وشَجَرةً تَخرجُ مِن طُورِ سيناءَ تَنبت بالدُّهن وصِبْغٍ للآكِلين ـ ٢٣ / ٢٠.

عطف على الدهن، أي وتُنبت صِبغاً (إداماً مائعاً يُغمَس فيه الخـبز). فالدهن ما يستعمل في مورد الإضاءة. والصِّبغ في مقام الغذاء.

قولوا آمَنّا بالله وما أُنزِلَ إلَيْنا ... صِبْغَةَ اللهِ ومَن أحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ونَحْنُ لَهُ عابِدون ـ ٢ / ١٣٨.

الصِّبغة كالجِلسة مصدر للنوع، بمعنى نوع من غمس يوجب تحوّلاً، وصبغةُ الله غمس معنويّ روحانيّ، والإضافة بمعنى اللّام، أي غمس وتحوّل لله، إن كان فاعل الصَّبغ هو المؤمنون، وبمعنى مِن، أي غمس وتحويل من الله، فالغامس هو الله تعالى، كما في قوله تعالى ـ وَعْدَ الله لا يُخلِف اللهُ وَعدَه ـ ٣٠ / ٦.

وهذا المعنى أولى وأوفق بمفهوم اللفظ ونظم الآيات الكريمة، فإنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب وإيتاء ما يؤتى للنبيّين: هي الصبغة والغمس فيها للتحوّل إلى السعادة، ونتيجة هذا التحوّل: تحقّق مرحلة العبوديّة التامّة الّتي هي منتهى الكمال.

وأمّا إعراب الصِّبغة بالنصب: فسياق الكلام يقتضي أن يقدّر فعل مناسب بقوله ـ آمَنّا بالله وما أُنزل... وقوله ـ ونحنُ لَهُ عابدون.

وهو صبَغَنا الله صِبغةً، أو وجَّهْنا، أو أتينا، أو أقبلنا، أو نحو ذلك، ولا يجوز أن يكون حالاً ولا عطفاً ولا بدلاً، لفقدان شرائطها.

ثمّ إنّ هذه الجملة إشارة إلى نتيجة الإيمان وإلى مرحلة خارجيّة بعده، وهي تحقّق الانغماس في بحر رحمة الله وحصول التحوّل الروحاني والانتقال من عالم المادّة إلى صراط الحق والنور، وهذا هو حقّ الاهتداء.

وهذا هو الاغتسال من أرجاس الكفر والنفاق والعدوان، دون ما يدّعى في مقام التطهير والتحوّل من اُمور اُخر، كغسل التعميد للنصارى.

* * *

صبا:

مصبا ـ الصِّبا: الصِّغَر، والصَّباء وزان كلام لغة فيه، يقال كان ذلك في صِباه وفي صَبائه. والصَّبا كعَصا: الريح تهبّ من مطلع الشّمس. وصبا صُبوّاً من باب قعد، وصَبْوةً مثل شهوة: مال.

التهذيب ١٢ / ٢٥٥ ـ صبا ـ يقال صبا فلان إلى فلانة، وصَبا لها يصبو صباً ـ منقوص، وصَبْوة: مال إليها. وقال الليث: الصَّبْوة: جَهْلة الفتوّة واللّهو من الغَزَل، ومنه التصابي والصِّبا. والصِّبوة جمع الصَّبِيّ، والصِّبية لغة، والمصدر الصِّبا، يقال رأيته في صِباه أي في صِغَره.

مقا ـ صبي: ثلاثة أصول صحيحة: الأوّل ـ يدلّ على صغر السنّ. والثاني ـ ريح من الرياح. والثالث ـ الإمالة. فالأوّل ـ واحد الصِّبية والصِّبيان، ورأيته في صِباه أي في صغره. والمُصبي: الكثير الصبيان. ومن الباب: صبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه، والاشتقاق واحد، والإسم الصَّبْوة. والثاني ـ ريح الصَّبا، وهي الّتي تستقبل القبلة، يقال صَبَتْ تصبو. والثالث ـ قول العرب صابيت الرمح.

أسا ـ صبوت إليه صُبوّاً، وبي صَبْوة إليه. وفي فلان صَبْوة وهي جَهْلة الفتوّة، وأصباه الهوى وتصبّاه. وتصابَى الشيخُ. ورأيته في صِباه. وله صِبية صغار وأصْبِية وأُصْبية وصِبيان. وقد اصْبَت المرأة: كثر صبيانها. وصابى الشيءَ: قلّبه وأماله. وما لك تُصابي الكلامَ: لا تُجريه على وجهه، وصابى سيفَه وسكّينه: قرّبه على غير وجهه المستقيم. وصَبَت الريح: هبّت صَباً، كقولك ـ جنبَتْ وشملَتْ، وقيل سمّيت صباً: لأنّها تستقبل البيت فكأنّها تحنّ إليه.

صحا ـ الصبيّ: الغلام، والجمع صِبية وصِبيان، وهو من الواو.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التمايل مع الاشتهاء في ظاهر أو باطن. وهذا المفهوم الكلّي مشترك بين موادّ الصبّ والصبأ والصبو والصوب، في مطلق التمايل.

فالصبّ بالتشديد يدلّ على انحدار قهريّ وتمايل شديد، والصبأ بالهمزة: يدلّ على خروج وتمايل بالاختيار. والصبو يدلّ على تمايل لطيف مع اشتهاء وعطوفة، بوجود حرف اللين. وإذا استبدلت الواو ياء: يدلّ على تمايل في نفس الشيء وانخفاض وضِعة.

فالمادّة من الواويّة ناقصة، ثمّ تتبدّل الواو ياء في بعض صيغها بمناسبة، كالصبيّ فإن أصله صَبِيو كفعيل، قلبت الواو ياء كما في الدعيّ بمناسبة الكسرة والياء، وهكذا في الصبية والصبيان وغيرهما.

فالصبيّ يطلق على مرحلة من السنين فيها ضعف وانخفاض طبيعيّ وتمايل إلى غير ما يليق ويناسب له من اللّغو واللّهو واللّعب، وهو متمايل عن فطرته الأصليّة الإنسانيّة، ومنخفض في الانحطاط والانحراف.

ولا يبعد أن نقول: إنّ الكلمة من المادّة اليائيّة الناقصة، وهي مستعملة في اللغة، فيقال صبِي يَصبىٰ من باب علم، فتكون المادّة مستقلّة في نفسها، بمعنى الإتيان بما يأتي به الصبيّ.

وإلّا تصرِفْ عنّي كيدَهنّ أصبُ إليهنّ وأكُن مِنَ الجاهلين ـ ١٢ / ٣٣.

أي يحصل لي تمايل وتوجّه إليهنّ، وأكون منحرفاً عن صراط الحقّ.

يا يَحيى خُذ الكِتابَ بقوّة وآتيناهُ الحُكمَ صَبيّا ـ ١٩ / ١٢.

قالوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كانَ في المَهدِ صَبيّاً ـ ١٩ / ٢٩.

إشارة إلى أنّ يحيى وعيسى عليهما السلام قد اوتيا الوحي والنبوّة في صغر سنّهما، وفي مرحلة خارجة عن الاعتدال وفي سنين لا يرى من الناس فيها إلّا الانخفاض والتوغّل في اللّهو واللّعب، وهذا برهان آخر وإعجاز وجريان على خلاف الطبيعة.

وهذا المعنى لطف التعبير بالمادّة دون الصغر والطفولة وغيرهما.

فإنّ العرف العاقل لا يتوقّع من طفل إلّا التعلّق باللّعب والرغبة إلى اللّهو والانحراف عن الاعتدال وإدراك الحقائق، فظهور آثار النبوّة والوحي منه لا يكون إلّا خارقاً للجريان الطبيعيّ المادّيّ.

ثمّ لا يخفى أنّ ذكر هذه المادّة في ذيل عنوان ـ الصبو: قد كان تبعاً لأهل اللغة، والحقّ هو تفكيك المادّتين وذكر الصبي تحت عنوان مستقلّ على مفهوم خاصّ كما ذكرنا.

* * *

صحب:

التهذيب ٤ / ٢٦١ ـ قال الليث: الصَّحْب جمع الصاحِب، والأصحاب جماعة الصَّحْب، ويجمع الصاحب أيضاً صُحباناً وصُحبَة وصِحاباً وصَحابة. قال: والصَّحابة مصدر قولك صاحَبك الله وأحسَن صَحابتك، قال: والصُّحبة: مصدر قولك ـ صحِب يَصحَب. وقال غيره: صاحِبٌ وأصحاب كالأشهاد والأنصار، وصاحِبٌ وصُحبة كفارِهٍ وفُرهة. ويقال إنّه لَمِصحاب لنا بما يُحبّ. وقد أصحَب الرجل إذا كان ذا أصحاب، أصحبَ: إذا انقاد. وكلّ شيء لازَم شيئاً فقد استصحبه. وقال الفرّاء في ـ ولا هم منّا يُصْحَبون: يعني يُجارون. وقال المازنيّ: أي يُمنعون. وقال غيره: هو من قولك صحبك الله أي حفظك وكان لك جاراً.

مصبا ـ صحِبته أصحَبه صحبة، والأصل في هذا الإطلاق لمن حصل له رؤية ومجالسة، ويطلق مجازاً على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمّة فيقال أصحاب الشافعيّ وأصحاب أبي حنيفة، وكلّ شيء لازمَ شيئاً فقد استصحبه. واستصحبت الكتاب وغيره: حملتُه صحبتي، ومن هنا قيل استصحبت الحال: إذا تمسّكتَ بما كان ثابتاً، كأنّك جعلت تلك الحالة مصاحبة غير مفارقة.

مقا ـ صحب: أصل واحد يدلّ على مقارنة شيء ومقاربته، من ذلك الصاحب والجمع الصَّحْب، كما يُقال راكب ورَكب، ومن الباب أصحبَ فلان، إذا انقاد. وأصحب الرجلُ إذا بلغ ابنُه، وكلّ شيء لازَم شيئاً فقد استصحبه، ويقال للأديم إذا تُرك عليه

شَعَره مُصحَب.

مفر ـ الصاحِب: الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن، وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمّة. ولا يـقال في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك للشيء هو صاحبه، وكذلك لمن يمـلك التصرّف فيه. وقد يضاف الصاحب إلى مَسوسه نحو صاحب الجيش، وإلى سائسه نحو صاحب الأمير. والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع، لأجل أنّ المصاحبة تقتضي طول لُبثـه، فكلّ اصطحاب اجتماع وليس كلّ اجتماع اصطـحاباً. وقوله وما صاحبكم بمجنون: تنبـيه بأنكم صحبتموه وجرّبتموه وعرّفتموه ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلاً وجِنّة. والإصحاب للشيء: الانقياد له، وأصله أن يصير له صاحباً. وأصحب فلان إذا كبُر ابنُه فصار صاحبَه. وقال: ولا هُم مِنّا يُصْحَبون ـ أي لا يكون لهم من جهتنا ما يصحبهم من سكينة ورَوح وترفيق ونحو ذلك ممّا يصحبه أولياءه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العشرة وإدامتها في طـريق الحـياة، في برنامج ظاهريّ أو باطنيّ، مع شخص أو أمر آخر، وإن كانت العشرة من الطـرفين فيعبّر فيها بصيغة المصاحبة الدالّة على الاستدامة، وقريبة منها لغات أُخر، نشير إلى خصوصيّاتها إجمالاً:

المعاشرة: هو الاختلاط وكثرة التماسّ في جريان إدامة الحياة.

المخالطة: يلاحظ فيها جهة الاختلاط في أمور، ومداخلة بينهما.

الملازمة: يلاحظ فيها التلازم في المؤانسة والمرافقة.

المرافقة: يلاحظ فيها الرفق والملاءمة في المعاشرة.

المجالسة: يلاحظ فيها جهة الجلوس مع آخر في محلّ.

المؤانسة: يلاحظ فيها لحاظ الأُنس والتمايل بينهما.

المقاربة: يلاحظ فيها القرب من الآخر ظاهراً أو معنىً.

المقارنة: يلاحظ فيها جريان كلّ منهما على طريقة الآخر.

المجاورة: يلاحظ فيها جهة قرب السكنى والتمايل إليه.

الملاقاة: يلاحظ فيها المداناة من قدّام وبالمقابلة.

المداناة: يلاحظ فيها القرب على سبيل التسفّل.

المصادفة: يلاحظ فيها الملاقاة واتصال في الجانب.

الموافقة: يلاحظ فيها التوافق في قبال التخالف.

ففي تحقّق مفهوم المصاحبة: لا يعتبر كونه في أمر مادّي، ولا بمرافقة ومؤانسة، ولا بموافقة وملازمة ومقارنة، ولا بمداناة ومجاورة.

فالمصاحبة من الطرفين كما في:

إن سألتُك عَن شَيء بعدَها فَلا تُصاحِبني - ١٨ / ٧٦.

وصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعروفاً - ٣١ / ١٥.

فإنّ من شأن المصاحبة فيما بين موسى وخضر (ع) وهكذا فيما بين الوالدين وأولادهما أن يكون من الطرفين، مضافاً إلى لزوم إدامة المعاشرة واستمرارها.

ومن طرف واحد كما في:

وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوت - ٦٨ / ٤٨.

يا صاحبَيِ السِّجن أمّا أحدُكُما فيَسْقِي ـ ١٢ / ٤١.

فإنّ المصاحبة كانت من جانب يونس النبيّ (ص) وصاحبي يوسف (ص) ولم تكن من جانب الحوت ولا يوسف (ص).

ما بِصاحِبِكُم مِن جِنَّة ـ ٣٤ / ٤٦.

ما ضَلّ صاحِبُكُم وَما غَوى ـ ٥٣ / ٢.

وَما صاحِبُكُم بِمَجْنون ـ ٨١ / ٢٢.

أوَلَم يَتَفَكَّروا ما بصاحِبِهم مِن جِنَّة ـ ٧ / ١٨٤.

يشار بهذا التعبير بأنّ النبيّ (ص) كان مصاحباً لهم في طول حياته وأطوار من عمره، ولم يشاهدوا منه في هذه الأيّام إلّا أمانة وصدقاً ونظماً، فالمطلوب في هذا المقام هو مصاحبة النّبيّ لهم الكاشفة عن خصوصيّات أعماله وأخلاقه.

إذ يَقول لصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا ـ ٩ / ٤٠.

لمّا كان المقام في مورد يقتضي بياناً وذكراً عن مُجالِس النّـبيّ (ص): فعبّر عنه بالصاحب، فإنّ المصاحبة هي الكاشفة عن خصوصيّات الأعمال والأفكار للصاحب، فخوطب بقول النّبيّ (ص): لا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا.

فيدلّ التعبير في الآية الكريمة على أنّ المصاحبة كانت من جانب واحد، وهو الّذي أظهر الصحبة، ولذا ترى ظهور الاضطراب والحزن منه.

وهذه اللطيفة جارية في كلّ مورد يعبّر فيه بكلمة الصاحب دون المصاحب، كما في مورد:

وبالوالدَين إحساناً … والجارِ ذي القُـرْبى والجارِ الجُنُب والصّاحب بالجَنْب وابن السَّبيل ـ ٤ / ٣٦.

قد مرّ في جنب: أنّ الجُنُب صفة مشبهة، وهو المتّصف بوقوعه في جنب شيء، والجَنب هو ما يلي الشيء وهو الخارج الملاصق، فيشار إلى أنّ الجار يلزم أن يكون مورداً للإحسان سواء كان قريباً أو غير قريب، وهكذا الصاحب وهو يصحبك ويكون في جنبك سواء كان من ذوي القربى أم لا، فمجرّد الصحبة إذا كان في الجنب كافٍ في لزوم الإحسان إليه، واللّازم هو تحقّق الصحبة من جانب واحد.

وفي كلّ من هذه الموارد بلحاظ التوقّع والانتظار والرجاء من الطرف، على الترتيب المذكور في الآية الكريمة، فإنّ التوقّع في الوالدين أشدّ إلى أن ينتهي إلى الصاحب المرتبط فعلاً وفي جنبك.

إنّا مُرسِلو النّاقَة فتنةً لَهُم ... فنادَوْا صاحِبَهُم فَتَعاطَى فعقَر ـ ٥٤ / ٢٩.

يشير بتعبير صاحبهم: على أنّه كان يصحبهم وهم لا يصحبونه.

يَومَ يفرُّ المرءُ مِن أخيه وأُمّه وأبيه وصاحبته ـ ٨٠ / ٣٦.

لَو يَفتدي مِن عَذاب يَومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه ـ ٧٠ / ١٣.

الترتيب باعتبار اختلاف الحكم: ففي الآية الأُولى لوحظ الإعانة والنصر والتأييد، ولمّا كان الأخ من هذه الجهة أقوى وأدوم وأشدّ: يُقدَّم، ثمّ الأُمّ حيث إنّها تُعين ولدها بتمام وجودها ولو كانت ضعيفة، ثمّ الأب العطوف، ثم بعده الصاحبة المتعلِّقة به في حياته، ثمّ الإبن وهو في هذه الجهة أضعف نصراً وأهون إعانة للوالدين.

فهو يومئذ يَرى أنّ هؤلاء الأقرباء المؤيّدين لا يتمكّنون من إعانته ورفع البأس والشدّة عنه، فيفرّ عنهم حتّى يتفكّر في أمره.

وأمّا الآية الثانية: فيلاحظ فيها جهة الافتداء من عذاب نفسه، ولمّا كان البنون في مقام المحبّة والتعلّق في الغاية ونهاية الحدّة: يقدّم البنون، ثمّ بعدهم الصاحبة حيث

إنّها شريكة في إدامة حياته، وبها يتمّ معاشه، ثمّ بعدها الأخ فإنه يده وظهره والمعين له في معاشه ومعاده.

فكلّما كانت المحبّة والعلاقة أشدّ: يكون الافتداء والانقطاع عنها أصعب، إلّا إذا كان الابتلاء والعذاب بنحو يهوّن ذلك الافتداء.

ثمّ إنّ التعبير بالصاحبة دون المصاحِبة: يشير إلى أنّ الزوجة بفطرتها وبمقتضى جريان معاشها، تحتاج إلى صحبة وتعلّق بزوجها. وأمّا الزوج فهو بطبيعته وبمقتضى وظائفه وجريان اُموره: لازم له العمل والاجتهاد ظاهراً ومعنىً حتى يستعدّ لتأمين معاش عائلته ومعادهم، ولا يصحّ له صرف الوقت وقصر الاهتمام والفكر في التعلّق بزوجته، حتّى يشتغل بمصاحبتها.

وهذا المعنى بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ يكون أوكد وأتمّ، فإنّ الله تعالى لا يتّخذ صاحبة ولا يحتاج إلى صحبة:

وأَنَّهُ تَعالى جَدُّ ربّنا ما اتَّخذَ صاحِبةً وَلا وَلَداً ـ ٧٢ / ٣.

أنّى يكون لهُ وَلَدٌ ولَم تكُن لهُ صاحبةٌ ـ ٦ / ١٠١.

فإنّ الصاحبة لابدّ وأن تكون في مقابل شخص آخر، وشريكة له في إدامة الحياة وتأمينها، وعاملة في قضاء حوائجه وتتميم برنامج عيشه، سبحانه وتعالى عن ذلك.

فهو تعالى منزّه عن اتّخاذ الصاحبة، بأن يكون مصحوباً لأحد، فإنّ الخلق كلّه مخلوق له ومملوك له، وبيده ملكوت كلّ شيء.

أم لهم آلهَةٌ تَمْنعُهم من دوننا لا يَسْتطيعونَ نصرَ أنفُسِهِم ولا هُم مِنّا يُصْحَبون ـ ٢١ / ٤٣.

فإنّ هؤلاء الآلهة مخلوقة لله، وبيده أزمّة أمورها، ومنه تعالى وجودها وبقاؤها وظهورها وبطونها ـ وَما النَّصرُ إلّا مِن عِندِ الله.

فليس لها قدرة واستطاعة وقوّة في ذواتها حتّى يحفظوا أنفسها ويمنعوا عنها، ولا لهم ارتباط ولو بالوسائط مع الله القادر المتعال حتّى يستفيضوا ويستنيروا ويتقوّوا منه، أو يعملوا بإذنه.

وهذا معنى المصحوبيّة من جانبه تعالى، بأن يكون لهم صاحبٌ مأمور من جانب الله تعالى، يؤيّدهم ويقوّيهم ويهديهم إلى ما عملوا.

وأمّا كون الله تعالى صاحباً لآخر: فحال أيضاً، فإنّ الصحبة هو الاختلاط والعشرة في برنامج مع آخر، وهذا يقتضي المحدوديّة والفقر.

ثمّ إنّ الصحبة إمّا في قبال أمر مادّي كما في:

فأنجيناهُ وأصْحابَ السَّفينة، أصْحابُ القَرية، أصْحابُ الأيْكَة، أصْحابُ الكَهْف والرّقيم، أصْحابُ الحِجْر، أصْحابُ الفيل، أصْحابُ موسى.

أو في قبال أمر معنويّ كما في:

أصْحابُ المَيمنَة، أصْحابُ المَشْأمة، أصْحابُ الصراط السَّوِيّ، وأصْحابُ اليمين.

أو في قبال اُمور من سنخ عالم الآخرة كما في: أصْحاب النّار، أصْحابُ الجحيم، أصْحاب الجَنَّة، أصْحاب الأعراف، أصْحاب السَّعير.

ففي كلّ من هذه الموارد يعتبر الاختلاط وإدامة العشرة من جانب واحد، والاختلاط في كلّ بحسبه.

وأمّا مفاهيم ـ الانقياد، والملازمة، والجوار، والحفظ، والمنع، والرؤية، والمجالسة،

والتمسّك بشيء، والمقارنة، والملك، وغيرها: فهي من لوازم الحقيقة، والأصل الواحد ما ذكرناه.

وقد فُسّرت المادّة بواحد من هذه المفاهيم، في كلّ مورد بحسب ما يقتضيه ذلك المورد، من دون تحقيق في المعنى الحقيقيّ، كما هو الشائع الجاري في سائر اللغات المستعملة في الموارد المختلفة.

* * *

صحف:

مقا ـ صحف: أصل صحيح يدلّ على انبساط في شيء وسعة. يقال إنّ الصَّحيف وجه الأرض. والصحيفة بَشَرة وجه الرجل. ومن الباب: الصحيفة، وهي الّتي يكتب فيها، والجمع صَحائف وصُحُف أيضاً، كأنّه جمع صَحيف.

مصبا ـ الصَّحْفة: إناء كالقَصْعة، والجمع صِحاف. وقال الزمخشريّ: الصَّحْفة قصعة مستطيلة، والصَّحيفة قِطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه، وإذا نسب إليها قيل رجل صَحَفيّ، ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ، كما ينسب إلى حنيفة حنَفيّ، والجمع صُحُف وصَحائف. والمُصحَف بضمّ الميم أشهر من كسرها. والتصحيف: تغيير اللّفظ حتّى يتغيّر المعنى المراد من الموضع، وأصله الخطأ، يقال صحّفه فتصحّف.

التهذيب ٤ / ٢٥٤ ـ قال الليث: الصُّحُف جماعة الصحيفة، وهذا من النوادر، ومثله سَفينة وسُفُن، وكان قياسها صحائف وسفائن، وصَحيفة الوجه: بشرة جلده، وإنّما سمّي المُصحَف مُصحَفاً: لأنّه أُصحِف أي جُعل جامعاً للصُّحف المكتوبة بين الدَّفّتين. وقال الفرّاء: يقال مُصحَف ومِصحَف، كما يقال مُطرَف ومِطرَف، فاستثقلت العرب الضمّة في حروف فكسرت الميم، وأصلها الضمّ، وكذلك قالوا في المُغزَل

مِغزَلاً. أبو عبيدة: أعظم القِصاع الجَفْنة ثمّ القَصْعة تُشبع العشرة ثمّ الصَّحْفة تُشبع الخمسة ونحوهم ثمّ المِئكلة تُشبع الرجلين والثلاثة ثمّ الصُّحَيْفة تُشبع الرجل. قال الليث: والّذي يَروي الخطأ على قراءة الصُّحُف: هو المُصَحِّف والصَّحَفيّ.

الجمهرة ٢ / ١٦٢ ـ والصُّحُف واحدتها صحيفة وهي القِطعة من أدَم ابيضّ أو رَقّ يكتب فيه. والصَّحْفة: القصعة، وتجمع صِحافاً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الانبساط والتسطّح في قِطعة، من أيّ جنس كان، من فلزّ أو جِلد أو قرطاس أو غيرها، وسواء كان للكتابة أو للظرفيّة أو غيرهما، مادّياً أو معنويّاً.

والصَّحيفة فعيلة بمعنى ما ينبسط ويتسطّح ليستعدّ لكتابة فيه أو ظرفيّة، من قرطاس أو فلزّ أو حجر أو شجر أو جلد أو منسوج أو غيرها، وجمعها الصُّحُف والصحائف. وقد كانت الأوائل يكتبون على الطين، ثمّ على الحجارة والنحاس، أو على الورق والخشب من الشجر، ثمّ دبغت الجلود فكتبوا فيها، وكتب أهل مصر في القرطاس، والروم تكتب في الحرير الأبيض، وهكذا. راجع ابن النديم ـ ص ٣١ ط. مصر، وقاموس الكتاب المقدّس ـ كتاب، وغيرهما.

فالصحيفة المادّية الظاهريّة كما في:

إنَّ هذا لَفِي الصُّحُف الأُولى، صُحُفِ إبراهيمَ وموسى ـ ٨٧ / ١٨.

أَمْ لَم يُنبَّأْ بِما في صُحُفِ موسى وإبراهيم ـ ٥٣ / ٣٦.

أوَلَمْ تأتِهِم بَيِّنةُ ما في الصُّحُف الأُولى ـ ٢٠ / ١٣٣.

إنّها تَذكرَةٌ فَمَن شاءَ ذكرَه في صُحُفٍ مُكَرَّمَة مَرفوعَةٍ مُطهَّرَة ـ ٨٠ / ١٣.

فيراد في هذه الموارد الألواح الّتي يكتب فيها ما نزل على الأنبياء، من المعارف الإلهيّة والأحكام والآيات.

وهذه الألواح كانت مختلفة باختلاف الأزمنة من جهة الجنس، إمّا من الجلد المدبوغ، أو القرطاس، أو من خشب، أو غيرها.

وأمّا خصوصيّات هذه الصحف: فليس لنا طريق مستَند وسند صحيح قاطع إلى هذه الصحف السابقة، وما وصلت منها إلينا قد لعبت بها أيدي المحرِّفين.

وأمّا القرآن الكريم ففيه جوامع ما تحصّل وانكشف من مختلِفات الصحف الأُولى ومتفرّقاتها، فإنّ البيان هو الانكشاف بعد الإبهام والتفرّق ـ بيِّنةُ ما في الصُّحُف.

وأمّا التأنيث والتذكير في قوله تعالى ـ إنّها، وذكَره: فالتأنيث راجعة إلى مصاديق التذكرة وباعتبار الأفراد من المذكِّرات، والتذكير راجع إلى مجموع المذكِّرات وهو القرآن، أي إنّ هذه الكلمات والإبلاغات من السابقة واللّاحقة تذكرة للناس، فمن شاء منكم ذَكَرَ هذا القرآن ويتّعظ منه. أو المراد هو الكلمات والمواعظ من رسول الله (ص) بطور مطلق وتفصيليّ، أو اجماليّ وفي مورد خاصّ.

فالصُّحف أيضاً في الآية (في صُحُف مُكرَّمة) على الأوّل بأن يراد مصاديق التذكرة: تشمل جميع الصُّحُف، وعلى الثاني بأن يراد الكلمات والمواعظ: تنطبق على الآيات القرآنية فقط، وهذا هو الظاهر.

وأمّا الصُّحف ممّا وراء المادّة كما في:

وإذا الصُّحُف نُشِرَت وإذا السَّماءُ كُشِطَت ـ ٨١ / ١٠.

النشر هو بسط في قبال الطيّ. والصُّحُف ألواح فيها ضبطت قاطبة الجريانات والحركات والأعمال لكلّ إنسـان، ولا بدّ أنّها من سـنخ عالم الآخرة، ولا تكون من سنخ المادّة الظلمانيّة.

ويقوى في النظر أن يكون المراد هنا ألواح النفوس المنطوية فيها نقوش الأعمال والحركات، وهي تنبسط في يوم الآخرة ويظهر ما فيها.

وهذا اللوح أقوى وأتمّ وأبين من لوح خارجيّ عن النفس.

أُدخُلوا الجَنَّةَ ... يُطاف عَلَيهم بصِحافٍ مِن ذَهَب وأكواب وفيها ما تَشتَهيه الأنفُسُ وتلَذّ الأعيُن ـ ٤٣ / ٧١.

الصِّحاف جمع صَحْفة، بمعنى ما كان منبسطاً ومسطّحاً في قِطعة من إناء أو غيره، مادّياً كالصِّينيّة، ويوضع عليـه أنواع الأكل والثمرات والأطعمة. والصَّحْفة المناسبة بالحياة الأُخروية والجنّة: ما يكون منبسطاً صافياً فيه من الأُكل ما يناسب الجنّة.

والبحث عن خصوصيّات أمثال هذه الأُمـور من الموضوعات الأُخـرويّة لا يُجدي نتيجة مطلوبة، لأنّها خارجة عن إدراكاتنا.

وأمّا مفهوم التغيير والتحريف: فكأنّه بمناسبة التسطيح والتصفية، فالمُصحِّف يُسطّح الصحيفة عن القيود اللّازمة والإعجام.

ولا يخفى ما بين موادّ الصحف والصفح والصحن والصحو والصحر: من الاشتقاق الأكبر، ويجمعها السعة والتسطيح.

وسيجيء في اللّوح والكوب ما يرتبط بالمقام إنشاء الله تعالى.

وأمّا الفرق بين الصَّحْفة والصحيفة: فإنّ الفَعيلة صفة تدلّ على اتِّصاف شيء بالثبـوت، وعلى هذا يعـبّر بها في الألواح المسـتعدّة الّتي تعيّنت وتخصّصت في مقام

الكتابة والضبط وأمثالها. وهذا بخلاف الصحفة فإنّها فَعْلة لبناء المرّة بنحو الإطلاق.

* * *

صخّ :

مقا ـ صخّ : أصل يدلّ على صوت من الأصوات، من ذلك الصاخّة، يقال: إنّها الصيحة تُصمّ الآذان. ويقال: ضربتُ الصَّخْرةَ بحجَر فسمعت لها صخّاً. ويقال صخّ الغراب بمنقاره في دَبَرة البعير، إذا طعن.

صحا ـ صخّ: الصاخّة: الصَّيْحة تُصمّ الآذان لشدّتها، يقول: صخّ الصوت الأُذنَ يَصُخّها صَخّاً، ومنه سمّيت القيامة الصاخّة.

التهذيب ٦ / ٥٢٢ ـ قال الليث: الصاخّة: صيحة تَصُخّ الآذان فتُصِمّها. ويقال كأنّما في أُذنه صاخّة، أي طَعنة. وقال غيره: يقال للداهية صاخّة. وعن ابن الأعرابيّ: الصَخّ: الضرب بالحديد والعصا الصُّلبة على شيء مُصمَت.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصوت الشديد ونظيره الّذي يؤثّر في الأُذن والقلب. فإنّ الصاد من حروف الصفير ويدلّ على الصوت، والتشديد يدلّ على الشدّة، والخاء يدلّ على النفوذ.

وحقيقة الصوت هو تموّج في الهواء، ونظيره التموّج الحاصل في الفضاء المعنويّ بحوادث تحدث في المحيط وتؤثّر في القلوب اضطراباً ومفاجأةً.

فالأصل يشمل الصيحة الشديدة، والداهية العظمى المواجهة، محسوسةً، أو

معقولةً، توجب قرعاً واضطراباً.

فإذا جاءَت الصّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ المرءُ مِن أخيهِ وأُمِّهِ وأبيه ـ ٨٠ / ٣٣.

أي حادثة شديدة عالية قارعة، توجب اضطراباً واختلالاً بحيث يكون اهتمامُ كلّ امرئ في تخلّص نفسه، ولا يَرى ناصراً، ولا يُجدي معين، فإنّ كلّ أحد يشاهد ما في نفسه ويرى صحيفة أعماله، ويُدرك بالعيان تحوّلَ محيط حياته، وتبدُّلَ ما كان له من الوسائل والعلائق ـ يَومَ تَبدَّلُ الأَرض غَيرَ الأَرض.

* * *

صخر:

مقا ـ صخر: كلمة صحيحة وهي الصَّخْرة: الحجرة العظيمة، ويقال صَخْرة وصَخَرة.

مصبا ـ الصَّخْر: معروف، وجمعه صُخور، وقد تفتح الخاء، والصخرة أخصّ منه، ويجمع أيضاً بالألف والتاء فيقال صَخرات.

الاشتقاق ٧٥ ـ معاوية وإسمه صَخر بن حَرب بن أُميَّة، والصَّخْر معروف، وليس كلّ الحجارة تسمّى صخراً، وإنّما الصَّخرة: الصَّفاة العظيمة الّتي لا يمكن حملها ولا إزالتها عن مكانها.

مفر ـ الصَّخر: الحجر الصُّلب ـ فتكُنْ في صَخْرة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الحجر العظيم الصُّلب، ويدلّ عليه حرف

الصاد الدالّ على الصـفير وهو علوّ وظهـور من الصوت، وحرف الخاء الدالّ عـلى النفوذ والشدّة.

وثَمودَ الَّذينَ جابُوا الصَّخْرَ بالواد ـ ٨٩ / ٩.

أرأيتَ إذ أوَينا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نسيتُ ـ ١٨ / ٦٣.

إن تَكُ مِثقال حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ فَتَكُنْ في صَخرَة ـ ٣١ / ١٦.

هذه الموارد تدلّ على كون الصخر عظيماً وصُلباً، فإنّ خرق الصخرة وقـطعها للبناء في الأُولى، والنزول منهم كان عند صخرة في الثانية، وكون خردل صـغير في صخرة: تلازم عظمها وصلابتها في الثالثة.

فإنّ الآية الأُولى في مقام بيان اقتدار ثمود، والثانية في ذكر علامة بيّنة للمنزل الّذي قصدوه وتعيينه، والثالثة في بيان عظمة قدرته تعالى.

مضافاً إلى أنّ الصرخ والصخد والصخب والصخّ أيضاً: تدلّ على العلوّ والشدّة.

* * *

صدّ:

مقا ـ صدّ: مُعظَم بابه يَؤول إلى إعراض وعـدول، ويجـيء بعد ذلك كـلمات تَشُذّ. فالصدّ: الإعراض، يقال: صَدّ يصُـدّ، وهو ميل إلى أحد الجانبين. ثمّ تـقول صددت فلاناً عن الأمر إذا عدلَته عنه. والصُّدّان: جانبا الوادي، والواحد صُدّ، وهو القياس لأنّ الجانب مائل لا محالة، ويقولون إنّ الصَّدَد: ما استقبَل، يقال هذه الدار على صَدَد هذه. ويقولون: الصَّدَد القُرب. والصُّداد: الطريق إلى الماء. والصَّدّ: الجبل. وهذه الكلمات الّتي ذكرتها فليست عندي أصلاً، لبُعدها عن القياس، وإن صـحّت فهي محمولة على الأصل. وممّا هو صحيح وليس من هذا الباب ـ صَدّ يَصِدّ، وذلك إذا

ضجّ، وقرأ قوم ـ **إذا قومُك منه يَصِدُّون** ـ قالوا: يَضِجّون. والصَّديد: الدم المختلط بالقَيح.

مصبا ـ صددته عن كذا صدّاً من باب قتل: منعته وصرفته، وصددت عنه: أعرضت، وصدّ من كذا يصِدّ من باب ضرب: ضحك. والصَّديد: الدم المختلط بالقيح. وقال أبو زيد: القَيح الّذي كأنّه الماء في رقّته والدم في شكلته. وأصدّ الجرحُ: صار ذا صَديد. والصُّدّ الناحية من الوادي. والصدّ بالضمّ والفتح: الجبل. وتصدّيت للأمر: تفرّغت له وتبتّلت، والأصل تصدّدت، فأبدل للتخفيف.

مفر ـ الصُّدود والصَّدّ: قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً، نحو ـ **يَصُدُّون عنكَ صُدوداً**. وقد يكون صرفاً ومنعاً، نحو ـ **فَصدّهم عن السّبيل، ولا يصُدَّنَّكَ عن آياتِ الله**. وقيل صدّ صُدوداً، وصدّ صَدّاً. والصَّدّ من الجبل: ما يحول. والصَّديد: ما حال بين اللحم والجلد من القَيْح.

التهذيب ١٢ ـ ١٠٣ ـ صدَّه يصُدّه صَدّاً ـ **وصدَّها ما كانت تعبُد** ـ أي صدَّها عن الإيمان العادة الّتي كانت عليها، أي كونها من قوم كافرين. وقال تعالى ـ **ولمّا ضُرِبَ ابنُ مَريم مَثلاً إذا قومُك مِنه يَصِدّون**. قال الفرّاء: قرئ يصِدّون ويصُدّون، والعرب تقول: صدّ يَصِدّ ويصُدّ، مثل شدّ يَشِد ويشُدّ، والاختيار يصِدّون، وهي قراءة ابن عبّاس، وفسّره يضِجّون ويعِجّون. قلتُ: يقال صددت فلاناً عن أمره أصُدُّه، فصدَّ يَصُدّ، يستوي فيه لفظ الواقع واللّازم. وأمّا ـ **فأنتَ لهُ تَصَدَّى**: فمعناه تتعرّض له وتميل إليه وتُقبل عليه، والأصل فيه تصدّد يتصدّد. وقال الليث: يقال هذه الدار على صَدَد هذه أي قُبالتها. وقال أبوعبيد: الصَّدَد والصَّقَب: القرب. وقال الليث في ـ **إذا قومُك مِنه يَصِدّون** ـ أي يضحكون. وقال أبو إسحاق في ـ **ويُسقَى مِن ماء**

صَديد ـ الصَّديد ما يسيل من أهل النار من الدم والقَيح، ويقال هو الحميم أُغلِي حتّى خَثُر.

قع ـ (صَد) جانب، ضِلع، ناحية، جَنب، جَناح.

(صِدِّد) أيَّد، عاضَد، نَحَّى جانباً، وجَّه إلى الجانب.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصّرف الشـديد. وبهذا اللحاظ تطلق على مفاهيم ـ العـدول، الميل، الإعراض، المنـع، وهكذا القرب والإقبال. كلّ منها باعتبار، ومرجعها إلى الأصل المذكور.

وأمّا مفاهيم ـ الضجّة والعجّة والضحك والتعرّض: فمعان مجازيّة.

وأمّا الجبل والناحية والقَيْح والقبالة والتبتُّل: فبلحاظ اعتبار مفهوم الانصراف في هذه الموارد: فالتبتّل انصراف عن الخلق. والقُبالة يلاحظ فيها الميل إلى الجانب. والقَيح عدول عن الجريان الطبيعيّ في المـزاج. والناحية باعتبار وقوعها في جـانب تنصرف عن محلّ منظور، وهكذا الجبل.

وهذا الانصراف والتمايل المطلق يلاحظ أيضاً في الضجّة والضـحك والعـجّة والتعرّض: ففي كلّ من هذه المعاني لابدّ أن تلاحظ جهة الانصراف من نقطة إلى جهة أخرى، وباختلاف الموارد تختلف خصوصيّات المعاني.

فتفسير الكلمة بغير الأصل الّذي ذكرناه: تسامح وعدول عن الحقّ الأصيل، ولا سيّما في القـرآن الكريم، فتُفسَّر المـادّة في كلّ مورد بحسـب اقتضاء ذلك المـورد وتناسبه، غفلةً عن الحقيقة، ثمّ يتّبع أهل اللغة في معاجمهم عن هؤلاء المفسّرين، من

دون توجّه إلى الحقّ.

وتقرب من المادّة: موادّ الصّدر والصّدع والصّدغ والصّدف والصّرف والصّغو والصّفح، ويجمعها مفهوم التمايل في الجملة.

ويدلّ على المعنى المذكور مقابلة المادّة بالإيمان، وتَرادفُها بالكفر والنِّفاق وابتغاءِ الحياة الدّنيا وطلب سبيل الله عوجاً:

إنَّ الَّذينَ كَفَروا وصَدّوا عَن سَبيل الله ـ ٤ / ١٦٧.

ورَأيتَ المنافقين يَصُدُّونَ عَنَك صُدوداً ـ ٤ / ٦١.

الَّذينَ يَصُدّونَ عَن سَبيل الله ويَبغونَها عِوَجاً ـ ٧ / ٤٥.

وتصُدُّونَ عَن سَبيل الله مَن آمَنَ به تَبغونها عِوَجاً ـ ٧ / ٨٦ .

فَمِنهُم مَن آمَنَ بِهِ وَمِنهُم مَن صَدَّ عَنه ـ ٤ / ٥٥.

الإيمان بمعنى الوثوق والاطمينان والاعتماد، ويقابله الكفر وهو السَّتر والتغطية والإعراض.

فالصدّ وهو الصرف والعدول يقرب من الكفر، ويلازم النفاق وابتغاء الحياة الدنيا والاعوجاج عن سبيل الله.

وهذا الصدّ إنّما يتحصّل من تزيين الشيطان ما لهم، والإهانةِ بآيات الله تعالى، والبغضِ والشنآن، ومصاحبة أهل القوى، واتّباع الشيطان، وحبّ الدّنيا، والاستكبار:

وزيَّن لهُم الشَّيطانُ أعمالَهُم فصدَّهُم عَن السَّبيل ـ ٢٧ / ٢٤.

اشتروا بآيات الله ثَمناً قَليلاً فَصَدُّوا عَن سَبيله ـ ٩ / ٩.

وَلا يَجرِمَنَّكُم شَنآنُ قوم أن صَدّوكُم ـ ٥ / ٢.

فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنها مَن لا يؤمِن بِها واتَّبعَ هَواه فَتَرْدىٰ ـ ٢٠ / ١٦.

وَلا يَصُدَّنَّكُم الشَّيطان ـ ٦٢ / ٤٣.

الَّذينَ يَستحبّون الحَياةَ الدُّنيا عَلى الآخِرة ويصُدُّونَ عَن سَبيل الله ـ ١٤ / ٣.

ورأيتَهم يصُدُّون وهُم مُستكبِرون ـ ٦٣ / ٥.

فهذه الأُمور كلّ واحد منها إذا وُجد في شخص يوجب صرفه وصدّه عن سبيل الله.

وكلّ من هذه الموارد يناسب استعمالَ المادّة في الأصل كما لا يخفى. ولا يصحّ تفسير المادّة في الآيات بمفهوم المنع كما في التفاسير، فإنّ المنع هو إيجاد ما يتعذّر به الفاعل عن العمل، فهو في قبال الفعل وإيجاده، كما في قوله تعالى: ما منَعك ألّا تَسجُدَ، يا أبانا مُنِع مِنا الكَيلُ.

فإنّ الشيطان أو الكافر أو المنافق أو من يَتّبع هواه أو يُحبّ الحياة الدنيا أو غيرَهم لا يَقدرون أن يمنعوا ويوجدوا مانعاً عن العمل والإيمان والهداية وسلوك سبيل الله بالكليّة، بل إنّهم يَصرفون عن سبيل الحقّ.

وهذا لطف التعبير بالمادّة في موارد استعمالاتها.

فأغرقناهُم أجمَعين فَجَعَلناهُم سَلَفاً ومَثَلاً للآخِرين وَلَمّا ضُرِبَ ابنُ مَريَمَ مَثَلاً إذا قومُك مِنهُ يَصِدُّون وقالوا ءَآلهتُنا خَير أم هوَ ... إن هوَ إلّا عَبْدٌ أنعَمْنا عَلَيهِ وجَعَلْناهُ مَثَلاً لبَني إسرائيل ـ ٤٣ / ٥٨.

المَثَل والمَثيل صفتان كالحسن والشريف من المماثلة بمعنى المشابهة في الجنس والخصوصيّات الذاتيّة. فوجود عيسى عليه السّلام هو المَثَل الأعلى من اللّاهوت والجبروت والإنسانيّة الكاملة والعبوديّة الممتازة، وهو المصداق الأتمّ لقوله تعالى ـ

وللهِ المَثَلُ الأعْلَى في السَّماواتِ والأَرْض.

فالمَثَل ما يتّصف بكونه مماثلاً ومشابهاً في الخصوصيّات الذاتيّة.

وأمّا انصراف الكافرين وقومِ قريش عن هذا المَثل الأعلى: فهو في الحقيقة انصراف عن الحقّ الأوّل، وهو الله تعالى.

وأمّا كلمة يصِدّون بكسر الصاد: فالكسرة تدلّ على الثبوت والرسوخ واللّزوم، وهو الانصراف الثابت، ومن لوازمه الضجّة والعجّة والضحك والانزجار وأمثالها، وليست هذه المعاني من الحقيقة.

مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ ويُسْقَى مِن ماءٍ صَديد - ١٤ / ١٦.

أي من ماء يُصرَف عنه وهو مُعرَض عنه لكلّ فرد، لكراهة فيه.

* * *

صدر:

مصبا ـ صدَر القوم صُدوراً من باب قعد، وأصدرته: وأصله الانصراف، يقال صدر القوم وأصدرناهم، إذا صرفتَهم. وصدرتُ عن الموضع صدراً: رجعت. فصَدْرُ مصدر، والإسم الصَّدَر. والصَّدْر من الإنسان وغيره. معروف، والجمع صدور. ورجل مصدور: يشكو صدره. وصدرُ النهار: أوّله.

مقا ـ صدر: أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على خلاف الوِرد. والآخر ـ صدر الإنسان وغيره. فالأوّل قولهم ـ صدَر عن الماء وصدَر عن البلاد: إذا كان وَرَدَها ثمّ شخَص عنها. وأمّا الآخر ـ فالصّدر للإنسان والجمع صُدور. ثمّ يشتقّ منه، فالصِّدار: ثوب يُغطِّي الرأس والصدر. والمُصدَّر: الأسد، سمّي بذلك لقوّة صدره.

صحا ـ الصَّدر واحد الصُّدور، وهو مذكّر، وقوله ـ كما شرقَتْ صدرُ القَناة:

فأنّثه على المعنى، لأنّ صدر القناة من القناة، لأنّهم يؤنّثون الإسم المضاف إلى المؤنّث. وصدر كلّ شيء: أوّله. وطريق صادِر أي يَصدُر بأهله عن الماء.

التهذيب ١٢ / ١٣٣ ـ قال ابن المظفّر: الصدر: أعلى ومقدّمُ كلّ شيء. وصدر القناة: أعلاها. وصدر الأمر: أوّله. والصُّدرة من الإنسان: ما أشرَف من أعلى صدره. قلت ـ والعرب تقول للقميص القصير والدرع القصيرة: الصُّدرة. وقال الليث: التصدير: حَبْلٌ يُصدَّر به البعير إذا جرّ حِملَه إلى خَلف، والحَبل إسمه التصدير، والفعل التصدير، والصَّدَر: الانصراف عن الوِرد وعن كلِّ أمر، يقال صَدَروا وأصدرناهم. وطريق صادر، ومعناه أنّه يصدر بأهله عن الماء. وطريق وارد يَرِد بهم. ويقال للّذي يَبتدئ أمراً ثمّ لا يُتمّه: فلان يورِد ولا يُصدر، فإذا أتمَّه قيل أورَد وأصدَر.

❋ ❋ ❋

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الورود. فالنظر في الورود إلى جهة الصيرورة إلى محيط، كما أنّ الصدور ناظر إلى جهة صيرورة إلى خارج محيط معيّن.

وسبق في دخل: أنّ الدخول ضدّ الخروج، ويلاحظ فيهما الورود إلى محيط يَحويه ويُحيط به والخروج هو البروز عنه. والورود مقدّم على الدخول. ويلاحظ في الولوج: الدخول ملاصقاً.

فيقال صدرَ يصدُر صَدْراً وصُدوراً، وأصدره يُصدِره إصداراً، والصَّدْر من هذه المادّة: إمّا صفةً كالصَّعْب أو مصدراً، فأطلق على عضو مخصوص من الإنسان وغيره، وذلك لبروزه واستعلاء فيه، وهو صُندوق القلب، والقلب مركز الحياة الحيوانيّة.

فكأنّ الصَّدر قد صدر من بين الأعضاء ومن مقام القلب إلى محيط خارجيّ،

أو أنّه واقع في مرحلة أوّليّة من البدن بعد الرأس فهو كالصادر من الرأس، فإنّ تحقّق الصدور بالصيرورة إلى محيط خارجيّ، وهو أوّل مرحلة فيها. أو أنّ فيه القلب وفيه ورود الدم من جميع الأعضاء بالوريد، وصدوره إلى جميع أطراف البدن منه، والصدر هو مصداق مرحلة الصدور، وهكذا فيه يتحقّق صدور الحياة من القلب إلى البدن.

وباعتبار هذه الخصوصيّات في الصدر: يطلق على ما يكون أعلىً ومقدّماً من الشيء، وقد يُشتقّ منه بالاشتقاق الانتزاعيّ، فيقال رجل مصدور وأسد مُصدَّر وغيرها.

ثمّ إنّ القلب والصَّدر أعمّ من الظاهريّ المادّيّ والباطنيّ الروحانيّ، وكما أنّ القلب المادّيّ مركز الحياة الحيوانيّة والصَّدر صندوق له ويَحويه: كذلك القلب الروحانيّ، فإنّه مركز الحياة الروحانيّة، والصدر يَحويه.

فالقلب مركز الصَّدر، والصَّدر مرتبة متّسعة ثانويّة مستنيرة من القلب، وعلى هذا يختلفان في مقام النسبة، فيقال في النسبة إلى القلب: آمَن واطمأنّ، وخشَع، وسَلِم، وقسَى، وزاغ، واهتَدى، وعَمِي، وخُتِم. ولا تنسب هذه الأُمور إلى الصدر:

كتَبَ في قلوبِهِم الإيمانَ، ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، أن تخشعَ قلوبهم، بِقَلْبٍ سَلِيم، فَقَسَتْ قلوبُهُم، أزغَ الله قلوبَهُم، ومَن يؤمِنُ باللهِ يَهْدِ قَلبَه، فإنَّها لا تَعْمى الأَبْصارُ ولكن تعمى القلوبُ الَّتي في الصُّدور، خَتَمَ اللهُ عَلى قُلوبِهِم، يَطبعُ اللهُ عَلى قُلوبِ الكافِرين.

ويقال في النسبة إلى الصدر: أخفَى، وأجهَر، وأسرَّ، وأكنَّ، وأعلَن، وضاقَ، ووَسِع، وشرَح. ولا تنسب هذه الأُمور إلى القلب: ويَعلمُ ما تُسِرّونَ وَما تُعلِنُونَ واللهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدور، يَعْلَمُ خائنةَ الأَعْيُن وَما تُخفِي الصُّدور، وربُّكَ يَعْلَم ما تُكِنُّ صُدورُهم وما يُعْلِنون، قُل إن تُخفوا ما في صُدُورِكُم أو تُبدوه، وضائِقٌ به

صَدرُك، ربِّ اَشْرَحْ لي صَـدْري، وأسِرُّوا قولَـكُم أو أجهَـروا به إنَّـهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدور.

والحاصل أنّ الصـدر والقلب كالمِشـكاة والمصباح (كَمِشكاة فيها مِصْباح)، والقلب مُظهر القوّة والحياة، والصدر فيه تلك القوّة.

وعلى هذا قد عبّر في قوله تعالى بقوله:

ولِيَبْتليَ اللهُ ما في صُدوركُم وليُمحّصَ ما في قلوبكم والله عَليمٌ بذات الصُّدور ـ ٣ / ١٥٤.

فإنّ التمحيص هو التخليص من العيـب والشوب مع التجـلية. وهـذا المـعنى يناسب أصل القـوّة ومركزها، ولا معنى لتخليص المحيط وتجليـته مع وجود خـلط وشوب في المظروف. والمناسب بالمحيط والمظروف هو الاختبار والامتحان والابتلاء.

وإلى هذا المعنى يرجع قوله تـعالى ـ بِقَلبٍ سَليم، بِقَلبٍ مُنيب، وقلبُه مُطمئنّ بالإيمان، يَهدي قلبَه، تَعمَى القُلوب.

وقد يشتركان في انتساب بعض الأُمور إليهما، كانتساب الإضاءة والحرارة إلى المشكوة والمصباح، وذلك كالغِلّ والكِبر وغيرهما، ممّا يصحّ أن ينسب إلى كلّ منهما ولو باعتبار غيره ـ وَنَزَعْنا ما في صُدُورِهِم مِن غِلّ، إنّ في صُدُورِهِم إلاّكِبر، كَذلكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبّار، وَلا تَجْعَلْ في قلوبنا غِلاًّ.

فظهر أنّ ما نسـب إلى الصَّدر في القرآن الكريم بمناسـبة الموضوع، كما أنّ ما نسب إلى القلب بمناسبته، وقد لوحظ لطف التعبير وحفظ خصوصيّات كلّ منهما في جميع موارد استعمالهما.

وهذا التوضيح يؤيّد كون تسمية الصدر باعتبار وقوعه في مرحلة متأخِّرة عن

القلب، فيه يتجلّى ما في القلب، فكأنّه صادر ومَظهر ومَجلى عن القلب ـ راجع القلب.

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُور: قلنا في ذو: إنّ كلمة ذات تدلّ على الملازمة الشديدة على سبيل القاهريّة والحاكميّة، والمراد هنا الحقائق الراسخة والضمائر المضمَرة في الصَّدور.

يَومئذٍ يَصْدرُ النّاسُ أشْتاتاً لِيُرَوْا أعْمالَهُم ـ ٩٩ / ٦.

قالَتا لا نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ ـ ٢٨ / ٢٣.

يقال صدر يَصدُر وأصدَره يُصدره: أي برز وأبرزه. والمعنى ـ يَبرز الناس من محيط إبهام وظلمة ومحدوديّة خاصّة إلى محيط خارج ويصيرون إلى عالم نور ومشاهدة، في الآية الأُولى.

وقالتا لا نسقي حتّى يُصدِر الرِّعاءُ أغنامَهم عن حول الماء، في الثانية.

* * *

صدع:

مقا ـ صدع: أصل صحيح يدلّ على انفراج في الشيء. يقال صدعته فانصدَع وتصدّع. وصدَعت الفلاة قطعتها. والصَّدع: النبات، لأنّه يصدَع الأرض. ومن الباب: صَدَع بالحق: إذا تكلّم به جِهاراً ـ فاصدَعْ بِما تؤْمَر. ويقال: تصدَّع القوم: إذا تفرّقوا. والصِّدعة من الإبل: قِطعة كالسِّتّين ونحوها، كأنّها انصدعت عن العسكر العظيم.

مصبا ـ صدعتُه صَدْعاً من باب نفع: شققته، فانصدع، وصدعت القومَ صدعاً فتصدَّعوا: فرّقتهم فتفرّقوا. وقوله ـ فَاصْدَعْ بما تؤمَر: قيل مأخوذ من هذا، أي شُقَّ جماعاتِهم بالتوحيد، وقيل أُفرقْ بذلك بين الحقّ والباطل، وقيل أظهر ذلك. والصُّداع: وجع الرّأس، يقال منه صُدِّع تصديعاً.

التهذيب ٢ / ٤ ـ فاصْدَعْ بِما تُؤْمَـر: قال بعض أي أجهِر بالقـرآن. وقـال أبوإسحق: أظهر ما تؤمَر به، أُخذ من الصَّـديع وهو الصـبح. وعن ابن السـكّيت: الصَّدْع: الفصـل. والصادع: قاضٍ يصـدع أي يَفرُق بين الحـقّ والبـاطل. يومَئِـذٍ يَصَّدَّعون أي يتفـرّقون. وقال الليث: الصَّـدع: شقّ في شيء له صلابة. وصدعت الفلاة أي قطعتها في وسط جَوْزها، وكذلك صَدَع النهرَ: شـقّه شـقّاً، وصدع بالحـقّ: تكلّم به جِهاراً. قال الفرّاء: ذات الصَّـدْع ـ تَتصدّع بالنبات. وقال الليث: الصَّـدْع نبات الأرض لأنّـه يَصدع الأرض فتصـدّعُ به. وقال: والصديع انصـداع الصـبح، والصَّديع: رقعة جديدة في ثوب خَلَق. والصِّدعة والصَّديع: قِطعة من الظِّباء والغنم. وجبل صادِعٌ: ذاهب في الأرض طولاً، وكذلك سـبيل صادع ووادٍ صادع، ورأيت بين القوم صَدَعات، أي تفرّقاً في الرأي والهوى.

الجمهرة ٢ / ٢٧١ ـ والصَّدْع: مصـدر صدعت الشيءَ أصدعُه صَـدعاً: إذا شققتَه بإثنين، ثمّ كثر ذلك حتّى صار كلّ منفطر متصدِّعاً. والصَّديع: الصبح إذا انشقّ عنه اللّيل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو القطع في أمور مهمّة أو صُلبة مادّياً أو معنويّاً، والشقّ كما مرّ هو الانفراج المطلق.

وباعتبار هذا المعنى تطلق المادّة على الشقّ والتفرّق والتبيّن والإجهار والإظهار والانفطار ونظائرها إذا لوحظ قيد الانقطاع.

فيطلق الصَّديع على الصـبح باعتبار كونـه قاطعاً ظلمةَ اللّيل. وعـلى الجـبل

الطويل باعتبار قطعه الأراضي من جانبيه. وهكذا على السبيل والواد الطـويلين إذا قطعا الأراضي. وعلى ما تفرّق كالقِطعة من غنم. وعلى الاجهار والإظهار باعتـبار التبيين وقطع الخفاء والستر.

يَومَ تُبلَى السَّرائِرُ فَما لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا ناصِر والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْع والأَرضِ ذاتِ الصَّدعِ إنَّهُ لَقَولٌ فصلٌ ـ ٨٦ / ١٢.

فإنّ ما يتعلّق بالعالم العلويّ هو باق وراجع إلى صاحبه وأصله، ولا يفنى منه شيء. وأمّا ما يتعلّق بالعالم السُّفليّ والأرض المادّيّة: فهو فانٍ ومنقطع.

وفي العـالم الصـغير: فما يتعلّق بالبـدن وما يصـدرُ منـه من أعمالِه وحركاته ومَظاهره وآثار قوّته كلُّها منقطعة فانية غير مستمرّة. وأمّا ما يتعلّق بروحه وما هو من آثار ملكات باطنه من خير أو شرّ ومن نور أو ظلمة فهو باقٍ وثابت في نفسـه وراجع إلى صاحبه ـ يَومَ تُبْلَى السَّرائِر.

وهذا يوم ينقطع عنه كلّ قـوّة وناصر كانت في المادّة والظاهر ـ يَومَ لا يُغني مَولىً عن مَولىً شيئاً ولا هُم يُنصَرون.

وأمّا في السماء والأرض الظاهريّة المـادّيّة: فإنّ للسماء في قـبال الأرض قـوّةً دافعة تدفع إلى الأرض وتُعـيد كلّ شيء ثقيل إليها كالماء. وأمّا الأرض فكلّ شيء فيها يحيى ويموت ويوجد ويفنى ويظهر وينقطع ـ وَما أنزلَ اللهُ مِنَ السَّماء مِن ماءٍ فأحيا بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها.

وظاهر الآية الكريمة وسياقها يؤيّد تعلّقها بالسماء الروحاني والأرض المادّيّة.

فأقِم وجْهَكَ لِلدِّين القَيِّم مِن قَبل أن يأتِيَ يَومٌ لامَرَدَّ لَهُ مِنَ الله يَومَئِذٍ يَصَّدَّعُون ـ ٣٠ / ٤٤.

أي يتصدّعون، قلبت التاء صاداً كما في إصَّعَّد يصَّعّد، والمعنى ـ من قـبل أن يأتي يوم لا مردّ لذلك اليوم من الله، يومئذ ينقطعون عن جميع ما يتعلّق بهم وعن أيّ قوّة وناصر وظهير ومعين، ويتجرّدون عن أيّ وسيلة وسبب وقدرة شخصيّة مادّيّة، إلّا أن يتحصّل لهم ارتباط روحانيّة بواسطة توجّه إلى البرنامج الإلهيّ.

بأكواب وأباريقَ وكأسٍ مِن مَعين لا يُصَدَّعُون عَنْها ولا يُنْزِفُون ـ ٥٦ / ٢٠.

أي لا يُجعَلون مقطوعين عن هذه الإنعامات الإلهيّة.

لَو أنزَلنا هذا القُرآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأيتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً ـ ٥٩ / ٢١.

أي متقطّعاً بشدّة من شدّة التأثّر والخشوع.

فاصْدَعْ بِما تُؤْمَر وأعْرِض عَنِ المُشْرِكين ـ ١٥ / ٩٤.

أي فاقطع نفسـك عن التعلّقات وتبتّل عمّا يشغلك فـيما تكـون مأمـوراً بـه، وأعرض عن المخالفين والمشركين الّذين ليس لهم إخلاص في عملهم.

وتقدّم في البتل: الفرق بينه وبين البتر والبتك ـ فراجع.

* * *

صدف :

مصبا ـ صدفت عنه أصدِف من باب ضرب: أعرضت. وصدفَت المرأة بوجهها فهي صَدوف.

مقا ـ صدف: أصلان: الأوّل ـ يدلّ على الميل. والثاني ـ عَرَض من الأعراض. فالأوّل ـ صدَفَ عن الشيء إذا مال عنه وولّى ذاهباً. والصَّدَف من البعير: أن يَمِـيل خُفُّه من اليد أو الرِّجل إلى الجانب الوحشيّ، وقد صَدِف. والصَّدَف: جانب الجبل، وإنّما سمّي لميله إلى إحدى الجهتين. وأمّا الآخر ـ فالصَّدَف: المَحارة، وهي معروفة.

التهذيب ١٢ / ١٤٦ ـ صدف: قال الليث: الصَّدَف غشاء خَلْق في البحر تضمّه صَدَفتان مفروجتان عن لحم فيه روح يسمّى المَحارة، وفي مثله يكون اللؤلؤ. قال الفرّاء: حتّى إذا ساوى بين الصَّــدفين، قرئ ـ بين الصَّدَفين والصُّـدَفين والصَّـدُفين. والصَّدَفة: الجانب والناحية. ويقال لجانب الجبلين إذا تحـاذيا: صُـدُفان وصَـدَفان، لتصادفهما أي تلاقيهما يلاقي هذا الجانب الجانب الّذي يُلاقيه، وما بينهما فَجّ أو شِعب أو وادٍ، ومن هذا يقال صادفت فلاناً أي لاقيـته. قال أبو عبيد: الصَّدَف والهَــدَف واحد، وهو كلّ بناء عظيم مرتفع. وقال الليث: الصَّدَف: الميل عن الشيء، وأصدفني عنه كذا وكذا.

صحا ـ صدف عنّي: أعرض. ويقال امرأة صَدوف: لِلّتي تَعرض وجهها عليك ثمّ تَصدف. وأصدفني عنه كذا وكذا: أمالني. وصَدَفُ الدُّرّة: غشاؤها، الواحدة صَدَفة. والصَّدَف والصُّدف: منقطَع الجبل المرتفع. وصادفت فلاناً: وجدته.

الجمهرة ٢ / ٢٧٢ ـ وصدف الرجـل عن الشيء يصدِف ويصدُف، والكسر أعلى، صُدوفاً: إذا مالَ عن الشيء، فهو صـادف. والصَّـدَف مـيل في القـدم، قـال الأصمعيّ: لا أدري عن يمين أو عن شمال. قال أبو حاتم: الصـدَف إقبال إحـدى الركبتين على الأُخرى.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في هذه المادّة: هو التـلاقي عن جنب كما أنّ المواجهة هو التلاقي عن وجه. يقال صدَف وصادَف وتصادف، إذا لاقَى عن جانب يميناً أو شمالاً.

وبهذه المناسبة يطلق الصَدَف على الناحية والجانب من شيء أو جبل أو بناء، وعلى ميل في يد أو رِجل إلى جانب.

وإذا استعملت المادّة بحرف عن: تكون بمعنى المرور عن جانب والإعراض عنه، وهذا هو الفرق بينها وبين الإعراض.

وبهذا يظهر لطف التعبير بها في موارد استعمالها في القرآن الكريم.

فَمَن أظلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيات الله وصَدَف عَنها ـ ٦ / ١٥٧.

سَنَجزي الَّذينَ يَصدِفون عَن آياتنا سوءَ العَذاب بِما كانوا يَصدِفون ـ ٦ / ١٥٧.

أُنظر كَيْفَ نُصَرِّف الآياتِ ثُمَّ هُم يَصْدِفون ـ ٦ / ٤٦.

يراد المرور والإعراض عن جوانبها، وهذا لا يتوقّف على المقابلة والمواجهة أوّلاً كما في الإعراض، قال تعالى:

وإن يَروا آيةً يُعرِضوا، بَل أتيناهُم بذكرهم فهُم عَن ذِكرهم مُعرِضُون، وما تأتيهِم مِن آيَةٍ مِن آياتِ رَبِّهِم إلّا كانوا عَنْها مُعْرِضين.

فالصَّدْف إعراض بلا تحقيق وتفكّر وتدبّر بخلاف الإعراض، فإنّ في الإعراض مواجهةً ومقابلة وتحقيقاً في الجملة.

وأمّا الصَّدَف من ذوي الحياة: فهو غِلاف ينمو حولَ الحيوانات الرخوة النواعم الّتي لا عظام لها، يحميها ويجمعها، وهو إمّا قطعة واحدة أو قطعتان كما في صدف اللّؤلؤ المسمّى بالمَحّارة، ومنها الاسقلوب وأُمّ الخلول.

فكأنّ إطلاق المادّة باعتبار وقوعه في طرفي الحيوان.

ثمّ إنّه إذا دخل شيء صلب في صَدَفته، فيُفرز سائلاً حول ذلك الجسم لئلّا يتأذّى منه، ثمّ يصلب ذلك السائل، فيكون لؤلؤاً.

* * *

صدق :

مصبا ـ صدَق صِدقاً: خلاف كذَب، فهو صادق، وصَدوق مبالغة، وصدَقته في القول يتعدّى ولا يتعدّى. وصدّقته إلى الصدق، وصدَقته: قلت له صدقتَ، وصَداق المرأة: فيه لغات، أكثرها فتح الصاد، والثانية كسرها، والجمع صُدُق، والثالثة لغة الحجاز صَدُقة والجمع صَدُقات على لفظها، والرابعة لغة تميم صُدْقة والجمع صُدُقات مثل غرفة وغرفات في وجوهها، وصَدْقة لغة خامسة وجمعها صُدَق مثل قرية وقرى. وأصدقتها: أعطيتها صَداقها، وأصدقتها: تزوّجتها على صَداق، وشيء صَدْق أي صُلب، والصَّديق: المصادق وبيّن الصداقة، واشتقاقها من الصِّدق في الوُدّ والنُّصح، والجمع أصدقاء، وامرأة صَديق وصديقة أيضاً، ورجل صِدِّيق: ملازم للصِّدق. وتصدّقت على الفقراء، والإسم الصَّدَقة، والجمع صَدَقات، وتصدّقت بكذا: أعطيته صدقة، والفاعل متصدِّق، ومنهم من يخفّف بالبدل والإدغام فيقول مُصَّدِّق. قال ابن قتيبة: وممّا تضعه العامّة غير موضعه قولهم ـ هو يتصدّق إذا سأل: وذلك غلط، إنّما المتصدِّق المُعطِي ـ وَتَصدَّقْ عَلَيْنا. وأمّا المصدِّق: فهو الّذي يأخذ صدقات النعم. والصُّندوق فُنعول، والجمع صَناديق مثل عُصفور وعصافير، وفتح الصاد عامّيّ.

مقا ـ صدق: أصل يدلّ على قوّة في شيء قولاً وغيرَه. من ذلك الصِّدق: خلاف الكِذب، سمّي لقوّته في نفسه، ولأنّ الكذب لا قوّة له، هو باطل، وأصل هذا من قولهم ـ شيء صَدْق أي صُلب ورُمحٌ صَدْق. ويقال صدقوهم القِتالَ (تصلّبوا فيه)، وفي خلاف ذلك كذَبوهم. والصِدّيق: الملازم للصِّدق. والصَّداق: صَداق المرأة، سمّي بذلك لقوّته وأنّه حقّ يلزم، ويقال صَداق وصُدقة وصَدُقة. ومن الباب الصَّدَقة ما يتصدّق به المرء عن نفسه وماله. والصَّداقة: مشتقّة من الصِّدق في المودّة. ويقال

صَديق للواحد وللإثنين وللجماعة وللمرأة. وربّما قالوا أصدقاء وأصادق.

التهـذيب ٨ / ٣٥٥ ـ الصَّدْق: الصُّلب، ويقال هو صَدْق النظـر، ومنه قـيل صَدَقوهم القتالَ. والصِّدق ضدّ الكذب. وقال الليث: ويقال صدقتُ القومَ أي قلت لهم صِدقاً، وكذلك من الوعيد إذا وقعتَ بهم قلتَ صدقتُهم. ويقال هذا رجل صِدقٍ، وامرأة صِدقٍ كذلك، فإن جعلته نعتاً قلت هو الرجل الصَّدق، وهي صَدْقة، وقـوم صَدْقون ونساء صَدْقات. ولقد صَدَقَ عليهم إبليس ظنَّه ـ قال الفـرّاء: أي صَـدَق عليهم في ظنّه. وصَدَقني فلان أي قال لي الصِّدق. والصَّداقة مصدر الصَّديق، والفعل صادقَه مصادَقة، واشتقاقه أنّه صدقة المودّة والنصحية. والصَّدَقة: ما تصدّقت به على مسكين، ويقال للرجل الّذي يأخذ الصدقات ويجمعها لأهل السُّهمان مُصَدِّق، وأمّا المُصَّدِّق فهو المتصدِّق. وأصدَق الرجل المرأة حين تزوّجها، أي جعل لها صَداقـاً. والصَّديق أبلغ من الصادِق. والصِّدّيق: المبالغ في الصِّدق.

قع ـ (صاداق) = صدَق، أنصَف، كان عادلاً، ورع، كان بريئاً، كان على حقّ.

(صِداقاه) = عدالة، استقامة، صراحة، صدق، فضل، حسـنة، عمل الخير، ورع، تبرّع، إحسان.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التماميّة والصحّة من الخلاف والكون على حق. وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد:

١ ـ فالصدق في الاعتقاد: أن يكون مطابق الحقّ الواقع الثابت.

٢ ـ والصدق في إظهار الاعتقاد: أن يكون مطابق الاعتقاد بلا نفاق.

٣ ـ وفي القول والخبر: أن يكون مطابق المخبر عنه بلا خلاف.

٤ ـ وفي القول الإنشائيّ: أن يكون إنشاؤه مطابق قلبه وصميم نيّته.

٥ ـ وفي الإحساس: أن يكون صحيحاً تامّاً على ما هو في المتن.

٦ ـ وفي العمل: أن يكون تامّاً من جميع الجهات والشرائط.

٧ ـ وفي مطلق الأُمور: بأن يكون صادقاً في الاعتقاد والقول والعمل.

فالأوّل كما في:

أم لَهُم شُرَكاءُ فليَأتوا بشُرَكائهم إن كانوا صادِقين ـ ٦٨ / ٤١.

والثاني كما في:

إن زَعَمْتُم أنَّكُم أولياءُ لِلهِ مِن دُونِ النّاسِ فتَمَنّوُا المَوْتَ إن كُنْتُم صادِقين ـ ٦٢ / ٦.

والثالث كما في:

ومَن أصدَقُ مِنَ الله حَديثاً ـ ٤ / ٨٧.

والرابع كما في:

مِنَ المؤمِنينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا الله عَلَيه ـ ٣٣ / ٢٣.

والخامس كما في:

فَقالَ أنْبِئوني بأسْماءِ هؤلاءِ إن كُنتُم صادِقين ـ ٢ / ٣١.

وهذا إشارة إلى ـ أتَجعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدِّماءَ ونَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ ونُقَدِّسُ لَك ـ فإنّ إدراكهم من جعل الإنسان خليفة هو هذا الأمر الّذي أشاروا إليه. والصدق يرجع إلى هذا الإدراك. كما أنّ الصدق في المورد الرابع راجع

إلى تعهّدهم والتعهّد إنشاء.

والسادس كما في:

وتَصدَّقْ عَلَيْنا إنَّ اللهَ يَجزي المُتَصَدِّقين ـ ١٢ / ٨٨ .

والسابع كما في:

وقُل رَبِّ أدخِلني مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخْرِجْني مُخْرَجَ صِدْق ـ ١٧ / ٨٠ .

هذا يَوْمُ يَنفعُ الصّادِقينَ صِدْقُهم ـ ٥ / ١١٩.

والمرضيّ المطلوب في الحقيقة هو القسم الأخير، بأن يكون الإنسان في منزل صدق ومتّصفاً بالصدق قولاً وعملاً واعتقاداً في الظاهر والباطن، وهذا هو المراد في قوله تعالى:

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وكونوا مَعَ الصّادِقين ـ ٩ / ١١٩.

إنَّما المُؤمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا بالله ورَسوله ثُمَّ لَم يَرتابوا وجاهدوا بأموالِهِم وأنفُسِهِم في سَبيلِ اللهِ أُولئِكَ هُم الصّادِقُون ـ ٤٩ / ١٥.

والَّذي جاءَ بالصِّدق وصَدَّق به أُولئِكَ هُم المُتَّقون ـ ٣٩ / ٣٣.

فظهر أنّ حقيقة الصدق تختلف باختلاف الموارد والمصاديق: فالتماميّة وصحّة الأمر إمّا في قول، فيقال قوله صِدق. أو في عقيدة، فيقال صَدَق في اعتقاده وفكره. أو في عمل، فيقال هو صادق في أفعاله.

ثمّ إنّ المادّة تستعمل في الظاهر لازمة، كما في: قُل صَدَقَ اللهُ، وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُه، إن كانَ قَميصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ .

وقد تستعمل متعدّية إلى واحد، كما في: ونَعلَمُ أن قَد صدَقتَنا.

وتارة متعدّية إلى إثنين، كما في: ثُمَّ صدقناهُم الوَعدَ.

ولا يبعـد أن نقول إنّ المادّة متعدِّية إلى إثنين بالقوّة والاقتضاء، وإن لم يُذكر مفعولُه، ويدلّ عليه أنّ معنى الفعل في اللّازم والمتعدِّي واحد، وهو القول أو العـمل الصدق، وهذا يحتاج إلى طرف خطاب يلق إليه القول أو العمل، وإلى مورد ومتعلَّق له.

والتصديق: جعل شيء صادقاً وذا صدق.

وأمّا مفهوم ـ الصُّلب: فإنّ الصلابة من لوازم التماميّة والصحّة.

وأمّا الصَدَقة والصِدق: فإنّ الإعطاء الصحيح التامّ الواجد للشرائط ما يكون في سبيل الله وفي خدمة الخلق الضعفاء وفي قضاء حوائجهم وجلب سرورهم ورفع المضيقة والابتلاء عنهم.

ومن مصاديق هذا الإعطاء: الصَّدَقة والصَّداق، فإنّ الصدقة عبارة عن تأدية مال مفروضاً أو مندوباً للفقراء والمساكين وفي سبيل الله، وهذا عمل تامّ صـحيح، فيكون صِدقاً. وهكذا الصَّداق فإنّه مال يُعطىٰ للمـرأة في قبال النِّكاح، وهذا أيضاً حقّ لازم وعطاء واجب وعمل تامّ.

والتحريك في الصَّدَقة يدلّ على الحركة والعمل والإظهار، وكذلك في الصَّداق، وزيادة الألف تدلّ على استمرار وحقّ مستمرّ لازم، كما في الكتابة والصناعة والخياطة وأمثالها.

خُذْ من أمْوالِهِم صَدَقةً تُطَهِّرهم ـ ٩ / ١٠٣.

ففِديَةٌ مِن صِيام أو صَدَقَةٍ أو نُسك ـ ٢ / ١٩٦.

قَوْلٌ مَعروف ومَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتبَعُها أذىً ـ ٢ / ٢٦٣.

يَمحقُ اللهُ الرِّبا ويُرْبِي الصَّدَقاتِ ـ ٢ / ٢٧٦.

إنَّما الصَّدَقاتُ للفُقَراءِ و المَساكين والعامِلين عَلَيها ـ ٩ / ٦٠.

إذا ناجَيتُم الرَّسولَ فَقَدِّموا بَينَ يَدَي نَجْواكُم صَدَقَة ـ ٥٨ / ١٢.

فالنظر إلى الصِّلة والإنفاق خالصاً ومن دون مَنٍّ وأذى، وهذا من الأعمال الصحيحة المطلوبة التامّة الحقّة.

إنَّ المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرضوا الله قَرضاً حَسناً يُضاعَف لَهُم ـ ٥٧ / ١٨.

والمتصدِّقين والمتصدِّقات والصّائمين والصّائمات ـ ٣٣ / ٣٥.

ودِيَةٌ مُسلَّمة إلى أهله إلّا أن يَصَّدَّقوا ـ ٤ / ٩٢.

وتَصدَّقْ عَلَينا إنّ اللهَ يَجزي المتصدِّقين ـ ١٢ / ٨٨ .

صيغة التفعّل تدلّ على المطاوعة والاختيار وهذا المعنى له خصوصيّة زائدة على أصل الصَّدقة، وعلى هذا تذكر المتصدِّقين والمتصدِّقات بعد قوله تعالى ـ والصّادِقين والصّادِقات والصّابرينَ والصّابرات والخاشِعين والخاشِعات ـ فإنّ اختيار الصَّدقة والتطوّع بها خالصاً إنّما يتحقّق بعد تحقّق مقام الصِّدق والصَّبر والخشوع. كما أنّ في آية ٤ / ٩٢ ـ يطلق التصدّق على عمل العفو عن الدِّية بلا عوض وخالصاً. وذكر في آية ١٢ / ٨٨ ـ بأنّ الله يَجزي جزاء المتصدِّق الّذي لا يُريد جزاء في عمله، وإنّما يختار العمل بنيّة خالصة وفي سبيل الله.

وآتوا النِّساءَ صَدُقاتِهنَّ نِحْلَةً ـ ٤ / ٤.

جمع صَدُقة إحدى لغات الصَّدَقة بمعنى الصَّداق. والضمّة تدلّ على الانضمام والانقباض والالتيام، وهذه الصيغة أنسب في العطيّة إلى ذوي الأرحام والنساء.

وظهر تناسب استعمال صيغة الصَّداقة والصَّديق في موارد المودّة الخاصّة باعتبار الحركات والألف وصيغةِ فَعيل الدالّة على الثبوت.

فَما لَنا مِن شافِعينَ وَلا صَديقٍ حَميم ـ ٢٦ / ١٠١.

أو ما مَلَكتُم مَفاتِحَه أو صديقِكُم ـ ٢٤ / ٦١.

فيدلّ الصَّديق على من ثبت له الصدق وتمّت فيه هذه الصفة.

والصِّدّيق صيغة مبالغة ـ إنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبيّاً ـ ١٩ / ٤١.

* * *

صدى :

مصبا ـ الصَّدى: ذَكَر البُوم. وصدِيَ صَدىً من باب تعِب: عطش، فهو صَدٍ وصَدْيانُ، وامرأة صديّة وصادية وصَدْيىٰ، وقوم صِداء مثل عِطاش وزناً ومعنىً. وصَدِئَ الحديدُ صَدَأً مهموزاً من باب تعب: إذا علاه الجرب.

مقا ـ صدى: فيه كلم متباعدة القياس، لا يكاد يلتقي منها كلمتان في أصل. فالصَّدىٰ: الذَّكر من البُوم، والجمع أصداء. والصَّدى الدماغ نفسه. ويقال بل هو الموضع الّذي جعل فيه السمع من الدماغ، ولذلك يقال أصمَّ الله صَداه. ويقال بل هذا صَدَى الصوت، وهو الّذي يجيبك إذا صِحتَ بقرب جبل. والصَّدىٰ: الرجل الحسن القيام على مالِه، يقال هو صَدَى مال، ولا يقال إلّا بالإضافة. والصَّدىٰ: العطش. وتصدّى فلان للشيء يستشرفه ناظراً إليه. والتصدية: التصفيق باليدين. فأمّا الصَّوادي من النخل: فهي الطُّوال. ويقال صاديت فلاناً: إذا داريتَه. وصاديت فلاناً: عاملته بمثل صَنيعه. وإذا كان بعد الدال همزة تغيّر المعنى، فيكون من الصَّدَأ صَدَأ الحديد.

الاشتقاق ٤٠٥ ـ وصُداء فُعال من قولهم سمعت صُداءه أي صياحه. وأمّا الصَّدى: فالصوت الّذي يرجع إليك من جبل أو وادٍ.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التظاهر بأيّ وسيلة كانت بقول أو صوت أو عمل أو تصفيق أو تطوّل أو استشراف أو تعرّض أو صيحة أو انعكاس صوت أو غيرها.

ومن ذلك التظاهر بالعطش قولاً أو حالاً، والتظاهر بالمداراة ولو تصنّعاً، والتظاهر بعد الموت بجسد أو بطائر يَصيح.

ويدلّ على هذا الأصل: لفظ الصدّ والصدأ، فإنّ الصدّ كما قلنا هو الانصراف، والانصراف هو التجاوز عن مرتبة التظاهر، ويدلّ على هذه الشدّة والتجاوز تشديد الدال، والصدأ هو التظاهر بجرب يعلو الحديد متّصلاً به ومغايراً عنه، وهو فيما بين الصدّ مشدّداً والصدى ليناً.

ولا يخفى ما بين موادّ الصدر والصدع والصدف والصدق والصدح: من الاشتقاق الأكبر، لتقاربها لفظاً ومعنىً.

أمّا مَنِ آستَغْنى فأنْتَ لَهُ تَصدّىٰ ... وأمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى وهوَ يَخْشى فأنْتَ عَنهُ تَلهّىٰ ـ ٨٠ / ٦.

التصدّي تفعّل وكذلك التلهّي وهو يدلّ على اختيار الفعل ومطاوعة فيه، والأصل فيهما تتصدّى وتتلهّىٰ. والمعنى ـ فأنت تختار التظاهر بالقول والعمل لجانب المستغني مشتغلاً به عمَّن يخشَى، وقد تتلهّىٰ عن جانب هذا الخاشي ـ راجع ـ عبس.

وَما كانَ صَلاتُهم عندَ البَيتِ إلّا مُكاءً وتصديةً ـ ٨ / ٣٥.

يقال مكا يمكو مَكواً ومُكاءً إذا صفَر بفيه، والمراد أصوات مخصوصة، كأصوات العرب في مجالس السرور. والتصدية ضرب يد على يد ليُسمَع منه صوت، وهذا أيضاً

معمول به في مجالس العيش والسرور بين العرب والعجم.

والصلاة هو الدعاء والتوجّه، وقد ورد أنّ الطواف صلاة، وكانوا في الجاهليّة يطوفون حول البيت بمكاء وتصدية.

* * *

صرح:

مصبا ـ صَرُح الشيءُ صَراحة وصرُوحَة: خلص من تعلّقات غيره، فهو صريح، وعربيّ صريح: خالص النسب، والجمع صَرْحاء، وكلّ خالص صريح، ومنه القول الصريح، وهو الّذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل. والصَّرْح: بيت واحد يبنى مفرداً طويلاً ضخماً، وصَرْحة الدار: ساحتها، والجمع صَرَحات.

مقا ـ صرح: أصل منقاس يدلّ على ظهور الشيء وبروزه. من ذلك الشيء الصريح. والصَّريح: المحض الحسب، وجمعه صُرَحاء. وصرَّح بما في نفسه: أظهره. ويقال كأس صُراح إذا لم تُشَب بمزاج. وصرَّح الحقُّ عن مَحْضه: إنكشف الأمر بعد غيوبه. والصَّرْحة: المكان، ويقال بل هو المتن من الأرض. ويقال يوم مصرَّح، إذا كان لا سحاب فيه. والصَّرْح: بيت واحد يُبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء. وكلّ بناء عالٍ فهو صَرْح.

التهذيب ٤ / ٢٣٧ ـ أبو عبيد: الصَّرْح ـ كلّ بناء عال مرتفع، وجمعه صُرُوح. وقال الزجّاج: الصَّرْح في اللغة ـ القَصر، والصحن، يقال: هذه صَرْحة الدار وقارعتها أي ساحتها. قال الليث: الصريح ـ المحض الخالص من كلّ شيء. وعن ابن الأعرابيّ: صَرَحه وصَرَّحه وأصرَحه إذا بيّنه وأظهره. وعن الفرّاء: لقيته مصارَحة ومقارَحة

وصِراحاً وكِفاحاً: بمعنى واحد. ويقال: صرّحت السنَةُ إذا ظهرت جُدوبتُها.

قع ـ (صِريح) = قلعة، بُرج، حِصن.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يتبيّن ويظهر وينكشف، أي الظاهر المتبيّن، وهذا المعنى تختلف خصوصيّاته باختلاف الموارد، فمن الأراضي والأبنية ما يرتفع ويعلو ويتظاهر في المنظَر، كالبُرج والبناءِ المرتفع. ومن الأجناس ما يعلو خالصاً عن الخلط ومصفّىً عن الكدر. ومن جوّ النهار ما يصفو ويتخلّص عن الكدورات السحابيّة.

فالتبيّن والظهور في كلّ شيء بحسبه، وليس مطلق الخلوص والصفا من الأصل، بل إذا ظهر بعد خلط وتَبيَّن بعد خفاء.

وهذه الكلمة قريبة من الصدى والصدح والصدع، في معنى الظهور. وهي تستعمل في المادّيات والمعنويّات.

وقالَ فِرعَونُ يا هامانُ ابنِ لي صَرْحاً لَعَلّي أبلُغُ الأسبابَ ـ ٤٠ / ٣٦.

قيلَ لَها ادخُلي الصَّرْحَ فَلَمّا رَأتْهُ حسبَتْه لُجَّـةً ـ ٢٧ / ٤٤.

قالَ إنَّهُ صَرْحٌ مُمَرّدَ مِن قَواريرَ ـ ٢٧ / ٤٤.

فيَطلب فرعون أن يُبنَى له بناءٌ عالٍ ظاهر ممتاز له صفاء وتسلّط وإشراف على النواحي حتّى يتمكّن عن التحقيق والدقة في أسباب الحوادث الجويّة وعللها، وفي الأسباب السماويّة الّتي تؤثّر في الحوادث والتكوينيّات الأرضيّة. وهذا في قبال دعوة موسى (ع) إلى الله خالق السماوات والأرض وما بينهما، وإلى عالَم الغيب.

وأمّا صَرح سليمان النّبيّ (ص): فكان بناءً عالياً جالباً للأنظار وله صفاء وإمتيازات مخصوصة ـ إنَّهُ صَرْحٌ ممرَّد مِن قَوارير.

يقول في الملوك الأوّل ـ الأصحاح السابع: وأمّا بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة... وهكذا في موارد اُخر.

ولا يبعد أن نقول: إنّ كلمة الصَّرْح مأخوذة من العبريّة، مضافاً إلى وجود التناسب بينها وبين المادّة.

* * *

صرخ:

مصبا ـ صرَخ يصرُخ من باب قتل صُراخاً، فهو صارخ وصريخ: إذا صاح. وصرخ فهو صارخ: إذا استغاث. واستصرخته فأصرَخني: استغثت به فأغاثني، فهو صريخ أي مُغيث، ومُصرِخ على القياس.

مقا ـ صرخ: اُصيل يدلّ على صوت رفيع، من ذلك الصُّراخ، يقال صرخ يصرُخ، وهو إذا صوّت. ويقال الصارخ المستغيث، والصارخ المغيث. ويقال بل المغيث المُصْرِخ ـ ما أنا بمُصْرِخكم.

التهذيب ٧ / ١٣٥ ـ قال أبو الهيثم: والصارخ: المستغيث. والمُصرِخ: المغيث. يقال صرخ فلان يصرُخ صُراخاً ـ إذا استغاث فقال وا غوثاه وا صَرْختاه، والصَّريخ بمعنى الصارخ مثل قدير وقادر، والصريخ يكون فعيلاً بمعنى مُصرِخ مثل نذير بمعنى مُنذِر، والصارخ: المستغيث. قلت: ولم أسمع في الصارخ أنّه يكون بمعنى المغيث لغير الأصمعيّ، والناس كلّهم على أنّ الصارخ: المستغيث، والمُصرِخ: المغيث. وقال الليث: الصَّرْخة صيحة شديدة عند فزعة أو مصيبة.

صحا ـ الصُّراخ: الصوت، يقول صرخ صَرْخة واصطَرخ: بمعنىً، والتصرّخ: تكلّف الصُّراخ. والمُصْرِخ: المغيث.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو طلب النيل إلى الغُوات والمعونة بالصيحة في شدّة. ولا بدّ من لحاظ هذه القيود. وهي الفارقة بينها وبين موادّ المَعونة والغُوات.

والإصراخ إفعال ويدلّ على جعل شيء ذا غُوات ومعونة، بأن يتحقّق طلبه ونال به كالإغاثة والإعانة، وهو مُصرِخ. والاصطراخ افتعال ويدلّ على اختيار الصَّرخة، هذا على ما في كتب اللغة.

والصَّريخ فَعيل ويدلّ على الاتّصاف بالصَّرخة، وهو من يُديم عمل الصُّراخ. كما أنّ الاستصراخ بمعنى طلب الصرخة، والفرق بينه وبين الصُّراخ: أنّ الاستصراخ يدلّ على الطّلب، والصُّراخ على فعليّة ذلك العمل وتحقّقه.

إن نَشَأ نُغرِقْهُم فَلا صَريخَ لَهُم وَلا هُم يُنقَذون ـ ٣٦ / ٤٣.

أي فلا يبقى أحد يَصرخ لهم ولنجاتهم ولا أنّهم يُنجَون من جانبنا.

فالصَّريخ ليس بمعنى المُصْرِخ كما في بعض التفاسير: فإنّه مضافاً إلى كونه خلاف صيغة الكلمة، لا يوافق سياق الكلام، فإنّ الإصراخ هو بعد وجود الصُّراخ، ونفي الصريخ آكد من نفي المُصرِخ، وإنّ نفي الإنقاذ بعده يدلّ على نفي الإصراخ.

وهُم يَصطرِخون فيها رَبَّنا أخْرِجنا نَعمَلْ صالِحاً ـ ٣٥ / ٣٧.

أي إنّهم يختارون في مقام التخلّص من الشدّة الصُّراخَ ويَصرخون.

فإذا الّذي استنصَره بالأمسِ يَسْتَصرخُه ـ ٢٨ / ١٨.

أي يطلب الصُّراخ منه ليَصْرخ له ويدعو أنصاراً له. فالاستصراخ هو طلب الصُراخ بخلاف الاستنصار والاستمداد والاستغاثة والاستعانة، فإنّ الاستصراخ في مورد يكون فيه حاجة إلى جماعة من الناس ليُعينوه.

فَلا تَلومونِي ولُوموا أنفُسَكُم ما أنا بمُصرِخكُم وَما أنتُم بمُصرِخيَّ إنِّي كَفَرتُ بِما أشركتمونِ ـ ١٤ / ٢٢.

والظاهر أنّ الإصراخ في هذا المورد بمعنى طلب النيل إلى الغُواث بالصيحة كما في المادّة المجرّدة، إلّا أنّ الإفعال يدلّ على جهة النسبة إلى الفاعل والقيام به. فيكون معنى استصرخته فأصرخني: طلبت منه الصُّراخ لي فصَرخ هو لي. ومعنى الآية الكريمة ـ لستُ أنا بأن أصرخ لكم في هذا اليوم الشديد كما أنّكم لا يمكنكم بأن تصرخوا لي في رفع شدائد الساعة، فمعنى المادّة والهيئة محفوظ.

وهذا المعنى أوفق وأنسب من جهات، كما قلنا في ـ فلا صَريخ لهم، فإنّ شدائد الساعة لا ترتفع بمغيث واحد، مضافاً إلى أنّ الصرخة إن كانت ممكنة: فكلّ أحد إنّما يصرخ لنفسه ـ يَومَ يَفرُّ المرءُ مِن أخيهِ وأُمِّهِ وأبيه ـ فكيف يفرغ أن يتوجّه إلى شخص آخر.

فإنّهم يومئذ لا يمكن منهم الصُّراخ، فكيف أن يعينوا ويغيثوا.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في هذه الموارد دون نظائرها.

* * *

صرّ:

مقا ـ أصول، الأوّل ـ صَرَّ الدَّراهم يَصُرّها صَرّاً، وتلك الخِرقة صُرّة، والّذي تعرفه العرب الصِّرار، وهي خِرقة تُشدّ على أطباء الناقة لئلّا يَرضعَها فصيلُها. ومن

الباب: الإصرار ـ العزم على الشيء، وإنّما جعلناه من قياسه لأنّ العزم على الشيء والإجماع عليه واحد، وكذلك الإصرار الثبات على الشيء. ومن الباب: هذه يمين صِرِّي أي جِدّ. ومن الباب الصَّرَّة يقال للجماعة. ومن الباب حافر مَصْرورٌ أي منقبض. وأمّا الثاني ـ وهو من السموّ والارتفاع، فقولهم ـ صَرَّ الحمار أُذنَه إذا أقامها، والأصل في هذا: الصِرار وهي أماكن مرتفعة لا يكاد الماءُ يعلوها. وأمّا الثالث ـ فالبَرد والحرّ وهو الصِّرّ، يقال أصاب النّبتَ صِرٌّ. والصِّرّ: صِرّ الريح الباردة، وربّما جعلوا في هذا الموضع الحَرّ. قال قوم: الصارّة شدّة الحرّ حرِّ الشمس. والصارّة: العطش، وجمعها صَوارّ. وأمّا الرابع ـ فالصوت. من ذلك الصَّرّة شدّة الصِّياح، والصَّرارى: الملّاح، ويمكن أن يكون لرفعه صوته. وممّا شذّ عن هذه الأصول كلمتان ولعلّ لهما قياساً قد خفي علينا مكانه: فالأُولى: الصارّة وهي الحاجة، والأُخرى الصَّرورة وهو الّذي لم يَحجّ ولم يتزوّج.

مصبا ـ الصِّرّ: البرد. والصَّرّ: مصدر صررتُه من باب قتل إذا شددته. والصَّرّة: الصياح والجلبة، يقال صرّ يصِرّ من باب ضرب صريراً، والصِّرار: خرقة تُشدّ على أطباء الناقة. وصررتها بالصرار من باب قتل، وصررتها أيضاً: تركت حلابها. وصُرَّة الدراهم وجمعها صُرَر. وأصرَّ على فِعله: دوامه ولازمه. وأصرّ عليه: عزم. أبو عبيد: الصرّى طائر يصرّ بالليل ويقفز ويطير، والناس تظنّه الجُندَب. والصَّرورة الّذي لم يحجّ، وهذه الكلمة من النوادر الّتي وصف بها المذكّر والمؤنّث، مثل مَلولة وفروقة، ويقال أيضاً صَروريّ.

مفر ـ الإصرار: التعقّد في الذنب والتشدّد فيه والامتناع من الإقلاع عنه، وأصله من الصَّرّ أي الشَّدّ. والصُّرّة: ما تُعقد فيه الدراهم. والصِّرار: خِرقة تشدّ على أطباء الناقة لئلّا تُرضَع. والإصرار: كلّ عزم شددت عليه. وقوله ـ ريحاً صَرْصَراً:

لفظة من الصَّرّ، وذلك يرجع إلى الشدّ، لما في البرودة من التعقّد. والصَّرّة: الجماعة المنضمّ بعضهم إلى بعض كأنّهم صُرّوا أي جُمعوا في وعاء.

التهذيب ١٢ / ١٠٦ ـ قال الليث: صرّ الجُنْدَبُ يَصِرّ صَريراً، وصَرّ الباب يَصِرّ، وكلّ صوت شبه ذلك فهو صَرير إذا امتدّ، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف، كقولك صَرْصَرَ الأخطبُ، والصَّقْرُ يُصرصِرُ صَرْصَرَةً. وقال الزجّاج: الصِّرّ والصِّرّة شدّة البرد، وإذا سمعت صوت الصرير غير مكرّر قلت صَرّ وصَلّ، فإذا أردت أنّ الصوت تكرّر قلتَ قد صَرْصر وصَلْصَل. قلتُ: بريحٍ صَرْصَرٍ ـ أي شديد البرد جدّاً.

وقوله ـ فأقبلَتْ امرأتهِ في صَرّة: قال المفسّرون: في ضجّة وصيحة، وقيل في جماعة لم تتفرّق. وجاءت الخيل مُصرّة آذانها محدّدة رافعة لها، وإنّما تُصرّ آذانها إذا جدّت في السّير. وقال الفرّاء: الأصل في قولهم كانت منّي صِرِّي وأصِرِّي: أمر، فلمّا أرادوا أن يغيّروه عن مذهب الفعل حوّلوا ياءه ألفاً، فقالوا صِرَّى وأصِرَّى، كما قالوا ـ نُهي عن قَيَل وقال، أُخرجتا عن نيّة الفعل إلى الأسماء. وعن ابن الأعرابيّ: ما لفلان صَرِيّ أي ما عنده درهم ولا دينار. وقال ابن السكّيت: يقال درهم صَرِيّ وصِرِيّ للّذي له صَرير إذا نَقرته. وفي الحديث ـ لا صَرورة في الإسلام.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ظهور الشدّة، وهذه الحقيقة تختلف خصوصيّاتها باختلاف الموارد والمصاديق.

فيقال صرّ الجُنْدُب والباب وصَرْصَر الصوت في الصوت الخارج عن الاعتدال

كيفاً أو إدامة. وأصرّ على العمل في النيّة والعزم، أي تثبّت وداوم وأظهر الشـدّة. والصِّرّة شدّة في الهواء برودة أو حرارة أو عصوفاً. وهكذا.

ومن لوازم الأصل: السموّ والعلوّ المطلق، والجدّ والثبات المطلق، والحاجة والضجّة والجمعيّة والتعقّد إذا لوحظت مطلقة.

ففي الأصل يلاحظ قيدان: الشدّة وظهورها.

وأمّا الصَرورة: فباعتبار تقيّد ومحدوديّة وشدّة في باطن ذلك الشخص وطبيعته وظهورها منه، فهو في محدوديّة خاصّة.

ففي النيّة والرأي كما في:

جَعَلوا أصابعهم في آذانهم واستغشَوا ثيابَهم وأصرّوا واستكبَروا ـ ٧١ / ٧.

يَسمَعُ آياتِ الله تُتلى عَلَيه ثُمَّ يُصِرّ مستكبراً ـ ٤٥ / ٨.

أي يُظهرون الشدّة في الخلاف والنفاق والكفر ويُديمون عزمهم في طريقهم.

ولا يخفى أنّ الاستكبار هو السبب لإدامة الإصرار والتثبّت عليه.

وفي العمل كما في: والّذينَ إذا فعلوا فاحشة ... ولَم يُصِرّوا عَلى ما فَعلوا وهُم يَعلمون ـ ٣ / ١٣٥.

أي لم يظهروا الشدّة في أعمالهم والاستقامة فيها بل يميلوا إلى الحقّ ويتوبوا إلى الله ويصلحوا.

وفي الموضوع الخارجيّ كما في: كَمَثل ريحٍ فيها صِرٌّ أصابَت حَرْثَ قَوم ـ ٣/١١٧.

أي فيها شدّة ظاهرة وحدّة من برودة أو حرارة أو عصوفة.

وفي الحالة كما في: فأقبلت امرأتُه في صَرّة فصكّت وجهَها ـ ٥١ / ٢٩.

أي في حالة منقبضة شديدة. وهو في قبال الانبساط.

وفي الخلاف كما في ـ وكانوا يُصرّون عَلى الحِنث العَظِيم ـ ٥٦ / ٤٦.

أي يظهرون شدّة وحدّة في التخلّف.

وأمّا الصَّرْصَرْ: وهو ظهور الشدّة مع استدامة وتكرار كما في قوله تعالى:

وأمّا عاد فأُهلكوا بريحٍ صَرْصَرٍ ـ ٦٩ / ٦.

فأرسَلنا عَلَيهم ريحاً صَرصَراً ـ ٤١ / ١٦.

أي ريح شديد في عصوفة مع التداوم.

فظهر أنّ تفسير المادّة في مورد بالعزم وفي آخر بالثبات وفي آية بالبرد وفي أخرى بالصيحة والضجّة أو بالمداومة أو بالقبض أو بغيرها من المعاني المصداقيّة أو المجازيّة: في غير محلّها.

❊ ❊ ❊

صرط:

مصبا ـ سرِطته أسرَطُه من باب تعب سَرَطاً: بلعته، واسترطته، والسراط: الطريق، ويبدل من السين صاداً، فيقال صراط. والسرطان من حيوانات البحر معروف.

التهذيب ١٢ / ٣٢٩ ـ سرط: أبو عبيد عن الكسائي ـ سرِطت الطعام وزَرَدته إذا ابتلعتَه. ولا يجوز سَرَطتُ. و ـ إهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيم: كتبت بالصاد والأصل السين، ومعناه ـ ثبّتنا على المنهاج الواضح. وقال الفرّاء: إذا كان بعد السين طاء أو قاف أو غين أو خاء، فإنّ تلك السين تقلب صاداً صورتها صورة الطاء. والصراط

بالصاد لغة قريش الأوّلين الّتي جاء بها الكتاب. وعامّة العرب تجعلها سيناً. وإنّما قيل للطريق الواضح: صراط لأنّه كان يسترط المارّة لكثرة سلوكهم لاحِبَه (وهو الطريق الواضح). ويقال للرجل إذا كان سريع الأكل: مِسرَط وسُرَط وسَرّاط.

مقا ـ سرط: أصل صحيح واحد، يدلّ على غيبة في مَرّ وذهاب، من ذلك سرطت الطعام إذا بلعته، لأنّه إذا سُرط غاب. وبعض أهل العلم يقول إنّ السِّراط مشتقّ من ذلك، لأنّ الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المستَرَط. والسراط: السيف القاطع الماضي في الضريبة.

مفر ـ السراط: الطريق المستَسْهَل، أصله من سرطتُ الطعامَ تصوّراً أنّه يبتلعه سالكه أو يبتلع سالكه، ألا ترى أنّه قيل: قَتَل أرضاً عالمُها، وقتلَتْ أرضٌ جاهلَها. وكذا سمِّي الطريق: اللَّقْم والملتقَم.

شرح الشافية للجاربردي ـ إبدال ـ والصاد من السين الّتي بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء، جوازاً، نحو أصبغ وصلخ ومسّ صقر وصراط، السين حرف مهموس مستفل، فإذا وقعت قبل هذه الحروف المستعلية كرهوا الخروج من المستفل إلى المستعلي، فأبدلوا من السين صاداً على سبيل الجواز، لأنّ الصاد يوافق السين في الهمس والصفير ويوافق هذه الحروف في الاستعلاء، فيتجانس الصوت ولا يختلف، ولا فرق بين أن تكون السين ملاصقة لهذه الحروف أو بينهما فاصل، وأصل تلك الكلمات أسبغ وسلخ ومسّ سقر وسراط.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الطريق الواضح الواسع، مادّياً أو معنويّاً،

وقد مرّ في السبيل: أنّ الطريق ما يتحصّل بالعمل والصنع من غير سهولة، والسبيل هو الطريق السهل الطبيعيّ الممتدّ الموصل إلى نقطة مقصودة.

والصاد من حروف الصفير ويدلّ على الظهور، والراء والطاء من حروف الاستعلاء وتدلّ على العلوّ والوسع، والألف من حروف المدّ واللّين ويدلّ على الامتداد. كما أنّ الطاء والراء والقاف أيضاً في الطريق من حروف الاستعلاء، والياء من حروف المدّ واللّين، إلّا أنّ الياء والكسرة تدلّ على الإنخفاض في قبال الألف.

والظاهر أنّ كلمة الصراط مستقلّة في نفسها غير مبدلة من السراط، وبينهما اشتقاق أكبر كسائر الألفاظ المشتقّة، ويدلّ عليه أنّ الصراط ليس له اشتقاق، فلا يقال صرطت وأصرط.

وعلى هذا قراءة الآية بالسراط غير جائز.

إهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيم صِراطَ الَّذينَ ـ ١ / ٦.

وَلا تَقعدوا بكُلِّ صِراطٍ توعِدون وتصُدّون عَن سَبيلِ الله ـ ٧ / ٨٦ .

وإنَّ الَّذينَ لا يؤمنون بالآخِرَة عَن الصِّراطِ لَناكبون ـ ٢٣ / ٧٤.

مِن دونِ اللهِ فاهدوهم إلى صراطِ الجحيم ـ ٣٧ / ٢٣.

فالصراط هو الشارع الواضح ويلاحظ من حيث هو، من دون نظر إلى كونه موصلاً إلى نقطة، ومن دون أن يتحصّل بعمل.

ثمّ إنّ الصراط الحقّ هو الصراط الّذي ينتهي إلى السعادة ومرحلة الكمال ومحيط الفلاح والحقيقة، وهو الصراط المستقيم الّذي لا عوج فيه ولا انحراف، وقد بيّنه وعرّفه تعالى بقوله:

إنَّ الله رَبِّي وربُّكُم فاعبُدوه هذا صِراطٌ مُسْتَقيم ـ ٣ / ٥١.

وأنِ اعبدوني هذا صِراطٌ مُسْتَقيم ـ ٣٦ / ٦١.

إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلين عَلى صِراطٍ مُسْتَقيم ـ ٣٦ / ٤.

وإنَّ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبون ـ ٢٣ / ٧٤.

إهْدِنا الصِّراطَ المُستَقيم صِراطَ الَّذينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِم غَيْرِ المَغضوبِ عَلَيْهِم وَلا الضّالِّين.

فعرّف الصراط بأنّه إجراء برنامج العبـوديّة بمراتبها، وهو تطبيـق ما يريد الله ويشاء على مَجاري حياته، بأن يكون فانياً فيه ومنخلعاً عن إرادة نفسه ومطيعاً لأمر مولاه، وهذا نهاية كمال الإنسان. كما أنّ أشدّ الشقاء والمحجوبيّة له هو الانحراف عن مسير صراط الله.

ولا يخفى أنّ الروح الإنسانيّ وقواه مظهر صراط الله، كما أنّ البدن وقواه مظهر صراط النفس والانحراف عن الحقّ.

وأيضاً أنّ الدّنيا مجلى البدن، كما أنّ الآخرة مَجلى الروح، فالانحراف والعدول عن الروح والآخرة هو العدول عن صراط الله، وهذا معنى الآية الكريمة: وإنَّ الَّذينَ لا يُؤمنونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكبون.

فحقيقة العبوديّة عبارة عن سلوك في جهة الروحانيّة وتـقوية جـانب عـالم الآخرة والعمل لها، لا للدنيا وفي جلب الشهوات النفسانيّة.

* * *

صرع:

مصبا ـ صرعته صرعاً من باب نفع، وصارعته مُصارعة وصِراعاً فصرعته. والمِصراع من الباب: الشطر، وهما مِصراعان، والصَّرْع داء يُشـبه الجنون، وصُرِع

فهو مَصروع. والصَّريع من الأغصان ما تَهدّل وسقط إلى الأرض، ومنه قيل للقتيل صريع، والجمع صَرعىٰ.

مقا ــ صرع: أصل واحد يدلّ على سقوط شيء إلى الأرض عن مراس إثنين، ثمّ يحمل عليه ويشتقّ منه. من ذلك صرعت الرجلَ صَرْعاً، وصارعته مصارعة، ورجل صَريع. وأمّا المحمول على هذا فقولهم ــ هما صِرعانِ، يقال إنّ معنى ذلك أنّهما يقعان معاً، وهذا مثل وتشبيه. وكذلك مِصراعا الباب مأخوذان من هذا، أي هما متساويان يقعان معاً. ومَصارع الناس مَساقطهم. وقال أبو زيد: أتانا صَرْعَيِ النهار، غُدوةً وعشيّة.

التهذيب ٢ / ٢٤ ــ أبو عبيد ــ الصُّروع: الضروب. وقال غيره: صُروع الحبل: قواه. عن ابن الأعرابيّ: هما صِرعانِ وضِرعانِ وحَتنانِ. وهذا صِرع هذا وضِرعه أي مثله. الأصمعيّ: فلان يأتينا الصِّراعَيْن أي غُدوة وعشِيّة. ويقال للأمر صَرعانِ أي طرفانِ. الليث وغيره: الصرع: الطَّرْح بالأرض للإنسان. رجل صِرّيع: إذا كان ذلك صَنعته. ورجل صَرّاع إذا كان شديد الصِّراع. ورجل صَروع للأقران أي كثير الصَّرْع لهم. ومَصارع القَتْلى: حيث قُتلوا.

لسا ــ الصَّرْع: الطرح بالأرض، وخصّه في التهذيب بالإنسان، صارعه فصَرَعه يصرَعُه، فهو مصروع وصَريع، والجمع صَرْعىٰ. والمصارعة والصِّراع: معالجتهما أيّهما يصرع صاحبه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الطرح بالأرض، وهذا المعنى بالفارسيّة

(بزمين افكندن است) وهذا غير مفاهيم الرمي والسقوط والوقوع والنزول.

وأكثر استعمال المادّة في ذوي العقول، يقال صرعت الرجل فهو مَصروع وصَريع، وبهذه المناسبة يقال لمن سقط على الأرض بمرض مخصوص: إنّه صَريع وبه صَرْع وهو مصروع، وإنّه صَروع وصِرّيع.

وقد يستعمل في غير ذوي العقول: فيقال غصن صَريع، ومِصراعا الباب، وصَرْعا النهار، فيتصوّر الجدار كالأرض، فيكون سدّ الباب ووقوع المصرعين على الجدار صَرْعاً. كما أنّ كلّاً من طرفي النهار بالحركة الأرضيّة يُصرع ويسقط ويمضي بالزوال، فهذا أيضاً كالصرع. ولا يبعد أن يكون هذان المعنيان مجازين.

سخَّرها عَلَيْهم سَبْعَ لَيالٍ وثمانِيةَ أيّامٍ حُسُوماً فَتَرى القَوْمَ فيها صَرْعىٰ كأنَّهُم أعجازُ نَخْلٍ خاوِيَة ـ ٦٩ / ٧.

صيغة فَعلى يجمع بها الفعيل ممّا يدلّ على توجّع وأمثاله، كالمريض والمَرْضى والقتيل والقتلى.

فالقوم صرعتهم الريح بالأرض، كأنّهم أعجاز نخل خاوية، الأعجاز: جمع العجز وهو مؤخّر الشيء. والخَوْي هو السقوط بعدما كان قائماً ومتقوّماً بنفسه، وفي هذا التمثيل إشارة إلى أنّهم كانوا متقوّمين في أنفسهم قبل الصرع، لا يظنّون بأنفسهم السقوط، ولهم في أيام تقوّمهم آثار ظاهرة وتظاهرات جالبة وقوىً باهرة وأعمال مختلفة، كما أنّ النخل كان له نموّ وأغصان وأوراق وأثمار وأزهار وتنوّعات.

* * *

صرف:

مقا ـ صرف: معظم بابه يدلّ على رجع الشيء، من ذلك صرفت القوم صرفاً

وانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا. والصَّريف: اللّبن ساعةَ يُحلب ويُنصرف به. والصَّرْف في القرآن: التوبة، لأنّه يُرجع به عن رتبة المذنبين. والصَّرْفة: نجم. قال أهل اللّغة سمِّيت صَرْفة لانصراف البرد عند طلوعها. ومعنى الصرف عندنا أنّه شيء صُرِف إلى شيء، كأنّ الدينار صرف إلى الدراهم، أي رُجع إليها، إذا أخذت بدله. قال الخليل: ومنه اشتقّ إسم الصيرفيّ، لتصريفه أحدهما إلى الآخر. قال أبو عبيد: صرف الكلام تزيينه والزيادة فيه، وإنّما سمّي بذلك لأنّه إذا زيّن صرف الأسماع إلى استماعه. ويقال لحدث الدهر صَرْف، والجمع صُروف، لأنّه يتصرّف بالناس، أي يقلّبهم ويردِّدهم. وممّا شذّ: الصِّرف شيء من الصَّبغ.

مصبا ـ صرفته عن وجهه صَرْفاً من باب ضرب. وصرفت الأجير والصبيّ: خلّيت سبيله. وصرفت المالَ: أنفقته. وصرفت الذهب بالدراهم: بعته، وإسم الفاعل من هذا صيرفيّ وصَيرف، وصرّاف للمبالغة. وصرفت الكلامَ: زيّنته، وصرّفته مبالغة، وإسم الفاعل مُصرِّف. والصَّرْف: التوبة ـ لا يقبل الله منه صَرفاً ولا عَدلاً. والصَّريف: الصوت، ومنه صريف الأقلام. والصَّرَفان: الرصاص، وجنس من التمر. والصِّرف: الشراب الّذي لم يمزج، ويقال لكلِّ خالص من شوائب الكدر صرف، لأنّه صرف عنه الخلط.

مفر ـ الصرف: ردّ الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره، يقال صرفته فانصرف. والتصريف كالصَّرف إلّا في التكثير، والصَّريف: اللبن إذا سكنت رغوته، كأنّه صرف عن الرغوة. والصرفان: الرّصاص كأنّه صرف عن أن يبلغ منزلة الفضّة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ردّ شيء من جهة إلى جهة أخرى أو

تحويله إلى حالة أخرى. وقد سبق في الدرء والدفع والردّ: الفرق بينها وبين ما يرادفها.

وهذا التحويل إمّا من مكان إلى مكان آخر ـ وتصريف الرّياح.

أو من حالة إلى حالة أخرى ـ ألم تَرَ إلى الّذينَ يُجادلون في آيات الله أنّى يُصْرَفُون.

أو من عقيدة إلى أخرى ـ صرفَ اللهُ قلوبهم بأنّهُم قوم لا يَفقهون.

أو في شخص خارجيّ ـ وإذ صرَفنا إليكَ نَفراً مِنَ الجِنّ.

أو في الآيات ـ أُنظُرْ كَيْفَ نصرِّفُ الآيات.

أو في العذاب ـ رَبَّنا ٱصْرِف عَنّا عَذابَ جَهَنَّم.

وهكذا في اُمور اُخر. والجامع بينها هو التحوّل من أمر إلى آخر.

وبهذه المناسبة تستعمل المادّة في موارد التوبة، واللّبن إذا تحوّل ظاهره، وتبديل الدنانير والدراهم، وتحويل الكلمات والجملات، والحوادث المتحوّلة، وتحويل المال بالإنفاق، وما يتخلّص ويصفى من الكدورات والأخلاط، وهكذا.

فلابدّ في الحقيقة أن تلاحظ قيود الأصل ويكون النظر إليها.

ثمّ إنّ الصرف إمّا في الاُمور الدنيويّة أو في الاُخرويّة، وكلّ منهما إمّا منتسبة إلى الله تعالى أو إلى العبد، ويستفاد من الآيات المربوطة اُمور:

١ ـ للعبد في الحياة الدنيا أن يكون مصروفاً إلى صراط الحقّ، أو إلى الحياة المادّيّة الدنيويّة، أيّاً منهما يختار، من طريق الهداية أو الضلالة.

فَماذا بَعدَ الحقّ إلّا الضّلال فأنّى تُصْرَفون ـ ١٠ / ٣٢.

٢ ـ ليس للعبد في الحياة الآخرة اختيار المصروفيّة، فإنّ الآخرة عالم فعليّة، وليست بدار عمل وسير وتكميل، ويختم بالموت كتاب الإنسان، ولا يبقى مجال للمجاهدة والتربية.

ألا يوم يأتيهم لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنهم ـ ١١ / ٨.

ورأى المُجْرِمون النّارَ فظنّوا أنَّهُم مواقِعوها ولم يَجدوا عَنها مَصْرِفاً ـ ١٨ / ٥٣.

٣ ـ إنّ الله تعالى يصرف السوء والشرّ عن عباده في الحياة الدنيا لطفاً وفضلاً، فإنّ ذلك زائد على أصل بسط الرحمة والنعمة والإحسان تكويناً.

كما قال تعالى: وإلّا تَصْرِف عَنِّي كَيدَهنّ أصْبُ إلَيْهنَّ وأكُنْ مِن الجاهِلين فاسْتجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنهُ كَيْدَهنّ ـ ١٢ / ٣٤.

٤ ـ إنّ الله تعالى يصرف الخير والهداية عن الّذين لا يريدون الله ولا يبتغون وجهه ويستديمون في طريق الغواية والعناد والخلاف.

صرَفَ الله قلوبهم بأنَّهم قَومٌ لا يَفْقَهُون ـ ٩ / ١٢٧.

سأصْرِف عَن آياتي الَّذينَ يتكبَّرُون ـ ٧ / ١٤٦.

ولا يخفى أنّ هذا أكبر عقوبة وأشدّ مؤاخذة عليهم، وهو مبدأ أيّ ابتلاء ونقمة وحرمان وعذاب.

والله أشدّ بأساً وأشدّ تَنكيلاً.

٥ ـ إنّ الحكم والحاكميّة يوم القيامة لله العزيز، وهو المالك ليوم الدين.

المُلكُ يَومئذٍ لله يحكم بَينهم.

مَن يُصرَف عَنه يَومئذٍ فَقَد رحمه ـ ٦ / ١٦.

وقلنا إنّ عـالم الآخرة دار فعليّة، لا اقتضاء فيها للقدرة الاختياريّة والسـير الروحاني وترفيع المقام وتوسعة الحياة بالتربية والمجاهدة.

* * *

صرم:

مصبا ـ صرمته صرماً من باب ضرب: قطعته، والإسم الصُّرم، فـهو صَريم ومَصروم، والصَّرم: الجلد وهو معرّب وأصله بالفارسيّة جرم، والصِّرمة: القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين وتصغّر على صُريمـة، والجـمع صِرَم. والصِّرمـة: القطعة من السحاب. وصرمت النخل: قطعته، وهذا أوان الصِّرَام، وأصرمَ النخل: حان صرامه. وصَرُم الرجل صَرامة وزان ضخم: شجع. وصرم السيف: احتدّ، وسيف صارم قاطع. وانصرم الليل وتصرّم: ذهب.

مقا ـ صرم: أصل واحد صحيح مطّرد، وهو القطع، من ذلك صُرم الهِجران. والصَّريمة: العزيمة على الشيء، وهو قطع كلّ علقة دونه. والصُرام: آخر اللبن بـعد التغزير، إذا احتاج إليه الرجل بعد حلبه ضرورة، وآخر الشيء عند انقطاعه. فأمّا الصَّريم: فيقال إنّه إسم الصّبح وإسم اللّيل، وكيف كان فهو من القـياس، لأنّ كـلّ واحد منهما يصرم صاحبه وينصرم عنه. والصَّريم: الرمل ينقطع عن الجدَد والأرض الصُّلبة. والصِّرْم: طائفة ينزلون بابلهم ناحية من الماء.

الاشتقاق ١٥٨ ـ أصرمَ من الصَّرامة من قولهم ـ سيفٌ صارم، ولسانٌ صارم، والصَّرْم: القطع، ومنه صرمت النخـل صرماً وصِراماً، ومـنه اشـتقاق الصُرم بـين الرجُلين من القطيعة. والأصرمان: الذئب والغراب. وأرض صَرْماء ومُصرِمة: لا ماء فيها. وناقة مُصرمة: لا لبن لها. والصَّريـة: ما انصرم من اللّيل وانقضى. وصُرامـة

النخل: ما صُرِم منه.

التهذيب ١٢ / ١٨٤ ـ قال الليث: الصَّرْم: دخيل، والصَّرْم: القطع البائن للحبل والعِذق. وقد صرَم العِذق عن النخلة. والصُّرم: إسم للقطيعة، والمصارمة: بين الإثنين. والصَّريمة: إحكامك أمراً وعزمك، وقوله ـ إن كُنتُم صارِمين ـ إن كنتم عازمين على صرام النخل. أبو عبيدة: الصريم الصبح، والصريم الليل. وقوله تعالى ـ فأصبحت كالصَّريم ـ يعني احترقت فصارت سوداء مثل الليل. الليث: رجل صارم أي ماض في كلّ أمر، وقد صَرُم صَرامة. قال ابن السكّيت: الأصرمانِ الذِّئب والغراب لأنّهما إنصرما من الناس أي انقطعا.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الفرق بالقطع، وليس بمطلق فرق ولا قطع، وهذا المعنى ينطبق على جميع موارد استعمالها.

فيقال صرم النخلَ والجبلَ والعِذقَ: إذا قطع جزءاً منها وفرّقها عن الأصل وليلٌ صَريم ونهارٌ صَريم أو منصرم أو متصرّم: إذا آنفصل وآنقطع الاتّصال بينهما. وسيفٌ صارم وحكمٌ صارم ولسانٌ صارم ورجلٌ صارم: إذا كانت قاطعة ومُبيّنة بين الحقّ والباطل ومفرّقة بين المقصود وسائره.

وكذلك المعاني الأُخر فيعتبر في كلّ منها القيدان المذكوران، كالقطعة المبانة من السحاب أو من الإبل أو من الأرض أو من الرمل.

كَما بَلونا أصحابَ الجنَّة إذ أقسموا لَيَصْرِمُنّها مُصبِحين ولا يَستَثنون فَطاف عَلَيها طائفٌ مِن ربِّكَ وهُم نائمُون فأصبَحَتْ كالصَّريمِ فَتنادَوا مُصْبِحين أنِ آغدُوا

عَلى حَرثكُم إن كُنتُم صارِمين - ٦٨ / ١٩.

قلنا إنّ البَلو: هو التقليب والتحويل في نظم الأُمور وبرنامج العيش.

والإصباح: هو الإكشاف والتنوّر عن ظلمة.

والثني: هو الانعطاف والصرف، يريدون الشدّة في نظرهم بعدم قبول انعطاف وانصراف في إجراء حكمهم، في حقوق الفقراء.

وإظهار القاطعيّة في إجراء هذا العمل مضافاً إلى مدلول مادّة الصرم: يستفاد من حرف اللّام ونون التأكيد الدالّين على التأكيد والشدّة، وإنّهم كانوا مقصِّرين ومغضوبين من وجهين:

الأوّل ـ من جهة أنّهم استندوا على قوى أنفسهم من دون أن يتوجّهوا إلى الله العزيز المتعال وحوله وقوّته.

الثاني ـ من جهة تصلّبهم وتشدّدهم في الحكم والرأي بالصرم من دون انعطاف وملايمة بالنسبة إلى رعاية حقوق الفقراء، وإعانتهم.

وقد كان نظرهم إلى تحصيل محصولات جنّاتهم وجمعها وأخذها ونقلها منها في أوّل الوقت، قبل أن يُشرف عليها أحد من الفقراء.

والمراد من الصَّريم: مطلق ما ينقطع ويتفرّق عن الأصل، بحيث يكون ساقطاً عن الحياة والنضرة والاستفادة منه.

ولا يخفى أنّ مفهوم مطلق القطع لا يناسب هذه الآيات الكريمة.

* * *

صعد:

مصبا ـ الصَّعيد: وجه الأرض تراباً كان أو غيره. ويقال الصَّعيد في كلام

العرب يُطلق على وجوه: على التراب الّذي على وجه الأرض، وعلى وجه الأرض، وعلى الطريق، وتجمع على صُعُد وصُعُدات. وصَعِد في السلّم والدرجة يصعَد من باب تعب صُعوداً، وصعِدتُ السطح وإليه، وصعّدت في الجبل: إذا علوته، وصعدتُ في الجبل من باب تعِب: لغة قليلة، وصَعّدت في الوادي تصعيداً: إذا انحدرت منه، وأصعَد من بلد كذا إلى بلد كذا إصعاداً: إذا سافر من بلد إلى بلد عُليا. وقال أبو عمرو: أصعَد في البلاد إصعاداً: ذهب أينما توجّه. وصَعِدَ وأصعَد: إذا ارتقى شرفاً.

مقا ـ صعد: أصل صحيح يدلّ على ارتفاع ومشقّة. من ذلك الصَّعود خلاف الحَدور. والإصعاد: مقابلة الحَدور من مكان أرفع. والصَّعود: العقبة الكَؤود، والمشقّة من الأمر. وأمّا الصُّعُدات: فهي الطُّرُق، الواحد صَعيد. وقولهم إنّ الصَّعيد وجه الأرض سواء كان ذا تراب أو لم يكن، هو مذهبنا. ومن الباب الصُّعَداء، وهو تنفّس بتوجّع فهو نفس يعلو، وأمّا الصَّعود من النُّوق فهي الّتي يموت حُوارها فترفع إلى ولدها الأوّل فتَدِرّ عليه. ويقال تصعَّدني الأمر: إذا شقّ عليك.

التهذيب ٢ / ٦ ـ الإصعاد: في ابتداء الأسفار والمخارج، تقول أصعدنا من مكّة. فإذا صعِدت في السُّلّم أو الدرجة وأشباهه: قلت صعدتُ ولم تقل أصعدتُ. وقال ابن السكّيت: الإصعاد إلى نجد والحجاز واليمن، والانحدار إلى العراق والشام وعمّان. وقال الأخفش: أصعَد في البلاد: سار ومضى، وأصعد في الوادي: إنحدر فيه، وإمّا صَعِد: فهو ارتقاء. وقال الليث: صعِد إذا ارتقى، واصَّعَّد يصَّعَّد اصّعّاداً فهو مُصَّعِّد: إذا صار مستقبل حَدور أو نهر أو واد أو أرض أرفع من الأُخرى. ويقال لارهقنّك صَعوداً أي لأُجشِّمنَّك مشقّة من الأمر، لأنّ الارتفاع في صعود أشقّ من الانحدار في هَبوط، ومنه اشتقّ تصعَّدني ذلك الأمر أي شقّ عليّ. والصُّعَداء: الارتفاع، ومثاله من المصادر المُضَواء والغُلَواء.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو الارتقاء إلى نقطة مرتفعة معيّـنة، مادّياً أو روحانيّاً. وقد سبق في الرقي: أنّ الصعود أعمّ من أن يكون اختياريّاً وتدريجياً أم لا. كما أنّ الترقّي يدلّ على التدريج والاختيار. والرفع فيه علوّ بعد التسفّل ـ فراجعه.

إلَيْه يَصعدُ الكَلِم الطَّيِّبُ والعملُ الصّالِح يَرفعُه ـ ٣٥ / ١٠.

الكلم جمع كلمة، ولمّا كان المراد كلّ واحد من الكلم: أتى بالوصف مفرداً مذكّراً. والمراد من الكلم: الأسماء الحسنى اللفظيّة بقرينة ـ فلِلّهِ العِزَّةُ جَميعاً ـ فـليس لهـذه الأسماء الكريمة مرجع تتوقّف وتثبت فيه إلّا الله المتعال، ولِلهِ الأسماءُ الحُسنى. والكلم يشمل الكلم التكوينيّة ـ إنَّ الله يُبشرك بكَلمة منهُ إسمُهُ المَسيح ـ ٣ / ٤٥.

ولا يخفى أنّ الأسماء مظاهر الصفات العُليا، فتنتهي إلى حقائق الصفات، إلى أن تتنزّه عن الحدود والقيـود المـتظاهرة، فـتنتهي إلى الله العـزيز المـتعال ـ وإلى ربّك الرُّجعىٰ، وإلى الله المَصير.

والضمير في ـ يرفعه: راجع إلى مريد العزّة ـ مَن كان يُريدُ العزّة، وإن اُريد من الكلم: المظاهر التكوينيّة، فيصحّ عوده إليه أيضاً.

والمعنى أنّ كلّاً من صفات الكمال ومفاهيم العظمة الإنسانيّة: إنّما هو لله وفي الله ومن الله وإلى الله وبالله، ولا يمكن الوصول إليه والاتّصاف به إلّا بتوفيقه وإفـاضـته وتوجّهه. والوسيلة المعينة في طريق هذا المطلوب إنّما هو العمل الصالح، وهو السلوك في الله إلى الله.

وإلى هذه الحقيقة يرجع ما ورد من الروايات الشريفة في تفسير الكلم.

وإنّا لَجاعلون ما عَلَيها صَعيداً جُرُزاً ـ ١٨ / ٨.

ويُرسل عَلَيها حُسباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصبِحَ صَعيداً زَلَقاً ـ ١٨ / ٤٠.

الجُرُز: ما يخرج عن حالته الطبيعيّة، أي لَجاعلون ما على الأرض من النبات والزينة المتظاهرة والعمارات والأبنية: صعيداً خارجة عن حالتها الطبيعيّة الّتي كانت عليها.

والزَّلَق: زلّة مع سقوط.

والحُسبان: مصدر بمعنى الإشراف والدقّة بقصد الاختبار والسَّبر، ويستعمل في مورد الحساب الشديد، وفي إطلاق المصدر أيضاً دلالة على المبالغة، أي يرسل على جنّتك ما فيه محاسبة أعمالك فتصبح الجنّة المعمورة الخضرة صعيداً تزلّ فيها الأقدام مع سقوط.

والصَّعيد فَعيل: ما يتصف بصفة الصُّعود فيه، وهو الجهة الّتي تميل إلى ارتفاع وارتقاء بحيث يصدق فيها الصُّعود، وهذا الارتفاع في موردي الآيتين الكريمتين إنّما يحصل في أثر العذاب وسقوط الأبنية وهدم العمارات واستيصال النباتات والحيوانات.

فالصَّعيد بمعنى الجهة الّتي فيها ارتقاء، ويقابله ما يكون فيه انحدار.

فتَيَمَّموا صَعِيداً طيِّباً ـ ٤ / ٤٣ ـ ٥ / ٦.

قلنا إنّ الصَّعيد من الأرض ما كان فيه تمايل إلى ارتقاء، في مقابل الجهة المنحدرة، وقد يطلق على الأرض المستوية إذا كانت مجاورة لواد، فإنّ الصعود والحدور أمران نسبيّان، وهذا القيد في التيمّم بلحاظ مصونيّة الأراضي المرتفعة عن الخبائث والأحداث، كما أنّ الغائط يسمّى به بمناسبة حدوثه في الأراضي المنخفضة.

فالصعيد ليس بمعنى وجه الأرض أو ما كان ذا تراب أو ما كان مستوياً أو الأرض الملساء، أو غير ذلك.

ومَن يُعرِض عَن ذكر ربِّه يَسْلكْه عَذاباً صَعَداً ـ ٧٢ / ١٧.

كَلّا إنَّهُ كان لآياتِنا عَنيداً سأُرهِقُهُ صَعوداً ـ ٧٤ / ١٧.

الإرهاق: غشيان بما يكرهه.

والصَّعَد والصَّعود كالحَسَن والذَّلول صفتان بمعنى ما يتّصف بكونه متمايلاً إلى الارتقاء. وهذا المعنى يلازم المشقّة وخلاف جريان الطبيعة من جهتين: من جهة كونه خلاف الاستواء والتسطّح، ومن جهة الصعوبة في الارتقاء والنزول فيه.

فالعذاب والمحيط الصَّعَد والصَّعود: عبارة عمّا يكون فوق مرتبة عاديّة متصوّرة، بحيث يكون الابتلاء به خارجاً عن جريان طبيعيّ.

والفرق بين الصَّعيد والصَّعَد والصُّعُود: هو الفرق بين حركاتها وهيآتها، فإنّ الياء والكسرة تدلّ على انخفاض في الصعود، والفتحتين تدلّان على انفتاح واعتلاء، والضمّة والواو تدلّان على الانضمام والامتداد، فالصَّعيد قد استعمل في مقام ارتقاء قليل كما في التيمّم ونزول العذاب. والصَّعَد قد استعمل في مقام ارتفاع وعلوّ في الصُّعود كما في السوق إلى العذاب. والغشيان في العذاب كما في الصَّعود فيدلّ على امتداد وعلوّ في الصُّعود.

يَجْعَل صدرَه ضيِّقاً حَرَجاً كأَنَّما يصَّعَّد في السَّماء ـ ٦ / ١٢٥.

أصله يتصعّد كما في إصّدّق يصّدَّق، والأصل تصدّق يتصدّق، والتفعّل يدلّ على اختيار ومطاوعة، أي يختار الصُّعود في السماء، وهذا في غاية الصعوبة.

والإصعاد: يعتبر فيه جهة الصدور ونسبة الفعل إلى الفاعل بالأصالة، كما أنّ في التصعيد يلاحظ جهة الوقوع والتعلّق إلى المفعول به ـ ثُمَّ صرَفكُم عَنهُم ليبتليكُم ... إذ تُصعِدون ولا تلوُون عَلى أحَد ـ ٣ / ١٥٣.

* * *

صعر :

مقا ـ صعر : أصل مطّرد يدلّ على ميل في الشيء، من ذلك الصَّعَر وهو الميل في العُنق. والتصعير: إمالة الخَدّ عن النظر عُجباً. وربّما كان الإنسان والظَّليمُ أصعَر خِلقة ـ **ولا تُصَعِّر خدَّكَ للنّاس**، وهو من الصَّيْعِريّة، وهو اعتراض البعير في سيره. والصَّيْعِريّة: سِمة من سِمات النوق في أعناقها، ولعلّ فيها اعتراضاً.

مصبا ـ الصعر: ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقّين، وربّما كان الإنسان أصعَر خِلقة، أو صَعَره غيرُه بشيء يصيبه. وصعَّر خدَّه وصاعره: أماله عن الناس إعراضاً وتكبّراً.

الاشتقاق ٣٥٤ ـ وصُعَير تصغير أصعَرْ. والصَعَر: داء يُصيب الإبل فيلوي أعناقها، فلذلك سمِّي الرجل المتكبِّر أصعر.

التهذيب ٢ / ٢٦ ـ قال تعالى ـ **ولا تُصَعِّر خدَّك** . وقرئ: ولا تُصاعر، قال الفرّاء: ومعناهما الإعراض من الكبر. وقال الليث: الصَّعَر مَيَل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشِّقّين. والتصعير: إمالة الخدّ عن النظر إلى الناس تهاوناً وكِبراً كأنّه مُعرض. وفي الحديث ـ يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلّا أصعر أو أبتر.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تمايل في وجه أو عنق إلى جانب من يمين أو شمال، فيقال صعَر عنقُه، وأصعره وصعّره وصاعره: أي مال، وأماله.

وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ـ ٣١ / ١٨.

كون التصعير للناس عبارة عن إمالة الخدّ عند مواجهتهم ومخاطبتهم، وهذا غير التصعير عن الناس وهو الإعراض عنهم، والتصعير لهم إمّا بنيّة الإهانة أو التحقير أو التكبّر، وأيّاً ما يكون فهو من رذائل الآداب ومن مساوي الأعمال المذمومة ـ راجع الخدّ.

* * *

صعق :

مصبا ـ صَعِق صَعَقاً من باب تَعِب: مات. وصعق: غُشِي عليه لصوت سمعه. والصَّعْقة الأُولى: النفخة. والصاعقة: النازلة من الرعد،والجمع صواعق.

مقا ـ صعق: أصل واحد يدلّ على صلقة وشدّة صوت، من ذلك الصَّعْق وهو الصوت الشديد، يقال حمار صَعِق الصوت، إذا كان شديده، ومنه الصاعقة، وهي الوقع الشديد من الرعد، ويقال إنّ الصُّعاق الصوت الشديد، ومنه قولهم ـ صعق، إذا مات كأنّه أصابته صاعقة ـ ونُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمٰواتِ ومَنْ في الأَرْض.

التهذيب ١ / ١٧٧ ـ فصَعِق مَنْ في السَّماوات ـ فسّروه الموت هاهنا. وقوله ـ وخرَّ موسى صَعِقاً ـ مَغشيّاً عليه، ونصب على الحال. والصاعقة والصَّعْقة: الصيحة يُغشى منها على من يَسمعها أو يموت ـ ويُرسِل الصَّواعق فيُصيب بها مَن يَشاء ـ يعني أصواتَ الرّعد، ويقال لها الصواقع أيضاً، وقال ـ فيه يَصْعقون ـ أي فذَرْهم إلى يوم القيامة فيصعق الخلق أي يموتون. وقال الليث: الصَّعْق مثل الغَشي يأخذ الإنسان من الحرّ وغيره. ويقال أصعقته الصيحة: قتلته. ويقال للبرق والرعد إذا قتلا إنساناً: أصابته صاعقة. ويقال صَعِق وصُعِق، ومن قال صَعِق فهو صَعِق، ومن قال صُعق، قال فهو مَصعوق.

مفر ـ صعق ـ الصاعقة والصاقعة يتقاربان، وهما الهَدّة الكبيرة، إلّا أنّ الصَّقْع

يقال في الأجسام الأرضـيّة. والصَّعْق في الأجسام العلـويّة. قال بعض أهل اللـغة: الصاعقة على ثلاثة أوجـه: الموت ـ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمٰوات. والعذاب ـ أنذرتكُم صاعِقَة. والنار ـ ويُرسِل الصَّواعق. وما ذكره فهو أشياء حاصلة من الصاعقة، فإنّ الصاعقة هي الصوت الشديد من الجوّ، ثمّ يكون منه نار فقط، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الصوت الشديد الحادّ، من غـير تـوجّه إلى كلمة بل من غير اعتماد إلى مخارج، في أثر شدّة ضغطة ترد على الصاعق. وهذا غير الصيحة والشهقة: فإنّ الصيحة تكون في الإنسان قريبة من النداء. والشهقة تكون في مطلق الحيوان. والصاعقة: هي الّتي تظهر منها هذه الصعقة الشديدة في أثر شدّة زائدة عن التحمّل، كالصعقة الظاهرة من اصطكاك السحب وغيرها.

والصعقة إذا تجاوزت عن حدّها: أوجبت إهلاكاً وإماتـة، كما أنّ الشـدّة في الضغطة إذا تجاوزت عن حدّ التحمّل: أوجبت غشوة أو موتاً.

فالغشوة والموت من آثار الصعقة، نعم قد تكون الصعقة من مصاديق العذاب والبلاء النازل، إذا تجاوزت عن حدّها.

ونُفِخَ في الصُّور فَصَعِق مَن في السَّمٰوات ومَن في الأَرض ـ ٣٩ / ٦٨.

فَذَرْهم حَتّى يُلاقوا يَومهم الَّذي فيهِ يُصعَقون ـ ٥٢ / ٤٥.

الإصعاق: جعل شيء صاعقاً وذا صعقة، بتوجيـه شدّة وابتلاء زائـد عن حدّ تحمّله.

ومن الشدّة المتوجّهة: النفخ في الصور ـ راجع مادّتي النفخ والصور.

ومن الشدّة: الشدائد والتحوّلات الظاهرة في يوم الآخرة.

فَلَمّا تَجَلّىٰ ربّه للجبَلِ جَعَلهُ دَكّاً وخَرَّ موسىٰ صَعِقاً ـ ٧ / ١٤٣.

الصَعِق كخَشِن صفة، وهو منصوب على الحاليّة، وهو بمعنى مَن يَصعق.

والخَرّ: بمعنى السقوط مع صوت مخصوص، وهذه الصعقة في أثر شدّة التجلّي.

لَن نؤمِن لَك حَتّى نَرى الله جَهرة فأخَذَتْكُم الصّاعقة ـ ٢ / ٥٥.

فَقُل أنذرتُكُم صاعقةً مِثل صاعقةِ عاد وثَمود ـ ٤١ / ١٣.

قلنا إنّ الصاعقة ما يكون فيها ضغطة شديدة تُحدث صوتاً ذا حدّة، وهذه الصاعقة قد تكون بنفسها عذاباً وبلاء، وقد تلازم آثار أُخر كالبرق والنار.

فيهِ ظُلُماتٌ ورَعْدٌ وبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أصابعَهُم في آذانِهم مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ المَوْت ـ ٢ / ١٩.

جملة يجعلون أصابعهم في آذانهم ـ تدلّ على أنّ الأصل في المادّة هو الصوت الشديد.

والرّعد هو الصوت الظاهر من السُّحُب على ما هو المتداول، وإذا تجاوز عن حدّ المتعادل: فهو الصاعقة.

* * *

صغر:

مقا ـ صغر: أصل صحيح يدلّ على قلّة وحقارة، من ذلك الصِّغر ضدّ الكبر، والصغير خلاف الكبير، والصاغر: الراضي بالضَّيم صُغراً وصَغاراً، ويقال أصغرت الناقة وأكبرت. والإصغار: حنينها الخفيض. والإكبار: العالي.

مصبا ـ صغُر الشيء صِغَراً، فهو صغير، وجمعه صِغار، والصغير صفة وجمعها

صغار أيضاً، ولا تجمع على صغائر. وقال ابن بابشاذ: وتجمع فعيلة في الصفات على فِعال وفعائل. والصُّـغار: الذلّ والضّيم والهوان سـمِّي بذلك لأنّه يصـغّر إلى الإنسان نفسه، والصُّغر: مثله. وصَغِر صَغَراً من باب تعب: ذلّ وهان، فهو صاغر. وتصاغرَتْ إليه نفسُـه: إذا صارت صغيرة الشأن ذلّاً ومهانـة. ويقـال جاء النـاس صـغيرهم وكبيرهم أي من لا قدر له ومن له قدر وجلالة.

التهذيب ٨ / ٢٣ ـ صغر: من أمثال العرب ـ المرء بأصغريه ـ وأصغراه قلبه ولسانه، ومعناه ـ أنّه يعلو الاُمور ويضبطها بجَنانه ولسانه. وقال الليث: صَغِر فلان يصغَر صَغَراً وصَغاراً، فهو صاغر، إذا رضي بالضيم وأقرّ به. وهُم صـاغِرُون ـ أي أذلّاء. صَغار عندَ الله ـ أي وإن كانـوا أكابر في الدّنيـا فسـيصيبهم صغار أي مذلّة. ابن السكّيت: يقال هو صُغرة وَلَد أبيه أي أصغرهم، وهو كِبرة وَلَد أبيه أي أكبرهم. والتصغير: للإسم والنعت يكون تحقيراً، ويكون شفقة، ويكون تخصيصاً، كقول الحُباب ابن المنذر ـ أنا جُذَيْلها المحكّك وعُذَيْقها المُرجّب.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تحقّق الذلّ بحيث يكون صاحبه معترفاً به، في قبال الكبر وهو إظهار العظمة والشأن.

وسبق في الذلّ: الفرق بين موادّ الذلّ والصغر والحقارة وغيرها.

والصَّغَر أعمّ من أن يكون في أمر مادّيّ أو معنويّ.

فالمادّيّ كما في: وَلا يُنْفِقونَ نفقةً صَغيرةً وَلا كَبيرةً وَلا يَقطَعُونَ وادِياً إلّا كُتِبَ لَهُم ـ ٩ / ١٢١.

وقُل رَبِّ ٱرْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً ـ ١٧ / ٢٤.

والمعنويّ كما في: فغُلبوا هنالك وانقَلبوا صاغِرين وأُلقيَ السَّحَرة ـ ٧ / ١١٩.

فَما يكون لَكَ أن تتكبَّر فيها فاخرج إنَّكَ مِنَ الصّاغرين ـ ٧ / ١٣.

حَتّىٰ يُعطوا الجِزْية عَن يَدٍ وهُم صاغِرون ـ ٩ / ٢٩.

ولَنُخرجنَّهُم مِنها أذِلَّة وهُم صاغِرون ـ ٢٧ / ٣٧.

فالصَّغار في هذه الآيات الكريمة في قبال الاستكبار، كما صرّح بهذا بقوله ـ فَما يكون لَكَ أن تتكبَّر.

فالآية الأُولى ـ إشارة إلى تحقّق صغار في قوم فرعون. والثانية ـ إلى حصول الصغار لإبليس المتكبّر. والثالثة ـ إلى صغار في الكفّار من أهل الكتاب الذين امتنعوا عن قبول الحقّ واختاروا الجزيـة. والرابعة ـ إلى قوم سبأ وإخراجهم منها أذلّة وهم صاغرون.

وفي هذه الآية ذكر الصَّغار بعد الذلّة، فإنّ قوم سبأ يدركون الذلّة بغلبة جنود سليمان (ع) وتذليله، ثمّ يلحقهم الصَّغار، فالآية تدلّ على أنّ الصَّغار غير الذلّة، فإنّ الذلّة إنّما تتحصّل بفعل الغير.

والأعمّ من المادّيّ والمعنويّ كما في: وكُلّ صَغير وكَبير مستَطَر ـ ٥٤ / ٥٣.

لا يُغادر صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إلّا أحصاها ـ ١٨ / ٤٩.

وَلا أصغر من ذلك وَلا أكبر إلّا في كتاب مُبين ـ ١٠ / ٦١.

فإنّ ضبط ما يتعلّق بآثار الإنسان وغيرها لاينحصر في المادّيّات، بل المعنويّات أهمّ وأولى.

سيُصيبُ الَّذينَ أجرَموا صَغار عندَ الله وعَذاب ـ ٦ / ١٢٥.

الصَّغَر والصَّغار مصدران، إلّا أنّ صيغة فَعال بوجود الألف تدلّ على تحقّق ذلّة زائدة وامتدادها، كما أنّ الصغير على فعيل فيه دلالة على ثبوت الصَّغَر، والصاغر فيه دلالة على قيام الصَّغَر بالذات.

وأمّا حقيقة الصَّغار للمجرمين: فإنّ الإجرام هو القطع عن الحقّ والانقطاع عن الله تعالى، ومن انقطع عن نور الحق وحُرم عن فيوضاته وتجلّيات رحمته: فقد خسر خسراناً عظيماً وٱبتلي بصغار شديد.

* * *

صغى :

مصبا ـ صغَيْت إلى كذا أصغَى: مِلت. وصغَت النجوم: مالت للغروب، وصغِي يصغَى من باب تعب، وصُغيّاً على فُعول، وصغوت صُغوّاً من باب قعد: لغة أيضاً. وبالأُولى جاء القرآن في ـ صغَت قلوبكُما. وأصغيتُ الإناء: أمَلْته. وأصغيت سمعي ورأسي: كذلك.

مقا ـ صغى: أصل صحيح يدلّ على الميل، من ذلك قولهم: صِغو فلان معك، أي ميله. وأصغى إليه، إذا مال بسمعه نحوه. ومنه قولهم للّذين يميلون مع الرجل من أصحابه وذوي قُرباه: صاغية. وحُكي: صغَوْت إليه أصغَى صَغْواً وصَغىً، مقصور.

التهذيب ٨ / ١٥٩ ـ الليث ـ الصَّغا: ميل في الحَنَك أو إحدى الشفتين، رجل أصغى، وامرأة صَغْواء. عن الكسائي: صغَوْت وصغَيْت. وقال ابن السكّيت: صغيتُ إلى الشيء أصغي صُغيّاً: إذا ملت، وصغوت أصغو صُغوّاً. والصَّغا: كتابته بـالألف، وأصغى رأسه، ورأيت الشمس صَغْواء، يريد حين مالت.

أسا ـ صغوتُ إلى فلان، وصغا فؤادي إليه، وصِغوي معه، وصغَت النجوم:

مالت للغروب، وهي صَواغ، وأصغى إلى حديثه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ميل مع عاطفة، وهذا هو الفرق بينها وبين موادّ الميل والعطوفة وأمثالها.

يقال: صغى قلبي، وصغى فؤادي، وهم صِغو فلان وصاغيته، وأصغى إلى الحديث، إذا كان التمايل مع عطوفة وحَنو.

ولابدّ من لحاظ هذا القيد في جميع موارد استعمالها، إلّا تجوّزاً.

وإذ أسرّ النّبيّ إلى بعضِ أزواجِهِ حديثاً فلمّا نبّأت به ... إن تَتوبا إلى اللهِ فَقَد صَغَت قلوبكُما وإن تظاهرا عَلَيه - ٦٦ / ٤.

أي فقد مالت إلى مصاحبة الرسول على العطوفة والتحنّن، وإلى التسليم في قبال أحكام الدين وأصول الديانة الإسلاميّة، ويقابل هذا المعنى التظاهر عليه.

وكذلك جَعَلنا لكلِّ نبيٍّ عدوّاً ... يوحِي بَعضهُم إلى بَعْضٍ زُخْرُف القَولِ غُروراً ... ولِتَصْغىٰ إلَيْه أفئِدَةُ الَّذينَ لا يؤمنونَ بالآخرَة - ٦ / ١٣.

أي إنّ القاء زخرف القول للغرور ولصُغوّ أفئدة المخالفين.

والمنظور في الموردين تحقّق تمايل مع العطوفة، لا مطلق الميل، فإنّه لا يوجب جلب الأفئدة ولا يرفع الخلاف في الباطن.

وهذا لطف التعبير بالمادّة في الموردين دون ما يرادفها.

* * *

صفح :

مصبا ـ صفحتُ عن الذنب صفحاً من باب نفع : عفوت عنه . وصفحت الكتاب صفحاً : قلبت صفحاته ، وتصفّحت : كذلك ، وصفحت القوم صفحاً : رأيت صفحات وجوههم . وصفحت عن الأمر : أعرضت عنه وتركته . وصُفُح السيف : عرضه وهو خلاف الطول ، والصَّفْح من كلّ شيء جانبه ، والصفحة مثله ، والجمع صفحات ، وكلّ شيء عريض صفيحة . وصافحته مصافحة : أفضيت بيدي إلى يده .

مقا ـ صفح : أصل صحيح مطّرد يدلّ على عَرض وعِرَض ، من ذلك صُفح الشيء : عُرضه ، ويقال رأس مُصفَح : عريض . والصفيحة : كلّ سيف عريض . وصفحتا السيف : وجهاه . وكلّ حجر عريض : صفيحة ، والجمع صفائح ، والصُّفاح : كلّ حجر عريض . ومن الباب : المصافحة باليد ، كأنّه ألصق يده بصفحة يد ذاك . والصَّفح : الجنب ، وصفحا كلّ شيء جانباه . وأمّا قولهم : صفح عنه ، وذلك إعراضه عن ذنبه : فهو من الباب ، لأنّه إذا أعرض عنه فقد ولّاه صفحته وصُفحه ، أي عُرضه وجانبه . ومن الباب : صفحت الرجل وأصفحته ، إذا سألك فمنعته ، وهو من أنّك أريتَه صفحتك معرضاً عنه .

التهذيب ٤ / ٢٥٥ ـ قال الليث ـ الصفح : الجنب . وصفحت ورق المصحف صفحاً ، وصفحت القوم إذا عرضتهم واحداً واحداً ، وتصفّحت وجوه القوم إذا تأمّلتَ وجوههم تنظر إلى حلاهم وصورهم .

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة : هو العدول عن شيء إلى جانبه والانصراف

عنه إلى طرف منه. يقال صفح صفحاً، وصفح عنه، وصفحته، كلّ باعتبار. وهـذا المعنى غير الإعراض والترك، فإنّ فيهما تخلية ورفع يد رأساً، وهذا بخلاف الصفح، فإنّه انصراف في جهة خاصّة ـ راجع ـ زهد.

وبهذه الملاحظة يطلق الصَّفح على عرض شيء وجانبه. والصفيحة والصُّفاح على ما يكون ذا عَرض وله جانب، كالورق المسطّح من قرطاس أو فلزّ أو حجر أو شجر. فالملحوظ في المادّة التوجّه إلى جهة الجانب والعرض، كما في صفحت أوراق الكتاب، وتصفّحت وجوه القوم، وصافحته.

ولا يخفى أنّ الجانب في كلّ شيء بحسبه، كما في السيف وغيره.

وإن تَعْفوا وتَصْفَحُوا وتَغْفروا ـ ٦٤ / ١٤.

وليَعْفوا وليَصْفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لَكُم ـ ٢٤ / ٢٢.

فاعْفُ عَنهُم واصْفَحْ إنَّ اللّهَ يحِبُّ المُحسِنين ـ ٥ / ١٣.

فاعْفُوا واْصْفَحُوا حَتّى يَأتي اللهُ بأمرِه ـ ٢ / ١٠٩.

فالعفو في المرتبة الأُولى وهو ترك العقـوبة. والصفح في المرتبة الثـانية وهـو الانصراف القلبي عن نقطة الخلاف إلى جانب. والمغفرة في المـرتبة الثالثة وهو محـو الذنب وستره.

وقد عقّب تعالى الصفح بمغفرة الله وبالمحبّة: فإنّ أحسن العمل للعبد الخـدمة لمخلوق الله وعبيده، فإنّه خدمة في الله تعالى، وأمّا العـبادات: فهي للعمل بـوظائف العبوديّة ولتكميل النفس.

وقد أمر تعالى بالصفح في حقّ المخالفين والكفّار أيضاً ما لم يكونوا مفسدين، كما في الآية الأخيرة، وهكذا في:

وقيلِه يا رَبِّ إنَّ هؤلاء قَوم لا يؤمنونَ فاصفَحْ عَنهُم وقُل سَلام ـ ٤٣ / ٨٩ .

وأنَّ السَّاعَة لآتيَة فاصفَح الصَّفحَ الجَميل ـ ١٥ / ٨٥ .

فأمر تعالى بالصفح الجميل، وأن لا يقابَلوا بالانتقام والإيذاء والتعدّي، إلى أن تتمّ الحجّة عليهم ويجيء أمر الله.

وقلنا إنّ الصفح لا يفيد معنى الإعراض والترك، بل يدلّ على إدامة التوجّه واللطف الضمنيّ، وعلى هذا نفي ضرب الذكر تحت عنوان الصفح في آية:

أفَنَضربُ عَنكُم الذِّكر صَفْحاً أن كُنتُم قَوماً مُسرفين ـ ٤٣ / ٥.

أي أفنترك ونُهمل الذِّكر بعنوان الانصراف من جهة أنكم مسرفون، فلزوم الصفح عنهم واللطف والتوجّه عليهم لا توجب ترك الذِّكر وترك إنزال الرسول والكتاب، فإنّ هذا لطف أتمّ وتوجّه آكد من الصفح، وأنّ مطلوبيّة الصفح من جهة أنّه قد يوجب فلاحاً ورشداً وتذكّراً وتوبة.

* * *

صفد :

مقا ـ أصلان صحيحان: أحدهما عطاء، والآخر شدّ بشيء. فالأوّل ـ الصَّفَد، يقال أصفدته، إذا أعطيته. وأمّا الصَّفْد فالغُلّ، ويقال الصَّفْد: التقييد. والأصفاد: الأقياد. والصِّفاد: القيد أيضاً. وفي الحديث ـ إذا دخل شهر رمضان صفّدت الشياطين.

صحا ـ صفَده يَصفِده صَفْداً أي شدّه وأوثقه، وكذلك التصفيد. والصَّفَد: العطاء، والصَّفَد: الوَثاق. وأصفدته إصفاداً أي أعطيته مالاً أو وهبت له عبداً. والصِّفاد: ما يوثق به الأسير من قِدّ وقيد وغُلّ.

التهذيب ١٢ / ١٤٨ ـ قال الكسائي وغيره في قوله ـ صُفِّدت: يعني شدّت بالأغلال وأوثقت. يقال منه: صفدتُ الرجلَ فهو مصفود، وصفّدته فهو مُصفّد. وأمّا أصفدته: فهو أن تُعطيه وتَصله.

مفر ـ الصَّفَد والصِّفاد: الغُلّ، وجمعه أصفاد. والصَّفَد: العطيّة، اعتباراً بما قيل ـ أنا مَغلول أياديك وأسير نعمتك.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الشدّ بغلّ ونحوه، وهذا هو الفرق بينها وبين موادّ ـ الشَدّ والتوثيق والتقييد والغَلّ وأمثالها: فإنّ الملحوظ في الشدّ مطلق الإحكام بأيّ نحو كان. وفي التوثيق تحصيل الوثوق والاطمينان. وفي التقييد ربط بقيد ظاهريّ أو غيره. وفي الغلّ تقييده بغلّ ـ راجع هذه الموادّ والأُصول فيها.

وأمّا الإعطاء: فالمراد عطاء يوجب التقييد والجعل على محدوديّة خاصّة لا تحصل إلّا بالإعطاء، وليس مطلق العطاء كذلك، وفي الأمثال: الصَّفَد صَفَد: أي إنّ العطاء تقييد وقيد.

وتَرى المُجرمين يَومئذٍ مُقرَّنين في الأَصْفاد ـ ١٤ / ٤٩.

والشَّياطين كُلّ بنّاء وغَوّاص وآخرينَ مُقرَّنين في الأَصْفاد ـ ٣٨ / ٣٨.

أي أفراد مجرمون في مرتبة واحدة ومقرونون في صفّ واحد ومشدودون بأيّ قيد وغلّ وغيرهما. والمراد في الآية الثانية عدّة من رؤساء المعتدين والأُمراء وحكّام الجور المحكومين بالتقييد والشدّ، فكلمة آخرين معطوفة على الشياطين ـ أي سخّرنا له آخرين.

وذكر كلمة المجرمين: إشارة إلى أنّ سبب الصَّفْد انقطاعهم عن الحقّ، وهـذا يوجب كونهم مغلولين بأغلال وأصفاد باطلـة، ومَظهر هذا المعنى: إنّمـا يشـاهد في الحكّام المعتدين المخالفين، حتّى يكونوا محكومين بالصفد.

وهذه المحدوديّة والمغلوليّة مشاهدة أيضاً لأهل الدنيا المادّية، إذا انقطعوا عن مراحل الحقّ واحتجبوا عن عالم النور وحُرموا عن مقام العبـوديّة وغرقوا في بحـر التمايلات النفسانيّة.

* * *

صفر:

مصبا ـ صَفْر وزان حَمل: أي خال من المـتاع، وهو صَفْر اليدين ليس فـيهما شيء، مأخوذ من الصَّفير وهو الصوت الخالي عن الحروف. وصَفِر الشيء يصفَر من باب تَعِب: إذا خلا، فهو صفر وأصفر بالألف لغة، والصُّفر مثل قُفل، وكسر الصاد لغة: النحاس. وصَفَر: إسم شهر، وأورده جماعة معـرّفاً بالألف واللّام. وقال ابـن دُريد: الصفران شهران من السنة، سمِّي أحدهما في الإسلام المحرّم، وجمعه أصـفار، وربّما قيل صفرات. والصُّـفرة: لون دون الحـمرة، والأصفر: الأسود أيضاً، فـالذكر أصفر، والأُنثى صَفراء.

مقا ـ صفر: ستّة أوجه: فالأصل الأوّل ـ لون من الألوان. والثاني ـ الشيء الخالي. والثالث ـ جوهر من جواهر الأرض. والرابع ـ صوت. والخامس ـ زمان. والسادس نبت. فالأوّل ـ الصُفرة في الألوان. وبنو الأصـفر: مـلوك الروم لصـفرة اعترت أباهم. والأصفر: الأسود. والثاني ـ الشيء الخـالي، يقال هو صِـفر. ومـن الباب قولهم للّذي به جنون: إنّه لفي صُفرة وصِفرة، إذا كان في أيّام يزول فيها عقله. والثالث ـ الصُّفر من جواهـر الأرض، يقال إنّه النُّحاس، وقد يقال الصِّـفر. وقـال

الأصمعيّ: النحاس الطبيعة والأصل، والنحاس هو الصِّفر الّذي تعمل منه الآنـية. والرابع ـ الصَّفير للطائر. والخامس ـ فصَفر إسم هذا الشهر. والصَّفَريّ: نبات.

مفر ـ الصُّفر: لون من الألوان بين السواد والبياض، وهي إلى السواد أقرب، ولذلك قد يعبّر بها عن السواد. ومنه قيل للنحاس صُفر، وليَبيس البهمى صُفار. وقد يقال الصفير للصوت حكاية لما يُسمع، ومن هذا صَفِرَ الإناء إذا خلا حتّى يُسمع منه صفير لخلوّه ثمّ صار متعارفاً في كلّ حال من الآنيـة وغيرها، وسمِّي خلوّ الجـوف والعروق من الغذاء صَفَراً. والشهر يسمّى صَفَراً لخلوّ بيوتهم فيه من الزاد.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو اللون المخصوص، وهو المتوسّط فيما بين البياض والسواد، ولمّا كان متلوّناً ومتحوّلاً من البياض فلا يمكن تحوّله وعـوده إلى بياض، بخلاف السواد، فإنّه يصير إلى السواد إذا اشتدّ تلوّنه.

وبمناسـبة هذا المعـنى: يطلق على الذهب والنحاس لصفرة فيهـما ذاتاً. وعلى الشهر المعلوم بلحاظ اصفرار في النباتات قبل الربيع، أو صفرة أخرى كانت موجودة حين تسمية الشهور بأساميها. وعلى خلوّ الأواني من الطعام وظهور لون الفلزّ، فإنّ الأواني كانت مصنوعة من النحاس، أو أنّ لون الصفرة في صورة الإنسان أو النبات علامة ضعف ومرض وانكسار وخلوّ عن القوّة والصحّة التامّة، فيستعار في موارد الخلوّ.

وأمّا الصوت: فهو دلالة ذات الكلمة على صفير مخصوص، وقريب من الكلمة في سائر اللغات أيضاً، فهو كأسماء الأصوات.

فظهر أنّ الأصل في الكلمة معنى واحد، والمعاني الأُخر إنّما هي بلحاظ هـذا الأصل ومع هذا القيد لا بطور استقلاليّ.

ثُمَّ يَهيج فَتَراه مُصفَرّاً ثُمَّ يكون حُطاماً ـ ٥٧ / ٢٠.

ثُمَّ يهيج فَتَراه مُصفَرّاً ثُمَّ يجعلَهُ حُطاماً ـ ٣٩ / ٢١.

ولَئِن أرسَلنا ريحاً فرأوه مُصفَرّاً لظلّوا مِن بَعده يَكفرون ـ ٣٠ / ٥١.

الحَطْم: كسر الهيئة والنظم وإفناء الصـورة. والهيجان: الاضطراب والخـروج عن حالة الاعتدال.

الآية الأُولى في مقام بيان خصـوصيّة لنفس النبات وكيفيّة تحـوّله، وأوّلها: إعلَموا أنَّما الحياةُ الدُّنيا لَعِب ... كغَيْث أعجبَ الكفّارَ نَباته.

والآية الثانية في مقام بيان الخلق والتقدير، وأوّلها: ألم تَرَ أنَّ الله أنزَلَ مِنَ السَّماء ماءً فسلَكه يَنابيع. وعلى هذا ذكرت كلمة ـ يجعلُه.

والآية الثالثة ـ في مقام كفران الناس بتغيير النعم وتحويل الأحوال، فإنّهم عبيد الدنيا والشهوات، وإنّما يهتمّون للحياة الدنيا.

والضمير في ـ فرأوه: راجع إلى الأثر ـ أُنظُر إلى آثار رَحمة الله.

فذكر الاصفرار في هذه الآيات الكريمة: إنّما هو بلحاظ اختلال وزوال طراوة واخضرار في النبات وظهور انكسار وضعف فيه كما في الأمزجة الإنسانيّة.

ثمّ إنّ ذكر الاصفرار في الموارد: مضافاً إلى كونه أثراً ممتازاً في الظاهر دالّاً على تحوّل وانكسار في النبات: فيه تناسب شديد إلى ظواهر النباتات وألوانها المـتنوّعة الجالبة المتظاهرة، كما في صدر الآية الثـانية: فَسلكه يَنابيعَ في الأَرْضِ ثُمَّ يُخرج بِـه

زَرعاً مُختلفاً ألوانه ثُمَّ يَهيج ـ ٣٩ / ٢١.

فالاصفرار مقام الشروع إلى العود والنزول في القوس وسلوك طريق الفناء، بعد ظهور الرحمة وتجلّيه وتظاهره بالألوان المختلفة، وهذا الاصفرار إنّما هو في جميع الأنواع الوجوديّة، وهو قريب من البياض المطلق المنزّه عن التلوّنات، وهـو مـقام اللقاء.

إنَّهُ يَقول إنَّها بَقرة صَفراءُ فاقع لونُها تَسرّ النّاظرين ـ ٢ / ٦٩.

هذه الصفرة فيها لون أصليّ وتدلّ على الصفا، ولا سيّما بضميمة وصف آخر وهو قوله ـ مُسلّمةٌ لا شِيَةَ فيها ـ أي لونها خالصة عن الاختلاط.

إنَّها تَرْمي بشَرَر كالقصر كأنَّهُ جِمالت صُفر ـ ٧٧ / ٣٣.

أي كأنّ ذلك الشّرر المرميّة في العظمة والاشتعال جِمالة صُفر.

والصُّفر جمع أصفر وصَفْراء كالبِيض والسُّود والحُمر. والجِمالة جمع جَمَل وهو كما سبق ما بلغ حدّ نهاية في العظم والكبر.

فلون الصفرة في هذا المورد مستعمل بلحاظ لون الشرر.

* * *

صفّ:

مصبا ـ صففت الشيء صفّاً من باب قتل، فهو مصفوف. وصففت اللّحم فهو صفيف أي قديد مجفّف في الشمس. وصففته على النار لينشوي، وجمع الصفّ صفوف، وصففت القـوم فاصطفّوا، وقد يسـتعمل لازماً أيضاً فيقال صففتهم فصفّوا، وصفّ الطائر صفّاً من باب قتل أيضاً: بسط جناحيه في طيرانه فلم يحرّكها. وفي الحديث:

كُلْ ما دفّ ودَعْ ما صفّ. والصُّفّة من البيت جمعها صُفَف، والمَصفّ: موقف الحرب، والجمع مَصافّ. والصفصاف بلغة الشام: الخِلاف، والصَّفْصَف: المستوي من الأرض. وصِفِّيْن: موضع على الفرات، وهو فِعلَيْن، أو فِعّيل من الصفون.

مقا ـ صفّ: أصل صحيح يدلّ على استواء في الشيء وتساوٍ بين شيئين في المَقرّ، من ذلك الصفّ، يقال وقفا صفّاً: إذا وقف كلّ واحد إلى جنب صاحبه. واصطفّ القوم وتصافّوا. والأصل في ذلك الصَّفْصَف وهو المستوي من الأرض. والصَّفوف: الناقة الّتي تُصَفّ أي تجمع بين مِحلَبَينْ في حَلبة. والصَّفوف أيضاً: الّتي تصُفّ يديها عند الحَلَب.

التهذيب ١٢ / ١١٨ ـ قال الليث: الطَّيْر الصَّواف: الّتي تصُفّ أجنحتها فلا تحرّكها. والبُدن الصَّوافّ: الّتي تُصَفّف ثمّ تُنحَر. والصَّفيف: القديد إذا شُرِّر في الشّمس. وعن أبي عمرو: الصَّفْصف: المستوي من الأرض، وجمعه صَفاصِف، وقيل: المستوي الأملس.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو صيرورة أشياء في خطّ واحد، سواء كانت إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً، أو من عالم روحانيّ وراءِ المادّة.

فالاصطفاف في الإنسان كما في: إنَّ اللهَ يُحبّ الَّذينَ يُقاتِلونَ في سَبيلهِ صَفّاً ـ ٦١ / ٤.

فأجمِعوا كَيدَكُم ثُمَّ ائتوا صَفّاً ـ ٢٠ / ٦٤.

وفي الحيوان كما في: والبُدنَ ... فاذكروا اسمَ الله عَلَيها صَوافَّ ـ ٢٢ / ٣٦.

والطَّير صافّاتٍ كُلّ قَد علم صَلاته وتَسبيحَه ـ ٢٤ / ٤١.

وفي الجماد: متَّكِئينَ عَلى سُرُر مَصفوفَة ـ ٥٢ / ٢٠.

ونَمارِقُ مَصفوفَة ـ ٨٨ / ١٥.

وفي الملائكة: يَومَ يَقوم الرُّوحُ والملائكَةُ صَفّاً ـ ٧٨ / ٣٨.

وفي عالم الآخرة: وعُرِضُوا عَلى رَبِّك صَفّاً ـ ١٨ / ٤٨.

كلّا إذا دُكَّتِ الأَرض دَكّاً دَكّاً وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ـ ٨٩ / ٢٢.

والصّافّاتِ صَفّاً فالزاجِراتِ زَجْراً فالتالياتِ ذِكراً إنَّ إلٰهُكُم لَواحد ـ ٣٧ / ١.

والأولى أن نقول إنّ الآية الأخيرة مطلقة شاملة على من يكون على هذه الصفات، من إنسان أو الملائكة أو الجنّ، في الحياة الدنيا أو الآخرة، فإنّ الاصطفاف في قبال عظمة الله تعالى والانزجار عن النفس مع الهمّ بترك الأنانيّة وجعل الذِّكر برنامج الحياة: إنّما هي من صفات السالكين إلى الله تعالى والمسبّحين.

ثمّ إنّ الاصطفاف: إنّما هو شعار الخدمة والاستسلام والطاعة الصرفة والخضوع التامّ، وهذا المعنى في المادّيّات إنّما يتحقّق بالوقوع على خطّ واحد ظاهريّ، كما في صفوف الصلاة والجهاد وغيرهما. وأمّا في العالم الروحانيّ الخارج عن بُعد الزمان والمكان والمادّة الجسمانيّة المتكاثفة: فإنّما هو الخضوع والتسليم والتسبيح الصرف في مقام معيّن، فإنّ المقامات هناك متفاوتة، والصفوف تختلف باختلاف المقامات والمراتب الوجوديّة، كما صرّح به في الآية الكريمة.

وَما مِنّا إلّا لَهُ مَقام مَعْلوم وإنّا لنحنُ الصّافّون وإنّا لنحنُ المُسبِّحون ـ ٣٧ / ١٦٥.

ولا يخفى أنّ المقام قد ذكر أوّلاً فإنّه الجهة المبيّنة المعرّفة للخصوصيّات المتوالية، ثمّ يذكر بعده الاصطفاف، كلّ على مقتضى مقامه، ثمّ يذكر التسبيح وهو

نتيجة الاصطفاف ـ راجع السبح.

فهذه الآية الكريمة في آخر سورة الصافّات: تفسّر الآية الأُولى منها، وتدلّ على أنّ المصداق الأتمّ للصافّات هم الملائكة، وأمّا السالكون من أفراد الإنسان: فهم واصلون إلى مرتبة الملائكة وفي مقاماتهم.

وتكرار الصفّ يدلّ على تعدّد المقامات والصفوف المنعقدة المتظاهرة، كلّ بحسب مقامه، عند تجلّي نور الحقّ وعظمته تعالى وتقدّس.

* * *

صفن:

مصبا ـ الصافن من الخيل: القائم على ثلاث، وصفَن يصفِن من باب ضرب صُفوناً. والصافن: الّذي يصفن قدميه قائماً. والصَّفَن: جلدة بيضة الإنسان، والجمع أصفان.

مقا ـ صفن: أصلان صحيحان، أحدهما ـ جنس من القيام. والآخر ـ وعاء من الأوعية. فالأوّل ـ الصُّفون: وهو أن يقوم الفرس على ثلاث قوائم ويرفع الرابعة، إلّا أنّه ينال بطرف سُنبُكها الأرض. والصافن: الّذي يصفّ قدميه. وتَصافَن القومُ الماء: إذا اقتسموه بالصُّفْن، والصُّفْن: جِلدة يُستَقى بها.

التهذيب ١٢ / ٢٠٦ ـ عن البراء ـ كنّا إذا صلّينا مع رسول الله (ص) فرفع رأسه من الركوع قُمنا خلفه صُفوناً. قال أبو عبيد: يفسّر تفسيرين فبعض الناس يقول ـ كلّ صافّ قدميه قائماً فهو صافن. والثاني ـ أنّ الصافِن من الخَيل الّذي قد قلب أحد حَوافره وقام على ثلاث قوائم. وعن أبي عمرو: الصُّفْن: خَريطة تكون

للراعي فيها طعامه وزِناده وما يحتاج إليه. والصَّافِن: عِرق في باطن الصُّلب يتّصل به طولاً. وقال أبو الهيثم: الأكحل والأبجل والصافن: هي العُروق الّتي تُفصد، وهي في الرِجل صافن. وفي اليد أكحل. وعن أبي عمرو: صفن الفرسُ برِجله: إذا قام على طرف حافره.

صحا ـ الصَّفَن بالتحريك: جِلدة بيضة الإنسان، والجمع أصفان، والصُّفن: وِعاء من أدم مثل السُّفرة يُستَق بها. والصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التقوّم والتهيّؤ لأمر. كالصافن في إنسان أو فرس أو عرق أو وعاء، إذا تقوّم كلّ واحد منها وتهيّأ لعمل وحركة وطاعة أو العمل بوظيفة أو خدمة.

والقيام على طرف الحافر أو على صفّ: علامة التهيّؤ لأمر.

إذ عُرِضَ عَلَيهِ بالعَشِيّ الصّافِناتُ الجِيادُ فَقال إنِّي أحبَبْتُ حُبّ الخَيْر عَن ذكرِ رَبِّي حَتّى تَوارَت بالحِجاب ـ ٣٨ / ٣١.

الجِياد جمع جَيّد: وهو المتكرّم في نفسه، وسرعة السير من آثاره في الفرس، كما أنّ الإطاعة والخدمة الخالصة من آثاره في الإنسان والعسكر، فإنّ الصّافن أعمّ من الفرس (الخيل) والجيش (العسكر) إذا تهيّأ كلّ منهما للخدمة والعمل.

والحبّ: الميل الشديد. والخير: ما يختار وينتخب بتفضيله على غيره.

يراد إنّ التوجّه وحساب الصافنات مع أنّها من مصاديق الخير، فإنّ الغرض إعدادها في قبال العدوّ ـ وأعِدّوا لَهُم ما استَطَعتُم مِن قُوّة وَمِن رِباط الخَيل تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَّ الله ـ إلّا أنّ الاشتغال بها يوجب انصرافاً قهريّاً عن ذكر الله تعالى ـ حَسَناتُ الأبرار سَيِّئات المقرّبين.

ثمّ إنّ حبّ الخير منصوب على أنّه مفعول مطلق، والضمير في ـ تَوارَتْ ورُدّوها ـ راجعة إلى الصافنات، وهذا هو الصريح في سياق الكلام، ولا معنى للأمر بردِّ الشّمس ثمّ المسح بالسُّوق والأعناق.

والردّ والمسح: إمّا بقصد محاسبة ثانويّة وتفقّد وتودّد، أو بقصد بغض وغضب من جهة كونها سبباً للانصراف عن الذِّكر ـ راجع المسح والورى.

ولمّا كانت الآيات الكريمة راجعة إلى قضيّة وجريان خارجيّ جزئيّ فلا يجوز لنا أن نبحث عن خصوصيّاته.

وفي الملوك الأوّل ٤ / ٢٦ ـ وكان لسليمان أربعون ألفَ مِذودٍ لخيل مَركباته وإثنا عشر ألف فارس. وفي ٨ / ٦٢ ـ ثمّ إنّ الملك وجميع بني إسرائيل معه ذبحوا أمام الربّ، وذبح سليمان ذبائح السلامة الّتي ذبحها للربّ من البقر إثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً.

فلا يبعد أن يكون عرض الصافنات لسليمان بعد جلوسه على كرسيّ الملك داود، أو بعد بناء البيت وإكماله، ثمّ ذبحوا ذبائح.

* * *

صفو:

مقا ـ صفو: أصل واحد يدلّ على خلوص من كلّ شَوب، من ذلك الصفاء

وهو ضدّ الكَـدَر، يقال صفا يَصفو إذا خلص، يقال لك صَفْو هذا الأمر وصِـفوته، ومحمّد صِفوة الله تعالى وخِيرَته من خلقه ومُصطفاه. والصَّفيّ: ما اصطفاه الإمام من المَغنم لنفسه، وقد يسمّى بالهاء الصَّفيّة، والجمع الصَّفايا. والصَّفيّة والصَّفِيّ وهو بغير الهاء أشهر: الناقة الكثيرة اللّبن، والنخلة الكثيرة الحمل، والجمع الصَّفايا، وإنّما سمّيت صَفيّاً لأنّ صاحبها يصطفيها. ومن الباب: أصفَت الدُّجاجة: إذا انقطع بَيْضها، إصفاءً، وذلك كأنّها صفت أي خلصت من البَيْض، ثمّ جُعل ذلك على أفعلَتْ فرقاً بينها وبين سائر ما في بابها، وشبّه بذلك الشاعر إذا انقطع شِعره. ومن الباب الصَّفا وهو الحجر الأملس، وهو الصَفْوان، الواحدة صفوانة، وسمّيت صَـفوانةً لذلك، لأنّها تصفو من الطين والرمل.

مصبا ـ صَفْو الشيء: خالصه، والصفوة بالهاء والكسرة مثله، وحُكي التثليث. وصفا صفواً من باب قعـد، وصفاء: إذا خلص من الكَدَر، فهو صافٍ. وصفّيـته من القَذى تصفية: أزلته عنه. وأصفيته: آثرته. وأصفيته الودّ: أخلصته. والصَفا مقصوراً: الحجارة الملس، الواحدة صفاة مثل حَصا وحصاة، ومنه الصَّفا الموضع بمكّة، ويجوز التذكير والتأنيث باعتبار إطلاق لفظ المكان والبقعة عليه.

التهذيب ١٢ / ٢٤٨ ـ الليث: الصَّفْو نقيض الكدر. وصَفوة كلّ شيء خالصه من صَفوة المال وصَفوة الإخاء، وإذا أخذ صفو ماء من غدير، قال استَصْفيتُ صَفوةً. والاصطفاء: الاختيار، افتعال من الصَّفوة. وصَفِيّ الإنسان: أخوه الّذي يُصافيه الإخاء. ومن قرأ ـ فاذكروا إسمَ الله عَلَيها صَوافيَ ـ فتفسيره: أنّها خالصة لله، يذهب بها إلى جمع صافية، ومنه قيل للضياع الّتي يستخلصها السلطان لخاصّته: الصَّوافي.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الكدورة، وما لا يكون كـدِراً. وقلـنا في الخلوص إنّه نقاء وصـفاء من حيث الذات، بخـلاف الاجتباء والاختيار والانتخاب والاصطفاء والامتياز، فإنّ كلّاً منها يلاحظ باعتبار جهة خارجيّة.

فالاختيار: يلاحظ فيه الرغبة إلى شيء وانتخابه مع تفضيله.

والانتخاب: يلاحظ فيه نزع شيء وإخراجه من محلّ.

والاجتباء: يلاحظ فيه الجمع بالاستخراج والانتخاب.

والامتياز: يلاحظ فيه الفرز والفصل عن غيره.

والاصطفاء: يلاحظ فيه الخلوص عن الكدورة.

والاخلاص: ما يكون في نفسه بالنظر إلى ذاته خالصاً عن أيّ شائبة.

فالصَّفاء: هو الخلوص عن الكدورة. والإصفاء هو جعل شيء صافياً وهكذا التصفية إلّا أنّ النظر فيه إلى جهة الوقوع، وفي الإصفاء إلى جهة الصـدور والقـيام بالفاعل. والاصطفاء هو الرغبة إلى جعل شيء واختياره صافياً، فإنّ الافتعال يدلّ على القصد والاختيار.

إنَّ اللهَ اْصطَفَىٰ لَكُمُ الدِّين ـ ٢ / ١٣٢.

إنَّ اللهَ اْصطَفَىٰ آدَمَ ونوحاً وآلَ إبراهيم ـ ٣ / ٣٣.

يا مَريمُ إنَّ الله اْصطفاكِ وطهَّركِ واْصطفاكِ عَلى نِساء العالَمين ـ ٣ / ٤٢.

اللهُ يَصطَفِي مِن الملائكَة رُسُلاً ومِنَ النّاس ـ ٢٢ / ٧٥.

أصطفى البناتِ عَلى البَنين ما لَكُم كَيفَ تحكمون ـ ٣٧ / ١٥٣.

ثُمَّ أورَثنا الكِتابَ الَّذينَ اَصْطَفَينا مِن عِبادنا ـ ٣٥ / ٣٢.

قلنا إنّ الاصطفاء هو الميل والاختيار بأن يكون شيء صافياً، كما أنّه يختار صفاء الرسل والأنبياء بطور مطلق، ليحملوا ودائع النبوّة وليبلّغوا ما أُمروا به من دون خلط وشوب وكدورة.

وقد اختار صفاء عدّة من الأنبياء ورسله وعدّة من عباده الصالحين كآل إبراهيم ونوح وآدم ومريم ورُسله الماضين وبرنامج إلٰهيّ.

ولا يخفى أنّ الاصطفاء غير الإصفاء: فإنّ الإصفاء هو جعل شيء صافياً بالتكوين والخلق، كما في قوله تعالى:

أفأصفاكُم ربّكُم بالبَنين، واتَّخذ مِنَ الملائكةَ إناثاً ـ ١٧ / ٤٠.

فإنّ تولّد البنين أمر تكوينيّ خارج عن اختيار العبد وجريان عمله. وهذا بخلاف الاصطفاء، فإنّه اختيار من الله تعالى أن يكون شيء أو شخص صافياً، وذلك بالتوفيق والتأييد وتهيّة الوسائل والهداية، إذا كان المورد مستعدّاً وفي صراط الحقّ.

فوجود الاستعداد الذاتيّ والتوفيق المخصوص من الله ثانياً خارج عن اختيار العبد، ولكنّ السلوك والعمل في محدودة الذات والفطرة اختياريّ، ولا نريد من الاختيار إلّا هذا المعنى.

نعم في الاصطفاء مزيّة زائدة من جهة التكوين والتأييد، وهذا أمر خارج عن محدودة اختيار العبد، والاختيار بعد التكوين والتدبير والخلق، والرّحمة واللّطف أيضاً أمر آخر ـ إنَّ رَبِّي لَطيفٌ لِما يَشاء إنَّهُ هُوَ العَليم الحَكيم.

وأمّا قول الملائكة: يا مَريَم إنَّ الله ... واَصطفاكِ عَلى نساءِ العالَمين: فإنّ هذه الجملة (وإذ قالت الملائكة) معطوفة على قوله تعالى ـ إذ قالَت امرأة عمرانَ رَبّ إنّي

نَذَرتُ ـ ٣٤ / آل عمران، والآيتان متعلّقتان بقوله تعالى ـ إنَّ الله اَصطفى آدَمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ عَلى العالَمين ذرّيَّةً بعضُها مِن بَعض واللهُ سَميعٌ عَليم ، إذ قالت امرأة عمران ـ الآية.

فالمراد من العالَمين غير هؤلاء المصطَفين، وأمّا هؤلاء الّذين اصطفاهم الله: فهم كما قال تعالى ـ ذُرِّيّةً بَعْضُها مِن بعض.

فهذه الآية لا تنافي ما ورد من أنّ فاطمة خير نساء العالمين، سلام الله عليها، فإنّها من آل إبراهيم (ع) ومن مصاديق ـ ذُرِّيَّةً بعضُها مِن بَعض، وقد ورد ما ورد في فضلها بعد الفراغ عن الآية الكريمة ـ إنَّما يُريدُ الله ليُذهِبَ عَنكُم الرِّجْسَ أهلَ البَيْتِ ويُطهِّركُم تَطهيراً.

وأنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفّى ـ ٤٧ / ١٥.

راجع العسل.

فَمَثَله كَمَثَلِ صَفوانٍ عَليه تُراب فأصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً ـ ٢ / ٢٦٤.

الصَّفْوان كعطشان وسكران، فإنّ وزن فَعلان يجيء ممّا يدلّ على امتلاء أو حرارة باطن وأمثالها، فالصَّفْوان ما يتّصف بالصَّفا ويشتدّ هذا المعنى في باطنه، واشتداده شدّة خلوصه واستحكامه، وهذا مَثَل للمنفِق المبطِل فهو كحجر أملس مستحكم لا يتأثّر من تبشير أو إنذار ولا ينفذ العمل الصالح إلى قلبه وباطنه لسوء نيّته وخبث سريرته ـ راجع الوبل.

إنَّ الصَّفا والمَرْوةَ مِن شَعائرِ الله ـ ٢ / ١٥٨.

الصَّفا مقصوراً من ارتفاعات جبل أبي قبيس بمكّة، منها يبتدأ السعي إلى المروة، وهي في الجنوب الشرقيّ للمسجد الحرام، تقابل الحجر الأسود، ولعلّ وجه التسمية

كونها مركّبة من صخور صلبة.

* * *

صكّ :

مصبا ـ الصكّ: الكتاب الّذي يكتب في المعاملات والأقارير، وجمعه صُكوك وأصُكّ وصِكاك، وصَكّ الرجل للمشتري صَكّاً: إذا كتب الصكّ، ويقال هو معرّب. وصكّه صكّاً إذا ضرب قفاه ووجهه بيده مبسوطة. وصكّ الباب: أطبقه، والصَّكَك: أن تصطكّ الركبتان، من باب تَعِب.

مقا ـ صكّ: أصل يدلّ على تلاقي شيئين بقدرة وقوّة حتّى كأنّ أحدهما يضرب الآخر، من ذلك قولهم صككت الشيء صَكّاً، وبعير مُصَكّك: إذا كان اللحم قد صُكّ فيه صَكّاً، ورجل مِصَكّ: شديد، ويقال ذلك في الخَيْل والحُمُر وغيرها.

صحا ـ صكّه: ضربه، ورجل أصَكّ: بيّن الصَّكَك، وقد صككتَ يا رجل، وهو أن تصطكّ ركبتاه، وظَلِيم أصكّ، لأنّه أرحّ طويل الرجلين، وربّما أصاب لتقارب ركبتيه بعضه بعضاً إذا مشى.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ضرب شيء بشدّة بحيث يوجد صوتاً. وهذا المعنى يدلّ عليه حرف الصفير والتضعيف والشدّة.

وبهذا اللحاظ تطلق المادّة في مفاهيم مطلق الشدّة، فكأنّها مستعدّة للضرب.

قالوا لا تَخَفْ وبَشّروهُ بِغُلامٍ عَليمٍ فأقْبَلَتِ امرأتـهُ في صَرَّة فَصَكَّت وَجْهَها وقالَت عَجوزٌ عَقِيم ـ ٥١ / ٢٩.

أي لمّا سمعت سارة زوجة إبراهيم (ع) هذه البشارة فصاحت ولطمت وجهها.

والتعبير بالصرّة والصكّ الدالّين على الصوت والإظهار: فيه إشارة إلى أنّ تحقّق هذه البشارة أمر خارق وخلاف العادة.

وهذا الأمر أوّل جريان نشوء آل إبراهيم المنتهي إلى رسول الله وظهوره.

إنَّ الله اصطفىٰ آدَمَ ونوحاً وآلَ إبراهيم ـ آل عمران ـ ٣٣.

فهذا أوّل الإصطفاء بعد إبراهيم (ع).

والثالث تولّد إسماعيل نبيّ الله إلى أن ينتهي إلى رسول الله والأئمّة الأطهار.

* * *

صلب:

مقا ـ صلب: أصلان، أحدهما يدلّ على الشدّة والقوّة. والآخر ـ جنس من الودك. فالأوّل ـ الصُّلب وهو الشيء الشديد. وكذلك سمِّي الظَّهر صُلباً لقوّته. ومن ذلك الصّالب من الحُمّى وهي الشديدة. وحكى الكسائيّ: صلبَتْ عليه الحُمّى: إذا دامت عليه واشتدّت، فهو مصلوب عليه. وأمّا الأصل الآخر ـ فالصَّليب وهو وَدَك العظم، يقال اصطلب الرجل إذا جمع العظام فاستخرج وَدَكها ليأتدم به. قالوا: وسمّى المَصلوب بذلك كأنّ السَّمَن يجري على وجهه، والصَّليب: المصلوب. ثمّ سمِّي الشيء الّذي يُصلَب عليه صَليباً على المجاورة. وثوب مُصَلّب: إذا كان عليه نقش صَليب. وفي الحديث: إنّ رسول الله (ص) إذا رآه في ثوب قضَبه أي قطعه.

التهذيب ١٢ / ١٩٥ ـ عن ابن السِّكّيت: الصَّلب: مصدر صلَبه يصلُبه صَلباً، وأصله من الصَّليب وهو الودك، ويقال قد اصطلَب الرجل: إذا جمع العظام ليطبخها فيُخرج وَدَكها ويأتدم بها. ابن الأعرابي: الأصلاب ما صلُب من الأرض وارتفع،

وأمعاؤه ما لان منه وانخفض. ويقال للظَّهر: صُلبٌ وصَلَبٌ وصالَب.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل اللين، وأمّا الشدّة فهي ما تقابل الرّخاء، كما أنّ القوّة تقابل الضعف.

وأمّا مفاهيم ـ الودك والظَّهر والشدّ على الصليب: فبلحاظ هذا الأصل، فإنّ الودك: قد استقرّ في أصلب جزء من الحيوان وهو العظم، فيسمّى به باعتبار شدّة وصلابة في محلّه. وأمّا الظَّهر: فإنّه أصلب الأعضاء، وهو متشكّل من العِظام (الأضلاع) وليس فيه لينة. وأمّا الصَّلب: فإنّ المصلوب يُشدّ في الصَّليب بصلابة حتّى لا يتمكّن من التخلّص.

ثمّ يشتقّ منها بالاشتقاق الانتزاعي بعض الصيغ، فيقال: اصطلب الرجل، وثوب مُصلَّب، وغيرهما.

خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ يَخْرجُ مِن بَينِ الصُّلْبِ والتَّرائِب ـ ٨٦ / ٧.

يراد ماء الرجل وهو دافق يخرج من بين العمود الفِقَري والفخذين، أو من بين عظام الوَرِك وعضلاته والفخذ، والترائب كما سبق جمع تريبة وهي ما كان منخفضاً وخاضعاً وليّناً في مقابل الصُّلب.

أو لعلّها إشارة إلى مبدأ تولّد ذلك الماء، وهو الجهاز الهاضم، فإنّ هذا الماء إنّما هو يتحصّل من فضلة الدم الجاري، والدم إنّما يتحصّل من التغذّي وهضم الغذاء. فالمنيّ هو محصول من الغذاء والدم، يأخذه ويتصرّف فيه الانثيان، وهما كالثديين.

فيصحّ أن يقال: إنّ ذلك الماء يخرج من مراكز الهضم والدم الواقعة فيما بين

الصُّلب والترائب.

ولكنّ الحقيق أن يقال: إنّ الصُّلب إشارة إلى عظام الرجل، والترائب إلى رحم المرأة، والماء يتشكّل منهما، ثمّ يكون مبدأً لنشوء الجنين، والدافقيّة موجودة فيهما، إلّا أنّها في المرأة ضعيفة لعدم الحاجة إلى الشدّة فيها، بخلاف ماء الرجل فلابدّ منها حتّى يصل إلى الرحم، ونطفة المرء (اسِپرماتوزُئيد) فيها جهة صلابة وقوّة، ونطفة المرأة (أُوول) فيها جهة لينة وتأثّر وانفعال، وهذا المعنى يناسب التعبير بمادّتي الصُّلب والترائب، ولا يبعد أن يكون المراد من الصُّلب في هذا المورد مطلق القوّة والشدّة، فيكون مقابلاً للتربية.

ويؤيّد هذا المعنى إفراد التعبير بالأصلاب في قوله تعالى: وحَلائل أبنائكُم الَّذينَ مِن أصلابكُم ـ ٤ / ٢٣.

أي الّذين خُلقوا من تجلّي قوّتكم وظهور صلابة وشدّة من عملكم الخاصّ، ويعبّر عن هذا المعنى في العرف بالصُّلب بمعنى الظَّهر، وينسبون ماء الرجل إليه.

ولمّا كان الدفق هو الانصباب بشدّة: فيكون التعبير إشارة إلى خساسة في مبدأ خلق الإنسان، حيث ينصبّ من الظَّهر ويدفعه الصلب بشدّة، ويطرده إلى الترائب المنخفضة، فالدفق فيه إشارة إلى تحقّق الحركة، والصلب إلى القوّة، وهما مبدءا جميع التجلّيات والظهورات.

وأمّا الآخر فيُصلَب فتأكل الطَّيْر مِن رَأسِه ـ ١٢ / ٤١.

ولأُصَلِّبَنَّكُم في جُذوع النَّخل ـ ٢٠ / ٧١.

إنَّما جَزاء الَّذينَ يُحاربونَ اللهَ ورَسوله ويَسْعون في الأَرْضِ فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصَلّبوا أو تُقطّع أيديهم ـ ٥ / ٣٣.

يقول في قاموس الكتاب المقدّس: كان الصَّلب عند الرومانيّين أشدّ التعذيب وأفحش القتل، ويعذّبون المصلوب قبل الصلب وفي الصلب بأنواع الأذى من الجلد والضرب والشدّ وإحراق النار في قريب منه والتسمير وغيرها. وكان الصَّليب متشكّلاً من أشكال مختلفة، والأغلب أنّه كان من عودين عمودي وأُفقيّ يتقاطعان في وسط العمود أو في رأسه، وكان في وسطه مسمار يشدّون المصلوب فيه بالأطناب، ويشدّون يديه بالمسمار في العود الأُفقيّ.

وأمّا المحاربون المفسدون: فإنّ الإفساد في الأرض أخصّ من محاربة الله ورسوله وبعدها، لأنّ الإفساد في الأرض هو الإخلال في نظم الحياة للعباد وفي إجراء القوانين التكوينيّة والتشريعيّة، ومرجع هذا الأمر إلى معاداة الله في أحكامه المطلقة وإلى معاداة الله في التكليفيّة فهو مخلّ في النظام ومانع عن الجريان الصحيح الفطريّ ومحرّف للأفكار الصافية والقلوب السليمة عن صراط الحقّ.

فلابدّ أن يُرفع هذا المانع من مَسير عباد الله، بأيّ نحو لازم، إمّا بالقتل والإفناء دفعة، أو بالصلب حتّى يكون عبرة للموافق والمخالف، أو بقطع اليد والرجل حتّى يسقط عن القدرة والعمل، أو يُنفَوا من الأرض.

وقد أُجيزَ للمصلوب في الإسلام أن يصبر له إلى ثلاثة أيّام.

وقولهم إنّا قتلْنا المسيحَ عيسَى بنَ مَريمَ رَسولَ الله وَما قَتَلوه وَما صَلَبوه ولكن شُبِّهَ لَهُم ... وما قَتَلوه يَقيناً بَل رَفَعَه الله إلَيه - ٤ / ١٥٧.

قد سبق في الشبه: أنّ الآية الكريمة تدلّ على أنّ المسيح (ع) لم يقتل ولم يُصلَب، وكان هذا الأمر قد شُبّه لهم بإرادة غيبيّة، وأنّه قد رفع إلى جانب الله وإلى عالم البرزخ بمناسبة بدنه اللطيف المخلوق بكلمة منه تعالى ولم يكن خلقه من المادّة الكثيفة ومن ماء مَهين.

فالبحث في خصوصيّات هذا الجريان خارج عن مورد التحقيق.

وأمّا الأناجيل الأربعة المتداولة: فكلّ واحد منها يصرّح بتفصيل جريان أخذ المسيح وصلبه ودفنه، باختلافات جزئيّة، راجع الأصحاح من أواخرها.

ويدلّ على مضمون الآية الكريمة: ما في أواخر تلك الكتب (الأناجيل) من لقائه تلاميذه بعد أيّام ـ ففي إنجيل متّى ٢٨/٩ ـ وفيما هما منطلقتان لِتُخبرا تلاميذه إذا يَسوعُ لاقاهما، وقال سلام لكما فتقدّمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، فقال لهما يسوعُ لا تخافا إذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني... وأمّا الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولمّا رأوه سجدوا له.

فيستفاد من هذا الجريان: أنّ أخذه وصلبه كان مشتبهاً عليهم، وإنّ قتله لم يكن فيه واقعيّة، وإنّما هو نظير الغيبة للإمام الثاني عشر (ع).

وإنَّ الَّذينَ اختَلَفوا فيه لَفي شَكّ مِنهُ ما لَهُم بِهِ مِن عِلم.

* * *

صلح:

مصبا ـ صلَح الشيء صُلوحاً من باب قعد وصلاحاً أيضاً، وصَلُح لغة: وهو خلاف فسد. وصَلَح يصلَح: لغة ثالثة، فهو صالح. وأصلحته فصلح. وأصلح: أتى بالصلاح وهو الخير والصواب، في الأمر مصلحة أي خير، والجمع المصالح. وصالحه صِلاحاً، والصُّلح إسم منه وهو التوفيق، وأصلحت بين القوم: وفّقت، وتصالح القوم واصطلحوا، وهو اصلح للولاية أي له أهليّة القيام بها.

التهذيب ٤ / ٢٤٣ ـ الليث ـ الصُّلح: تصالحُ القوم بينهم. والصَّلاح: نقيض الفساد، والإصلاح: نقيض الإفساد. ورجل صالح: مُصلح. والصالح في نفسه، والمصلح

في أعماله وأموره. وتقول أصلحتُ إلى الدابّة إذا أحسنتَ إليها. والصِّلاح بمعنى المصالحة: وصَلاحِ: إسم لمكّة. وتصالَحَ القوم وصالحوا واصطلحوا: بمعنى واحد.

مفر ـ الصَّلاح: ضدّ الفساد، وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيّئة ـ خلَطُوا عَملاً صالِحاً وآخرَ سيِّئاً، ولا تُفْسِدوا في الأرْضِ بعدَ إصلاحِها.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما سلم من الفساد، وهو ضدّ الفساد، وأعمّ من أن يكون في ذات أو رأي أو عمل، والأكثر فيها استعمالها في العمل، كما أنّ الأغلب في الصحّة استعمالها في الأجسام.

فالصلاح في الموضوع كما في: وَوَهَبْنا لَهُ يَحيىٰ وأصْلَحنا لَهُ زوْجَه ـ ٢١ / ٩٠.

أي الاختلال والفساد في مزاجها وهو العقم.

والصلاح في الباطن كما في: سَيَهْديهم ويُصْلِحُ بالَهم ـ ٤٧ / ٥.

كَفَّرَ عَنْهُم سَيِّئاتِهم وأصْلَحَ بالَهُم ـ ٤٧ / ٢.

والبال هو الحال الباطنيّة.

وفي العمل كما في: وأمّا مَن آمَن وعَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الحُسْنىٰ ـ ١٨ / ٨٨.

والصلاح المطلق كما في: إلّا الَّذينَ تابوا وأصلَحوا ـ ٢ / ١٦٠.

يراد إصلاح ما فيه فساد ونقص من رأي أو خُلق أو عمل، بأن يرفع النقص والفساد عنها، ولا يبقى جهة فساد فيها.

ويدلّ على الأصل آيات، منها: الَّذينَ يُفسِدونَ في الأَرْضِ وَلا يُصْلِحون ـ ٢٦ / ١٥٢.

وأصلح ولا تتَّبع سَبيل المُفسدين ـ ٧ / ١٤٢.

إنَّ الله لا يُصلح عملَ المُفسدين ـ ١٠ / ٨١ .

فتدلّ على أنّ الصلاح لا يجتمع مع الفساد.

وهكذا الإصلاح والإفساد فيتقابلان:

ولا تفسِدوا في الأَرْضِ بَعدَ إصلاحِها ـ ٧ / ٥٦.

والله يَعلَم المُفسِدَ مِنَ المُصْلح ـ ٢ / ٢٢٠.

فالإصلاح ينتفي بتحقّق الإفساد، كما أنّ الإفساد ينعدم بوجود الإصلاح، فالصلاح والفساد نقيضان.

وأمّا الصلاح والسيّئة: فهما ضدّان لا يجتمعان، وقد يرتفعان.

قال تعالى: أم حَسِبَ الَّذينَ اجترَحوا السيِّئاتِ أن نَجعلهم كالَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات ـ ٤٥ / ٢١.

وَما يَسْتوي الأَعْمىٰ والبَصيرُ والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصّالِحات وَلا المُسيء ـ ٤٠ / ٥٨.

والَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهم ـ ٢٩ / ٧.

فالسيّئة كما سبق: تقابل الحسن، وهي ما لا تستحسن في ذاته في عمل أو أمر معنويّ أو حكم، وهي لا تجتمع مع الصلاح، لكونها نقيصة واختلالاً وهي نوع من الفساد ـ راجع السوء.

فالصلاح المطلق في الإنسان: هو القدم الأوّل والمرحلة الأُولى في سيره إلى الكمال، وما لم يتحصّل هذا القدم: لا يتيسّر له السلوك والخروج عن عالم الحيوانيّة، بل جريان أمره يكون في اختلال وفساد.

نعم قد ذكر في كلام الله تعالى: أنّ اللقاء وهو آخر مراحل الكمال والسعادة، يتوقّف على حصول أمرين، الصلاح والإخلاص.

فقال تعالى: فَمَن كانَ يَرجو لِقاءَ رَبّه فَليَعْمَل عَمَلاً صالِحاً ولا يُشرِك بِعبادَة رَبِّه أحَداً ـ ١٨ / ١١٠.

والإخلاص هو حقيقة التوحيد الحقّ.

وأمّا التقييد بصلاح العمل: فإنّ الصلاح في العمل هو آخر درجة منه، وهو لا يتحقّق إلّا بعد صلاح الباطن ـ الرأي والقلب.

والصلاح في العمل: مرحلة عالية ومرتبة عظيمة ومنزلة رفيعة سنيّة، وله آثار ونتائج كثيرة، وقد ذكرت في الآيات الكريمة.

جنّات عَدن، توبة الله عليه، نفي الخوف والحزن، المغفرة والرحمة، الحياة الطيّبة، التمهّد والتهيؤ، جزاء الضِّعف، النور، أجر غير ممنون، تكفير السيّئات، جنّات المأوى، جنّات النعيم، وغيرها.

راجع فسد، وفيه تتمّة ما يرتبط بالمقام.

وأمّا صالح: فهو من الأنبياء المرسلين:

إذ قالَ لَهُم أخوهُم صالح ألا تتَّقون ـ ٢٦ / ١٤٢.

وإلى ثَمُود أخاهم صالحاً قالَ يا قَوم اعبُدوا الله ـ ٧ / ٧٣.

وقالوا يا صالح ائتِنا بِما تَعِدنا إن كُنتَ مِنَ المُرسلين ـ ٧ / ٧٧.

فَلَمّا جاءَ أمرنا نجَّينا صالحاً والَّذينَ آمَنوا مَعَه ـ ١١ / ٦٦.

المعارف ٢٩ ـ إنّ الله بعث صالحاً إلى قومه حين راهَق الحُلم، وكان رجلاً أحمر إلى البياض، سبط الشَّعر، وكان يمشي حافياً ولا يتّخذ حِذاء كما يمشي المسيح، ولا يتّخذ مَسكناً ولا بيتاً، ولا يزال مع ناقة ربّه حيث توجّهت. وهو صالح بن عُبيد بن عامر بن إرم بن سام بن نوح، وكانت منازل قومه بالحِجر، وبين الحِجر وبين قُرح ثمانية عشر ميلاً، وقُرح هي وادي القُرى.

البداية والنهاية ١ / ١٣٠ ـ وهم قبيلة مشهورة، يقال ثمود بإسم جدِّهم ثمود أخي جديس، وهما إبنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحِجر الّذي هو بين الحجاز وتبوك، وقد مرّ به رسول الله (ص) وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين. وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام كأُولئك، فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عَبد بن ماسح ـ (نسخة ـ عبيد بن ماشخ ـ عبيد بن آسف بن ماسح) بن عبيد بن حاجر (حاذر) بن ثمود بن عابر، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، فآمنت به طائفة وكفر جمهورهم.

تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١ ـ وأمّا صالح فأرسله الله إلى ثمود، وهو صالح بن عُبيد ابن آسف بن ماشج بن عُبيد بن حادر بن ثمود، فلم يؤمن به إلّا قليل مستضعفون، ثمّ إنّ كفّارهم عاهدوا صالحاً على أنّه إن أتى بما يقترحونه عليه آمنوا به، واقترحوا عليه أن يخرج من صخرة معيّنة ناقة، فسأل صالح الله تعالى في ذلك، فخرج من تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلاً، فلم يؤمنوا.

راجع تفصيل ثمود إلى المادّة.

❊ ❊ ❊

صلد :

مقا ـ صلد: أصل واحد صحيح يدلّ على صلابة ويُبس، من ذلك الحجر الصَّلْد، وهو الصُّلب. ثمّ يُحمل عليه قولهم: صَلِدَ الزَّنْد، إذا لم يُخرج ناره، وأصلدته أنا، ومنه الرأس الصَّلْد الّذي لايُنبت شَعْراً كالأرض الّتي لاتنبت شيئاً. ويقال للبخيل أصلد فهو إمّا من المكان الّذي لايُنبت أو الزَّنْد الّذي لايوري. ويقال: ناقة صَلود، أي بكيئة قليلة اللّبن غليظةُ جلد الضَّرْع.

التهذيب ١٢ / ١٤٢ ـ قال الليث: يقال حجر صَلْد أو جَبين صَلْد أملسُ يابس. وإذا قلت صَلْت: فهو مستو. ورجل أصلد صَلد، أي بخيل جدّاً، وقد صلُد صَلادة، ويقال رجل صَلود أيضاً. وفرس صَلَد وصَلود: إذا لم يَعرَق، وهو مذموم.

جمهرة ٢ / ٢٧٤ ـ الدَّلِص من كلّ شيء: الأملس البراق، وكذلك الدِّلاص والدَّليص. والصَّلْد من قولهم حجر صلد أي صُلب، والجمع صِلاد وأصلاد، ويقال صخرة صلّادَة أي صلبة. وقدِر صَلود إذا أبطأ غليها. والمصدر الصُّلود.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الصلابة بحيث لا ينمو منها أثر ولا تنبت شيئاً. وهذا اللحاظ هو الفارق بينها وبين مترادفاتها، من الصلب والشدّ والصفو وأمثالها.

ومصاديق المادّة: الحجر الصَّلْد، والزند إذا لم يخرج النار، ومن الرأس ما لم يخرج شَعراً، والأرض الّتي لاتنبت، وأمثالها، ولابدّ من أن يكون القيدان (الصلابة

وعدم النموّ) منظورين.

كالَّذي يُنفقُ مالَهُ رِئاءَ النّاس ولا يؤمن باللهِ واليَوْمِ الآخر فَمَثَله كَمَثَل صَفوان عَلَيه تُرابٌ فأصابهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً ـ ٢ / ٢٦٤.

أي حجراً صُلباً لا يرى فيه أثر نبات ونموّ.

فالمنفِق المبطِل عمله بالأذى ليس في نيّته العمل لله ولا الخدمة والإنفاق: فهو بعد تحقّق غرضه ومطلوبه لا يبق له أثر من عمله، ويبق قلبه كالشيء الصُّلب الّذي لا ينبت شيئاً ـ راجع الوبل.

فهو كالصفوان الأملس الصُّلب، وعمله كالتراب الظلمانيّ الّذي يغشى وجوده، وفيه خضوع من جهة الإنفاق ظاهراً، فإذا وقع في قبال المنّ والأذى: يزول التراب ويبق وجوده على حالة حقيقته وهي الصلابة الّتي ليس لها أثر.

فظهر لطف التعبير بالصَّفوان وبالصَّلد في مورديهما.

* * *

صلصال:

مقا ـ صلّ: أصلان، أحدهما يدلّ على ندىً وماء قليل، والآخر على صوت. فالصَّلّة وهي الأرض تسمّى الثَّرى، لِنداها. وأمّا الصوت، فيقال صلّ اللِّجام وغيره: إذا صوّت، فإذا كثر ذلك منه قيل صَلْصَل، وسمِّي الخزف صَلصالاً لذلك، لأنّه يُصوّت.

التهذيب ١٢ / ١١٢ ـ عن الأصمعيّ: سمعت لجوفه صَليلاً من العطش وجاءت الإبل تصلّ عطشاً، وذلك إذا سمعتَ لأجوافها صوتاً كالبحّة، وقال: سمعت صَليل الحديد يعني صوته. وقال أبو إسحاق: الصلصال: الطين اليابس الّذي يصِلّ من يُبسه أي يصوّت. قلتُ هو صلصال ما لم تصبه النار، فإذا مسّته النار فهو فخّار. وقال

مجاهد: الصَّلصال حمأ مَسنون. قلتُ: جعله حَمَأً مسنوناً لأنّه جعله تفسيراً للصَّلصال، ذهب إلى صَلَّ أي أنتَنَ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو اليابس مع وجود رطوبة فيه أي الطين اليابس، وليس بمعنى التراب ولا الطين المرطوب ولا المطبوخ، وهذا ما فيه تماسك في نفسه، وفيه تنبت النباتات.

والإنسان الأوّل أو مطلق الإنسان مبدأ خلقته من الصلصال بواسطة أو بلا واسطة في الخلق الأوّلِ.

خَلَقَ الإنسانَ مِن صَلصال كالفَخّار ـ ٥٥ / ١٤.

فالصَّلصال مأخوذة من مادّة الصَّلّ، وفيها معنى اليبس والرطوبة، ويضاف إليه التكرار والاستمرار المفهوم من التضعيف.

وهذا المبدأ في تكوين الإنسان لا ينافي تكوينه من الماء أو التراب أو النطفة، أو منيّ يُمنى أو علقة أو طين، أو حمأ مَسنون: فإنّ كلّاً منها باعتبار، من جهة الترتيب والوساطة والتقدّم والتأخّر.

قال تعالى ـ وهوَ الَّذي خَلَقَ مِن الماء بشراً، ومِن آياته أن خلقكُم مِن تُراب، ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ مِن سلالَة مِن طين، لم أكُن لأسجد لِبَشَر خلقتهُ مِن صَلْصال مِن حَمأٍ مَسْنون، هو الَّذي خَلَقَكُم مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَة ثُمَّ مِن عَلَقَة، ألم نخلقكُم مِن ماءٍ مَهين، ألم يكُ نُطفةً مِن مَنيٍّ يُمْنى.

فالنطفة مرجعها إلى الغذاء، والغذاء إلى النبات، والنبات إلى التراب، وفيه

معنى الخضوع والمسكنة.

والتعبير بكلّ واحدة منها: إنّما هو باقتضاء المورد وتناسبه، بلحاظ النظر إلى مراتب التكوين، أو الإشارة إلى المبدأ، أو إلى جهة المسكنة والذلّة فيه، أو المبدأ الظاهريّ، أو المبدأ المحسوس، أو في مقابلة تكوين الملائكة أو الجانّ، أو غيره ـ راجع الحمأ، السنّ، السلّ.

* * *

صلى:

مقا ـ صلى: أصلان، أحدهما النار وما أشبهه من الحُمّى. والآخر جنس من العبادة. فأمّا الأوّل ـ فقولهم صليتُ العود بالنار، والصَّلَى صَلَى النار، واصطليت بالنار. والصِّلاء: ما يصطلى به وما يذكّى به النار ويوقد. وأمّا الثاني ـ فالصَّلاة وهي الدعاء. والصلاة: هي الّتي جاء بها الشرع. فأمّا الصلاة من الله: فالرحمة. وممّا شذّ عن الباب: كلمة جاءت في الحديث ـ إنّ للشّيطان فُخوخاً ومَصالي ـ هي الأشراك.

مصبا ـ صلي بالنار وصليها صلىً من باب تعب: وجد حَرّها، والصِّلاء: حرّ النار. وصليت اللّحم أصليه من باب رمى: شويته. والصَّلا وزان العصا: مغرز الذنب من الفرس، والتثنية صلوان، ومنه قيل للفرس الّذي يجيء بعد السابق في الحلبة: المُصلِّي، لأنّ رأسه عند صَلا السابق. والمُصلَّى: موضع الصَّلاة والدعاء. والصَّلاة قيل أصلها في اللغة الدعاء ـ صَلِّ عَلَيْهِم ـ أي ادعُ لهم، ثمّ سمّى بها هذه الأفعال المشهورة، لاشتالها على الدعاء. وقيل الصلاة في اللغة المشتركة بين الدعاء والتعظيم والرّحمة والبركة، ومنه ـ اللّهمّ صَلِّ على آل أبي أوفى ـ أي بارك عليهم وارحمهم. والصَّلاة تجمع على صلوات، والصَّلاة أيضاً: بيت يصلِّي فيها اليهود وهو كنيستهم، والجمع صلوات أيضاً. ويقال: إنّ الصلاة من صليت العود بالنار إذا ليّنته، لأنّ المصلّي

يلين بالخشوع.

التهذيب ١٢ / ٢٣٦ ـ صلي: روي عن النبيّ (ص) ـ إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليُجب فإن كان مفطراً فليَطعم وإن كان صائماً فليُصلّ، قال أبو عبيد: يعني فليَدعُ لهم بالبركة والخير، وكلّ داع فهو مُصلّ، وأمّا ـ أُولئك عليهم صَلَواتٌ ـ فمعنى الصَّلوات: الثناء عليهم من الله. قال أبو عبيد: المَصليّة: المَشويّة، يقال صَليت اللّحم وغيره إذا شويته، فأنا أصليه صَلْياً: إذا فعلتَ ذلك وأنت تريد أن تشويه، فإذا أردت أن تُلقيه فيها قلت أصليته.

قع ـ (صالوى) مَشويّ.

(صالوتا) آراميّة ـ صلاة.

فرهنگ تطبيقي ـ صلى: بريان كردن گوشت.

عبري ـ (صالاه) كردن گوشت.

آرامي ـ (صِلا) صلاة.

سرياني صلاوتا ـ الصلاة.

المعرّب ـ صَلَوات: هي كنائس اليهود. وهي بالعبرانيّة صَلوتا.

* * *

والتحقيق:

أنّ هذه المادّة على شعبتين واويّ ويائيّ، فالواويّ مأخوذة من السريانيّة والآراميّة، وهي بمعنى العبادة المخصوصة، ويعبّر عنها بالعربيّة: بالصلاة.

وقد كانت هذه المادّة مستعملة في العبريّة أيضاً، سواء كان بأخذ من الآراميّة القديمة أو بالعكس، فإنّ كتب العهد العتيق كانت في الأصل عبريّة، ثمّ ترجمت إلى

لغات أخرى.

ويدلّ على هذا تصريح اللغويّين بأنّ كلمة ـ صَلوتا ـ عبريّة، وهي في الأصل إسم لكنائس اليهود، بتناسب الصلاة فيها.

فهذه المادّة قد أكملت في العربيّة مستعملة في العبادة المخصوصة.

وأمّا الأصل الواحد الاستقلاليّ في العربيّة في هذه المادّة: هو الثناء الجميل المطلق الشامل للتحيّة وغيرها.

إنَّ اللهَ وملائكَتَهُ يُصلّونَ عَلى النَّبيِّ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّموا تَسْليماً ـ ٣٣ / ٥٦.

هَوَ الَّذي يُصَلِّي عَلَيْكُم ومَلائكتهُ ليُخرجكُم مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّور ـ ٣٣/ ٤٣.

خُذ مِن أموالِهِم صَدَقة تُطهِّرهُم وتُزكِّيهِم بِها وصَلِّ عَلَيهِم إنَّ صَلاتكَ سَكَن لَهُم ـ ٩ / ١٠٣.

أُولئِكَ عَلَيهم صَلَوات مِن رَبّهِم ورَحمَة ـ ٢ / ١٥٧.

كُلّ قَد علم صَلاته وتَسبيحه والله عَليم بِما يَفعلون ـ ٢٤ / ٤١.

ومِنَ الأعْرابِ ... ويتَّخذ ما يُنفق قُرباتٍ عِندَ الله وصَلَواتِ الرَّسُول ألا إنَّها قربة لَهُم ـ ٩ / ٩٩.

فينبغي أن يذكر هنا بعض ما يوضح ويبيّن المراد:

١ ـ يدلّ بعض ما في هذه الآيات الكريمة على أنّ الحقيقة في هذه المادّة ليست بعبادة أو استغفار ـ هُوَ الَّذي يُصَلِّي عَلَيْكُم، أُولئِكَ عَلَيْهِم صَلَوات مِن رَبِّهِم ـ فإنّ العبادة أو الاستغفار لا يناسبه تعالى.

وأيضاً ليست برحمة ولا تسبيح ـ وملائكته يُصلّون، يصلّي عليكم وملائكته ـ فإنّ الرحمة أو التسبيح من الملائكة على الناس غير مناسب، مضافاً إلى ذكرهما في رديف الصلاة ـ صلوات من ربّهم ورحمة، صلاته وتسبيحه.

٢ ـ قلنا إنّ الأصل في المادّة: هو الثناء الجميل، سواء كان على صورة التحيّة وهي دعاء للحياة أو على صورة دعاء آخر، خبراً أو إنشاءً، وهذا المعنى جار في الآيات المذكورة كلّها. وإنشاء دعاء بالتحيّة أو بغيرها يصحّ من جانب الله تعالى ومن الرسول (ص) ومن الناس ـ إنّ اللهَ وملائِكَتَهُ يُصَلُّون على النّبيِّ، أي يُحيّون عليه دعاءً لحياته وثناء جميلاً له. وصَلِّ عَلَيْهِم ـ أي ادعُ لهم بالتحيّة وقل فيهم بجميل الثناء. كلٌّ قد عَلِمَ صَلاتَه ـ أي قد علم الله تحيّة كلّ منها وأحاط بالثناء الجميل من كلّ منها، كلّ على مقتضى حالته وبلسانه الخاصّ به.

٣ ـ يدلّ على الأصل: الآية ـ هُوَ الَّذي يُصلّي عَلَيكُم ومَلائكته ... تحيَّتهم يَومَ يَلقونَهُ سَلام ـ أي التحيّة لهم يوم القيامة سلام، وهذه التحيّة نوع من أنواع ـ يصلِّي عليكم وملائكته. كما أنّ السلام أيضاً نوع من الصلاة فإنّه تحيّة بالسلامة وثناء جميل. مضافاً إلى أنّ المعنى الواحد الجامع الصحيح الصادق في مورد الله تعالى والملائكة هو الثناء والتحيّة.

٤ ـ الثناء من الله تعالى يكشف عن الرضا وعن إطاعة العبد. ومن الملائكة عن كون العبد على طاعة وخلوص وفي صراط مستقيم. ومن النبيّ (ص) عن وجود الإيمان والطاعة لله وللرسول، ومن المؤمن يكشف عن الحبّ والتعلّق والتمايل إلى التقرّب، ويجمعها تحقّق الروحانيّة الكاشفة عن التجانس.

وعلى هذا المبنى يكون الصلوات على النّبيّ (ص) من أتمّ التحيّات والأعمال الصالحة المطلوبة: من جهة تحقّق الروحانيّة والتناسب بين المؤمن المصلِّي والنّبيّ

الأكرم، ومن جهة تحقّق الرِّضا الكامل والقرب التامّ والمنزلة الرفيعة للرسول الّذي يسأل الصلاة له من الله تعالى.

وبهذا يظهر معنى قوله تعالى ـ لِيُخرجَكُم مِن الظُّلُماتِ إلى النُّور ـ فإنّ التحيّة من الله تعالى تلازم الواقعيّة والتحقّق، والأغلب فيها الإنشاء منه تعالى، وهو لا ينفكّ عن المقصود المنشَأ.

٥ ـ قلنا إنّ الصلاة بمعنى العبادة المخصوصة مأخوذة من اللغة الآراميّة مضافاً إلى وجود تناسب بينها وبين الأصل المذكور، فإنّ الصلاة فيها مفاهيم التحيّة والتحميد والشكر، وهي من الثناء الجميل.

٦ ـ ولا يخفى أنّ الصَّلْو إذا كان بمعنى الثناء: فيستعمل بحرف على، كما في ـ يُصَلُّونَ على النّبيّ، صَلُّوا عَلَيه، عَلَيْهِم صَلوات. وهذا بخلاف ما يكون بمعنى الصلاة ـ فَصَلّ لِرَبِّك، يُصَلِّي في المِحْراب.

وعلى هذا، فالظاهر أنّ المراد في ـ وَلا تُصَلِّ عَلى أحَد مِنهُم ماتَ أبداً ـ هو التحيّة والثناء بالدعاء، لا الصلاة.

٧ ـ فالصلاة سواء كانت مأخوذة من الصَّلْو بمعنى الثناء أو مأخوذة من الآراميّة والعبريّة: هي لغة مستقلّة: معناها معلومة، وتشتقّ منها مشتقّات ـ صلّى يُصلِّي، الصَّلَوات.

٨ ـ فظهر أنّ لغة الصلاة بمعنى العبادة كانت مسبوقة باستعمالها في لغات عبريّة وآراميّة، فلا معنى للقول بأنّها حقيقة شرعيّة، فإنّها حقيقة لغويّة مأخوذة مسبوقة، ويدلّ عليه ورودها في سور نزلت في أوائل ظهور الإسلام كالمزّمّل ـ وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة. والمدّثّر ـ قالوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّين.

وأمّا الصَّلْي يائيّاً: قلنا إنّه مأخوذ من العبريّ كما في قع وفرهنگ، وهو بمعنى

التقريب والعَرض على النار حتّى يكون مشويّاً أو محرقاً.

ولا يبعـد أن نقول بالتناسـب بين الصلاة والصلي والصلو: فإنّها مشـتركة في العرض والتقريب، إلّا أنّ الصلاة عرض على مقام عال نورانيّ، فإنّه ارتباط مع الله تعالى وحضور بين يديه عزّ وجلّ. والصلي عرض على النار، والفارق هو حرف الياء الدالّ على التسفّل. والصلو هو عرض محبّة ومودّة وإظهار تحيّة وثناء لمقام.

تَصْلىٰ ناراً حامِيَة، يَصْلىٰ سَعِيراً، جَهَنَّم يَصْلَونَها، إصْلَوها اليَوْم، سأصليهِ سَقَر، سَوفَ نُصْليهم ناراً، وتَصْلية جَحِيم، إنَّهُم لَصالو الجَحِيم، لَعَلَّكُم تصْطَلون، أولىٰ بِها صَلِيّاً.

يقال صلَى يَصلي صَلاً: إذا قابل مقابلة، فهو صالٍ وصَليّ. وأصلى يُصلي إصلاءً، وصلَّى يُصَلِّي تصلية، وصلى العـودَ بالنار وصلاه بها: إذا قرّبه منها وعرضه عليها. والاصطلاء: اختيار المقابلة بالنار.

وبهذه المناسبة: تستعمل المادّة بمعنى الورود والإدخال، والأصل ما ذكرناه، ويدلّ عليه ـ لَعَلَّكم تصطَلون.

* * *

صمت:

مصبا ـ صمت من باب قتل: سكت، صَمتاً وصموتاً وصُماتاً، فهو صـامت، وأصمته غيره، وربّما اسـتعمل الرباعيّ لازمـاً أيضاً. والصامت مـن المـال: الذهب والفضّة.

مقا ـ صمت: أصل واحد يدلّ على إبهام وإغلاق، من ذلك صمت الرجل إذا سكت، وأصمتَ أيضاً، ومنه قولهـم ـ لقيت فلاناً ببلدة إصمِت، وهي القفر الّتي لا

أحد بها، كأنّها صامتة ليس بها ناطق. ويقال ما له صامت ولا ناطق، فالصامت: الذهب والفضّة، والناطق: الإبل والغنم والخيل. والصَّموت: الدِّرع اللّيِّنة الّتي إذا صبّها الرجل على نفسه لم يسمع لها صوت. وباب مُصمَت: قد أُبهم إغلاقه. والصامت من اللبن: الخاثر، لأنّه إذا كان كذا فافرغ في إناء لم يسمع له صوت. ويقال بِتّ على صِمات ذاك، أي على قصده فيمكن أن يكون شاذّاً، ويمكن أن يكون من الإبدال، كأنّه مأخوذ من السَّمت وهي الطريقة.

التهذيب ١٢ / ١٥٦ ـ قال الليث: الصَّمت السكوت، وقد أخذه الصُّمات. وقفل مُصمَت: قد أُبهم إغلاقه. عن ابن الأعرابيّ: جاء بما صاءَ وصَمَت، قال: ما صاء، الشاءُ والإبل، وما صمت: يعني الذهب والفضّة. أبو عبيد: صمت الرجل وأصمت، بمعنى واحد، وجارية صَموت الخلخالين: إذا كانت غليظة الساقين لا يُسمع لخلخالها صوت لغموضه في رجليها. ابن السكّيت: الثوب المُصمَت: الّذي لونه لون واحد لا يخالط لونه لون آخر.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل النطق والتكلّم. وسبق في السكت: الفرق بينها وبين السكوت والسكت.

وتستعمل المادّة في موارد يتحقّق فيها الصمت المطلق ليس فيها تظاهر عمّا في باطنها، كالذهب والفضّة واللبن الخاثر وأمثالها.

أيُشرِكونَ ما لا يَخلُق شَيئاً ... وإن تدعوهُم إلى الهُدى لا يَتَّبعوكُم سَواءٌ عَلَيْكُم أدَعَوتُموهُم أم أنتُم صامِتون ـ ٧ / ١٩٣.

أي فإنّ هـؤلاء الشركاء لا يَخلُقـون، وإنّهم مخلوقـون، ولا يَـنصُـرون، ولا أنفسَهم يَنصرون، ولا يتّبعون الهدى، ولا أثر في الدعوة ولا في الصمت لعدم تمييز لهم.

فضمير ـ هم: راجع إلى الشركاء، والخطاب للنّبيّ (ص) والمسـلمين، وهـذا يوافق سياق الآية الكريمة بما قبلها وما بعدها.

والصمت هنا واقع مقابل الدعوة، والدعوة نوع من التكلّم.

ثمّ أنّ الصمت كالتكلّم، وكما أنّ التكلّم لازم ومؤثّر في مورده، كذلك الصَّمت لازم ومفيد في مورده، والتكلّم في مورد الصمت كالصمت في مورد التكلّم، وهذا في قبال من يعقل ويفهم ويتوجّه إلى المخاطبة، وأمّا في قبال الأصنام والجـمادات غـير الشاعرة فلا فرق بينهما.

* * *

صمد:

مقا ـ صمد: أصلان: أحدهما القصـد، والآخر ـ الصلابة في الشيء. فالأوّل ـ الصمد: القصـد، يقال صمدته صَمْداً، وفلان مصمّد، إذا كان سـيِّداً يُقصد إليه في الأُمور، وصَمَدٌ أيضاً. والله جلّ ثناؤه الصمد: لأنّه يَصمِد إليه عباده بالدعاء والطلب. والأصل الآخر ـ الصمد، وهو كلُّ مكان صُلب.

التهذيب ١٢ / ١٥٠ ـ الصمَد: من أسماء الله جلّ وعزّ. عن أبي وائل: الصمد: السيّد الّذي قد انتهى سُؤدده. قال أبو عبدالرّحمٰن السُّلَمي: الصمد الّذي يُصمد إليه الأمر فلا يُقضى دونه، وهو من الرجال الّذي ليس فوقه أحد. وقال الحسن: الصمد: الدائم. وقال ميسرة: المـصمَت المُصمَد. وقيل: الصـمد: الّذي صمد إليه كلّ شيء.

وقيل: الصمد: الدائم الباقي بعد فناء خلقه. وقال الليث: صَمَدتُ صمد هذا الأمر: أي قصدت قصده واعتمدته. وقال أبو زيد: صمده بالعصا صمداً إذا ضربه بها، وصمّد رأسه تصميداً: إذا لفّ رأسه بخرقة أو مِنديل أو ثوب ما خلا العِمامة، وهي الصِّماد. عن ابن الأعرابيّ: الصِّماد: سِداد القارورة.

الجمهرة ٢ / ٢٧٤ ـ والصَّمْد من الأرض: الأرض الصلب الشديد، والجمع أصماد وصماد. والصَّمَد: اختلفوا في تفسيره، فقالوا المصمود المقصود في الأُمور من قولهم صمدته أي قصدته. وقال قوم: الصمد الّذي لا جوف له. والأوّل أعلى في اللّغة وأعرف.

صحا ـ الصمد: المكان المرتفع الغليظ. والمُصمَد لغة في المُصمَت وهو الّذي لا جوف له. وصمده يصمده: قصده. والصَّمَد بالتحريك السيّد، لأنّه يُصمد إليه في الحوائج.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو المقام العالي المرتفع الصُّلب الّذي يعلو ولا يُعلى عليه ويتفوّق على جميع أطرافه، سواء كان مادّيّاً أو معنويّاً.

ويَرجع إلى الأصل ما يذكر في تفسيرها: من أنّه السيِّد الّذي قد انتهى في سودده، والذي يُقصد إليه في الأُمور والحوائج، والّذي ليس فوقه شيء، والدائم الباقي بعد فناء الخلق، والصُلب الشديد الّذي لا جوف خالياً له، وغيرها.

فهذه التفاسير إنّما هي بالتقريب وبمناسبة المورد.

وأمّا سِداد القارورة وما يشبهه: فهو مأخوذ من اللغة السريانيّة، يقول في ـ فرهنگ تطبيقي ـ Semda (صِمدا) = سرپوش.

ومع هذا، فلا يخلو عن مناسبة بينه وبين الأصل، فإن سِداد القارورة ما يوضع فوقها ويستقرّ في رأسها.

قُل هُوَ اللهُ أحَد اللهُ الصَّمَدُ لَم يَلِد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أحَد.

ففي هذه السورة المباركة يشار إلى مراتب التوحيد له تعالى:

١ ـ مرتبة الغيب والذات والهويّة المنفيّة عنها الأسماء والصفات، ولا يعبّر عنها بالألفاظ ولا تدلّ عليها كلمات، وآخر ما يمكن أن يعبّر عنها إنّما هو كلمة ـ هو ـ الدالّ على الغائب المطلق بلا وصف، وإلى هذه المرتبة يشير أمير الموحّدين بقوله ـ وَكَمالُ الإخلاص له نفيُ الصفات عنه.

٢ ـ مرتبة التوصيف والتعريف المطلق، وهذه المرتبة يعبّر عنها بكلمة ـ الله ـ وهو الإسم الخاصّ الجامع لجميع الصفات العليا والأسماء الحُسنى، ويدلّ على المعبود المطلق المتحيّر فيه المخلوق، وإلى هذه المرتبة يشار بقوله تعالى ـ اللهُ لا إلٰهَ إلّا هُوَ لَهُ الأسْماءُ الحُسْنىٰ.

٣ ـ مرتبة توحيد الذات والوحدانيّة المطلقة، وهذه المرتبة إنّما هي بعد تصوّر الصفات الإجماليّة في مقام التعبير والتعريف، فتنفي الصفات ثانياً ليحقّ الحقّ ويزهق الباطل المتوهّم عن مقام الهويّة.

٤ ـ مقام الصمَديّة، وهو تعريف عن مرتبة الألوهيّة وكشف جامع عن إسم ـ الله، فإنّ الصمد هو المقام العالي الثابت الحقّ المرتفع عن أيّ جهة وفي أيّ وصف، وهو العلوّ المطلق يعلو كلّ شيء، ويخضع لديه كلّ شيء، وهو الرفيع الدرجات في حياة وقدرة وعلم وإرادة، فالصمد هو المتعالي في جميع ما يتصوّر عن أيّ وصف وخصوصيّة وكمال وجمال، فلابدّ أن كلّ موجود قاصد نحوه وخاضع لديه وعابد وخاشع لوجهه.

٥ ـ مقام نفي الولادة عن شيء وولادة شيء عنه، بمعنى أنّه لم يتكوّن عن شيء ولم يتكوّن عن ذاته شيء، فهو في طول حياته أزليّ أبديّ ليس لحياته انقطاع، وهو تعالى حياته بذاته ولذاته وفي ذاته، وكلّما يتكوّن فهو بأمره وإرادته.

٦ ـ مقام نفي الكُفو عنه: فإنّه تعالى أحد ليس له شريك ولا نظير ولا نِدّ ولا ضدّ، فليس في مقابل وجوده شيء يقابله بحياة أو قدرة أو علم أو إرادة ومَشيئة، فهو تعالى أحد في حياته وإرادته.

فهذه المراتب (نفي الولادة عن شيء وولادة شيء عنه ونفي الكُفويّة) إنّما هي تفسير الصمديّة، والصمد تفسير ـ الله أحد، وهو تفسير ـ هو.

وأمّا ذكر كلمة ـ قل: إشارة إلى أنّ العبد لازم له أن يسير في هذه المراحل ويشاهد هذه المقامات بشهود روحانيّ يقينيّ حقّ اليقين.

وبذلك يصل الإنسان إلى حقّ الإيمان، ويتحصّل له حقّ المعرفة بالله، وينال مقام معرفة النفس بالبرهان اللميّ.

فالصَّمَد من الأسماء الحُسنى، وهو من يكون له مقام رفيع فوق جميع المقامات، يخضع له كلّ شيء، ويتوجّه إليه كلّ موجود، ويحتاج إليه الجميع، ويُقصد إليه في الحوائج.

* * *

صمع:

مصبا ـ الصمع: لصوق الأُذنين وصغرهما وهو مصدر صَمِعت الأذن من باب تعب، وكلّ منضمّ فهو متصمّع، ومن ذلك اشتقّ صومعة النصارى، والجمع صَوامع، وقلب أصمع: ذكيّ، والأصمعيّ: نسبة إلى أصمع، وهو جدّه.

مقا ـ صمع: أصل واحد يدلّ على لطافة في الشيء وتضامّ. قال الخليل وغيره:

كلّ منضمّ فهو متصمّع، ومن ذلك اشتقاق الصومعة، ومن ذلك الصَّمْع في الأُذنين، يقال هو أصمع إذا كان ألصق الأُذنين، ويقال قلب أصمع إذا كان لطيفاً ذكيّاً.

الاشتقاق ٢٧٢ ـ رجل أصمع القلب إذا كان حديد النفس، وكلّ شيء حدّدت طرفه فهو أصمع، ومنه اشتقاق الصومعة.

مفر ـ الصومعة: كلّ بناء متصمّع الرأس أي متلاصقه.

التهذيب ٢ / ٦٠ ـ الفؤاد الأصمع والرأي الأصمع: العازم الذّكي، ورجل أصمع القلب: إذا كان حادّ الفطنة. والصَّمْعاء: الشاة اللّطيفة الأُذن الّتي لصق أُذناها بالرأس. والصومعة من البناء سمّيت صومعة لتلطيف أعلاها.

فرهنگ تطبيقي ـ صَومَعَه: دير، بيت الرهبان، وهو من أصل حبشيّ، مسكن الراهب.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يكون لطيفاً مجتمعاً مع علوّ، وبهذا اللحاظ يطلق على القلب الذكيّ، والرأي العازم، والفؤاد الحادّ الفطن، ومن صغر أُذنه متلاصقاً برأسه، والبناء المتلاصق رأسه، وبيت الراهب لدقّة في رأسها، وأعلى الجبل إذا كان دقيقاً.

والصومعة كجَوْهرة: بيت يبنيها الرّهبان والعبّاد في خارج المعمورة أو في الجبل للتعبّد والتنسّك فيها.

وهذه الكلمة مأخوذة من اللغة الحبشيّة، مع تناسب بينها وبين مادّتي الصمع والصوم. فكونها متجمّعة لطيفة الرأس أو في مكان مرتفع تناسب مفهوم الصمع. وبناؤها على مبنى التقوى والإمساك عن اللّذائذ والشهوات النفسانيّة تناسب مفهوم

الصوم، ففيها جهتان.

وَلَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم ببَعض لَهُدِّمَت صَوامعُ وبِيَعٌ وصَلوات ومَساجِدُ يُذكر فيها إسم الله كَثيراً ـ ٢٢ / ٤٠.

الصَّوامع جمع الصومعة، وهي بيت تبنى للراهب للعبادة. والبِيَع جمع بيعة، وهي كنيسة النصارى، أو مطلق المعبد لليهود والنصارى، والكلمة مأخوذة من السريانيّة. وصَلوات جمع صَلاة، وهي معبد اليهود، والمَساجد للمسلمين. والترتيب بلحاظ الشرافة والعظمة، فإنّ الصومعة بيت خاصّ للراهب العابد، والبيعة بيت تبنى لله لعبادة قاطبة النصارى، والصلاة كذلك وهي لليهود، واليهود دينهم بالنسبة إلى دين النصارى أقرب من التوحيد.

وهذه المقامات الأربعة باعتبار ذكر الله تعالى فيها (يُذكر إسم الله) بمراتبها المذكورة: لها شرافة على سائر الأمكنة، ولا سيّما في مقابل التخريب والهدم باستيلاء المخالفين لذكر الله تعالى.

* * *

صمّ:

مصبا ـ صمَّت الأذن صَمَماً من باب تعب: بطل سمعها، ويستند الفعل إلى الشخص أيضاً فيقال صمّ يصمّ صمماً، فالذّكر أصمّ، والأنثى صمّاء، والجمع صُمّ، مثل أحمر وحمراء وحُمر. ويتعدّى بالهمزة فيقال أصمّه الله. وربّما استعمل الرباعيّ لازماً على قلّة ولا يستعمل الثلاثيّ متعدّياً ولا يُبنى للمفعول. ويسمّى شهر رجب الأصمّ لأنّه كان لا يسمع فيه حركة قتال ولا نداء مستغيث. وحجر أصمّ: صُلب مصمت. وصمّت الفتنة فهي صمّاء: اشتدّت. وصِمام القارورة ونحوها: وهو ما يجعل في فمها سِداداً، وقيل هو العِفاص. والصَّميم: الخالص من الشيء، وصَميم القلب: وسطه،

وصمّم في الأمر: مضى فيه. والصِّمّة: الأسد، ثمّ سمّي بها الشجاع، ثمّ الرجل، ومنه دُريد. واشتمال الصمّاء: الالتحاف بالثوب من غير أن يجعل له موضع تخرج منه اليد، وقد مضى في شمل.

مقا ـ صمّ: أصل يدلّ على تضامّ الشيء وزوال الخرق والسَّمّ، من ذلك الصمم في الأذن. ويقال أصممتُ الرجلَ: إذا وجدته أصمّ، والصَّمّاء: الداهية، كأنّه أمر لا فرجة له فيه. وصِمام القارورة: لأنّه يسدّ الفرجة. وقولهم ـ صمّم في الأمر: إذا مضى فيه راكباً رأسه: فهو من القياس، كأنّه لم يسمع عَذل عاذل ولا نهي ناه، فكأنّه أصمّ. واشتقّ منه السيف الصَّمصام. ومنه صمّم: إذا عضّ في الشيء فأثبت أسنانه فيه. والصَّمّان: أرض. وقال بعضهم: كلّ أرض إلى جنب رملة فهي صَمّانة. والصِّمصِم: الرجل الغليظ.

الاشتقاق ٢٩٢ ـ الصِّمَّة: الرجل الشجاع، وربّما جعلوه من أسماء الأسد. وأصله المضاء والتصميم، يقال صمّم عليه: إذا حمل عليه. والصَّمْصام من هذا اشتقاقه، إلّا أنّه ثقل عليهم أن يقولوا صَمّام فقالوا صمصام. وصَميم كلّ شيء: خالصه.

التهذيب ١٢ / ١٢٦ ـ قال الليث: الصَّمَم في الأُذن: ذهاب سمعها. وفي القناة: اكتناز جوفها. وفي الحجر: صلابته. وفي الأمر: شدّته. ويقال: أُذن صَمّاء، وحجر أصمّ، وفتنة صَمّاء. وصمَّتْ حَصاة بدم ـ يريدون أنّ الدماء لمّا سُفكت وكثرت: فلو وقعت حصاة على الأرض لم يُسمع لها صوت لأنّها لا تقع إلّا في نجيع.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصلابة والسّداد في قبال ما يواجهها.

ومن مصاديقها ـ الأُذن الصَّمّاء، والحجر الأصمّ، والفتنة الصَّمّاء، وأرض صـمّانة، وشهر أصمّ، وهكذا. والمنظور وجود صلابة وسداد في هذه الموارد في قبال أمـور تواجهها، من الصوت والتصادق والتلاقي والحرث والمحاربة.

فهي لما فيها من الصلابة والسداد لا تنفعل ممّا يواجهها.

وهكذا الشـجاع، والرأي القاطع، والعضّ المؤثّر، والسـيف الحادّ، والرجـل الغليظ، وصِمام القارورة، والالتحاف الشديد. فيلاحظ في كلّ منها أمران: الصلابة، وعدم التأثّر.

ثمّ إنّ المعنى أعمّ من أن يكون في أمر مادّي أو معنويّ.

فالمادّي كما في: مثل الفَريقـينِ كالأَعْمى والأَصَمّ والبَصِير والسَّميع ـ ١١ / ٢٤.

أفأنتَ تُسمع الصُّمّ أو تهدي العمي ومَن كانَ في ضلال ـ ٤٣ / ٤٠.

والمـعنويّ كما في: ونحشرهُم يَومَ القِيـامَةِ عَلى وجوهِهم عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً ـ ١٧ / ٩٧.

والَّذينَ كذَّبوا بآياتِنا صُمّ وبُكم في الظُّلُمات ـ ٦ / ٣٩.

أُولئكَ الَّذينَ لَعنهم الله فأصَمَّهُم وأعْمَى أبْصارهم ـ ٤٧ / ٢٣.

والأعمّ منهما كما في: ومِنهُم مَن يَستمعون إليكَ أفأنتَ تُسمع الصُّمَّ ولَو كانوا لا يعقلون ـ ١٠ / ٤٢.

إنَّكَ لا تُسمع المَوتىٰ ولا تُسمع الصُّمّ الدُّعاءَ إذا ولّوا مُدبِرين ـ ٢٧ / ٨٠.

ولا يخفى أنّ الصَّمم الظاهريّ إنّما يظهر باختلال في واحد من طـبقات الأُذن ومن أجزائها، وذلك يوجب عدم انتـقال أمواج الصوت بالأعصاب إلى المخّ، وفيه

مراكز الإحساسات.

والصمم الباطنيّ الروحانيّ: إنّما يكون بزوال الصّفاء والنورانيّة عن الرّوح الإنسانيّ، ومحجوبيّته بالتعلّقات والأفكار الدنيويّة، والأخلاق والصفات الحيوانيّة، وانقطاعه عن عالم النّور وعن الله عزّ وجلّ. وهذا مثل البصير بالعين الظاهريّ وبالبصيرة الباطنيّة.

فالصمم الظاهريّ إنّما يحصل باختلال في الأسباب الجهازيّة للسمع، وهذا بخلاف الصمم الباطنيّ فإنّه يحصل بعلل وعوارض تظهر في الروح والنفس الإنسانيّ، فإنّ المعنويّات إنّما تدرك بالنفس بلا واسطة.

ونعوذ بالله تعالى من هذا الصمم، فإنّه يوجب المحروميّة عن إدراك كلّ نداء روحانيّ وكلّ خطاب غيبيّ وكلّ صوت إلٰهيّ وكلّ دعوة إلى الله تعالى وإلى صراط الحقّ والكمال ـ صُمّ بُكم عُمي.

إنَّ شرّ الدوابِّ عِندَ الله الصُّمّ البُكم الَّذينَ لا يَعقِلون ـ ٨ / ٢٢.

فإنّه منقطع بالتمام عن مبدأ الخير والفلاح، لا ينتفع عن الخطابات الروحانيّة الحقّة، ولا يتوجّه إلى الدعوات الإلٰهيّة، ولا يظهر منه ما يكشف عن صلاح وخير ونور، فهو محجوب عقله.

❊ ❊ ❊

صنع:

مصبا ـ صنعته أصنعُه صَنعاً، والإسم الصِّناعة، والفاعل صانع، والجمع صُنّاع، والصنعة عمل الصانع، والصَنيعة ما اصطنعته من خير، والمَصْنع: ما يُصنع لجمع الماء نحو البِركة والصهريج، والمَصنَعة لغة، والجمع مَصانع. والمُصانعة: الرَّشوة. ورجل

صَنَع وصَنَع اليدين أيضاً: أي حاذق دقيق.

مقا ـ صنع: أصل صحيح واحد، وهو عمل الشيء صُنعاً. وامرأة صَناع، ورجل صَنَع: إذا كانا حاذقَين فيما يصنعانه. والتصنّع: حسن السمت. والمَصانع: ما يُصنع من بئر وغيرها للسَّقي.

التهذيب ٢ / ٣٧ ـ وتتّخذون مَصانِع لعلّكم تَخلدون ـ المَصانع في قول بعض المفسّرين: الأبنية. وقال بعضهم: هي أحباس تتّخذ للماء، واحدها مَصنعة ومَصنع. قلت: وسمعت العرب تسمّي أحباس الماء، الأصناع والصُّنوع، واحدها صِنع. ويقال للقصور أيضاً مَصانع. صُنعَ الله الّذي أتقن ـ فعلى المصدر، كأنّه قال صَنَع الله ذلك صُنعاً. ومن قرأ صنعُ الله: فعلى ـ ذلك صنع الله. ولِتُصنَع على عَيْني ـ معناه: ولتُربّى بمرأى منّي، يقال صنع فلان جاريته: إذا ربّاها. وقال الليث: صَنَع فرسه، وصَنّع جاريته لأنّ تصنيع الجارية لا يكون إلّا بأشياء كثيرة وعِلاج. قلت: وغير الليث يجيز صنَع جاريته، ومنه ـ ولِتُصنَع على عَيْني، وفلان صَنيع فلان ـ إذا ربّاه وأدّبه وخرّجه. وقال الأصمعيّ: العرب تسمّي القُرى مَصانِع. وفرس مُصانِع وهو الّذي لا يعطيك جميع ما عنده من السير. ويقال صانعت فلاناً: أي رافقته. وصانعت الوالي إذا راشيته، وصانعته إذا داهنته.

مفر ـ الصُّنع: إجادة الفعل، فكلّ صنع فعل وليس كلّ فعل صُنعاً، ولا يُنسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل، ـ صُنعَ الله الّذي أتقنَ كُلّ شَيء. وللإجادة يقال للحاذق المُجيد صَنَع، وللحاذقة المُجيدة صَناع.

الفروق ١١٠ ـ الفرق بين العمل والصُّنع: أنّ الصنع ترتيب العمل وإحكامه على ما تقدّم عِلمٌ به وبما يوصل إلى المراد منه، ولذلك قيل للنَّجّار صانع، ولا يقال

للتاجر صانع، لأن النجّار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب وبالأسباب الّتي توصل إلى المراد من ذلك، والتاجر لا يعلم إذا اتجر أنّه يصل إلى ما يريده من الربح أو لا. فالعمل لا يقتضي العلم بما يعمل له، وفي الصناعة معنى الحرفة الّتي يتكسّب بها وليس ذلك في الصُّنع. والصُّنع أيضاً مضمن بالجودة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العمل على حذاقة وعلم ودقّة. وهذه القيود ملحوظة في جميع مشتقّاتها، مضافاً إلى ما يختصّ كلَّ صيغة من الهيئة وخصوصيّاتها.

فالصُّنع: عمل على حذاقة ودقّة. والتصنيع: يدلّ على زيادة في دقّته في العمل. والمصانَعة: يدلّ على استمرار في الصنع.

إنَّما صَنعوا كيدُ ساحر، وألقِ ما في يَمينك تلقَفْ ما صنَعوا ـ ٢٠ / ٦٩.

واصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُننا ـ ١١ / ٣٧.

صُنْعَ الله الَّذي أتقنَ كُلّ شَيء ـ ٢٧ / ٨٨.

وهُم يَحْسبونَ أنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً ـ ١٨ / ١٠٤.

يراد العمل على حذاقة ودقة وعلم، وهذه الخصوصيّة جهة انتخاب المادّة في مواردها.

وألقيتُ عَلَيك مَحبّة منّي ولِتُصنَع عَلى عَيني ـ ٢٠ / ٣٩.

ثُمَّ جِئتَ عَلى قَدَر يا موسى واصطنعتُك لِنَفسي ـ ٢٠ / ٤١.

والإلقاء عليه: عبارة عن الطرح والوضع عليه، كما في قوله تعالى: وألقَينا عَلى

كُرسيّه جسَداً، فالمراد طرح محبّة من الناس عليه، وهذه المحبّة منشأها إنّما هو من الله تعالى من دون توسّط أسباب وعلل أُخر من جمال وكمال مادّيّ، فتكون المحبوبيّة لموسى (ع) أمراً ثابتاً له.

وأمّا التعبير بالصُّنع دون التربية: إشارة إلى أنّ التربية له من جانب فرعون وغيره كانت تربية جسمانيّة، لا روحانيّة.

والمنظور من ارتقاء وجوده ونشوئه وتربيته إنّما هو تهيّؤه وبلوغه إلى مقام يستعدّ ظاهره بأن يكون مأموراً من جانبه، وأمّا التربية الروحانيّة: فكانت بحول من الله وقوّه ـ على عيني.

وتتَّخذون مَصانع لَعَلَّكُم تَخلدون ـ ٢٦ / ١٢٩.

جمع مَصنع وهو محلّ الصناعة كالمَعْمل، أو محلّ صُنِعَ فيه بناء رفيع أو مخزن للماء أو قصر مخصوص، أو ما صُنِع قاصداً به إدامة الحياة والعيش.

❊ ❊ ❊

صنم:

مقا ـ صنم: كلمة واحدة لا فرع لها، وهي الصَّنَم، وكان شيئاً يتّخذ من خشب أو فضّة أو نحاس، فيُعبَد.

مصبا ـ الصنم: يقال هو الوثن المتّخذ من الحجارة أو الخشب ويروى عن ابن عبّاس. ويقال الصنم: المتّخذ من الجواهر المعدنيّة الّتي تذوب، والوثن هو المتّخذ من حجر أو خشب.

التهذيب ١٢ / ٢١٢ ـ الصَّنَمَ: معروف، والأصنام الجميع. وعن ابن الأعرابيّ: الصَنَمة والنَصَمة الصورة الّتي تُعبد. والصَّنَمة: الداهية. قلت: أصلها صَلَمة.

لسا ـ الصنم: يقال إنّه معرّب شَمَن وهو الوثن. قال ابن سِيده: وهو يُنحت من خشب ويصاغ من فضّة ونحاس. وهو ما اتّخذ إلهاً من دون الله، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وَثَن. قال ابن عرفة: ما اتّخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو وثن، فإذا كان له صورة فهو صنم. وقيل: الوثن ما كان له جُثّة، والصنم الصورة بلا جثّة. ومن العرب من جعل الوثنَ المنصوبَ صَنَماً. وروي عن الحسن: لم يكن حيّ من أحياء العرب إلّا ولها صنم يعبدونها يسمّونها أُنثى بني فلان ـ إن تَدعونَ من دونِهِ إلّا إناثاً، والإناث كلّ شيء ليس فيه روح.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يتّخذ معبوداً من أيّ جنس وبأيّ صورة كان، إلّا أنّ الصنم يطلق على ما يتّخذ معبوداً ويكون له عظمة في الظاهر أو عنواناً، والوثن يطلق على ما يكون صغيراً أو حقيراً، ويدلّ على هذا المعنى ما في الاشتقاق ٥١٧:

والوَثَن: الصنم الصغير، فكأنّ الأصنام الكبار، والأوثان الصِّغار، واستوثنت الإبل: إذا كان فيها صغار وكبار.

ويؤيّد هذا المعنى استعمال الوثن في موارد يراد التحقير، كما في:

واجتنِبوا الرّجسَ مِن الأوْثان ـ ٢٢ / ٣٠.

إنَّما تَعبدونَ من دونِ اللهِ أوثاناً وتَخْلُقونَ إفكاً ـ ٢٩ / ١٧.

وأمّا الخصوصيّات الأُخر المذكورة: فيردّها أنّ كلّاً منها قد ذكر في جريان إبراهيم الخليل (ص) على سواء، كما في:

وقالَ إنَّما اتَّخَذْتُم مِن دونِ اللهِ أوثاناً مَودَّةَ بَينِكُم في الحَياةِ الدُّنيا ـ ٢٩ / ٢٥.

أي يقول إبراهيم النبيّ (ص) مخاطباً لقومه. وفي:

وتاللهِ لأكيدَنَّ أصنامَكُم بعدَ أن تُولّوا مُدبِرين فَجَعَلَهُم جُذاذاً ـ ٢١ / ٥٧.

ولا يبعد أن نقول إنّ الصنم أعمّ ممّا يُعبد ظاهراً بعبادة ظاهريّة، أو ما يُعبد باطناً وفي القلب بالتوجّه إليه والخضوع لديه والسلوك إليه والاعتقاد بكونه مؤثّراً في حياته الدنيويّة والأُخرويّة، ويمكن أن نقول إنّ هذا المعنى العامّ هو المراد في:

واجنبني وبَنِيّ أن نَعبُد الأَصنام ـ ١٤ / ٣٥.

وإذ قالَ إبراهيم لأبيه آزر أتتَّخذ أصناماً آلهَة ٦ / ٧٤.

فيلائم حينئذ نسبة الأصنام نفياً أو إثباتاً إلى إبراهيم (ع) وأبيه.

ويدلّ على الفرق المذكور أيضاً: حروف الصاد والميم الدالّين على الصفير والاستعلاء والانفتاح. والواو والثاء الدالّين على اللين والهمس.

وأمّا القول بأنّها معرّبة من كلمة ـ شَمَن: فعلى صحّته: فإنّ هذه الكلمة كما في ـ لغت فُرس للأسدي ١٥٦ ـ شمن: بت پرست باشد.

* * *

صنو :

مقا ـ صنو: أصل صحيح يدلّ على تقارب بين شيئين، قرابة أو مسافة، من ذلك الصِّنو: الشقيق. وعمُّ الرجل صِنو أبيه. وقال الخليل: يقال فلان صِنو فلان: إذا كان أخاه وشقيقه لأمّه وأبيه. والأصل في ذلك النخلتان تخرجان من أصل واحد، فكلّ واحدة منهما على حيالها صِنو، والجمع صِنوان. قال أبو زيد: ركيّتانِ صِنوانِ، وهما المتقاربتان حتّى لا يكون بينهما من تقاربهما حوض.

التهذيب ١٢ / ٢٤٣ ـ روي عن النبيّ (ص): عمّ الرجل صِنو أبيه. قال أبو عبيد: معناه ـ أنّ أصلهما واحد، وأصل الصِّنو إنّما هو في النّخل. وعن البَراء: في ـ صِنْوان وغَير صِنوان: الصِّنوانُ المجتمع، وغير الصِّنوان المتفرّق. وقال الفرّاء: الصِّنوانُ: النخلات أصلهنّ واحد. وقال شَمِر: يقال فلان صِنو فلان: أي أخوه، ولا يسمّى صِنواً حتّى يكون معه آخر، فهما حينئذ صِنوان، وكلّ واحد منهما صِنو صاحبه، والصِّنوانُ: النخلتان والثلاث والخمس والستّ، أصلهنّ واحد، وفروعهنّ شتّى، وغير صِنوان: واحد.

صحا ـ صنا ـ إذا خرج نخلتانِ وثلاث من أصل واحد فكلّ واحدة منهنّ صِنو، والإثنان صِنوانِ، والجمع صِنوانٌ. أبو زيد: ركيّتانِ صِنوان إذا تقاربتا ونبعتا من عين واحدة. والصُّنَيّ تصغير صَنو.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو كون أشياء من جنس وأصل واحد، ويراد من التجمّع والتفرّق هذا المعنى.

وهذه المادّة قريبة لفظاً ومعنى من مادّة الصنف.

فمن مصاديق الأصل: النخلتان من أصل واحد، والركيّتان المحفورتان من عين واحدة، والمتولّدان من والد، وهكذا.

ويصدق هذا المعنى على أشجار ونخلات تنبت من صنف مخصوص من النواة، فكأنّ هذا النوع من النواة واحد، وهذه الأشجار تتفرّع من أصل واحد ونواة واحدة.

وفي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتجاوِراتٌ وجَنّاتٌ مِن أعنابٍ وزَرْعٌ ونَخيلٌ صِنْوانٌ وغَيرُ

صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ ونُفَضِّلُ بَعضها عَلى بَعض في الأُكُل ... وإن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولُهُم أئِذا كُنّا تُراباً أئِنّا لَفي خَلْقٍ جَديد ـ ١٣ / ٤.

الغرض من التمثيل بيان الآيات والشواهد الإلٰهيّة (إنّ في ذلك لآيات) ثمّ نـفي الاستبعاد عن البعث.

فإنّ النخلات مع كونها في قِطَع من الأرض متجاورات، ومع أنّها تُسقى بماء واحد، ومع أنّ هذه النخلات متماثلة صورة سواء كانت من أصل واحد أو من أصول مختلفة، ومع اشتراك جميع الأشجار في الجنس النباتي: إنّما تثمر أثماراً مختلفة متلوّنة متنوّعة، وكلّها تنشأ من حبّة أو نواة صغيرة.

والظاهر أنّ الصنوان خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير أنّ كلّاً من هذه الأعناب والزرع والنخيل صنوان وغير صنوان (كلّ منها صنوان).

وأمّا تخصيص بعضهم هذا المعنى بالنخلات: فإنّما هو بلحاظ ذكره في القرآن المجيد عقيب كلمة النخيل، فيتخيّل بأنّه مختصّ بالنخيل، وعلى هذا يقال بأنّه وصف للنخيل، وأمثال هذا الاشتباه كثيرة.

فظهر أنّ الصنوان غير مخصوص بالنخيل: فإنّه قد استعمل كثيراً في غيره كما في الركيّتين والعينين من منبع واحد، والأخوين من والد واحد.

وهو أعمّ أيضاً ممّا ينشأ من منبع شخصيّ واحد أو صنفيّ واحد.

* * *

صهر:

التهذيب ٦ / ١٠٧ ـ قال الليث: الصِّهر: حرمة الختونة. وخَتَنُ الرجل: صِهره. والمتزوّج فيهم: أصهار الخَتَن. ولا يقال لأهل بيت الخَتَن إلّا أختان، وأهل بيت المرأة

أصهار. ومن العـرب من يجعلهم كلّهم أصهاراً وصِهراً، والفعل المصاهرة. وعن ابن عباس: حرّم الله من النسب سبعاً، ومن الصهر سبعاً: حرّمت عليكم أُمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأُخت من النسب. ومن الصهر: وأُمّهاتكم اللّاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأُمّهات نسائكم ورَبائبكم اللّاتي في حُجوركم وحَلائل أبنائكم وما نكح آباؤكم وأن تجمعوا بين الأُختين. وقال الليث: الصَّهْر: إذابة الشّحم، والصُّهار: ما ذاب منه، وكذلك الاصهـار في إذابـته أو أكـل صُهارته. والصَّهير: المشويّ.

مقا ـ صهر: أصلان، أحدهما يدلّ على قربى. والآخر على إذابة شيء. فالأوّل ـ الصِّهر وهو الخَـتَن. والأصل الآخر ـ إذابـة الشيء، يقال صهرتْه الشمسُ، كأنّها أذابته.

مصبا ـ الصهر: جمعه أصهار. قال الخليل: الصهر: أهل بيت المرأة. قال ومن العرب من يجعل الأحماء والأصهار جميعاً أصهاراً. وقال ابن السكّيت: كلّ من كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم: فهم الأحماء، ومن كان من قبل المرأة: فـهم الأختان، ويَجْمع الصنفين الأصهارُ. وصاهرت إليهم إذا تزوّجت منهم.

الجمهرة ٢ / ٣٦٠ ـ والصِّهر المتزوِّج إلى القوم، ويقال فلان صِهر بني فلان، وقد أصهر إليهم إصهاراً، فهو صِهرهم. والصُّهارة الشحم المذاب، وأحسبه من قولهم صهرَتْه الشمس إذا آلَمَتْ دماغه حتّى تكاد تذيبه.

كتاب الأفعال ٢ / ٢٣٣ ـ صهرتُ الشيء: أذبته، وأصهرتُه: لغة. وصهرتُ الشيءَ: شويتُه، والحرُّ: أحرقه. والشيءَ: قرّبته، وأصهرته أيضاً. ومـنه المـصاهرة. وأصهرت في بني فلان: نكحت. وبالشيء: تمسّكت.

قع ـ (صِيهر) = أعلنَ، صرّح، عرض لأشعّة الشمس.

(صاهَر) = سطع، وضح، لمع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التقرّب بتزوّج. يقال صهرت الشيء: قرّبته. والمصاهرة: التزوّج. والصِهر: هو المتقرّب بالتزوّج وهو الختن، فإنّهُ يُظهر التزوّج من المرأة.

فالأصهار على هذا تعمّ أهل بيت الرجل والمرأة جميعاً.

وهوَ الَّذي خَلَقَ مِن الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وصِهْراً ـ ٢٥ / ٥٤.

النَّسَب والصِّهر مصدران، والحمل على البشر مبالغة، أي فجعله ذا نسب بالانتساب بتوالد، وذا مصاهرة بالتزوّج، وبهذه الطريقة حصلت الكثرة والانتشار.

وأمّا ذكرهما بعد الخلق: فإنّ هذا الجعل هو السبب في البقاء وإدامة الذرّيّة والنسل بعد إيجاد أصل البشر.

وأمّا مفهوم السطوع والعَرض على الشمس والإحراق: فهو مأخوذ من اللغة العبريّة، كما رأيت. ومع ذلك ففيه نوع تقرّب وعرض على الحرارة أو الشمس، كما لا يخفى.

يُصَبُّ من فَوق رُؤوسهم الحَميم يُصْهَر بِهِ ما في بُطونِهِم والجُلود ـ ٢٢ / ٢٠.

أي يُحرق بذلك الحميمُ ما في بطونهم وظواهرهم، وهذا الحميم في أثر ما يتراءى منهم من الكفر بالله والانقطاع عن مبدأ الرحمة.

فإنّ الله تعالى هو مالك يوم الدين وبيده الرحمة والمغفرة والفيض والعيش الّذي يناسب الآخرة، ومن انقطع عنه تعالى بل كان كافراً به: فكيف يتيسّر له العيش والفلاح.

ولا يخفى أنّ البواطن مَجالي الأفكار والعقائد الفاسدة، كما أنّ الظواهر مجالي الأعمال غير الصالحة فيهم.

* * *

صوب:

مقا ـ صوب: أصل صحيح يدلّ على نزول شيء واستقراره قرارَه، من ذلك الصواب في القول والفعل، كأنّه أمر نازل مستقرّ قرارَه، وهو خلاف الخطأ. ومنه الصَّوْب، وهو نزول المطر. والدليل على صحة هذا القياس تسميتهم للصواب صَوْباً. ويقال: الصَّيِّب السحاب ذو الصَّوْب. والتصويب: حَدَب في حَدور، لا يكون إلّا كذا. فأمّا الصُّيابة فالخيار من كلّ شيء، كأنّه من الصَوب، وهو خالص ماء السحاب، فكأنّها مشتقّة من ذلك.

مصبا ـ أصاب السهم إصابة: وصل الغرض، وفيه لغتان أُخريان إحداهما ـ صابه صَوباً من باب قال. والثانية ـ يَصيبه صَيباً من باب باع. وصابه المطر صَوباً من باب قال، والمطر صَوْب تسمية بالمصدر. وأصاب الرأي فهو مُصيب. وأصاب الرجل الشيء: أراده، ومنه قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب، أي أراد الصواب وأصاب في قوله وفعله، والإسم الصَّواب وهو ضدّ الخطاء، والصَّوْب مثل الصَّواب. وصابه أمر يصوبه صوباً، وأصابه إصابة: لغتان، ورمى فأصاب، وأصاب بغيته نالها، ومنه يقال أصاب من زوجته، كناية عن استمتاع الزوج. وأصابه الشيء: إذا أدركه. والمصيبة: الشدّة النازلة، وجمعها المشهور المصائب، قالوا والأصل مصاوب. وقال

الأصمعيّ: قد جمعت على لفظها فقيل مصيبات، وإسم المفعول من صابه مَصوب، ومن أصابه مُصاب. وجبر الله مُصابه أي مصيبته. وصَوب الشيء: جهته. وصوّبت قوله: قلت له صواب. واستصوبته: رأيته صواباً.

التهذيب ١٢/ ٢٥٢ ـ عن ابن الأعرابيّ: صاب: إذا أصابَ. وصابَ إذا انصبّ ـ أو كصَيِّب. وصابَ السهم نحوَ الرميّة يَصوب صَيْبوبة: إذا قصد، وإنّه لسهم صائب أي قاصد. والصَّواب: نقيض الخطأ. والتصوّب: حَدْب في حُدور.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الخطأ، أي جريان أمر على وفق الطبيعة والحقّ، كما أنّ الخطأ هو الانحراف والخروج عن جريان الحقّ الصحيح، ويلاحظ فيه الحدوث لا الاستمرار.

فيقال صاب يصوب صَوباً، أي جرى على الصحّة والحقّ. وإذا أُريد النظر إلى الفاعل ولوحظ جهة الصدور: فيقال أصاب يُصيب إصابة، فهو مُصيب وهي مصيبة، وذاك مُصاب. وإذا لوحظ جهة الوقوع والتعلّق: فيقال صوّب يُصوّب تصويباً.

وهذا الجريان الصحيح إمّا في عمل: والَّذينَ إذا أصابَهُم البَغيُ هُم ينتصرون ـ ٤٢ / ٣٩.

فإن الجريان الصحيح في البغي وقوعه على ما هو حقّه.

أو في قول: لا يَتكلَّمون إلّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمٰنُ وقالَ صَواباً ـ ٧٨ / ٣٨.

فالقول الصائب ما يكون جارياً على مجرى الحقّ والواقعيّة.

أو في ابتلاء وعذاب: أن يُصيبَكُم مِثلُ ما أصابَ قَومَ نوح ـ ١١ / ٨٩.

كَمَثَل ريح فيها صِرّ أصابَتْ حرثَ قَوم ظلموا ـ ٣ / ١١٧.

التعبير بالمادّة في المورد إشارة إلى شدّة العذاب ووقوعه على ما هو حقّه وفي شأن المورد.

أو في حوادث غير ملائمة: الَّذينَ إذا أصابَتهُم مُصيبَة ـ ٢ / ١٥٦.

وَما أصابَكُم مِن مُصيبَة فَبِما كسبَتْ أيديكُم ـ ٤٢ / ٣٠.

أو في حسنة وخير: ما أصابَكَ مِن حسنة فمِن الله ـ ٤ / ٧٩.

فإن أصابَهُ خير اطمأنّ به ـ ٢٢ / ١١.

أو في سيِّئة: وان تُصِبهم سيِّئة بما قدّمت أيديهم ـ ٣٠ / ٣٦.

أو في أمر مادِّيّ: كَمَثلِ جَنَّة بِرَبْوَةٍ أصابَها وابِلٌ ـ ٢ / ٢٦٥.

أو معنويّ: نُصيبُ برحْمَتِنا مَن نَشاء ـ ١٢ / ٥٦.

أو أعمّ منهما: ما أصابَ مِن مُصيبةٍ في الأَرْض ولا في أنفسكُم ـ ٥٧ / ٢٢.

ثمّ إنّ ما يصيب من شيء فبإذن الله تعالى وفي كتاب:

ما أصابَ مِن مُصيبة إلّا بإذنِ الله ـ ٦٤ / ١١.

ما أصابَ مِن مُصيبة في الأَرْضِ ولا في أنفُسكُم إلّا في كِتاب ـ ٥٧ / ٢٢.

قُل لَن يُصيبنا إلّا ما كَتَبَ اللهُ لَنا ـ ٩ / ٥١.

فإنّ الله تعالى هو المالك الحقيقيّ للملك، ولا يملك أحد شيئاً من الدنيا ولا من الآخرة شيئاً، وكلّ ما في السماوات والأرض لله، ويؤتي مَن يشاء منها بما يشاء عارية وإلى أجل مسمّى، وينزع ما يشاء بما يشاء كيف يشاء، ولا اختيار لأحد في ملكه وحكومته وحكمه.

قُل اللّهمَّ مالكَ المُلك تؤتي المُلكَ مَن تَشاء وتَنزع المُلك مِمَّن تَشاء ـ ٣ / ٢٦.

فإذا كان الملك من الله ولله وبيد الله وتحت حكومة الله، يفعل فيه ما يشاء بما يشاء كيف يشاء: فيلازم هذا المعنى ثبوت الحكومة واختيار الحكم المطلق والتقدير والقضاء المطلق لله تعالى.

إنَّ الله يَحكُم ما يُريد ـ ٥ / ١.

والله يحكُم لا معقّبَ لحكمه وهوَ سَريع الحِساب ـ ١٣ / ٤١.

فيطابق التكوين التقدير.

ويلازم هذه المعرفة تحقّق حالة الرضا والتسليم من العبد لله تعالى في حكومته وحكمه وقضائه وقدره، وفي كلّ ما يصيب العبد من خير أو بلاء وفيما يلائمه أو لا يلائمه من الأُمور الّتي تتعلّق بمالكيّته وحكومته.

رضي الله عَنهُم ورَضوا عَنه ذلكَ الفَوز العَظيم ـ ٥ / ١١٩.

وأُمِرنا لنُسلِمَ لرَبّ العالَمين ـ ٦ / ٧١.

فإذا شاهد السالك حقيقة هذه المعاني: حصل له الإيمان الحقّ لله، وتحقّقت له حقيقة الرضا والتسليم، ومبدأ هذه المعارف الحقّة من شهود حقيقة المالكيّة لله عزّ وجلّ كما هو حقّه.

وهنا يشاهد حقيقة ـ ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَة.

فإنّ الله تعالى هو المالك المطلق، وإنّما يحصل الملك لغيره بايتائه وبالتملّك الظاهريّ المحدود كمّاً وكيفاً ومَدّة ومُدّة ومن جميع الجهات، فيكون مرجع هذا الدعاء: هو التوجّه إلى مالكيّته المطلقة ومملوكيّة نفسه.

وهكذا حقيقةَ ـ يا مَن لَهُ الدُّنيا والآخِرَة إرحَم مَن لَيسَ لَهُ الدُّنيا والآخِرَة ـ فإنّ العبد مملوك ولا شيء في ملكه وهو صفر اليد حقّاً.

وهكذا حقيقةَ ـ إنّ للمؤمن أربعَ علائم ـ الرضا والتسليم والتفويض والتوكّل ـ فإنّ المؤمن يشاهد نفسه مملوكاً محكوماً فقيراً من جميع الجهات، ولا محيص له إلّا أن يكون راضياً قانعاً سِلماً خاضعاً لحكمه، ومع ذلك يرى الله عزّ وجلّ حكيماً رؤوفاً رحيماً كريماً ربّ العالمين.

وإنّما الوحشة والخوف والاضطراب من جانب تقصير العبد وانحرافه عن مسير الحقّ وعصيانه الربّ الكريم العزيز وظلمه على نفسه وبما كسبت يداه، وليس الله تعالى بظلّام للعبد:

وَما أصابَكُم مِن مُصيبة فَبِما كَسَبَت أيديكُم ـ ٤٢ / ٣٠.

* * *

صوت:

مقا ـ صوت: أصل صحيح وهو الصوت، وهو جنس لكلّ ما وقر في أُذن السامع، يقال هذا صوت زيد. ورجل صَيّت: إذا كان شديد الصوت، وصائت إذا صاح. فأمّا قولهم فانصات: فهو من ذلك أيضاً، كأنّه صُوّت فانفعل من الصوت وذلك إذا أجاب. والصَّيْت: الذكر الحسن في الناس.

التهذيب ١٢ / ٢٢٣ ـ قال الليث: يقال صوّت يُصوّت تصويتاً، فهو مصوِّت، وذلك إذا صوّت بإنسان فدعاه. ويقال صات يَصوت صَوْتاً، فهو صائت، معناه صائح. عن ابن السكّيت: الصَّوت صوت الإنسان وغيره. والصِّيتُ: الذِّكر، يقال قد ذهب صيته في الناس، أي ذكره. وأصاتَ الرجل بالرجل: إذا شهر بأمر لا يشتهيه، وانصات

الزمان به انصياتاً: إذا اشتهر.

مصبا ـ الصوت: جَرْس الكلام، والجمع أصوات، وهو مذكّر: وأمّا قـوله ـ سائل بني أسد ما هذه الصوت: فإنّما أُنّث ذهاباً إلى الصيحة، وكثيراً ما تفعل العرب مثل ذلك إذا ترادف المذكّر والمؤنّث على مسـمّى واحد، فتقول أقبلت العشـاء على معنى العشيّة، وهذا العشيّة على معنى العشاء. ورجل صائت إذا صاح.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو مطلق الصوت من أيّ جسم كان، والصوت هو ارتعاش يحصل لجسم يوجب تموّجاً في الهواء المتوسّط بين الجسم والقوّة السامعة، فوجود الصـوت يتوقّف على تحقّق ارتعاش وحركة مخصوصة في جسـم، ثمّ إيجابه اهتزازاً في الهواء المجاور لينتقل الصوت ويحسّ به، وإذا فقد واحد من هٰذين الأمرين لا يوجد صوت في الخارج.

إنَّ أنكرَ الأصْواتِ لَصَوْتُ الحَمير ـ واْغْضُض مِن صَوتك ـ ٣١ / ١٩.

وَلا ترفعوا أصـواتكُم فوقَ صَوْتِ النَّبِيّ، إنَّ الَّذين يغضّون أصواتهـم عِـندَ رَسول الله اولٰئكَ الَّذينَ امتحنَ الله قلوبهم للتَّقوى ـ ٤٩ / ٣.

حدّ الصوت في مقام التكلّم هو الاعتدال، وهو المرتبة الخارجة عن حدِّ الهمس الموجب بأن لا يسمع المستمع إلّا بالتكلّف، وأن لا يكون بجهر يوجب التأذّي، وهو الخارج عن مقدار الحاجة واللّزوم.

ورعاية الغضّ والاعتدال عند التكلّم من أهمّ الآداب والوظائف الاجـتماعيّة ومن أوجب ما يلزم في مقام المصاحبة، ولا سيّما إذا كانت المصاحبة مع أهل المعرفة

والفضيلة.

ثمّ إنّ الاصطكاك والارتعاش في الجسم كلّما كان أشدّ وأقوى يكون الاهتزاز والتموّج في الهواء المجاور أسرع وأزيد، وفي نتيجة هذه الاهتزازات السريعة يكون الصوت أرفع وأعلى.

وظهور الصوت في الإنسان: إنّما يتحقّق بمرور الهواء وخروجه من جهاز التنفّس واصطكاكه بالأوتار في القصبة.

وباختلاف تلك الأوتار الصوتيّة وخصوصيّاتها: تختلف خصوصيّات الصوت من اللطافة والخشونة والترجيع.

واستَفزِز من استطعتَ مِنهُم بصَوتك ـ ١٧ / ٦٤.

وخشعت الأصوات للرَّحمٰن فَلا تسمع إلّا هَمْساً ـ ٢٠ / ١٠٨.

التكلّم في ما وراء العالم المادّي أو ممّن هو خارج عن المادّة: إنّما هو بالإظهار المتناسب به وبعالمه، فإنّ التكلّم هو إظهار ما في الضمير، في كلّ عالم بحسبه ـ راجع ـ كلم.

* * *

صور:

مقا ـ صور: كلمات كثيرة متباينة الأُصول، وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق. وممّا ينقاس منه قولهم صور يصوَر، إذا مال. وصُرت الشيء أصوره وأصَرته: إذا أملته إليك، ويجيء قياسه تَصوَّر، لِما ضُرِب، كأنّه مال وسقط. فهذا هو المنقاس، وسوى ذلك فكلُّ كلمة منفردة بنفسها. من ذلك الصورة صورة كلّ مخلوق، والجمع صُوَر، وهي هيئة خِلقته، والله تعالى البارئ المصوّر، ويقال: رجل صَيِّر إذا كان جميل الصورة، ومن ذلك الصَّوْر: جماعة النخل وهو الحائش، ومن ذلك الصُّوار

وهو القطيع من البقر، والجمع صِيران. ومن ذلك الصُّوار صوار المِسك، وقال قوم هو ريحه، وقال قوم هو وعاؤه. ومن ذلك قولهم أجد في رأسي صَورة أي حِكّة. ومن ذلك شيء حكاه الخليل، قال عصفور صَوّار، وهو الّذي إذا دُعي أجاب، وهذا لا أحسبه عربيّاً، ويمكن إن صحّ أن يكون من الباب الّذي ذكرناه أوّلاً، لأنّه يميل إلى داعيه. فأمّا شَعَر الناصية من الفرس فإنّه يُسمّى صَوْراً، وهذا يمكن أن يكون على معنى التشبيه بصَور النخل. ويقال الصارة: أرض ذات شجر.

التهذيب ١٢ / ٢٢٧ ـ أبو عبيد ـ صُرتُ إليَّ الشيءَ وأصرته: إذا أملته إليك، ويقال صاره يصوره ويصيره: إذا أماله. قال أهل اللغة: معنى صُرهنّ ـ أمِلهنّ إليك واجمعهنّ. وقال الليث: الصَّوَر الميل، والرجل يَصُور عنقه إلى الشيء إذا مال نحوه بعنقه، والنعت أصور، وقد صَوِر، وعصفور صَوّار وهو الّذي يجيب الداعي. قال أبو عبيد: الصَّوْرُ: جِماع النخل ولا واحد له من لفظه، وهذا كما يقال لجماعة البقر صُوار. وقال الليث: الصُّوار والصِّوار: القطيع من البقر، والعدد أصوِرة، والجمع صِيران. ويقال: صرَعه فتَجوّر وتَصوّر إذا سقط، ونُفخ في الصُّور: فأنكر قوم أن يكون الصُّور قَرناً، وادّعَوْا أنّ الصُّور جمع الصورة كما أنّ الصوف جمع الصوفة والثُّوم جمع الثومة، ورَووا ذلك عن أبي عبيدة. وقال الفرّاء: كلّ جمع سبق جمعُه واحدتَه: فواحدته بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب، فكلّ واحد من هذه الأسماء إسم لجميع جنسه، فإذا أفردت واحدته زيدت فيها هاء، لأنّ جميع هذا الباب سبق واحدته، وأمّا الصُّور القَرن: فهو واحد لا يجوز أن يقال واحدته صورة، وإنّما تجمع صورة الإنسان صُوَراً لأنّ واحدته سبقت جمعه.

قع ـ (صوراه) صورة، شكل، هيئة، مثال، سيا.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التحويل والإمالة إلى جانب، وبينها وبين مادّة الصيرورة اشتقاق وتشابه لفظاً ومعنى.

ومن ذلك الصَّوّار: باعتبار أنّه يتحوّل ويرجع إلى داعيه.

وإلى هذا المعنى مرجع الآية الكريمة:

فَخُذ أربعـةً مِن الطَّـيْرِ فصُرهنّ إليكَ ثُمَّ اْجعَـل عَلى كُلّ جبل منهنّ جـزءاً ثُمّ ادعُهنّ يأتينك ـ ٢ / ٢٦٠.

فالإمالة والعطف قبل الإماتة: من جهة حصول الأُنس والاعتياد بينها حتّى يتحصّل الإمالة والعطف حين دعائهنّ فيرجعن إليـه، وهذا الأُنس والتـعاطف هـنا تحصيليّ وإنّما يتحقّق بالتربية والتمرين والتعليم الاكتسابيّ، وأمّا بالنسبة إلى الخـالق والمخلوق: فإنّ التعاطف والتمايل بينهما ذاتيّ حضوريّ، فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته ونفخ فيه من روحه. وعلى هذا المبنى تتظاهر المحبّة بينهما إذا رفعت الحجب ـ يحبّهم الله ويحبّونه. قالوا إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون.

وأمّا مفهوم الصورة: فهو مأخوذ من اللغة العبريّة كما رأيت.

هوَ الَّذي يُصوّركُم في الأَرحام كَيفَ يَشاء ـ ٣ / ٦.

وَلَقَد خَلَقناكُم ثُمَّ صوَّرناكُم ـ ٧ / ١١.

وصوّركُم فأحسن صُوَرَكُم ـ ٤٠ / ٦٤.

فالتصوير بعد الخلق والتقـدير والتكوين، وهو تعيين الخصوصيّات الظاهريّة وجهة الشكل الظاهريّ من الجسم في قبال المادّة.

وكما أنّ التكوين وخلق المادّة الأصيلة في كلّ شيء من الله تعالى وبقدرته وتدبيره وعلمه: كذلك التصوير وتعيين الجهات الظاهريّة والتدبير في الشكل والهيئة والنظم فيما يتراءى منه.

وبالصورة تتحصّل فعليّة خصوصيّات المادّة، ويتجلّى ما في مكنونها، فلابدّ من التيام كامل وتناسب تامّ بينهما.

هوَ الله الخالق البارئ المصوّر - ٥٩ / ٢٤.

الخلق مقام التقدير، والبرء مقام التكوين ورفع النقائص، وبعدهما مقام التصوير.

الترتيب: يراد منه الترتيب والتقدّم الذاتي لا الزمانيّ، وكذلك يراد من الصورة: الصورة المنظورة المقصودة، لا مطلق الصُّوَر المتحوّلة في جريان الخلق، فإنّ للمادّة في كلّ من تحوّلاتها صورة قهراً إلى أن تنتهي إلى صورة مقصودة منظورة نهائيّة.

فهذه مراتب ثلاث في مقام التكوين، وكلّها تحت تدبير الله تعالى وبيده، ولا اختيار لأحد غيره، ولا شريك له في هذا المقام، يفعل ما يشاء بما يشاء على مقتضى علمه وحكمته التامّة، ثمّ ينزّل الكتاب ويقرّر أحكاماً وتكاليف للعباد على مقتضى ذلك التكوين، ليوافق التشريعُ التكوينَ، ويتحصّل الغرض المقصود.

ولمّا كان التصوير هو المرتبة الأخيرة في التكوين، فإنّ بالصورة تتحقّق فعليّة الشيء وتظهر حقيقته وشيئيّته، وبها تتمايز آثاره وخواصّه، وبها يتمّ وجوده: فيكون هذا الإسم الشريف (المصوِّر) في مقام عال من الأسماء الحُسنى - وصوَّركُم فأحسَنَ صُوَرَكُم.

وتحسين الصورة تكميلها، وهو أن يعطي للشيء كلّ ما يحتاج إليه في إدامة

حياته من القوى والأعضاء والجوارح على ما تقتضيه الحكمة، مع لحاظ جميع الشرائط واللّوازم والمحسّنات.

ثمّ إنّ هذا المفهوم (الصورة) لا يخفى تناسبه مع الأصل، فإنّ التصوير مرجعه إلى تحويل من حالة إلى حالة حتى يميلها إلى ما هو الملحوظ.

وأمّا مفاهيم ـ جماعة النخل والقطيع من البقر ومن المسك ومن شعر الناصية ومن أشجار الأرض وغيرها: فكأنّها مأخوذة من تحصّل هيئة وحالة مخصوصة وتحوّل إلى صورة خاصّة جالبة.

وأمّا مفهوم الصُّور بمعنى القَرن: فالقرن هنا استعارة، فإنّ النفخ إنّما يتحقّق في عالم البرزخ والمثال، ولعلّ النفخ يشبه قرناً كبيراً يحيط الشرق والغرب وجميع الأكناف.

والصُّور إسم جنس للصورة كالتّمر والتمرة والصُّوف والصوفة، وليس بجمع. والتعبير بإسم الجنس: إشارة إلى أنّ النفخ كأنّه متعلّق ومواجه إلى أمر واحد لا تشتّت فيه ولا اختلاف.

والصُّور يناسب ما في عالم البرزخ والمثال: فإنّ موجودات ذلك العالم مطهّرون عن كثافات عالم المادّة والجسد ولوازمه، وكأنّ هذا العالم بالنسبة إلى عالم المادّة عالم شكل ومثال وصورة.

وهذا ممّا لا ريب فيه لأحد، والنفخ أيضاً إنّما يقع في هذا العالم وبالنسبة إلى موجوداتها المثاليّة البرزخيّة.

وأمّا آثار هذا النفخ وخصوصيّات تأثيره في ذلك العالم وتبديله إلى عالم الحشر والنشر والبعث: فمن المراحل الّتي يشكل علينا فهمها وإدراكها ومعرفة خصوصيّاتها، لقصور في هذه المرحلة لنا.

قَوله الحقّ ولَهُ المُلك يَوم يُنفَخ في الصُّور ـ ٦ / ٧٣.

ونُفخ في الصُّور فَجَمعناهُم جَمعاً ـ ١٨ / ١٠١.

يَوم يُنفَخ في الصُّور ونَحشر المجرمين يومئذٍ زُرقاً ـ ٢٠ / ٩٩.

ومِن ورائِهِم بَرزخ إلى يَومِ يُبعَثون فإذا نُفخ في الصُّور فَلا أنساب بَينهُم يومئذٍ ـ ٢٣ / ١٠٣.

ويَومَ يُنفخُ في الصُّورِ ففزعَ مَنْ في السَّمٰواتِ ومَنْ في الأَرْض ـ ٢٧ / ٨٧ .

ونُفِخَ في الصُّورِ فإذا هُم من الأجداثِ إلى ربِّهِم يَنسِلُون قالوا يا وَيلنا مَنْ بَعثنا مِن مَرْقَدِنا ـ ٣٦ / ٥١.

ونُفِخَ في الصُّورِ فصعِق مَن في السَّماواتِ ومَنْ في الأَرْضِ إلّا مَن شاءَ الله ثُمَّ نُفخ فيه اُخرى فإذا هُم قيام ينظرون ـ ٣٩ / ٦٨.

ونُفخ في الصُّور ذلك يَوم الوَعيد ـ ٥٠ / ٢١.

فإذا نُفخ في الصُّور نفخةٌ واحدة وحُملت الأَرْض والجبال فدُكّتا ـ ٦٩ / ١٤.

يَوم يُنفَخ في الصُّور فتأتون أفواجاً ـ ٧٨ / ١٨.

في هذا المقام بيانات:

١ ـ النفخ: تنفيس وإلقاء ريح بالفم يوجب ارتفاعاً وعلوّاً، مادّياً أو معنويّاً، من ذلك نفخ الروح الموجب لحياة جديدة، والنفخ في مريم (ع) الموجب لتكوّن ولد فيها، والنفخ في الطير لتكوّن طير بإذن الله.

٢ ـ بالنفخ في الصور أيضاً لابدّ وأن يوجب انتفاخاً وارتفاعاً فيها، وأن تتحصّل به في الصور حياة جديدة، فإنّ الصُّور هي متعلَّق النفخ، ولابدّ أن يتحصّل

الانتفاخ والارتفاع فيها لا في غـيرها، كما في: ونَفَخْـتُ فيهِ من روحي، فانفخ فيه فيَكون طَيْراً، فنفخنا فيها من روحنا.

٣ ـ تدلّ هذه الآيات الشريفة على أنّ نفخ الصُّور إنّما يتحقّق في عالم البرزخ والمثال، وقبل عالم البعث، وهو مقدّمة للتهيّؤ والانتقال إلى عالم البعث، وهذا النفخ ينفخ روح الاستعداد إلى ورود عالم البعث ويوجد شرائطه ويوجب التقرّب من مشاهدة مراحل الحقيقة أزيد من عالم المثال والبرزخ ـ فيرى المُلك لله، ويشاهد اجتماع الناس إليه، وحشر المجرمين إليه، والبعث بعد البرزخ، وانتفاء الأنساب، وحصول الفزع، وقياماً من الأجداث المحدودة، والصعقة منهم، والوعيد، وغيرها.

٤ ـ تدلّ الآية ـ ثُمّ نفخ فيه أُخرى فإذا هُم قيام يَنظرون: على وقوع نفخة ثانويّة توجب مرحلة تحقّق الفعليّة، فإذا هم قيام ينظرون.

٥ ـ فينظر أنّ عالم المثال برزخ فيما بين الدنيا والبعث، وبالبعث يتبيّن الأُمور ويتعيّن المراتب ويتقرّر الحساب ويختتم مقام الأفراد تفصيلاً.

* * *

صوع:

مقا ـ صوع: أصل صحيح وله بابان: أحدهما يدلّ على تفرّق وتصدّع، والآخر ـ إناء. فالأوّل ـ قولهم ـ تصوّعوا إذا تفرّقوا. ويقال تصوّع شَعَره إذا تشقق، كذا قال الخليل. وقال أيضاً: تصوّع النبت: هاج. فأمّا الإناء: فالصاع والصُّواع، وهو إناء يشرب به، وقد يكون مكيال من المكاييل صاعاً.

مصبا ـ الصّاع: مكيال، وصاع النبيّ (ص) الّذي بالمدينة: أربعة أمداد، وذلك خمسة أرطال وثُلث بالبغداديّ.

التهذيب ٣ / ٨٢ ـ الفرّاء: الصُّواع: ذكر، وهو الإناء الّذي كان للملك يشرب به. والصاع يؤنّث ويذكّر. وقال سعيد: الصُّواع: هو المكّرك الفارسيّ الّذي يلتقي طرفاه. وقال الحسن: الصُّواع والسقاية: شيء واحد. وقد قيل: إنّه كان من وَرِق كان يكال به، وربّما شربوا به.

صحا ـ صُعت الشيء فانصاع أي فرّقته فتفرّق، وفيه قولهم يـصوع الكَمِـيُّ أقرانه: إذا أتاهم من نواحيهم. والصاع: المطمئنّ من الأرض. والصاع: الّذي يكال به وهو أربعة أمداد، والجمع أصوُع. وإن شِئت أبدلت من الواو المضمومة همزةً. والصُّواع: لغة في الصاع.

فرهنگ تطبيقي: صُواع، جمعه صِيعان: جام زرّين ياسمين.

حبشي ـ صُوعت: جام. (Sw،t).

صاع: آرامي ـ صاعاء: ميزان. (Sâ ،â).

صاع: سرياني ـ صُوعا: ظرف. (So ،â).

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التفرق في قبال النظم والتجمّع، يـقال: تصوّع إذا تفرّق وهاج.

وأمّا الصُّواع: فهذه الكلمة إنّما هي واردة من اللغة السريانيّة وكانت متداولة في أراضي الشامات قبل الإسلام، وقريبة منها ما في اللغة الحبشية كما رأيت، وهي بمعنى الإناء.

وقريبة منها كلمة الصاع المأخـوذة من اللغة الآراميّة القريبة من السـريـانيّة،

وهي ما يوزن به وهو مكيال.

فَلَمّا جهَّزهم بجَهازهم جَعَلَ السِّقاية في رَحل أخيهِ ثُمَّ أذَّن مُؤذِّن أ يَّـتها العـيرُ إنَّكُم لَسارقون قالوا وأقبَلوا عليهم ماذا تَفقِدون قالوا نَفقِد صُـواعَ المـلِك ـ ١٢/ ٧٢.

الضمير في ـ جعَل: راجع إلى يوسف النبيّ (ص) سواء كان العمل بمباشرة أو بأمره. والسِّـقاية: ما يُسقى به وأطلق المصدر عليه للتفخيم. وحكم السرقة فـإنّها تصرّف في شيء من غير حقّ وأخذه من دون إجازة من صاحبه، فإنّهم أخذوا يوسف من أبيه وتصرّفوا فيه تصرّف عدوان، ثمّ جعلوا أخاه بنيامين في محدودة سلطتهم. وصُواع الملك: هو إناء مخصوص كان للملك يسقى منه، وليس بمعنى المكيال، مضافاً إلى أنّ المكيال لا يناسب إضافته إلى الملك، وهو لعامل الكيل.

ويدلّ عليه أيضاً: التصريح بأنّ المجعول في الرحل هو السـقاية، والمكـيال لا يناسب الشرب منه، ولا سيّما للملك.

ولا يخفى وجود مناسـبة بين المادّة وكلمة الصُّواع والصـاع: فإنّ في مفهومها أيضاً معنى التفرّق والتشقّق بالإجمال، حيث إنّ المكيال أو الإناء بهما يحصل التشقّق وتفريق مقدار معيّن عن المجموع.

* * *

صوف:

مصبا ـ الصوف: للضأن، والصوفة أخصّ منه، وكبش أصوف وصائف: كثير الصوف. وتصوّف الرجل وهو صوفيّ: كلمة مولّدة. وصاف السهم يصوف ويصيف: عدل.

مقا ـ صوف: أصل واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف. والباب كلّه يرجع

إليه. يقولون أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشَّعَر السائل في نُقرته. وصُوفة: قوم كانوا في الجاهليّة، كانوا يخدمون الكعبة، ويجيزون الحاجّ. وحكي عن أبي عبيدةَ: أنّهم أفناء القبائل تجمّعوا فتشبّكوا كما يتشبّك الصوف. فأمّا قولهم ـ صاف عن الشرّ، إذا عدل، فهو من باب الإبدال، يقال صافَ إذا مالَ.

مفر ـ ومن أصوافها وأوبارها. والصُّوفيّ: قيل منسوب إلى لُبسه الصوف. وقيل منسوب إلى الصوفة الّذين يخدمون الكعبة لاشتغالهم بالعبادة، وقيل منسوب إلى الصُّوفان الّذي هو نبت لاقتصادهم واقتصارهم في الطُّعم على ما يجري مجرى الصُّوفان في قلّة الغناء في الغذاء.

أسا ـ فلان يلبس الصوف والقطن، أي ما يعمل منهما. وكبش صافٌ وصُوفانيّة، كثير الصُّوف. ويقال كان آل صوفة يجيزون الحاجّ من عرفات، أي يفيضون بهم، ويقال لهم آل صوفانَ وآل صفوان، ولعلّ الصوفيّة نُسبوا إليهم تشبيهاً بهم في النسك، أو إلى أهل الصُّفّة، فقيل مكان الصُّفِّيّة الصوفيّة بقلب إحدى الفاءين واواً للتخفيف، أو إلى الصوف الّذي هو لباس العبّاد وأهل الصوامع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يواري جلد الشاء، كالشعر في المعزى والوبر للإبل، والقطعة الواحدة منه صُوفة.

وأمّا قولهم صاف بمعنى عدل: فهو من الصيف يائيّاً.

وأمّا كلمة الصوفيّة: فهي منسوبة إلى الصُّوف، وذلك لتلبسهم بألبسة من الصُّوف وجلوسهم على جلود الأغنام أو مصنوعات من صوف، وهذا دَيدن الناسكين

الزاهدين من الأزمنة القديمة، وأمّا إنتسابهم إلى الصُّفّة أو الصُّوفة أو غيرها: فليس إلّا تكلّفاً في تكلّف.

وَجَعَلَ لَكُم مِن جُلود الأَنعام بُيوتاً ... ومِن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومَتاعاً إلى حين ـ ١٦ / ٨٠ .

فالأنعام تشمل ما يكون له صوف كالضأن وما له شعر كالمعز وما له وبر كالإبل، فيتّخذ منها ما يلبس وما يفرش.

❊ ❊ ❊

صوم :

مقا ـ صوم: أصل يدلّ على إمساك وركود في مكان، من ذلك صوم الصائم، هو إمساكه عن مَطعمه ومشربه وسائر ما مُنِعه، ويكون الإمساك عن الكلام صوماً. وأمّا الركود: فيقال للقائم صائم. والصَّوْم: ركود الريح. والصوم: استواء الشمس انتصاف النهار، وكأنّها ركدت عند تدويمها. ومَصام الفرس: مَوقفه.

التهذيب ١٢ / ٢٥٩ ـ قال النبيّ (ص): كلّ عملِ ابن آدم له إلّا الصَّوم فإنّه لي. قال أبوعبيد: والصائم من الخيل: القائم الساكت الّذي لا يَطعم شيئاً. وقال الله تعالى ـ إنِّي نَذَرتُ للرَّحمٰن صَوماً ـ أي صَمتاً. وقال غيره: الصوم في اللّغة الإمساك عن الشيء والترك له، وقيل للصائم صائم لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح، وقيل للصامت صائم لإمساكه عن الكلام. وقيل للفرس صائم لإمساكه عن العلف مع قيامه. وقال الليث: الصوم: ترك الأكل وترك الكلام. والصوم: قيام بلا عمل. وصامتِ الريح: إذا ركدت. وصامتِ الشمس عند انتصاف النهار: إذا قامت ولم تبرح مكانها. وبَكرة صائمة: إذا قامت فلم تَدُر.

فرهنگ تطبيقي ـ صام صَوماً: روزه، امساك كردن.

عبري ـ = صُوم.

آرامي ـ صُوم، صُوما.

سرياني ـ صُوما، صاوما.

قع ـ (صوم) صيام، صَوم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو مطلق الإمساك عن أيّ شيء، أكلٍ، شربٍ، كلام، عمل خاصّ، حركة خاصّة، نكاح، وغيرها.

وهذا هو الأصل الصحيح، وهو المـراد عند الإطلاق، إلّا أن تدلّ قرينة على إرادة إمساك خاصّ، وهو الصوم المصطلح الشرعيّ.

فالأوّل كما في: إنِّي نذرتُ للرَّحمٰن صَوماً فَلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إنسيّاً ـ ١٩ / ٢٦.

أي إمساكاً، والجملة بعده تفسِّره وتقيّده بالكلام.

والثاني كما في: فَمَن لَم يَجِد فَصيامُ ثَلاثة أيّام ذلك كفّارة أيمانكُم ـ ٥ / ٨٩.

أُحلّ لَكُم ليلةَ الصِّيام الرفَثُ إلى نسائكُم ـ ٢ / ١٨٧.

فَمَن لَم يَجِد فصِيامُ شَهرين مُتتابعَيْنِ ـ ٤ / ٩٢.

فيراد منها الصوم الشرعيّ.

وممّا يُحتمل بل يقوى في النظر إرادة المعنى الأصيل العامّ: في الآية الكريمة:

إنَّ المسلمين والمسلمات ... والخاشعين والخاشعات والمتصدِّقين والمتصدِّقات

والصائمين والصّائمات ـ ٣٣ / ٣٥.

فإنّ المناسب إرادة مطلق الإمساك عن كلّ ما يسدّ سبيل الله ويمنع عن السلوك إليه، وهو الّذي يكشف عن إخلاص النيّة والتصميم القاطع.

ولا يخفى أنّ الآية الكريمة في مقام بيان مراحل السلوك إلى الله تعالى بالترتيب الّذي ذكر فيها، ولتفصيلها مقام آخر إنشاء الله.

ويدلّ على عموم المعنى في المورد: الآية الكريمة:

كُتِبَ عَلَيكُم الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلى الَّذينَ مِن قَبلكُم لَعَلَّكُم تتَّقون ـ ٢ / ١٨٣.

فإنّ التقوى قريبة من الإمساك وهي من نتائج الصوم، فالصوم تقوىً مخصوصة.

والفرق بين الصوم والصِّيام: أنّ الصيام بمقتضى لفظه والمدّ فيه يدلّ على امتداد في أيّام الصوم، بخلاف الصوم فإنّه مطلق ولا قيد فيه.

* * *

صيح:

مصبا ـ صاح بالشيء يصيح به صَيحة وصياحاً: صرخ. وصاحت الشجرة: طالت. وانصاح الثوب: تصدّع. والصَّيحانيّ: تمر معروف بالمدينة.

مقا ـ صيح: أصل صحيح وهو الصوت العالي، منه الصِّياح، والواحدة منه صَيحة، يقال: لقيت فلاناً قبل كلّ صيح ونفر، فالصَّيح: الصِّياح. والنفر: التفرّق. وممّا يستعار من هذا قولهم ـ صاحت الشجرة وصاح النّبت، إذا طال، كأنّه لمّا طال وارتفع جُعل طوله كالصِّياح الّذي يدلّ على الصائح. وأمّا التصيّح: وهو تشقّق الخشب، فالأصل فيه الواو، وهو التصوّح.

التهذيب ٥ / ١٦٦ ـ قال الليث: والصِّياح: صوت كلّ شيء إذا اشتدّ. والصيحة: العذاب، فَأَخَذَتْهُم الصَّيْحَة ـ يعني به العذاب، وصَيحة الغارة: إذا فاجأتهم الخيل المُغيرة. والصائحة: صيحة المناحة. ويقال: صيحَ في آل فلان، إذا هلكوا.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصوت المرتفع الشديد. وبمناسبة هذه الشدّة تطلق على العذاب، فإنّ الصوت إذا علا وخرج عن حدِّ الاعتدال يوجب زحمة وعذاباً. وبمناسبة الارتفاع تطلق على نبات طال، فكأنّه يصيح ويعرّف نفسه بتظاهره.

وأخذ الَّذينَ ظلموا الصَّيحة ـ ١١ / ٦٧.

فأخذتهم الصَّيحة مُشرِقين ـ ١٥ / ٧٣.

إنّا أرسَلنا عَليهم صَيحة واحدة فَكانوا كَهشيمِ المحتظِر ـ ٥٤ / ٣١.

يقال إنّ سرعة سير الصوت في الهواء قريبة من ٧٢٠ ميلاً في الساعة، وأعلى صوت تستطيع أُذن الإنسان أن تسمعه: هو ما يكون الاهتزاز والذبذبة فيه ٢٠٠٠٠ / مرتبة في الثانية، وتسمّى الموجات الأشدّ من هذه بالموجات فوق الصوتيّة، وهي الخارجة عن حدود تحمّل الإنسان.

فتنقلب الرحمة حينئذ إلى العذاب والنقمة، ويشبه هذا حركة الهواء فإذا تجاوزت عن حدّها: فتصير ريحاً عاتية هادمة.

والصيحة إنّما توجد باصطكاك أو بانشقاق في أرض أو جوّ.

* * *

صيد :

مصبا ـ صاد الرجل الطير وغيره يصيده صيداً، فالطير مَصيد، والرجل صائد وصيّاد. قال ابن الأعرابيّ: يقال: صاد يَصاد وبات يَبات وعاف يَعاف وخال الغيث يَخاله، لغة في يفعل بالكسر في الكلّ. ويسمّى ما يصاد صيداً، إمّا فَعْل بمعنى مفعول وإمّا تسمية بالمصدر، والجمع صُيود. واصطاده مثل صاده.

التهذيب ١٢ / ٢٢٠ ـ صاد الصيدَ يصيده صَيداً: إذا أخذه. وصِدتُ فلاناً: إذا صدتَه له، كقولك بغيته حاجة، أي بغيتها له. قال الليث: مِصيدة: الّتي يُصاد بها. والعرب تقول: خرجنا نصيد بَيضَ النَّعام ونَصيد الكَمْأة. واصطاد يصطاد فهو مُصطاد، والمَصيد أيضاً. وخرج فلان يتصيّد الوحش أي يطلب صيدها. ابن السِّكّيت: الصاد والصِّيد والصُّيَد: داء يصيب الإبل في رؤوسها فيسيل من أُنوفها مثل الزبد وتَسمو عند ذلك برُؤوسها. وقال الليث: الصَّيَد: مصدر الأصيَد، وله معنيان، يقال مَلِك أصيد: لا يلتفت يميناً وشمالاً. والأصيَد أيضاً من لا يستطيع الالتفات إلى الناس من داء ونحوه.

مقا ـ صيد: أصل صحيح يدلّ على معنى واحد، وهو ركوب الشيء رأسَه، ومضيُّه غير ملتفت ولا مائل، من ذلك الصَّيد، وهو أن يكون الإنسان ناظراً أمامه. قال أهل اللغة: الأصيَد: المَلِك، وجمعه الصِيد، قالوا وسمِّي بذلك لقلّة التفاته. ومن الناس مَن يكون أصيد خلقة، واشتقاق الصيد من هذا، وذلك أنّه يمرّ مَرّاً لا يُعرِّج، فإذا أخذ قيل قد صِيد، فاشتقّ ذلك من إسمه، كما يقال رأستُ الرجلَ، إذا ضربت رأسه. وبطنته، إذا ضربت بطنه. كذلك إذا وقعتَ بالصَّيد فأخذته قلت صِدتُه. وممّا يدلّ على صحّة هذا القياس قول ابن السكّيت: إنّ الصَّيدانة من النِّساء: السيِّئة

الخُلق، وسمِّيت بذلك لقلّة التفاتها.

مفر ـ الصَّيْد: مصدر صادَ، وهو تناول ما يُظفَر به ممّا كانَ ممتنعاً، وفي الشرع تناول الحيوانات الممتنعة ما لم يكن مملوكاً، والمتناوَل منه ما كان حلالاً، وقد يسمّى المَصيد صَيداً.

فرهنگ تطبيقي ـ صَيد = شكار.

عبري، آرامي ـ (صود).

سرياني ـ صُوّد. آرامي ـ صِيد.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو قبض شيء وتناوله بحيلة ومراقبة مخصوصة إذا كان آبياً عن أخذه.

وهذه اللغة مأخوذة من العبريّة والآراميّة.

وأمّا مفهوم ـ حالة في الرأس توجب عدم التفات إلى يمين وشمال: فإنّها بمناسبة حالة مراقبة للصائد، فإنّه يراقب حركاته ويديم سكونه إلى أن يصيد مطلوبه. وهذه الحالة في الرأس سواء كانت من مرض أو غيره.

ثمّ إنّ للصّيد في الإسلام شرائط: منها أن لا يكون المَصيد مملوكاً لشخص آخر شرعاً. ومنها أن لا يكون الصائد في حالة يحرم عليه الصيد فيها كالإحرام. ومنها أن لا يكون الصيد في محيط يحرم فيه الصيد كما إذا وقع في الحَرَم.

أُحِلَّ لَكُم صَيدُ البَحْرِ وَطعامُه مَتاعاً لَكُم وللسَّيّارَة وحُرِّم عَلَيكُم صَيْدَ البرِّ

ما دُمْتُم حُرُماً ـ ٥ / ٩٦.

يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لَيبلونَّكُم الله بشَيء مِن الصَّيد تناله أيديكُم ورِماحكم ...
يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تقتلوا الصّيد وأنتُم حُرُم ومَنْ قتلهُ مِنْكُم مُتعمِّداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النّعم ـ ٥ / ٩٥.

أُحلَّت لَكُم بَهيمة الأنعامِ إلّا ما يُتلى عَلَيكُم غيرَ مُحلّي الصَّيد وأنتُم حُرُم ... وإذا حلَلْتُم فاصطادوا ـ ٥ / ٢.

يستفاد من هذه الآيات الكريمة أُمور:

١ ـ حلّيّة صيد البحر ومَصيده، صيداً وأكلاً، للمحلّ والمُحرم.

٢ ـ حرمة صيد البرّ ومَصيده للمحرم صيداً وأكلاً.

٣ ـ لا فرق في الاصطياد بين كونه بيد أو بسلاح ووسيلة.

٤ ـ لا فرق في الحرمة بين مقدّمات الاصطياد من جهة كونها مقدّمة للحرام كالهداية إليه والتجهيز، أو مؤخّراته إلى أن ينتهي إلى الأكل كالأخذ والحبس والقتل والطبخ والأكل.

وأمّا التعبير بالصيد: إشارة إلى أنّ المحرّم هو الاصطياد وما به وله يحصل الاصطياد، فيشمل الأكل، وهذا أحسن من التعبير بالمَصيد، فإنّه حينئذ لا يشمل الاصطياد.

والتعبير بالاصطياد: فإنّ الافتعال يدلّ على اختيار الصيد.

ولا يخفى أنّ حلّيّة الصيد وحرمته إنّما هي باعتبار الأكل منه، وبهذا اللحاظ يكون النظر فيه إلى البهيمة المحلّلة، وأمّا سائر الحيوانات الوحشيّة وغيرها ممّا يحرم أكله: فخارج عمّا نحن فيه.

وهذا كما في: **أُحِلَّت لَكُم بهيمة الأنعام**، فإنّ المراد من إحلالها أكلها والتنعّم بها، فإنّ الغرض المطلوب منها هو الأكل.

❊ ❊ ❊

صير:

مقا ـ صير: أصل صحيح يدلّ على معنى واحد وهو المآل والمرجع، من ذلك صار يصير صَيراً وصَيرورة، ويقال أنا على صِير أمره، أي إشراف من قضائه، وذلك هو الّذي يُصار إليه. والصِّير: كالحظائر يتّخذ للبقر، والواحدة صِيرة، وسمِّيت بذلك لأنّها تصير إليه. وصَيّور الأمر: آخره، وسمِّي بذلك لأنّه يُصار إليه. ويقال لا رأي لفلان ولا صَيّور، أي لا شيء يصير إليه من حَزم ولا غيره. وتَصيّر فلان أباه إذا نزع إليه في الشبه، وسمِّي كذا كأنّه صار إلى أبيه.

مصبا ـ صار زيد غنيّاً صيرورة: إنتقل إلى حالة الغنى بعد أن لم يكن عليها. وصار العصير خمراً: كذلك. وصار الأمر إلى كذا: رجع إليه، وإليه مصيره: أي مرجعه ومآله. وصاره يصيره صيراً: حبسه. والصِّير: صغار السمك، الواحدة صيرة. والصِّير أيضاً: شَقّ الباب. وصِير الأمر: مصيره وعاقبته.

التهذيب ١٢ / ٢٣٠ ـ روي عن النبيّ (ص): من اطّلع من صِير باب فقد دمّر. والصِّير: الشَّقّ. الصِّيرة: الحظيرة للغنم، وجمعها صِيَر. ويقال أنا على صيرِ أمر أي على طرف منه. وقال الليث: صِير كلّ أمر مَصيره، والصَّيرورة: مصدر صار يصير، وصارة الجبل: رأسه. وهذا صَيِّر فلان: أي قبره.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التحوّل إلى حالة ثانويّة متأخّرة طولاً، كما أنّ مادّة الصور واويّاً كانت دالّة على تحوّل وإمالة إلى جانب ـ كما سبق.

وكلّ من مفاهيم الصِّير والصَّيّور: يلاحظ فيه هذا الأصل، فإنّ القبر يتحوّل إليه الإنسان ثانياً في طول حياته. والحظيرة: يتحوّل إليها الغنم أو البقر إذا أراد الاستراحة، فهي المرجع له. والصارة: أعلى الجبل الّذي ينتهى إليه في الصعود. والصِّير بمعنى صغار السّمك أو بمعنى الشقّ: فإنّ صغار السّمك يتوجّه إليها ويرجع إلى صيدها الكبار من الحيتان، وشقّ الباب يتوجّه ويميل إليه من يقصد الاطّلاع.

ثمّ إنّ للإنسان في حياته مسيرين: سيراً إلى الله المتعال، وسيراً إلى نفسه، فإنّ من سلك متوجّهاً إلى الله تعالى وعاملاً في سبيل الله ولله وقاصداً تحصيل الروحانيّة والنورانيّة، بالتهذيب والتزكية والتحلية والإطاعة والأعمال الصالحة والإخلاص: فهو يسير إلى الله الرّحمٰن.

ومن سلك متوجّهاً إلى نفسه وقاصداً تحصيل تمايله ورضاه وشهواته ومتوغّلاً في الحياة الدّنيا، بتأمين العالم المادّيّ وإيتاء ما يشتهيه البدن وقواه وإدامة البرنامج الدنيويّ: فهو في مسيره هذا يسير إلى جانب النفس والشيطان.

فمصير الإنسان وتحوّله في طول حياته: إمّا إلى الله وإلى عالم الروح والنور والحقّ:

ويُحذّركُم الله نفسه وإلى الله المصير ـ ٣ / ٢٨.

ومَن تَزَكّى فإنَّما يَتَزَكّى لِنَفسه وإلى الله المصير ـ ٣٥ / ١٨.

رَبّنا عَلَيكَ تَوَكَّلنا وإلَيكَ أنبنا وإلَيكَ المصير ـ ٦٠ / ٤.

وإمّا إلى البدن والدنيا والشيطان:

لا تحسبَنّ الَّذينَ كفروا مُعجِزين في الأَرضِ ومأواهُم النّار وبِئسَ المصير ـ ٢٤ / ٥٧.

قُل تمتّعوا فإنّ مَصيركُم إلى النّار ـ ١٤ / ٣٠.

فأُمتّعه قَليلاً ثُمَّ اضطرّه إلى عَذاب النّار وبئسَ المصير ـ ٢ / ١٢٦.

وغضب الله عَلَيهم ولَعنهُم وأعدَّ لَهُم جهنَّم وساءَت مَصيراً ـ ٤٨ / ٦.

وقد يراد من ـ الصيرورة إلى الله: المصير القهريّ والسير العموميّ والرجوع المطلق إلى الله العزيز وإلى حكمه وحكومته ومالكيّته وسلطانه، وفي هذا المقام يستوي المؤمن والكافر:

إنّا نَحنُ نُحيي ونُميت وإلينا المصير ـ ٥٠ / ٤٣.

ولِلهِ مُلك السَّماواتِ والأَرْضِ وإلى الله المَصير ـ ٢٤ / ٤٢.

لَنا أعمالنا ولَكُم أعمالكُم لا حجَّة بَيننا وبينَكُم الله يجمع بَيننا وإليه المصير ـ ٤٢ / ١٥.

ولا يخفى أنّ هذا المصير إنّما هو بعد إنقضاء عالم الدنيا والمادّة، وبعد انتهاء المسيرين السابقين، فيسار الصالح والطالح إلى قضائه وحكمه، وهذا بخلاف المسيرين، فإنّهما إنّما يتحقّقان في طول الحياة الدنيا:

أفَمَن اتّبع رضوان الله كَمَن باء بسخط مِن الله ومأواه جَهَنَّم وبِئسَ المصير ـ ٣ / ١٦٢.

الملك يومئذٍ لِلّهِ يحكم بَينهم ـ ٢٢ / ٥٦.

وإذا كان السير القهريّ العموميّ في الآخرة إلى الله تعالى وإلى قضائه، فمن كان سيره الاختياريّ في الدنيا أيضاً إلى الله: فيصدق في حقّه أنّ مسيره ظاهراً وباطناً وبالاختيار وبالاضطرار إلى الله المتعال.

وعلى هذا فيصحّ أن يراد من المصير في المَسير إلى الله: مطلق الصيرورة اختياريّاً أو اضطراريّاً، أو المعنى الثالث القهريّ العامّ.

وعلى أيّ حال فللعاقل أن يتأمّل في تحوّل حالته وفيما يأتي عليه فيما بعد يومه، ويتفكّر في خصوصيّاته، حتّى يحصل له الأمن والطمأنينة.

ولا شكّ أنّ الإنسان يتحوّل ويصير إمّا إلى رحمة وسعة أو إلى عذاب.

* * *

صيص :

التهذيب ١٢ / ٢٦٥ ـ الصِّيصَة من الرِّعاء الحسن القيام على ماله. وقال الزجّاج: الصِّياص: كلّ ما يُمتنع به وهي الحصون، وقيل القصور لا يتحصّن بها. والصَّياصي: قُرون البقر والظِّباء، وكلّ قَرْن صِيصة، لأنّ ذوات القرون يتَحصّن بها، وصِيصة الدِّيك شوكته، لأنّه مُحصّن بها أيضاً.

لسا ـ صيص ـ والصِّيصِيَة: شوكة الحائك الّتي يُسوّي بها السَّداة واللُّحمة. ومنه صِيصِية الديك الّتي في رِجله. وصَياصي البقر: قُرونها، وربّما تُركّب في الرماح مكان الأسنّة. والصَّياصي: الحصون، وكلّ شيء امتُنع به وتُحصّن به فهو صِيصة، ومنه قيل للحصون الصَّياصي.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما به يتحصّل المحافظة بالدفاع عمّا يضرّه. فيلاحظ فيها قيدان: المحافظة والدفاع.

فيقال للراعي الحسن القيام على ماله: صِيصَة، باعتبار حفظه لماله ودفاعه عنه. وهكذا في الشوكة والقرن والحصن.

وقريب منها لفظ الصوص واويّاً بمعنى البخيل الممسك، فإنّه بهذه الصفة يحفظ ماله ويدفع عن سوء القصد به، إلّا أنّ الصيص يائيّاً يدلّ على سكون وتثبّت أقوى في المعنى من جهة حرف الياء.

وأنزلَ الَّذينَ ظاهروهُم مِن أهلِ الكِتابِ مِن صَياصيهم وقذفَ في قُلوبِهِم الرُّعب ـ ٣٣ / ٢٦.

إشارة إلى بني قُريظة الساكنين في أراضي قريبة من المدينة لهم حصون فيها.

وبنو قُرَيْظة من اليهود عاهدوا قريشاً وغَطَفان على محاربة المسلمين، وخرجت قريش وغطفان ومن تبعهم من القبائل، ونزلوا قريباً من المدينة، ولما سمع رسول الله (ص) بذلك ضرب الخندق على المدينة، وتسمّى هذه الغزوة بالخندق والأحزاب.

وبعد انهزام الأحزاب وذلك في سنة خمس، أتوا حصون بني قريظة وحاصروهم، إلى أن قتل منهم قريب من سبعمأة رجال.

والتعبير بالصَّياصي: إشارة إلى أنّ تلك الحصون كانت محافظة لهم ومدافعة عن أعدائهم، وكانت حصوناً محكمة، ومع ذلك لم تنفعهم ولم تمنعهم ـ وظنّوا أنَّهُم مانعتهم حُصونهم مِن الله.

* * *

صيف :

مصبا ـ الصَّيف وجمعه صيوف، ويسمّى المطر الّذي يأتي فيه الصيف أيضاً، ويوم صائف وليلة صائفة، والمصيف: الصيف، والجمع المَصائف. وعاملته مصاءفة من الصيف، مثل مشاهرة من الشهر. وصافَ القومُ: أقاموا صيفهم، وأصافوا: دخلوا في الصيف. وصيّفني: كفاني لصيفي. وصاف السهم صَيفاً وصَوْفاً من بابي باع وقال: عدل.

مقا ـ صيف: أصلان، أحدهما يدلّ على زمان. والآخر يدلّ على ميل وعدول. فالأوّل ـ الصَّيف وهو الزمان بعد الربيع الآخر. والصَّيْفيّون: أولاد الرجل بعد كِبَره، ووَلَد فلان صيفيّون. وأمّا الآخر ـ فصاف عن الشيء: إذا عدل عنه، وصاف السهم عن الهدف يصيف صَيفاً: إذا مال.

صحا ـ الصَّيف: واحد فصول السنة، قبل القيظ، يقال صَيف صائف، وهو توكيد له كما يقال ليل لائل. والصيف أيضاً: المطر الّذي يجيء في الصيف. والمَصيف: المعوّج من مجاري الماء، وأصله من صاف أي عدل، كالمَضيق من ضاق. ويوم صائف: أي حارّ، وليلة صائفة، وربّما قالوا يوم صاف بمعنى صائف. وعاملت الرجل مصايفة أي أيّام الصَّيف. وصاف بالمكان أي أقام به الصيف، واصطاف مثله، والموضع مَصيف ومُصطاف. وصِفنا: أي أصابنا مطر الصَّيف، وهو فُعِلنا، مثل خُرِفنا ورُبِعنا.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تحوّل شيء وتبدّله من جريان إلى جريان وخطّ آخر.

والفرق بينها وبين الصُّور والصِّير والتحوّل: أنّ الصُّور هو إمالة وتحوّل إلى جانب عَرْضاً. والصير هو التحوّل إلى حالة ثانويّة متأخّرة طولاً. والتحوّل مطلق تحوّل من حالة إلى حالة. ويلاحظ في الصيف تحوّل من خطّ إلى خطّ آخر بتبدّل في أصل الجريان.

وهذا كما في تبدّل جريان الربيع في لطافة الهواء واعتدال الجوّ واخضرار النباتات إلى شدّة الحرارة وتبدّل الاخضرار. وكما في تبدّل تلك الحرارة إلى هواء معتدل بنزول المطر، فكأنّ الصيف قد تبدّل إلى زمان مطر وهواء بارد. وكما في تبدّل مسير الماء ومجراه واعوجاجه عن مجراه الأصلي. وكما في انحراف السهم عن مجراه وخروجه عنه.

إيلافِهِم رِحلَةَ الشِّتاءِ والصَّيف ـ ١٠٦ / ٢.

يؤخّر الصّيف فإنّه إنّما يتحقّق بتحوّل من الشتاء، والربيع والخريف لا يتوجّه إليهما في البين، ولا سيّما في المناطق الحارّة وجزيرة العرب، فكأنّه لا واسطة بينهما.

وهنا تمّ المجلّد السادس. ويتلوه المجلّد السّابع بتوفيقه وتأييده وعونه. وذلك في ٥/١/١٣٦٠ هـ، ببلدة قم المشرّفة.

اللّهمّ وفّقني في إتمام سائر مجلّدات هذا الكتاب الشريف، بلطفك وبعون منك، ولا حول ولا قوّة إلّا بك، وأنا الأحقر المحجوب الفقير حسن المصطفوي.

الكتب المنقولة عنها في هذا الكتاب

أسا = أساس البلاغة، للزمخشري، طبع مصر، ١٩٦٠ م.
الاشتقاق لابن دُريد محمّد بن الحسن، طبع مصر، ١٣٧٨ هـ .
أصول علم الهيئة لفان ديك، طبع بيروت، ١٨٧٤ م.
إنجيل متّى من العهد الجديد، عربيّ، طبع بريطانيا.
البداية والنهاية لابن كُثير، في التاريخ، ١٠ مجلّدات، طبع مصر، ١٣٤٨ هـ .
تاريخ ابن خَلِّكان، وَفَيات الأعيان، مجلّدان، إيران، ١٢٨٤ هـ .
تاريخ أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر، مجلّدان، طبع مصر، ١٣٢٥ هـ .
التكوين من التوراة، عربيّ، طبع بريطانيا.
التنبيه والإشراف للمسعوديّ، طبع مصر، ١٣٥٧ هـ .
تاريخ ابن الوردي، مجلّدان، طبع مصر، ١٢٨٥ هـ .
التهذيب في اللّغة للأزهريّ، ١٥ مجلّداً، طبع مصر، ١٩٦٦ م.
الجاربردي ـ شرح الشافية، لابن الحاجب، طبع إيران، ١٢٧١ هـ .
الجمهرة في اللّغة لابن دُريد، ٤ مجلّدات، طبع حيدر آباد، ١٣٤٤ هـ .
دائرة المعارف الإسلاميّة، طبع مصر، ١٥ مجلّداً.
سفر الخروج من التوراة، عربيّ، طبع بريطانيا.
الصّافي = تفسير الصافي للفيض، طبع طهران، ١٣٤٤ هـ .
صحاح اللّغة للجوهريّ، طبع إيران، ١٢٧٠ هـ .

فرهنگ تطبيق في اللّغات، مجلّدان، طبع طهران، ١٩٧٨ م.

الفروق اللّغوية للعسكريّ، طبع مصر، ١٣٥٣ هـ .

الفَصْل في النِّحَل لابن حزم، في مجلّدين، طبع مصر، ١٣٤٧ هـ .

الفهرست لابن النديم، طبع مصر، ١٣٤٨ هـ .

قاموس الأعلام للساميّ، بالتركيّة، ٦ مجلّدات، طبع إسلامبول، ١٣٠٦ هـ .

قع = قاموس عبريّ ـ عربيّ، لقوجمان، طبع ١٩٧٠ م.

قاموس كتاب مقدّس لمستر هاكس، بالفارسيّة، طبع بيروت، ١٩٢٨ م.

الكامل في التاريخ لابن أثير الجزري، ١٢ مجلّداً، طبع مصر، ١٣٠٣ هـ .

كتاب الأفعال لابن قطاع، ٣ مجلّدات، طبع حيدر آباد، ١٣٦٠ هـ .

لسا = لسان العرب لابن منظور، ١٥ مجلّداً، طبع بيروت، ١٣٧٦ هـ .

لغت فرس أسدي، بالفارسيّة، طبع إيران، ١٣٣٦ هـ .

المروج = مروج الذهب للمسعوديّ، مجلّدان، طبع مصر، ١٣٦٦ هـ .

مصبا = مصباح اللّغة للفيّوميّ، طبع مصر، ١٣١٣ هـ .

المعارف لابن قتيبة، بتحقيق من ثروت عكاشة، طبع مصر، ١٩٦٠ م.

المعرّب من الكلام الأعجميّ للجواليقيّ، طبع مصر، ١٣٦١ هـ .

معجم البلدان لياقوت الحمويّ، ٥ مجلّدات، طبع بيروت، ١٩٥٧ م.

مفر = المفردات للراغب الإصبهانيّ، طبع مصر، ١٢٣٤ هـ .

مقا = مقاييس اللّغة لابن فارس، ٦ مجلّدات، طبع مصر، ١٣٩٠ هـ .

الملل والنحل للشهرستاني، ٣ مجلّدات، طبع مصر، ١٣٦٨ هـ .

الملوك الأوّل، من العهد القديم، طبع بريطانيا.

النجوم لپير وروسو، ترجمة صفّاري، طبع طهران، ١٣٢٨ هـ . ش.

نهاية الأرب للقلقشندي، طبع بغداد، ١٣٧٨ هـ .

وأمّا المراجع في التأليف: فأكثر كتب الأدب والتاريخ.

فهرس موضوعات مهمّة

المطالب	الكلمات
مقامات في الحضور	شأن
التوحيد	شرك
التوحيد	صمد
الجنّ	شطن
اختلاف العوالم	شطن
مبدأ العصيان	شطن
عرض الأمانة	شفق
مراتب النّور	شكو
مراتب الحرارة	شهب
مراتب الحدود	شهد
أمور مشاهدة	المشهودات
أقسام البدن	شهود
صفة الحياة	شيء
الاختيار والقدرة	شيء
الجبر والتفويض	شيء
القلب والصّدر	صدر

في الاشتقاق والأدب

راجع فهرس المجلّد الأوّل، ص ٤١٤.

هُو تعالىٰ

بمنِّه وتوفيقه وتأييده

يتلوه الجزء السّابع وأوّله

حرف الضّاد